

۶۰۰ نمبر ۲۰۰ کتب خانہ اصنیف سید کا علی حمید کوکن
 الف ۱۷
 ۲۱۹۳۲

نمبر جدول
 تاریخ جدول
 نام کتاب تفصیر الحواصیر لطیف دی جلد شام عشر
 فن کتاب تفصیر

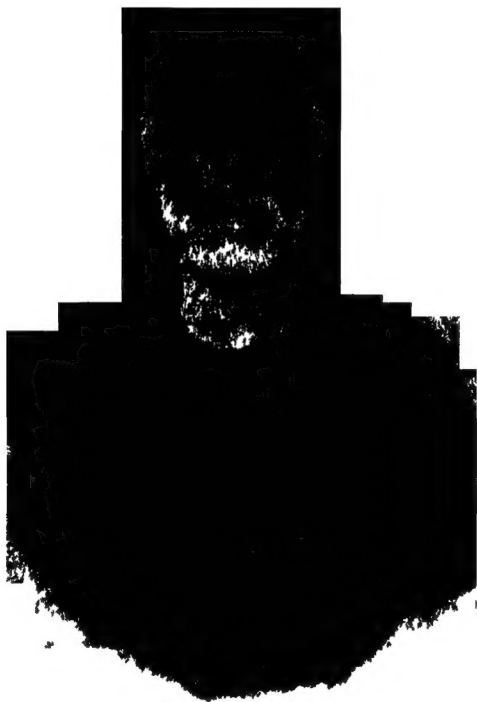
۷۱۰

نمبر کتاب در فن مذکور

464³
SIP

لرغبة الكثيرين من العلماء والأدباء من قراء تفسير
 الجواهر في مختلف الممالك الإسلامية . واشتياقهم لشاهدة
 صورة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الحكيم
 (الشيخ طنطاوى جوهرى)

أجبنا ملتسمهم وصدرنا هذا الجزء بآخر صورة
 لفضيلته أدامه الله لخدمة العلم وبث المعارف ،
 مُصْطَفَى الْبَابِ الْحَلْبَى وَأَوْلَايُهُ بِمُحْصَرٍ



- (١) الدين والعلم نومان
- (٢) الدين يدرك بحاسة السمع ، ومشاهد الطبيعة تدرك بحاسة البصر ، والعقل يدبرهما
- (٣) ومن اكتفى بحاسة السمع فهو جهول
- (٤) إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه م ولا

فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الصافات

(هي مكية)

(آياتها ١٨٢ - نزلت بعد الأنعام)

وفيها « أربعة فصول : الفصل الأول » في تفسير البسملة « الفصل الثاني » في التوحيد ووصف ابداع الله في السموات وخلق الانسان وأن الله خلق ما هو أعظم منه شأنًا كما جاء في آخر ﴿ سورة يس ﴾ من قوله - أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم - فأولم هذه مرتبًا ما تحرّك ارتباطا وثيقا ، ثم كيف جهل الانسان فأسكر البعث وما يتبع ذلك من محاوره أهل الجنة وهم يطالعون على أهل النار ثم وصف أهل الجنة وفعيمهم الخ « الفصل الثالث » في قصص نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق وموسى وهرون والياس وهو الياسين ولوط ويونس « الفصل الرابع » دفع قريش أن الملاكة نزلت الله واثبات أنهم صافون مسبحون كما جاء في أول السورة لانهم بنات الله وفلكة السورة بملح لا سلين والسلام عليهم

﴿ الفصل الأول في تفسير البسملة ﴾

(مذكورة عن فكرتي قبيل غريوم الأحد ٢٤ مايسة ١٩٣٠)

ذكرت في أمثال هذا المقام اني أنام في فصل الربيع وما بعده فوق السقف تحت النجوم إجابة لداعي المحافظة على الصحة واتقاسا بالحوم واشراقها وأنوار القمر وهجة السماء. ففي هذا التارخ استيقظت حوالي الساعة الثانية بعد نصف الليل ، والظلام حالك ، وأنوار النجوم متلاثلثات ، بهجات مشرقات ، يتخلل نورها تلك الظلمات الخالسات ، والرياح مهتاجة لها دوى وصرير وصغير على الحيطلا وفي الشاييك والأبواب وفي الثقوب اللاتي تلاقها في ذلك المكان ، ولقد عجبت لهذه الصن تذكرها النسبات تهتاجها عواصف الرياح وقواصفها

١٧١

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

استعمل على اجاب بفتح الميم واخرها بالياء ابا صر

تأليف

الاستاذ الحكيم شيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سا

متم الله المسلمين بمكانه آمين

CHECKED - 169

الحزب الثامن عشر

طبع بمطبعة

مطبعة السباني الحكيمة واو لاد بمصر

وحقوق الطبع محفوظة

وباشطة محمد امين عمران

ربيع الاول سنة ١٣٤٩ هـ

فكأنما هذه الدنيا قيثارات والرياح نوافلها أومثان ومثالك بفنون الطرب وطرف الألمان وقعتها يد الزمن الغزير المواب ، الجليل الفوائد ، الباهر الحكم ، هناك غادر الخيال حاستي السمع والبصر وأخذ يجري على سننه فيجوس خلال العوالم ليحظى بفنون الحكم وبدائع العلم فيما وعاء من صور جيلة مخزونة يستثيرها وحكم غوال بأنس بها ، فأشرفت النفس بأنواره وزدانت بلؤلؤه ولآلئه ، وأخذ العقل يحول في ميدانه وهو يقول « الأنوار أحاطت بالناس من كل جانب النهار والليل مشرقان زهران ، تغرب الشمس فيظهر القمر والنجوم وما أرضنا إلا ذرّة واحدة طائفة في عوالم لاحدة نهايتها ولا آخر لمداهها اللهم إلاما اقترضه المفترضون من كرات المجرات وشموسها وكواكبها إذ يجري النور حولها فلا يقطعها في أقل من مائة ألف مليون سنة مع العلم بأنه يقطع في الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل أي (٣٠٠) ألف كيلو ولا يزيد جريه حول أرضنا عن جزء من سبعة من الثانية الواحدة وما أبعد الفرق بين سبع الثانية وبين مائة ألف مليون سنة ، ثم إن النور يحيط بهذه العوالم كلها بل كلها أنوار بل المادّة كلها نور قد تراكم فأظم ولا ينيره في عقولنا إلا العلم . انظره عند آية - الله نور السموات والأرض - في الكلام على « قطرة ماء »

الدنيا مجوز شوهاء عند الجهلاء وهي عروس لبست اللؤلؤ وحليت بحلى اللباس والياقوت والهرير جيلة هيفاء ، حوراء عند الحكماء فكأنما السور التي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، هناك أخذت أفكر في الجبال الظاهر في هذا الوجود ومنظر النجوم وأصوات الرياح تزيدان الذكرى وتلهبان في القلب نار الشوق والحكمة والعلم

ياسبحان الله : أنجس في سجن هذه الأرض فلا نعرف ما وراءه ، أنعيش ونموت ونحن جامدون خامدون ، أمثل هذا خلقنا ؟ نحن نرى الجبال يحيط بنا والرحات لاتدعنا ، هذه الأنوار الشمسية لو أطفئت لمات أهل الأرض ، النور هو الحياة ، الرحات لم تذر حشرة ولا بهيمة ولا إنسانا ، بالرحمة والرأفة والعطف رأينا للنملة (٤٠٠) عين (اقرأ رساله عين النملة في سورة النحل في هذا التفسير) و٤٠٠٠ عين للنبيّة ولغيرها أعين تعدّ بعشرات الآلاف كما في نفس تلك الرسالة ، وإذا تعمقنا في البحار في الأماكن التي لاتسيبها الأنوار الشمسية وجدنا للأسماك أنوارا تشع له من نفسه كما تقمّم في هذا الكتاب ، أينما قلبنا وجوهنا أبصرنا نورا وأينما فكرنا في العوالم أدركنا رحمة ، ونحن لما عقول تفهم الرحمة وتنتظر النور ، هناك نجسّت أنواع الرحات نصب عينيّ وتلاّت الأنوار في الخيلة ، إذن هما زيفتان : زينة ظاهرة ، وأخرى باطنة ، والزيفتان قد تجلّتا معا في « بسم الله الرحمن الرحيم »

هذه البسملة التي يقرؤها الجهلاء والعلماء وتقرّ على أكثر الناس مرور الرياح في هذه الليلة والأنوار على الآذان والعيون فلا يأميرون لها وهم بها جاهلون ، فمن عجز عن ادراك الجبال في هذه الأنوار والظلمات والرياح الهابيات فما أعجزه أن يدرك الرحمة في البسملة ، لاندرك معاني هذا القرآن لا يدراسة هذا الوجود ، ألم تر أن الرحمة التي ذكرت في البسملة في أوّل هذه السورة قد سيقّت للتذكّرة بما فيها من الرحات والجباب ، ذكرى يصبو لها قلب الحكم ، وعلّمه هو له فؤاد الواله المقرم اللبيب

(١) ألم تركب أفراس الزينات الظاهرات في ذكر السموات والأرض والمشارف والمغارب وزينة السماء الدنيا بالكواكب ، يالجب أليس ماساقي الليلة والهب في قلبي نار الشوق للحكمة والبحث هو نفس هذه الزينة ، ذكرت في هذه السورة للملامتها لصفاء النفوس التي تقل في نوع هذا الانسان الأرضي إذا كثرة محبوب عنه وهو غافل لا يستمع منادى الملائكة العلى الأعلى لأنه أقرب الى الحيوان مغفور في الطين والمادّة

(٢) وكلما سنحت له ساحة أعرض وتولى وشمخ بأنفه ورجع الى بني نوعه وأخذ ينبجج بالمجادلات

ويخرج بالغبلة في مجالس الأقران ، ويسخر من الحكمة والحكمة ، ويعرض عن مناظر الآلاء ، ويهزأ بالمباحث العقلية والآراء الفلسفية
(٣) فهنا تجلت الرجاءات :

(١) أولا في ظهور الأنوار كما بيناه وفي عمومها

(ب) ثانيا في حوار القراء إذ يلوم كل منهم الآخر بعد فوات الفرصة تقريرا للقلدين في هذه الأرض وتذكيرا لكبرا للمفكرين منهم وتبينا لنا أن لنعيش محمولين على أجنحة آراء غيرنا ونحن في ذلك مسخرون ، ففي الأنوار رحة الحياة الجسمية لكل حي على الأرض ، وفي الاعتبار بتساؤل أهل النار إذ أقبل بعضهم على بعض رحة أخرى فيها تكون الحياة العلمية ، فهنا رجحان : رحة جسمية ، ورحمة عقلية موضوعتان في السورة وضعا منظما مرتبا

(ج) وثالثا تساؤل أهل الجنة إذ قصة قاتل منهم قصصه مع قرينه وهو في الدنيا وأنه أهمل دلالة الجبلية وآراءه اللاتي كاد يغويه بها فتولى عنها معرضا وسلك سبل السعادات في الجنات وهذه أشبه بنتائج ما قبلها من الحياة الجسمية ومبادئ الحياة العقلية فإن من اعتبر بالقلدين الضالين يحفزهم ذلك أن يكون هومن المفكرين الماقلين ، وهذه هي قصة هذا الإنسان تدب فيه الحياة ومن أهم أسبابها الأنوار ، فإذا استوى وقوى أخذ يتفكر في شؤون هذه الحياة فتعرض له الشبهات ، وهذه هي المرتبة الثانية ، فإذا صد عنها ووصل إلى الحقائق فقد كتلت حاله في الدارين . هذه هي قصة هذا الإنسان أوله وآخره ، إذن لم يبق إلا تطبيق أحوال الأمم السابقة على هذه المقدمات

(د) فذكر نوحا وأنه نجا وفاز هو ومن معه وهلك أعداؤه ، فالتأثرون كالقسم الثالث والهالكون كالقسم الثاني فيما تقدم

(هـ) ومثل نوح في ذلك إبراهيم الذي نظر في النجوم المذكورة في أول السورة وهي مناط فكر العظماء وأجلهم الأنبياء مع تبيان ما أصابه من الأعداء فنصر عليهم ، وما أصابه من الابتلاء بذبح ولده وكيف رجه الله تعالى . فهنا تجلت الرجاءات ، رحة في دعوتها للناس ، ورحمة في فداء ولده ، وكل ذلك تذكرة للمسلمين اليوم وإسهم ان صبروا نجوا

(و) ومثل إبراهيم ونوح إلياس ولوط ويونس . وهنا انتهى التطبيق على المقدمات الثلاث فسير هؤلاء الأنبياء تقص علينا أنباء الرجاءات الواردات على الأنبياء واتباعهم بعد ما قص علينا

رجاءات الأنوار ورجاءات النجاة من قرناء السوء ثم الوقوف على الحقائق ثم نخلص السورة كلها لما كانت السورة مبدوءة بالقسم باللائكة الصافين على أن الله واحد وهم أرواح لها سلطان على عالم المادة وهم باذن ربهم يدبرون الكائنات فتكون الأنوار والظلمات والحياة والأثم وتبع ذلك أن الأنبياء قاتلون منصورون وأن أعداءهم هالكون ختمها بإفاضة الكلام . أولا في اللائكة فأخذ يفند ما يفتريه الكافرون عليهم من أنهم بنات الله ونحو ذلك ، فلم يبق إلا ان اللائكة هم الصافون المسبحون ، كل له عمل يخصه لا يشاركه فيه سواه . وثانيا ان المرسلين منصورون والجنود الذين معهم غالبون ، ثم نخلصها تلخيصا أكثر اجالا ، فهو منزه عما يسفوه به واذن تكون ملائكة القائمون بأمره على حال غير ما وصفوها والمرسلون كتب لهم السلامة . فلاجزم أن الهلاك لأعدائهم والحمد لله رب العالمين

ومن عجب أن ﴿سورة يس﴾ نخلصت في آخرها كما نخلصت الصافات كما تقدم . هذه هي الرجاءات التي تجلت في هذه السورة تبينا لآية (بسم الله الرحمن الرحيم) وإعلم أن قوله تعالى - وسلام على المرسلين -

بينه وبين قوله تعالى - سلام قولاً من رب رحيم - صلة أن الأمان من المخاوف هو أعظم الرجات في الدنيا والآخرة ، فمن كانت انخراط النفس ثائرة عليه مضجرة له منهكة لقواء فلاسلام له والمرسلون لم تنق لهم في أنفسهم خواطر السوء لأنهم مطلعون على الرجات الواسعات المحيطات بالناس والحيوان ولم يحجبهم عنها ما يحجب أكثر هذا الانسان من جدال وحوار وعداوات وذنوب ومطامع وكبر وعجب وما أجبه ذلك فهذه كلها حجب أسدلت على أكثر عقول هذا النوع الانساني الذي حكم عليه بالسجن في هذه الدار المأوودة جلالاً وقد صدّه عن جلالها الحروب والكروب وما تقدم من فواجع المعرّ وقواطع الأخلاق الشائنة ، فلا يفقه أكثر الناس ولا يعقل بهجة الأنوار ولا جلال النجوم والشمس والقمر ولا عجائب الرياح وغرائبها وانما تحمل السحب الماطرات فلا يكاد الضوء ينقطع عنا بالسحاب حتى نرى آثاره بالقطرات التي أمطرها علينا فنحيا بها . ومن عجب أن الدارين لهذه العلوم أكثرهم غافلون كأنهم جاهلون أيضاً لأنهم نظروا اليها باعتبار غايتها ومنافعها المادية ولم ينظروا اليها باعتبار مبادئها من الرجات العاتية فضلت عقولهم وتاهت في بيداء المادة ولم تجتمع تلك العجائب عندهم في موجود واحد منه كان صدرها حتى تفرح به قلوبهم ويشعروا بحب عظيم بل حجب مفرق لا اجتماع له

هذا هو سر البسطة في أول السورة . فهذه العوالم إن لم تكن النفوس العالمة بها ملاحظة الرحمة المتجلية فيها المبسوطة المنشورة في كل ذرة وحشرة كما تقدم فانهم لا يشعرون بالرحيم - ومن يعيش عن ذكر الرحمن قبيض له شيطاناً فهو له قرين - ومن لم يشعر بأن هذا الوجود إنما ظهر برحمة وعلم وأن هذه هي نتائجها فإن حياته كلها ذلة ولاسلام له لأن الأمان لمن يعلم أن روحه في يد رحيم حكيم ، فأما من يرى أن هذه الدنيا لا مدمر لها وانها هكذا تاتيه من الأزل الى الأبد فان روحه أداما معذبة متأللة لا يدري من أين يأتيه البلاء أمن القدر أم من القدر أم من المرض أم من الموت . أما الآخر فانه يرى نفسه سعيداً لأنه يشعر بذات رحيمه تقوم بأمره ، ومثل هذا ينال الأمان في هذه الحياة وبعد الممات هذا معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » في سورة الصافات وبهذا تم الكلام على النصل الأول في تفسير البسطة والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّامِتَاتِ صَمًا ، فَالْأَجْرَاتِ زَجْرًا * فَالْثَّالِيَاتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ * رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ * إِنَّا زَيْنَا أَلَمْ نَكُنْ لَكُنَّا أَلَمْ نَكُنْ لَكُنَّا أَلَمْ نَكُنْ لَكُنَّا
شَيْطَانٌ مَّارِدٌ * لَا يَسْمَعُونَ إِلَى اللَّهِ لَئَلَّيْ أَغْلَى الْأَعْلَى وَيَقْدِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَكُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ
إِلَّا مَنْ خَلَفَ مِنْ خَلْفَةٍ مَلْبُوعَةً فَالْمُتَّبِعُ * فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْفًا أَمْ مَنْ خَلَفْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ
مِنْ طِينٍ لَازِبٍ * بَلْ يَحْسِبُونَ وَيَتَنَحَّرُونَ وَبِذَا دُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ، وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَتَسَخَّرُونَ *
وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا مِثْرُ مَا كَانَ * أَهَذَا مِثْرُنَا وَكُنَّا عَرَابًا وَعِظًا أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَعُورًا * أَوَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ *

قُلْ نَسَمُ وَأَنْتُمْ فَاعْبُدُون * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ * وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ
 الدِّينِ * هَذَا يَوْمُ الصَّلَاةِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُسْكَدُونَ * أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا
 يَشْعُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقَتُّوهُمْ لِمَتِّمْ مَسْتَوُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْتَابِعِرُونَ *
 بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُنْتَقِلُونَ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنْكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنْ
 الْيَمِينِ * قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ *
 سَحَقْنَا عَلَيْكُمْ قَوْلَ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ * فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ * فَأَيُّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ
 مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ *
 وَيَقُولُونَ إِنَّمَا نُنَادِيكُم بِالْإِسْلَامِ إِسْلَامَ بَنِي آدَمَ * بَلْ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الرُّسُلِينَ * إِنَّا كُنْكُمْ لَذَائِقُوا
 الْعَذَابِ الْأَلِيمِ * وَمَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ
 مَنُحُوهُمْ * فَوَاسِيَةٌ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ
 مِنْ مَّيِّينَ * بَيْنَهُمَا لَدَيْهِ لَشَارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الْعُرْفِ
 عَرِينٌ * كَانَتْ يَفْضُ مَكْنُونٌ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي
 قَرِينٌ * يَقُولُ أَفَأَمَّا الْإِنَّمَارُ الْمَصْدُوقُ * أَفَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا فَمَا لَنَا لَدَيْهِمْ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ
 مُطْلِقُونَ * فَأُطْلِعَ قَوْمَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرَوْنَ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ * أَفَأَنْتُمْ تَحْبِبُون * إِلَّا مَوَدَّتْنَا الْأُولَى * وَمَا تَحْنُ بِمُحَدِّثِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ
 الْعَظِيمُ * لَيْلٌ هَذَا فَلْيَسْمَلِ الْعَالِمُونَ * أُولَئِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ سَجْرَةُ الْأَوْفَرِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً
 لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا سَجْرَةٌ تُخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْحَهَا كَأَنَّ رُؤُسَ الشَّيَاطِينِ * فَأَيُّهُمْ لَا يَرْكَبُونَ
 فِيهَا قَالُوا إِنَّهَا الْبُطُونُ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حِمْرٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ * إِنَّهُمْ
 أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ * وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
 فِيهِمْ مُنْذِرِينَ * فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(والصافات صفا * فلزاجرات زجوا * مثلثات ذكرنا) أقسم الله بالملائكة (١) تجون مدفوعهم في مقام العبودية في مراتبهم (٢) ويزجرون الكواكب للمخبرات وهي جاريات مديرين شؤون العالم رادعين الناس عن الشر بالاطمئنان والسياسة عن الوسوسة لهم (٣) ويتلون آيات الله على الأنبياء والأولياء ، وبالعلماء الذين يحذون حذو الملائكة صفا في العبادات وزجوا عن الجهالات وتلاوة الآيات ، وبالفراة الحاذين حذو العلماء صفا في الجهاد وزجوا للعدو وتلاوة للكتاب ، وهذه المعاني كلها تحملها الآية ، فكل هذه صافات وكلها زاجرات وتاليات والطف لا اختلاف الصفات لا الذوات ، وكل وصف لاحق أرقى من سابقه ، فالصاف للعبادة كمال والتمنع من الجهالة والمعاصي تكميل للمنع من الشر والتعلم بالكتاب إفاضة للخير وهذا غاية المقاصد السامية من الأرواح العالية ، أقسم الله بالملائكة الذين اتصفوا بالكمال في النفس وبشكامل الناس ونظام العالم وبالعلماء الذين حذوا حذوهم وبالفراة التابعين لهم ، ولاجزم أن تنادي الصفوف وانتظام الأحوال دليل على وحدة المبدأ ، ثم أخذ يفيض بذكر صفاته في جواب القسم فقال (إن إلهكم لوحد * رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) أي مطالع الشمس وهي (٣٦٥) مشرقا لكل يوم من أيام السنة الشمسية مشرق ، فأما رب المشرقين ورب المغربين فأعماهما لأصيف والشتاء . وأما رب المشرق والمغرب فهما جهة المشرق وجهة المغرب (لما زينا السماء الدنيا) القرى منكم تأتيت الأدنى (يزينة الكواكب) بالإضافة وعدمها أي يزينة هي الكواكب من حيث جمالها ولألوانها وبهجتها وناسب أشكالها وحسن أوضاعها لاسما عند الدارين لنظامنا الفكري في حسابنا لإذ يرون أن السيارات مثلا بينها مسافات متناسبات بحيث يكون كل سيار بعده عن الشمس ضعف بعد الكوكب القى قبله . ولن يعرف هذا إلا الدارسون الفكرون الناظرون في ملكوتنا الحاسبون الذين هم يحقون . فآية إذن زينت : زينة للعامة والجهلاء وهذه تظهر بالعين في الليلة البليلة ، وزينة عند الخاصة وهي لا تظهر إلا للعلماء ، ولتلك أردفه بقوله (وحفظا من كل شيطان مارد) خارج عن الطاعة متمردات سواء أكان من شياطين الانس أم من شياطين الجن ، ثم بين حالهما فقال (لا يسمعون إلى إلا الأهل) إلى كلام الملائكة والكتب (ويقذفون) يرمون (من كل جانب) من جوانب السماء إذا قصدوا صعودها (دحورا) أي مدحورين مطرودين (ولهم عذاب) آخر (واصب) دائم شديد وهو عذاب الآخرة . يقول الله لا يسمعون إلى عالم الملائكة واستثنى من اختلاس من كلامهم سارقة فقال (إلا من خطف لخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) كوكب يثقب الجوف بضوئه . يقول الله : « أقسم بهذه العوالم المنظمة المرببة من ملك وكوكب ونبي وعالم ومجاهد بحيث تلامت وقضت واتصلت وكانت متناسقات الوضع منتهات وهي زاجرات كزجوا الملك للكوكب والمجاهد للعدو والعالم للجاهل . ولاجزم أن الملك والنبي والمصلح والعالم والمجاهد نالون للذكر

هذه العوالم ينسب بعضها إلى بعض وهي أسباب ومسببات فكأنها عالم واحد بحيث ترى وحدة منظمة فالعالم علويه يفيض على سفليه وسلميه فالعالم من علويه فترى الشمس والقمر والكواكب مفيضات أنوارها على الأرض ولا ترى في خاق الرحمن من تفاوت بل ترى اتحادا واتسلافا نظم وحدتها وجمع مفرقتها ، ولاجزم أن ذلك دلالة على وحدة الصانع وذلك برهان ذكره فيلسوف يوناني وهو أفلطون « أن وحدة العالم دلالة على وحدة الله عز وجل » ثم أخذ يوضحه فقال : « رب السموات والأرض وما بينهما » وأتم ترونها ، تعلقات منتظمات ،

فألوحده فيها ظاهرة والألفة بينهما معروفة مشاهدة »

الدنيا يت فرشه الأرض وسقفه السماء وسراجها الكواكب فلذلك قال - ورب المشارق - ألا وإن
اليوت الرفيعة العماد كإتضاء بالأنوار تزين بالنقوش وبأنواع الجبال والبهجة والصور الجلية ، ولا يكون البيت
مسعداً لأهله سارا لساكنه إلا إذا أشرقت جوانبه وازدادت أركانها بأنواع الجبال والصور الحسنان التي تهواها
النفوس وترضاها الشرائع ، وأى سقف أجمل من السماء ؟ وأى فرش أبهج من الأرض ؟ وأى سراج أجمل
من الشمس وأى زينة أبهج من النجوم فلذلك قال - إنا زينا السماء الدنيا زينة الكواكب - . لا تكون
البصور المشيدة واليوت الرفيعة حافلة بالسرور مأموا على جبالها وزخرفها إلا متى حفظت من اللصوص
السارقين ومتسوّري محاريبها فلذلك حفظ الله السماء أن يتناول لسكر جبالها واتساق صافئها وبهجة بناشها
وحاسن نظامها إلا الملائكة الصافون والأنبياء والعلماء المخلصون ، فأما الجبال والشرائط فأولئك عن جبالها
غافلون وهم من ألبتاه معرضون ، فالسما منهم فى حصن حصين ولقد يعيش المرء ويموت وهو فى غفلة عن
درك هذا الجبال لأن السماء حوس منة ، وهل يعرف الفضل إلا ذووه ، فالعيون مفتحة ولكن أبصارها
وهل ينال العلم إلا عاشقوه أو يهجر الجبال إلا عارفيه . ومن لم يحركه العود وأوتره والربيع وأزهاره فهو فاسد
المزاج يحتاج إلى العلاج . ولقد نال من الخلة من الجبال وتمنّى له سائحة وتبدول به بارقة من الحسن فتخطف
بصيرته كالشهاب الناقب فيعثر إلى مثلها ويسبوا إلى أخنها ويتعلق قلبه بالجبال . ذلك تأويل قوله - لإمن
خطف الخلفة - . ولكن ظاهر القول كما هو مشهور أن الشياطين يسرقون السمع فيحترقون بالشهب وقد
تخطفهم الشهب فيعودون ليسمعوا كالسارقين من نوع الإنسان والقاتلين رجاء أن لا يقفوا فى قبضة الحاكمين
وهذا المعنى إذا أريد كما هو المشهور فليكن كناية وهى لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى
الأصلى فلنقل هذا هو المعنى وهو كناية عن المعنى المتقدم فيكون المنع الحسى رمزاً للغى العقلى والكناية من
أجل أنواع البلاغة فاصطاح المعنيين وتساوقا فى اللبدان وأبقينا الظاهر على ظاهره وتبع الحكيم والدك
بباطنه . ألا ترى رعاك الله أن كثيراً من الناس حولك محبوسون فى هذه الأرض غائبة أبصارهم لا يسمعون
إلى الملأ الأعلى ولا يفهمون رموز هذه الدنيا وهجائها وقد قذفوا من كل جانب مطرودين طردتهم شهواتهم
وعداوتهم وكبرياؤهم وحروبهم وطمعهم وشبههم من تلك المعاني العالية . فهم مغمورون فى حاتمهم تائبون
فى سكراتهم تخطفتهم من كل جانب الأهواء والشهوات وانغمسوا فيها فلا يخلصون إلى ذلك الجبال ولا يفقهون
ذلك السقف المنقوش . إن النجوم أشرقت بجماها للعكاء وبهرت بمنظرها العلماء وزينت السماء للنظرين
وهى من جهة أخرى أزجت الحرارة إلى الأرض فأبغى الزرع ودرى الصرع واغتنى الجمع فلنظمت الشهوات
وكثرت اللذات فأبغمت البصائر عن النظر والعقول عن التفكير وأصبح الناس صرعى أوهامهم قتلى أهوائهم
مطرودين عن الحكمة ، ثم إن شياطين الجن كشياطين الإنس غاية الأمر أن الأولين ليسوا فى الأجسام
البشرية وأن الآخرين فيها ولكن البصيرة واحدة ومن كان فى الجسم أعشى فهو إذا جرد منه أعشى فشياطين
الإنس وشياطين الجن كلاهما محرومون من الحكمة العالية ، ألا ترى أن لظواهر الحكمة لا ينالها فى
هذه الدنيا إلا أهلها ولكل أناس فى الأجسام البشرية وفى الحال الروحية خواطر خاصة بهم كأنهم صفوف
لا يتمتعون مراتبهم فمن خلق الخلفة على أحسنالين إما أن تهديه إلى الصراط السوى وإما أن تنقب فى طريقها
الشهوات وتجلبها للذات والأهواء . فعلى المعنى الأول يكون الاستثناء متصلاً كما قدمناه . وعلى المعنى الثانى
يكون مقطوعاً على ما هو مشهور وكلا المعنيين حق . فكأن من الناس جاءتهم بارقة لعلم فاستضافوا بها . وكأن
أناس سمعوا الذكر فأعرضوا عنه وهم بجهالتهم مشغولون . ذلك تفسير هذه الآية

فتن الناس حولك . انظر تجد هذه المعاني متجلية - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - لقد قلّ الذين

بهرهم الجلال وذاقوا حلوة الحكمة وأكثر الناس لا يعلمون لأنهم عنها مضروفون

﴿ مثال يوضح المقام ﴾

قرأ قارئاً - لذل والبون زينة الحياة الدنيا - فالآية معناها معلوم وهو أن زينة الحياة الدنيا لا باقها لها فالباقيات الصالحات خير أى أن يكون سعى الانسان لثواب الآخرة . فهذه الآية يذهب عندها السامعون مذهبن : مذهب تفهم المعنى المقصود والتفكير فيه . والآخر للتخصر على الدنيا وإلتفاتها ويقول الانسان أين المال . أين الولد . أين زينة الدنيا ؟ يقول ذلك وهو يعلم المعنى المقصود . لماذا ؟ لأن بصيرته لم تستعد للمعنى بل هو مشغول بالمعالجة . فهذان القسمان من الناس أولهما خطف الخطفة فاهتدى . وثانيهما خطفها فثبته الهواجس فقتلت الفكرة فى مهدها وكأنما ذلك شهاب ناره يهسى بضوته وتارة يهلك بناره . هدى الأول بضيائه وأهلك الثانى وأمات وجدانه بناره

جفل العلم وجلت الحكمة وجلت الله الذى جعل هذه المعانى فى تلك المبائى وصرف عقول العارفين عن تقاضى المعانى الى النظر الى العالم العلوى والحكمة القدسية

إن خواطر الناس الشريفة كلها خطفت من الملاء الأعلى . إن المعارف والعلوم والمعانى الشريفة تشرق على النفوس لتصلها بسوالم مشرقة فيها هذه المعانى . وما عقولنا إلا كالعالمين . وماتلك العوالم إلا كالكواكب المضيئة . وما المعرفة إلا انكشاف المعانى بتلك الأنوار الباطنية فنسبة تلك العوالم الى عقولنا كنسبة الشمس الى أبصارنا ونسبة انكشاف المعانى الى بصائرنا كنسبة انكشاف الرقيات الى أبصارنا . فلول الضياء مارأى الناس الأجسام هكذا عالم للملائكة . ذلك كله تقرير الحكماء السابقين والعلماء المحققين

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن مسألة الشهب كانت عند القدماء من المشكلات الدينية . ألا ترى أن السماء كانت فى رأى قدماء الفلاسفة لا تقبل الحرق ولا الالتئام فكيف تكسر الكواكب ويزل شهب منها فى الأرض ؟ فكان علماء التفسير رحمهم الله يؤككون تارة ويكذبون عالم الفلاسفة أخرى . أما الآن فما أجل العلم فإن العلم الحديث يعتبر الشهب من نفس الكواكب السماوية وهى قطع صغيرة تقدم إيضاحها فى هذا التفسير فى النصف الأول من القرآن فقرأه فى ﴿ سورة الحجر ﴾ وما قبلها فلا أشكال وذلك مجزأة للقرآن ، خالف الفلسفة البائدة ووافق الحاضرة

﴿ أسرار القرآن فى علم الأرواح وعلم التصوف ﴾

يقرأ القارئ هذه الآيات ولا يتحير بباله أن الكشف الحديث أبرزها . لقد سأل علماء النفس فى أوروبا بعض الأرواح عن اتصالهم بالناس وحضورهم اذا طلبوهم فأجابوا قائلين مانصه : « إن الأرواح العالية لاتنابى إلا نفوسا صافية لاتريد إلا الخبير للناس مع استمدادها للحكمة ومستحيل أن تنابى من شوء قلوبهم الكبرياء وألهمهم الشهوات . أما الأرواح الناقصة فإنها تسرع بدعا عادية الجهلاء من الناس وتعطيهم أكاذيب وأساطير وتفرح بذلك كما يفرح جهلة المسلمين والمسيحيين بالكذب الذى اعتادوه فى أول ابريل . وفوق ذلك قالوا : إن كل ما كان من حديث الأرواح لأمور المعالجة فهو من سقط المتاع لانهواء إلا الأرواح الشريرة وما كان من قبيل العلم والحكمة والمنفعة العلة فهو شغل الأرواح العالية السماوية تلقىه اليمن هم مستعدون » اه فتبين من ذلك أن الملاء الأعلى من الملائكة والأرواح لا يأنسون إلا بما هو وقع عام ويأفنون من الامور الخاصة كاللال والبين وزينة الحياة الدنيا

﴿ علماء التصوف ﴾

أما علماء التصوف فانهم قد يأمررون تلاميذهم بالجوع والسهر وترك الكلام والعجب وما أشبه ذلك مع الذكر وحسن السير . فبعض هؤلاء يكشف لهم وهذا الكشف قد فصلوه تفصيلا فقالوا : « إن كان للامور

العاجلة كوت زيد وحياة عمرو وغناه وفقره فذلك من الكشف الظلاني . فأما ان كان كشفاً للأمور الصلوية والحكمة والمعارف فهو كشف نوراني ،

أليس ما يقوله الفريقان قديماً وحديثاً هو عين هذه الآية : أليس هوساًها ؟ فالصوفي ومحضر الأرواح إن قصدا بالكشف الدنيا والمال والعظمة تركتهم الأرواح العالية وأحاطت بهم الشريرة ويكون الصالحان وبالأعلى من تعلمهما واذن الجهال أفضل وهم عن قال الله فيهم - وأضل الله على علم - فهو لاه كتجار التجروباعة الخنازير وشارى التجور والحنيش بل هؤلاء أشد وهم الذين لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى بل إلى الملائكة الأسفل ويقذفون من كل جانب دحوراً لأنهم مطرودون عن التلقي عن الأرواح العالية التي لاتنجلي إلا من هم مستحقون . يقول مؤلف الكتاب فالجدة التي هداها لهذا وما كنا ننتهي لولا أن هداها الله . فقد ظهرت معاني القرآن اليوم أي بعضها وظهر سر قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وسر قوله - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها -

ولكم سألني سائلون عن هؤلاء المتصوفة الذين ظهروا ببلاد الاسلام كقوم ببلاد مراکش لا يصابون ولا يسمون وينتسبون لولي عظيم وإذا جلسوا معا وتواجدوا طار أحدهم إلى قبة لا مكان الذي هم فيه جالسون وإذا جرى لهم بشاة أو عذرة خرقوا بطنها وشووها وأكلوها . فهذه فتنة كثيرة وظن الناس أن هؤلاء عندهم سر عظيم وهاهي إلا توجه قوسهم إلى أمور جزئية فنالوها ولكنها أمور منحة فطرة ذنبة لا ترقى النفوس البشرية بل هي أمور ظلماتية . فإذا عجز المصلح والمتركي والعالم المسلم عن هذا فليس معناه ضعف حاله . وأن هؤلاء يملكون عليه بل هم قوم حصرت قوسهم في أمر جزئي صغير فلاحهم في العبر ولا في النفي بل تجب عمارتهم وقتلهم . ان هؤلاء لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى . وإذا رأيت أمثال هؤلاء يتحرونك بشئ في نفسك فلا تطلق الأمر عظيماً . فهذا الكشف حجب لأنهم لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى لضيق قوسهم وإنما يسمعون إلى الملائكة الأدنى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب دائم يوم القيامة لأنهم أضاعوا أنفسهم في أمور جزئية وغفلوا عن هذه الدنيا وعبادتها ولم تصلح قوسهم لعالم الملائكة فينشروا العلم والحكمة بين الناس

(ذكر نظير هذا في المعروف بين الناس)

إن هذه الأحوال هي التي نشاهدها في العالم الانساني ، انظر ألست ترى أن أكابر العلماء والحكماء لا يستطيعون أن يذكروا شيئاً من حكمتهم وفلسفتهم أمام الجهلاء ولو ذكروها لم ينلهم منهم إلا السخرية والاستهزاء ، ألست ترى أن العلماء قالوا : « إن الحكماء خلقوا ليعلموا العلماء والوعاظ ليعلموا العامة » فهل يخاطب الحكماء الجهلاء ؟ كلا . ثم كلا . هكذا هذه الآية . يقول الله - لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى - لأن الملائكة الأعلى لا يخاطبهم لعدم التألف ، فبجحان من أظهر هذه المعاني حتى صارت من المألوفات ، وأشرقت الأرض بنور ربها في سر الكتاب ، قال تعالى (فاستخبرهم) فاستخبر بني آدم (أهم أشد خلقاً أم من خلقنا) من الملائكة والسما والأرض وما بينهما والكواكب والشهب والتوابك فكيف ينكرون البعث وأين هم بالنسبة لهذه العوالم التي خلقناها (إنا خلقناهم من طين لازب) أي لاصق وأولازم فأين هم من كواكب السماء وعالم الملائكة وتلك العوالم النورية المشرقة ، فإذا قدرنا أن تخلق تلك العوالم العظيمة فهل يجوزنا أن نعيد ما هو مخلوق من طين لا يصلح للحياة إلا بإشراق الأنوار عليه ووصول الآثار إليه من العوالم الأخرى (بل عجبت) يا محمد من تكذيبهم إياك ومن إنكارهم البعث وهم (يستخرون) من أمر البعث (وإذا ذكروا لا يذكرون) ودأبهم أنهم إذا وعظوا يبتغي لا ينعطون (وإذا رأوا آية) معجزة كانشقاق القمر (يستسخرون) يستدعي بعضهم بعضاً أن يسخر منها أو يبالغون في السخرية ، فهو لاه كالنبي خطف الخطفة فأبغى شهاب قتله وأما

فكرته وأضاع ورشده وأضلّ عقله فأمثال هذا أحياء وماهم بأحياء كما قال تعالى - أموات غير أحياء -
* وقال الشاعر

فجز بلم تمش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

فهؤلاء يستخرون (وقالوا إن هذا لإسحريين) سمح ظاهر ساحريته (أنذا متنا) استفهام إنكاري
(وكنا ترابا وعظما أنا لمجهون) أى أنبت إذا كنا ترابا وعظما (وأبأونا الأولون) أى أيبست أيضا أبأونا
مستبعدين ذلك زيادة استبعاد لأن آباءهم أقدم منهم فيكون بينهم أشد غربة (قل نعم وأنتم داخلون)
صاغرون وإذا كن كذلك (فأما هي زجرة واحدة) صيحة واحدة وهى نفخة البعث (فإذا هم ينظرون)
أى فإذا هم أحياء بصراء ينظرون الى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحل بهم (وقالوا) إذا قاموا من القبور
(ياويلنا هذا يوم الدين) يوم الحساب فتقول الملائكة (هذا يوم الفصل) يوم القضاء بينكم وبين المؤمنين
(اللى كنتم به) فى الدنيا (تكذبون) فتقولون انه لا يكون (احشروا الذين ظلموا) أى اجمعوا كل ظالم
بشرك أو غيره (وأزواجهم) وأشباههم وأمثالهم بحيث يكونون فى مباءة واحدة كما يرى فى هذا العالم المادى
إن المواد الأرضية مغمورة الى الأرض والهوائية الى الهواء والمائية الى الماء وأصحاب الحرف المتفقة يتفقون
ويتفاهمون وأصحاب الأخلاق الوضعية يتجاررون وفروا النفوس الشريرة بأنفوسهم ، فهذا العالم المادى والروحى
على نسق واحد فغا تعارف منها ائتلف وماتنا كرمها اختلف ، فالحجة فى الدنيا لاتفاق الأشكال وفى الأخرى
لاتفاق العلوم والأخلاق - ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت -

وهل تألف الغربان لاسرهما ، أو الحمام لإلقها ، أو الزناير لإخوانها ، أو الفل لإلاقتها . فياحبا .
نشاكت الدنيا والآخرة وما يدركه القرآن عن الآخرة فنشاهده فى الدنيا . فللسألة فى البارئ باقيا الصفات
واختلافها ، لهذا نزلت البيانات وقرئت العلوم ونظمت المروس وألفت الكتب وبنيت الكليات وأقيمت
الجامعات . كل ذلك لتربية العقول وصقلها بمقال واحد . إن ذلك هو النظام الجيب

يقول الله - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الأصنام زيادة فى
تعذيبهم (فاهدوهم الى صراط الجحيم) فمرفوهم طريقها ليسلكوها لأنهم على مشرب واحد . وفى الحديث
« أنت مع من أحببت » وذلك كله بطريق الجاذبية والاستعداد - وما ربك بظالم للعبيد - (وقضوهم)
اجسومهم فى الموقف (لأنهم مسؤولون) عن العقائد والأعمال (مالكم لاتتأسرون) لا ينصر بعضكم بعضا
(بل هم اليوم مسلمون) منقادون لجبرهم (واقبل بعضهم على بعض) أى الرؤساء والأتباع أو الكفرة
والقراء (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ أو يتخاصمون (قلوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أى
من قبل القهر والقوة لأن اليمين موصوفة بالقوة أى انكم تحملوننا على الضلال وقهرونا عليه ، أو من قبل
الدين فضلوننا وتقولون لنا إن الدين ما فضلوننا به (قلوا) أى الرؤساء للأتباع (بل لم تكونوا مؤمنين)
أى بل أيممت أئمة الإيمان وأعرضت عنه وأنتم مختارون ، وهل لنا سلطان على ضلالتكم وهذا قوله (وما كن
لنا عليكم من سلطان) تسلط نسلبك به اختياركم (بل كنتم قوما طاغين) مختارين الطغيان (حق علينا قول
ربنا) فلو أننا جميعا وعيد الله بالسخط والعذاب (إننا لناقثون) العذاب فى النار (فأغريناكم إنا كنا
غافرين) أى فدعوناكم الى التى كنتم كنتم أمثالنا لأن الطيور على أشكلها تقع والناس مولعون بتكبر سوادهم
ومن هم على شاكلتهم ليأنسوا بهم كما تفعل الأم كلها يعلمون الأم لغتهم وعواصمهم وتاريخهم ليكونوا على
شاكلتهم ويتفقوا بهم (فأهم) فإن الأتباع والمتبعين (يومئذ فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى
القوابة (إننا كذلك) أى مثل ذلك الفعل (فنعلم بالجرمين) بالمشركين وبين سببه فقال (إنهم كانوا إذا
قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) أى عن كلمة التوحيد وعن الداعين اليها (ويقولون أننا لاتركوا آلهتنا

﴿ وصف جهنم ﴾

قال تعالى (أذلك خير زلا) تميز (أم شجرة الزقوم) أى أنعم الجنة وما فيها خير زلا أم شجرة الزقوم والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجرة ممرتهامة (إن جعلناها فتنة للظالمين) عنة وعذابا فى الآخرة أو ابتلاء فى الدنيا إذ قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجرة (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) فنبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركتها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) أى رؤس الحيات القبيحة المظرة التى يسميها العرب شياطين أو نفس الشياطين التى لم يرها الناس ولكن وقع فى وهمهم شاعتها وقبح منظرها كما فى بيت امرئ القيس * ومستونة زرق كأنياب أغوال * (فأنهم لآكلون منها) من الشجرة أو من طلوعها (فأثثون منها البطون) لغلبة الجوع (م إن لهم عليها الشوبا) أى خلطها (من حميم) ماء حار يشوى وجوههم (م إن مرجعهم لالى الجحيم) فلهذا ذلك أنهم يؤتى بهم من دركات الجحيم الى شجرة الزقوم فى آكلون ثم يستقون ثم يرجع بهم الى محطهم من الجحيم ، ثم بين السبب الذى أوقعهم فى الكفر المسبب لذلك فقال (أنهم ألغوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون) الا هراغ الاسراع الشديد كأنهم يحشون حشا (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) أى ضل قبل قريش الأمم الخالية بالتقليد وترك النظر (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (فانظرو كيف كان عاقبة المنذرين) الذين أنذروا وحذروا أنهم هلكوا جميعا (لإعبد الله المخلصين) الذين أنصأوا دينهم لله فأنهم لم يهلكوا . انتهى التفسير اللفظى للفصل الثانى

﴿ لطيفة فى التقليد والنظر ﴾

نبين فى هذا الفصل ما تكون عاقبة التقليد لجاء أولا فى قول القائل فى الجنة لقرينه فى النار انه نجبا من اغوائه ولو أنه اتبعه لوقع فى الجحيم ، وثانيا فى قوله - إنهم ألغوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون - ثم زاد على ذلك أن أكثر الأمم الخالية ما هلكوا إلا بالتقليد ، فظهر من هذا المثال أن التقليد أوله وآخره شؤم على المقلد وعلى من يبعه ، إن العالم الانسانى لاساعدة له إلا بالنظر والفكر والبصيرة فى حقائق الأشياء دينوية وأخروية ، فلينظر العقلاء فى التعاليم الاسلامية الحالية وليفكروا فى نظام الدين الاسلامى وليعلموا أن اتباع الأم الاسلامية المتأخرة فى تعاليمها قد أضاع الأمم الكثيرة فى الشرق ، فلينظم تعليم الاسلام بجميع العلوم والصناعات باعتبار انها فرض والا فليعلموا أنهم لاحقون بالأم التى أبادها الجهل وأضاعها الجاهلون

﴿ جوهره فى قوله تعالى - إنا زينا السماء بزينه الكواكب - الخ ﴾

لقد تقدم الكلام على الكواكب والكشف الحديث فيها فى أول سورة البقرة وفى سورة الأنعام وسورة يونس وغيرها ، ولا بد هنا من ذكر أبداع مجاه فى الكشف حديثا لتبتهج أيها السكّى بالعلم والحكمة فهناك مجاه فى « مجلة السياسة » الأسبوعية وهذا نصه :

﴿ اكتشاف علمى جديد ﴾

﴿ المجرة ومركز الكائنات ﴾

﴿ نظرية الدكتور شابل فى سعة هذا الكون ﴾

عن نطلق لفظة الكون على ما نشاهده وما لا نشاهده من الأجرام العلوية التى تسبح فى الفضاء ، وقد كانت النظريات العلمية تؤكد حتى الآن أن الكائنات (على سعتها وكثرة أجزائها) محدودة وأن وراءها ظلمات فوق ظلمات وفراغا لا أول له ولا آخر . على أن الدكتور شابل مدير مرصد جامعة هارفرد الأمريكية ومن أشهر علماء الفلك فى الوقت الحاضر قد جاءنا اليوم بنظرية جديدة وهى أنه ليس فى الكون فراغ بالمعنى

العلمي وأن الأجرام الفلكية تملأ هذا الوجود الى مالا نهاية له ، وقد نشرت إحدى المجلات العلمية الأمريكية مقالة في هذا الموضوع رأينا أن نلخصها قبا يلي

« يؤخذ من أحدث البحوث العلمية أن الفراغ الذي تسبح فيه الأفلاك شفاف وأنه ليس منه جزء فارغ كما كان يظن حتى عهد قريب بل هو مبعج بالأجرام الفلكية في كل ناحية من أبعاده وليس فيه مجرة واحدة بل عدة مجرات وأن بعضها كبيرة جدا حتى أن المسافة بين طرفيها تزيد على ألف الملايين من السنين النورية ويرجع فضل هذا الاكتشاف الى الدكتور شابلي فقد أثبت بعد البحث العلمي الدقيق هذه الحقيقة العلمية الجديدة وهي أن نظامنا الشمسي ونظام المجرة هما في الواقع نظام واحد يدور بسرعة مائتي ميل في الثانية أو بسرعة تزيد على ستة آلاف وثلاثة وسبعة ملايين ومائتي ألف ميل في السنة ، وأنه يكمل كل دورة من دوراته في ثمانية مليون سنة (وبعبارة أخرى) أن اليوم من أيام هذا النظام يعادل ثمانية آلاف ألف سنة (لأن اليوم باعتبار الفلك هو دورة الجرم على محوره ودورة النظام الذي نحن بصدده على محوره تستغرق ثمانية مليون سنة) وتبلغ المسافة التي يجتازها هذا النظام في كل دورة من دوراته ألفا وثلاثمائة واثنين وتسعين ألفا ومائة وستين ألف ألف ألف ألف ميل . ويعد الدكتور شابلي أنه لن ينقضي زمان طويل حتى يتوصل العلماء الى اكتشاف سر الحياة في أحد تلك الأجرام فإن معظمها قديم جدا ، وليست كرتنا الأرضية بالنسبة اليه سوى طفل حديث الولادة ، وقد كان الأقدمون يعتقدون أن الكرة الأرضية هي مركز جميع الكائنات وأن الشمس وجميع الأفلاك تدور حولها ، ثم تقدم العلم فثبت أن الأرض لم تكن مركز الكائنات ، وقام الاعتقاد بين جمهور العلماء أن الشمس هي ذلك المركز ، وظلت النظريات تتغير وتقلب الى أن جاءنا الدكتور شابلي بنظريته الجديدة وهي أن مركز الكائنات هي نقطة اتصال الأبراج المعروفة بالعقرب والحية والرامي وتبعد هذه النقطة عن الكرة الأرضية نحو خمسين ألف سنة نورية أي نحو ثمانية آلاف ألف مليون ميل فالنور الذي نراه الآن منبعثا من ذلك المركز هو النور الذي انبثق منه منذ أكثر من خمسين ألف سنة أي قبل أن يظهر الإنسان على هذه الكرة

وعما يجهز بالذكر أن الأستاذ (ادنجتون) الذي يعتبر أعظم علماء الفلك في الوقت الحاضر (وهو أستاذ الفلك في جامعة كبرج بالهند) أعلن منذ عشر سنوات أن الشمس هي مركز المجرة وأن طرف المجرة يبعد عن الكرة الأرضية عشرة آلاف سنة نورية وأنه ليس وراء ذلك الطرف سوى فضاء لا حدود له ، أما الآن فقد أثبت (الدكتور شابلي) أن الكائنات أوسع من ذلك بكثير ، إذا نظرت الى السماء في ليلة صافية الأديم أمكنك أن ترى بالعين المجردة نحو خمسة آلاف نجم من النجوم المختلفة الأبحام والدرجات وهذه النجوم مجرة في قبة الفلك بلانظام ظاهر وبخفرفها في الوسط طريق المجرة الذي هو أشبه بنهر متعرج ، على أن ما نراه بالعين المجردة ليس سوى جزء صغير من مجموع النجوم التي يتألف منها علما (أي نظامنا الشمسي والمجرة معا) فإن عدد نجومه يبلغ عشرة آلاف مليون نجم ، وما شمسنا سوى نجم تافه يدور هو والأرض وجيع أجرام النظام الشمسي حول مركز الكائنات الذي سبقت الإشارة اليه

ويقول الدكتور شابلي أيضا : إن حول هذا المركز نحو مائة مليون نجم (والنجم هو الشمس بعينه) ومن هذه المجموعة : ألف نواة المجرة ولكن بقية أجزاء المجرة لا تزال غامضة محجب الكتبان ، وإنما هنالك قرائن تدل على أن غمامة نظام المجرة تبلغ نحو خمسة وخمسين ألف سنة نورية وأن قطرها أكثر من ذلك بكثير (ترى ما الذي وراء مركز الكائنات ؟)

يعتقد الدكتور (شابلي) أنه لن يمر وقت طويل حتى تتجلى لنا أسرار كثيرة ، أما النظرية القائلة بوجود شمس عظيمة تستمد منها جميع الشموس نورها وهي مركز الكائنات فهي خرافة لا طائل تحتها ، ونظرية

النسبية (وهي أحدث النظريات العلمية وأصدقها في الوقت الحاضر) تؤكد لنا أن لكل جرم حدودا لا يتعداها ، فالنجم المسمى (منكب الجوزاء) هو عبارة عن شمس هائلة يمكن وضع خمسة وعشرين مليون شمس كشمسنا في بطنها ومع ذلك لا يمكن (بحسب مذهب النسبية) تصور شمس أكبر من منكب الجوزاء لأن قوة الجاذبية فيها تكون هائلة جدا تقطع بقوة إشعاعها وتجزعها شراً ممزقاً

فركز الكائنات يشرف على نظامنا الشمسي ونظام المجرة معا ويحفظ التوازن بين جميع أجرام النظام ، وقوة جاذبيته تفوق قوة أي جرم آخر يفرضه العلم ، وتدل المباحث العلمية الحديثة أيضاً على أن مركز المجرة محوط بألوف الملايين من النجوم المبعثرة في الفضاء ، والدلالة على سعة الفضاء التي تشغلها تلك النجوم قول : « إن محيطه لا يقل عن ثمانية آلاف سنة نورية ونحاطه لا تقل عن مائة وخمسين ألف سنة نورية ، أما نظامنا الشمسي فواقع خارج محيط المجرة عند أحدها ، ولا يخفى أن جميع أجرام الفلك تدور على محورها بلا انقطاع ، وقد قلنا إن اليوم يتكوّن من دورة الجرم على محوره ، فاليوم باعتبار مركزنا الأرضية يتكوّن من دورة الكرة على محورها وهو بحسبنا أربع وعشرون ساعة ، أما الكائنات التي يتألف منها نظامنا الشمسي ونظام المجرة معا فهو يعادل ثمانية مليون سنة لأن هذه الكائنات تدور مرة حول محورها كل ثمانية مليون سنة ، وعليه فإن ستة أيام أو سبعة من نوع الأيام التي نحن بصددنا تكفي لنشوء كائنات بأسرها ، أما الذي حل (الدكتور شابلن) على القول بأن نطلق الأفلاك أوسع كثيراً مما يتوهم العلماء وأن عدد الأجرام التي تتألف منها الكائنات غير محدود فهو النجوم المعروفة بالمتغيرة ، فقد اكتشف منها عدة آلاف وهو يعتقد أن الكون ملؤه بها ، وقد درس حالة هذه النجوم درساً مدقّقاً فابتكر طريقة علمية لقياس درجة نورها ولعائنها ، والمجال لا يقع لشرح تلك الطريقة وإنما نقول إن الدكتور شابلن توصل بواسطتها إلى معرفة أبعاد تلك النجوم وقد أثبت أنها تقع خارج الحدود التي كانت مفروضة للكائنات أي في الفضاء الذي كان يقال حتى عهد قريب أنه فراغ ليس فيه شيء من الأجرام الفلكية ، وقد وجد أن قوة إشعاع بعض تلك النجوم تفوق قوة إشعاع الشمس أكثر من ثلاثين ألف ضعف فتأمل

وبناء على هذا الاكتشاف أصبحت حدود الكائنات أوسع بكثير مما كان العلماء يتصورونها حتى أوائل هذا القرن ، ويظهر الآن أن النجوم المتغيرة توجد بشكل مجموعة مبعثرة حول أطراف المجرة وأنها حدود الكائنات التي يتألف منها نظامنا الشمسي ونظام المجرة معا ، أما حقيقة شكل الكائنات المذكورة فهي أنها تشبه قرصاً ثخيناً مستطيلاً يتألف من نظامنا الشمسي ومن المجرة ، وليس نظامنا الشمسي مركزاً لتلك الكائنات بل هو يبعد عن ذلك المركز نحو خمسين ألف سنة نورية كما سبق القول فيه

﴿ ورواء هذه الكائنات كلها ؟ ﴾

كان العلماء يزعمون حتى عهد قريب أن وراء الكائنات فراغاً لا حدود له وأن هذا الفراغ يتدبى بعد المجرة بقليل وليس له آخر إلا أن الدكتور شابلن قد أثبت اليوم أن مجرتنا ليست هي المجرة الوحيدة بل إن هنالك مجرات أخرى ومجموعات نظم شمسية لا عداد لها وهي تدور حول نواة مركزية ، وقد أطلق عليها الدكتور شابلن اسم جزائر كونيّة ويمكننا رؤية عدة مئات منها بواسطة التلسكوبات الحاضرة ، ومتى أنشئ تلسكوب مرصد (مونت ويلسون الجديد) الذي سيبلغ قدر عديته مائتي بوصة فالأرجح أننا سنتمكن من مشاهدة ألوف كثيرة من تلك الجزائر ، وتظهر هذه الجزائر لأوّل وهلة بشكل مجموعات مظلمة من النجوم أو السدم المبعثرة في الفضاء ، ومع أن هذه الجزائر ليست من مكتشفات (الدكتور شابلن) إذ قد كانت معروفة من قبل إلا أن القول بأن كلا منها هي مجرة قائمة بذاتها هو قول جديد ، وقد ثبت الآن أن بعضها يبعد عن نظامنا الشمسي نحو مائة مليون سنة نورية أو أكثر

وبما يدلك على سعة هذا الكون أنه لو أصيبت مجرتنا (وفها نحو عشرة آلاف مليون جرم فلصكى) بحسبة محتمها وأزالتها من الوجود فإن الذين في أقرب الجواثر الكونية (إذا صح أن في تلك الجزائر مخلوقات) لا يشعرون بتلك المصيبة إلا بعد مئات الآلاف من السنين لأن أنوار المجرة تظل سائرة في الفضاء ولا تصل إلى أقرب جزيرة إلا بعد اختفاء مئات الآلاف من السنين انتهى ماجاه في الجملة المذكورة

هذه هي المقالة التي أحببت أن أنبتا هنا قبولا لنعمة الله علينا بالعلم والحكمة ، فانظر أيها الدكي إلى عظمة الله التي لا تقناهى وكواكب التي لا حد لها ، اللهم إن هذه هي السعادة الحقيقية أن تزيد معارفنا بجمالك وبهائلك ونرى أنفسنا في يد رحيم لانهاية لرحته ، عظيم لانهاية لعظمته ، إن القلب اذا أدرك هذه العظمة وعقل هذه الرحمة يكاد يذوب وجدا على بعده عن مسدى هذه النعم ويقتى لويراه ، بل كثير من قراء هذا التفسير العاشقين للعلم ستكون حياتهم كلها سعادة بعمل نافع للأمم جمعا ، ويرون أن الموت نعمة من أجل النعم ، بل سعادة لاحد لها ، لأنهم يودون أن يروا مسدى هذه النعم صانع هذه المجائب مبدع هذا الجمال بعد أن يكونوا قد أتوا ما أعطهم له في هذه الأرض

ياسبحان الله : كأتى أشاهد كثيرا من قراء هذا التفسير قد امتازوا بأنهم في الدنيا مشرقة أنوارهم العلمية وقد اشتاقوا لمسدى هذه النعم وحققوا معنى الحديث « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » ولا سبيل لهذه المحبة بغير دراسة هذه الدنيا ، وأنا أحذرك يا الله أن جعلت هذا التفسير جامعا لأجل ما في العلوم وزهراتها إن قراء هذا التفسير فضلاءهم اذا سمعوا قوله تعالى - وإن يوما عند ربك كألف سنة بما تعدون - وسمعوا قوله تعالى - تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كلن مقداره خمسين ألف سنة - لا تفتش سعادهم ولا يضل سعيهم ولا يظنون التنافي والتناقض بل هم يعلمون علما ليس بالظن أن الله يخاطب الناس كما يخاطب أحدا طفلا صغيرا بل كما يخاطب الهواب ، إن منزلتنا من الله أبعد من ذلك وإنما ضربنا ذلك مثلا إذ ليس المقام مقام تحديد اليوم بألف سنة ولا مقام تحديده بخمسين وإنما يراد مدة عظيمة عسير عنها بما نفقهه ، ولا جرم أن اليوم (٢٤) ساعة وهذا هو المعروف عندنا وهذا منى على دوران أرضنا ولكن هناك كواكب أخرى أكبر من أرضنا وهناك مجرات وسلم وهذه مجرتنا التي فيها شمسنا يومها (٣٠٠) ألف سنة كما رأيت وقد يكون أكثر لجرمة غيرها ، فاذن ألف سنة ليس قيذا وخمسون ألف سنة كذلك وثلاثمائة ألف ألف سنة كذلك ولا يعلم أليم جميع الكواكب وجميع المجرات وجميع السدم إلا من لانهاية لعله ، إذن هنا فهنا قول علمائنا رحمهم الله « إن العدد لا مفهوم له » قالوا هذا عند الكلام على أن السموات سبع وأن الأرضين سبع ، أفلمت ترى أن هذا زمان عجائب القرآن ، يقول : إن يوما عند الله يبلغ ألف سنة ، ثم يقول خمسين ألف سنة ، لماذا ؟ ليفتح للعقول أبواب الفكر فيضكر العاقل ويقرأ العلوم فيعلم أن ذكر العددين يفتح باب الحرس حتى يعرف أنه لاحد للسنين ولاوقوف لها عند حد والله واسع عليم - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب - انتهى نصف الساعة الثانية من ليلة الأحد (٥) يناير سنة ١٩٣٠ وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني والمجد لله رب العالمين



الفصل الثالث

في قصص الأنبياء الذين أجمعوا في قوله تعالى - ولقد أرسلنا فيهم منذرين الخ -

وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ • وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ • وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ
 الْبَاقِينَ • وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ • سَلَامٌ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ • إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ •
 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ • ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ • وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ • إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ
 سَلِيمٍ • إِذْ قَالَ لِلْأَيْمَنِ وَتَوَمَّى مَاذَا تَعْبُدُونَ • أَتَعْبُدُونَ إِلَهًا دُونَ اللَّهِ يُرِيدُونَ • فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ
 الْعَالَمِينَ • فَتَنَّا نُظْرَةً فِي النُّجُومِ • فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ • فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ • فَوَاعَى إِلَى الْآلَمِينَ
 فَقَالَ لَا تَأْكُلُونَ • مَا لَكُمْ لَا تَنْظِقُونَ • فَوَاعَى عَلَيْهِمْ صَرْبًا يَابِسِينَ • فَاقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْتَفُونَ •
 قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ • وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَحْتُلُونَ • قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجِبِمْ •
 فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْقَلِينَ • وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ • رَبِّ هَبْ لِي مِنْ
 الصَّالِحِينَ • فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ • فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي النَّامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ
 فَانْظُرْ مَاذَا تَأْمُرُ قَالَ يَا أَبَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ • فَلَمَّا أَشْتَأَ وَقَفَّ
 إِلَيْهِمْ • وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ • قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ • إِنَّ هَذَا لَهُوَ
 الْبَيْتُ الْمُبِينُ • وَقَدَّيْنَاهُ بِرِجْحٍ عَظِيمٍ • وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ • سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ •
 كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ • إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ • وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ
 الصَّالِحِينَ • وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَقَلَّى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتَيْهَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ • وَلَقَدْ مَنَّا
 عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَمَوْنَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ • وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْتَوَوْا هُمُ الْفَالِقِينَ •
 وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُنِيرِينَ • وَوَعَدْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ • وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ • سَلَامٌ
 عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ • إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ • إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ • وَإِنْ إِلَى بِلَاسٍ لَمَلَتْ
 الرُّسُلِينَ • إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ • أَتَدْعُونَ بَمَلَأَ وَتَدْعُونَ أَحْسَنَ أَنْفَالَتَيْنِ • اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ
 آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ • فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ • إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ • وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ
 سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ • إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ • إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ • وَإِنْ لَوْعًا لَمَلَتْ
 الرُّسُلِينَ • إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ • إِلَّا نَجَّوْا فِي الْغَابِرِينَ • ثُمَّ دَرَرْنَا الْآخِرِينَ • وَإِنَّا لَنَكُفُّكُمْ

لَتَرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْجِينَ • وَالْقِيلَ أَفَلَا تَعْلَمُونَ • وَإِن يَؤُوسَ إِنَّا لَٱلْمُرْسِلِينَ • إِذْ أَتَى إِلَى ٱلْأَلَمِ
ٱلشَّعُونَ • فَسَآهُمْ فَكَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ • فَٱلنَّفْعَ ٱلْخُوفُ وَهُوَ مُلِيمٌ • فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلسَّابِقِينَ •
لَآبَتْ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ • فَبَدَّأَهُ ٱلْعَرَاءُ وَهُوَ سَقِيمٌ • وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ بَاقِلِينَ •
وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مَآئَةٍ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَتَنَّاهُمْ إِلَىٰ جَحِيمٍ

﴿ التفسير القفطي ﴾

﴿ قصة نوح عليه السلام ﴾

قال تعالى (ولقد نادانا نوح) لما أيس من قومه المقلدين لآبائهم فأجبناه (فلنم المجهبون) أى فولائه
لنم المجهبون نحن (وبجبناه وأهلك من الكعب العظيم) من الفرق ومن أذى قومه (وجعلنا ذريته هم الباقين)
إذ كان له ثلاثة أولاد سام وهو أبوالعرب وفارس والروم ، وحام وهو أبوالسودان من المشرق إلى المغرب ، ويافث
وهو أبوالترك وبأجوج ومأجوج . هذا هو المشهور على ألسنة المؤرخين وليس في القرآن نص على هؤلاء
ولا على غيرهم (وتركنا عليه في الآخرين) من الأمم ثناء حسنا وذكرا جليلا فمن بعده من الأنبياء إلى
يوم القيامة ، ثم قال الله (سلام على نوح في العالمين) أى سلامة وسعادة منا على نوح من بين العالمين في
زمانه (إنا كذلك) هكذا (نجزي المحسنين) بالقول والفعل بإنشاء الحسن والنجاة تبشيرا بالنجاة والذكر
الحسن لسلك من آمن وعمل صالحا (إنه من عبادنا المؤمنين * ثم أغرقنا الآخرين) وهم كفار قومه

﴿ قصة إبراهيم ﴾

قال تعالى (وإن من شيعته) ممن شايه في الإيمان وأصول الشريعة (لإبراهيم * إذ جاءه به بقلب
سليم) إذ ظرف متعلق بشيعته لما فيها من معنى المشايعة وسلامة قلبه خلوصه من الشرك ومن آفات القلوب
وهي الملوكات من الذنوب القلبية كالكبر والحسد (إذ) بدل من إذ الأولى (قال لأبيه) آزر (وقومه)
عبدة الأوثان (ماذا تعبدون) من دون الله قالوا نعبد أصناما قال لهم إبراهيم (أفتملك آلهة) أى أتريدون
آلهة دون الله لأجل الأفك أى الكذب (فما ظنكم رب العالمين) أى فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف
يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه النعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة في النجوم) أى نظر
في النجوم راميا يصيره إلى السماء ليريه أنه ينظر فيها لاعتقادهم علم النجوم فأوهمهم أنه استدل بأماره على
أنه سقيم (فقال إني سقيم) أى مشارف للسقم وهو الطاعون وكانوا يخافون العدوى كما هي الحال اليوم في
جميع الأمم ففترقوا عنه بهذه الحيلة وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل وهذا من
معاريض الكذب لأنهم فهموا أنه سقيم الآن وهو يريد سأسقم بل إن كل من كان الموت لاحقه فهو به
سقيم أو قس السلامة داه كما في التسل « كفى بالسلامة داه » أو أنى سقيم بكفركم (فتولوا عنه مدبرين)
مولين الأدبار (فأراهم إلى آلهتهم) مال إليها (فقال) استهزاء (ألا تأتون) من الطعام الذي أمامكم فلم
يجيب (مالمكان لتنتقون) لا يجيبون (فأراهم عليهم) فأقبل عليهم (ضربا باليمين) أى ضاربا بسبب الحلف
السابق منه ليبر في يمينه ، أو ضاربا يمينه للدلالة على القوة ، فرجعوا إلى أصنامهم فوجدوها مكسرة (فأقبلوا
إليه يزفون) يسرعون فقالوا نعبدوها وأنت تكسرها فأجابهم (مال تعبدون ما تحتون) بأيديكم (وأفله)
خلقكم وما تعملون) وخلق ما تعملونه من الأصنام ، أو وخلق أعمالكم فلم تعبدون غيره ؟ (قالوا ابنوا له)
لأجله (بنينا) من الحجر طوله عشرون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فألقوه في الجحيم) في النار الشديدة

(فأرادوا به كيدا) بالقائه في النار (فجلباهم الأسفلين) المقهورين عند الالتقاء فخرج من النار (وقال إني ذاهب إلى ربّي) أي إلى موضع أمرني بالتحاب إليه (سيهدين) سيرشدني إلى ما فيه صلاح في ديني ويصنّ ويوقظني (رب هب لي من الصالحين) أي بعض الصالحين أي الولد (فبشرناه بفلام حلم) فأبشّره بثلاث : أنه ذكره ، وأنه يبلغ أوان الحلم ، وأنه حلم . ومن سلمه أنه رضى بالتحب كما سيأتي (فلما بلغ معه السعي) أي بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه وكأنه قيل مع من يسعى ؟ قيل مع أبيه ، فأذن معه بيان لا يتعلق ببلغ ولا بالسعي (قال يا بني إني أرى في المنام أنّي أذبحك) إذ قيل له في المنام أذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحى ، فلما أصبح روى في ذلك من الصلح إلى الرواح ، آمن الله هذا الحلم ، أم من الشيطان ؟ فمن نعمة سعى يوم التوبة فرأى مثل ذلك في الليلة الثانية فصرفه من الله فسمى يوم عرفة ، ثم رأى الليلة الثالثة مثل ذلك فهمت بشعره فسمى يوم النحر (فانظر ماذا ترى) من الرأى على وجه المشاورة ، يريد أن يختبره ليعلم أيخرج أم يصبر (قال يا أبت اعمل ما تؤمر) أي ما تؤمر به (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) على التزم (فلما أسلمها) انقادا لأمر الله وخضعا (وقال للجبين) صرعه على جنبه ووضع السكين على حلقه (وناديتاه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) أي حققت ما أمرناك به في المنام من تسليم الولد للذبح وجواب لما عتفوك أي كان ما كان عما لا يحيط به الوصف من استبشارهما وهدهما الله وشكرهما له على نعمة دفع البلاء (لأنك كذلك تجزى المحسنين) أي إنا كما عفوا عن ذمّ ولده كذلك تجزى المحسنين في طاعتنا (إن هذا هو البلاء المبين) أي الاختبار الظاهر إذ اختبرناه بذبح ولده (وفديناه بذبح عظيم) كبير الجثة سمين ، يقال إن جبريل أتى له بكبش أملح أقرون من الجثة ، ويقال إنه رعى فيها أربعين خريفا ، وقيل أنه وعل أبطع عليه من نير ولما هرب من عند الجرة رماه بسبع حصيات حتى أخذه فصار ستة ، ويقول الحنفية : « من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة » (وتركنا عليه في الآخرين) سلام على إبراهيم) هو كما سبق (كذلك تجزى المحسنين) إله من عبادنا المؤمنين) وقوله (وبشرناه بأسحق نبيا من الصالحين) أي بوجود أسحق أي ولما أسلم أمره لله في ذبح إسماعيل بشره الله بأسحق بعد ذلك (وباركنا عليه) أي أفضنا عليه بركات الدين والدنيا (وعلى أسحق ومن ذريتهما بحسن) في عمله (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصي (مين) ظاهر ظلمه

(لطيفة)

في هذه القصة الشجاعة بالفتك بالمعادات المزرية بالإنسانية والشجاعة في اقتحام الأهوال وقد فام بمثل ذلك نبينا ﷺ وفيها الصبر والحلم والناة وأن يستعد الإنسان لتسليم نفسه لله كل وقت لا يباي بما يصيبه من فقد أو قتل أو نقص ، كل ذلك تعليم لنا وتهية للعالي ، ولقد سبق في (سورة البقرة) إني ذكرت لك هناك « لتزفأبس اليوماني » قبل الميلاد بخمسمائة سنة إذ شرح كل الأحوال الإنسانية من علم ومال وولد وملك فم يجعل للإنسانية سعادة إلا بالصبر على ما يصيب الإنسان ، فالصبر أول الأمور وآخرها ، وأخرج من السعادات العباد والشراء والأغنياء والملوك وأهل الجبال والوارثين قد حكم على هؤلاء جميعا بأنهم ليسوا سعداء وجعل كل ما يقرؤه الناس في الكتب من الأخلاق أدبا مزورا . فأما الأدب الحقيقي فهو الأخلاق وأهمها الصبر على النوائب وحكم بأن هؤلاء جميعا قبل أن يتأولوا بالمصائب ليس أحد منهم سعيدا ولهذا وحده جاءت هذه القصص وكيف يرضى إبراهيم بذبح ولده . وكيف يرضى إسماعيل بالذبح لذلك وردت هذه القصص في القرآن . ومن هب أن تتحد الفلسفة والدين على أمر واحد أمر الصبر وأنه السعادة القصوى . يقول قابس « لأن النفس مادامت تقترح بالنعمة وتؤهلها للنعمة فإها رعاء جاهلة طفلة لأن المال والولد كالليل والنهار يطلعان على الفاجر والصالح . والسعادة التي اصطلاح عليها الناس لا يقاء لها فهي رعاء تقترح بها النفوس الرعاء ، فالسعادة إذن أن تكون النفس مطمئة لكل ما يأتي عليها وهذا قوله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم

ولا تفرحوا بما آتاكم - وقوله - إن الله لا يحب الفرحين - وهذا الخلق يحصل بأحد أمرين : إما بتوالي الثواب على امرئ حتى يصير قادرا على احتياها . ولما أن يدرس هذا العالم درساً مدققاً فيذكر إذ ذاك أن العالم نظام واحد له مرب يربيه مطلع على كل جليل وصغير وحيتث يرى أن الله معه في السراء والضراء فيرضى وقتاً ويغضب الطبع وقتاً ولكنه أقرب إلى الرضا من الجهل

﴿ قصة موسى وهرون ﴾

قال تعالى (ولقد مننا على موسى وهرون) أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المم النبوية (ونجيناها قومهما من الكرب العظيم) من قلب فرعون ومن الفرق (ونصرناهم) الضعير لهما مع القوم (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ في بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) الطريق الموصل إلى الحق (وتركنا عليهما في الآخرين * سلام على موسى وهرون * إنا كذلك نجزي المحسنين * إنا من عبادنا المؤمنين)

﴿ قصة الياس ﴾

هو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى وقيل هو أدريس النبی عليه السلام (وان إلياس لمن المرسلين) إذ قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله (أتدعون بعلا) أى تعبدونه وهو اسم صنم كان لأهل بك بالشام وهو البلد الذى يقال له الآن بعلبك و يطلق البعل على الرب بلغة اللين ويصير المعنى أتدعون بعض البعول (وتذرون أحسن المخلوقين) وتتركون عبادته (الله ربكم ورب آبائكم الأولين) بدل من أحسن (فكذبوه فانهم لحضرون) أى فى العذاب (إلا عباد الله المخلصين) بدل من الواو (وتركنا عليه في الآخرين * سلام على الياسين) لغة فى الياس كسينا وسينين (إنا كذلك نجزي المحسنين * إنا من عبادنا المؤمنين)

﴿ ذكر لوط ﴾

قال تعالى (وان لوطا لمن المرسلين * إذ نجيناها وأهلها أجمعين * لا نجوزا في الغابرين * ثم دمرنا الآخرين * وانكم) يا أهل مكة (تتمرون عليهم مصبين) داخلين في الصباح (وبالليل) أى مساء (أفلا تعقلون) أى أفليس فيكم عقل فتعبرون به

﴿ ذكر يونس ﴾

قال تعالى (وان يونس لمن المرسلين * إذ أتى) حرب (إلى الفلك) من قومه بغير إذن ربه (المشحون) المملوء (فساهم) ففزع أهل الفلك (فكان من المدحضين) للغالوتين بالقرعة * روى انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آتى فافترعوا ففرجت القرعة عليه فقال أنا الآتى ورى بنفسه فى الماء (فالتقمه الحوت) فابتلعه وهو من القمة (وهولم) آت بما يلام عليه (فلولا انه كان من المبسين) الناكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أوفى بطن الحوت إذ كان يقول : « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » وقيل من المصلين (البت فى بطنه الى يوم يبعثون) ميتا (فنبذناه) طرناه (بالراء) بالأرض الخالية عن الشجر والنبات (وهو سقيم) عليل وكان لبثه فى بطن الحوت ثلاثة أيام (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) هو التمر ، وكل نبت يمتد على وجه الأرض كالقرع يقطين * قبل لرسول الله ﷺ إنك تحب القرع . قال : أجل هى شجرة أخى يونس (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) هم قومه أهل نينوى . واعلم أن كلام المفسرين مضطرب هنا فلا سمعك ملخص كلام التوراة :

« إن الله أرسل « يوتان » أى يونس بن امنائى قائلا قم اذهب الى أهل نينوى المدينة العظيمة فهدب يوتان من وجه الرب فترز الى ياقا ووجد سفينة ذاهبة الى ترشيش فجاءت ريح شديدة وكان ما كان معاهو

الجسيم • وَمَا مِثْلَ تِلْكَ تَفْلُومُ • وَإِنَّا لَنَعْنُ الصَّافُونَ • وَإِنَّا لَنَعْنُ السَّابِقُونَ • وَإِن
كَانُوا لَيَقُولُونَ • تَوَّانَ عِنْدَنَا ذِكْرًا يَوْمَ الْأَوَّلِينَ • لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْخَالِصِينَ • فَكَفَرُوا بِهِ
فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ • وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِرُسُلِنَا • إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ • وَلَئِن جُنَدُنَا لَهْمُ
الْقَابِلُونَ • فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى جِئْنَا • وَأَبْهَرَهُمْ تَوَلَّيْهِمْ • أَفَعِندَنَا يَتَمَتَّعُونَ • فَلَمَّا نَزَلَ
بِأَعْيُنِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ النَّازِلِينَ • وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى جِئْنَا • وَأَبْهَرَهُمْ فَتَوَلَّيْهِمْ • سُبْحَانَ رَبِّكَ
رَبِّ الْعَزَّةِ وَمَا يَحِيطُونَ • وَسَلَامٌ عَلَى الرُّسُلِينَ • وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿ التفسير اللفظي ﴾

هذا الفصل فيه ملخص الفصلين السابقين فإن أول السورة ذكر الصفات وهم الملائكة وهنا أخذ يستغنى
أهل مكة في تسميتهم بنات الله ثم ذكر اسمهم هم الصافون المتقدمون في أول السورة ، وفي وسط السورة ذكر
المسلمين وهنا ذكر اسمهم منصورون . فاذن هذا الفصل ملخص الفصلين السابقين وهذا قوله تعالى (فاستقم
أر بلك البنات) الاناث (ولهم البنون) عطف على ما تقدم في أول السورة . فاستقم أهم أشد خلقا أم من
خلقنا . والكلام هنا في أنهم نسبوا لله الولادة والله منزه عن المادة فكيف يلد ؟ وفي أنهم جعلوا الولد
أضعف الزوجين الذكر والأنثى وفي أن الملائكة الذين لا يوصفون بما يوصف به الحيوان اناث وهذا قوله تعالى
(أم خلقنا الملائكة إنانا وهم شاهدون) حاضرهم (ألا انهم من إفكهم) كذبهم (ليقولون ولد الله) إذ
لادليل عليه (وانهم لكاذبون) فيما يتدينون به (أصطفى البنات على البنين) استفهام انكار واستبعاد (مالك
كيف تحكمون) بلما ترضون لأنفسكم ترضون لله ما لا ترضون لأنفسكم (أنالذكرون) انه منزه عن ذلك
(أم لكم سلطان مبين) حجة واضحة أو كتاب بين فيه أن الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابتكم) التي نزل
عليكم (إن كنتم صادقين) في قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسيبا) أي الملائكة ويسمون جنات لاجتماعهم
(ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أي ولقد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول لمحضرون في النار
(سبحان الله عما يصفون) من الولد والنسب والصاحبة . وقوله (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع
من المحضرين (فانكم) يا أهل مكة (وما تعبدون) ومعبودكم (ما أنتم) وهم جميعا (عليه) على الله
(بغايتين) بضلين (إلا من هو مال الجحيم) أي لستم تضافون أحدا إلا من استعدوا للفتنة بحسب فطرهم
فيكفرون فيصالحون جهنم كما هو مقتضى ألا كقولهم تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - يقال فإن
على فلان امرأته أي أفسدها عليه . قال جرير عليه السلام (وما أنا) أحد (إلا له مقام معلوم) في المعرفة
والعبادة والالتقاء إلى أمر الله في تدبير العالم * وعن ابن عباس « ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك
يصلى أو يسبح » فهذا وحديث « أظن السماء » وحق لها أن تنطق ^(١) فييدان كثرة الملائكة (وانا نحن
الصافون) في أداء الطاعة (وانا نحن المسبحون) المنزهون عما لا يليق به ويصح أن يكون الكلام في
النبي ﷺ والمؤمنين ، فهم صافون في الصلاة ، ومنزهون لله عن المحدثات . والكلام هنا كالكلام في
أول السورة (وإن كانوا) أي كفار مكة قبل بعث النبي ﷺ ان تخفف من الثقلية (ليقولوا لو ان عندنا
ذكر من الأولين) أي كتابا من الكتب التي أنزلت عليهم (لكنا عباد الله المخلصين) لأخلصنا العبادة له

ولم يخالف مثلهم فجاءهم الذكر الذي طلبوه وهو القرآن (فكفروا به فسوف يعلمون) مقبة تكذيبهم وما جعل لهم من الانتقام (ولقد سبق لكنا لعبادنا المرسلين) الكلمة قوله (انهم لم ينصرون) * وان جندنا لهم الغالبون) وسميت كلمة كما قال ابن مالك * وكلمة بها كلام قد يؤم * (قولهم عنهم حتى حين) الى مدة يسيرة (وأبصرهم) أى أبصر ما ينالهم يومئذ (فسوف يصرون) ذلك . أو أعلمهم فسوف يعلمون (أفبعذابنا يستجيبون) قبل حينه (فاذا نزل بأسناهم) بفنائهم (فساء صلب المنكرين) صباحهم (وتولوا عنهم) يا محمد (حتى حين) الى وقت هلاكهم يوم بدر (وأبصر) اعلم (فسوف يصرون) فسوف يعلمون ماذا يفعل بهم بعد الموت ويوم القيامة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) عما قاله المشركون عما سبى في السورة (وسلام على المرسلين) سلم الله على الرسل عموما بعد سلامه في الفصل الثالث على المذكورين في السورة (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الأعداء ونصر الأنبياء وفيه تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخافوا به * قال على - رضي الله عنه : « من أحب أن يكتال بالسكيا الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه - سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين - » واعلم أن المؤمن في كل تشهد يقول : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ولا جرم أن الصالحين يشملون الأنبياء فكان المؤمن يحس كل روح شريفة من الأرواح المخارقة للباد وعند قيام المرء من المجلس سلم على المرسلين ويحمد الله مربي العالمين وتربية العالمين تشمل الرسائل والهداية وتغيب الكافر والعاصي وأتابة الطائع المؤمن . فالؤمن يحمد الله على تربيته للعالمين وما لا غير والشر في القرية إلا أخوان . فلو توالى الحياة والضر والنفع سواء في القرية . وفي هذه بشرى لكل مصلح من أتباع الأنبياء فانهم يهنئون بالسلامة وبالأكرام من الله . ويمنعون نعماً عظيمة في الدنيا بالنصر وفي الآخرة بالنظر لوجه الله الكريم والتقرب منه ومشاهدة جلاله اه

﴿ لطائف هذه السورة ﴾

- (١) في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -
- (٢) في قوله تعالى أيضا - إنا زينا السماء الدنيا - الخ
- (٣) في قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا - الخ
- (٤) في قوله تعالى - إني كان لي قرين -

﴿ الطيفة الأولى ﴾

- (في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظنا من كل شيطان مارد * لا يسمعون الى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب * دحورا - الى - شهاب ثاقب -)
(خواطر في يوم الاثنين كتبت ليلة الثلاثاء ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠)

معلوم أن الصفات مضاف للملائكة المذكورون قبل آخر السورة - وأنا لنحن الصافون * وأنا لنحن المبهون - فهو الصافون هم القائمون بنظام العالم وتديره بأمر ربهم وهم المبهون الناس العلم كما أن الشياطين يوسوسون بالشر - فالزاجرات زجرا - إشارة الى الأعمال النظامية - فالتاليات ذكرا - إشارة الى العلوم ولا وظيفة إلا العلم والعمل . وزينة السماء الدنيا بالكواكب مبدأ لعلوم الأمم ولتربية الحكماء والفلاسفة في الأرض . يخرج الانسان طفلا فراهقا فتفي فينظر فبرى كواكب وشموسا وهو في هذه على إحدى ﴿ أربع حالات ﴾ الحال الأولى ﴿ أن يرى الكواكب ببصره وهو لا يشعر بجمال ولا يجب بها إما لقصور في نظره ولما لا أعراض كمرض أو عواطف خاصة أو أمور شاذة جسمية أو عقلية . فهو لا كلمهم يرون النجوم والشمس والقمر كما يرون المدر والحر فلا تذهب ولا احساس بالجمال ﴾ الحال الثانية ﴿ أن يحس بالجمال . ولا جرم أن

هذا أرقى من سابقه لأن الأول شارك السراب والنخل والنحل في لنها نظرت الأنوار بل النبات له احساس بالنور إذن لامزية للأول على غيره من الأحياء ولكن الثاني لما رأى أن فيها جلالاً تبتدى بلائها وبهجتها وصار يتأملها المرة بعد المرة عشقا وغراما وإبهلجا بها ، فهذا أرقى من حال الحيوانية الى مبادئ الانسانية (الحال الثالث) تتوقف على السابقتين إذ يقول في نفسه هذا جلال وهذه بهجة وهذه العوائس والأوالس والخنافس الجوارى الكنس أراها عرائس تزف كل ليلة ولها أنواع من السير والنظام فلا بحث عن كيفية دورانها وسفيها وشهورها وبروجها ومنازلها ونظامها وحيث يقول : « إن النظام الذى أدركه عقلى بالحساب والعلوم الرياضية لانسبة بين جلاله وشرفه وبين جلال وشرف الألوان الظاهرة . فالثاني لفظ والأول معناه . والثاني عرض والأول جوهر . والثاني مبتدأ والأول خبره . والثاني قشر والأول لبه . والثاني زهر والأول ثمرة . هنالك تتجلى تلك المعاني البديعة في نفوس المطلعين فترى البصرة من بدائع الحركات وفنون النظم وجمال الابداع وحيث يسون الجبال الظاهري وتكرعقولهم بلذة الأفراح العلية في بلحات الأفلاك السابرة (الحال الرابعة) تتوقف على الثلاثة قبلها فتشاهد عقولهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ويقولون جلال ظاهرو ونظام بحساب لاختطأ فيه بين آلاف الآلاف من الكواكب بل المجرات والسدم ولكل كون سيارات والسيارات أثمار وكلها ذات حركات سرية لا تقطنم ولا تخطئ . فهناك تود النفس لو يتاح لها مشاهدة المبدع هذه العجائب وهنالك تكون السعادة التي لاحد لها . فمن أدرك ذلك في الدنيا وشعر بما أكتبه شعورا مبينا على علم حقيقى فهو من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من الآن لأنه أدرك نظاما جبيلا أحسب به نفسه فحلت سعادة حقيقية وابتهج بإدراك صافيه وأحسن بأنه جواد حكيم . وكل ما اعتراه من نصب أو ألم يرى أن ذلك الصانع حكيم في فعله فيسكن قلبه وتطمئن نفسه

فهؤلاء هم خير الذين زينت لهم السماء حقا . فأما القرينى الثاني والثالث فهما أقل من هؤلاء . فأما الأولون فهم همج المميج . ذلك أن هذا القرينى قد جعل من بين أبيهم سد ومن خلفهم سد وذلك السد معنوى فلا يرون ما وراء غيرهم . فلهم أبصار ولكن لا يبصرون وأصباح ولكن لا يسمعون إما ليقص النظره وتقص القرينة أو للشهوات والذات أو للألام أو للعداوات وهكذا . فهؤلاء هم الذين قيل فيهم على سبيل الرمز - وحفظا من كل شيطان ملود - . وكيف يسمعون الى الملائ الأهل وهم لا يفرحون إلا بلذات بطونهم وشهوات فردجهم والاستمزاز بالذل والجاء والتفاخر والكواكب تطوف حولهم والشمس والقمر وأنواع الجبال فهم غارقون في طوهم والدنيا حافة بأنواع الجبال والكمال . ومن هؤلاء في الدنيا من يسمع حكمة فقيره في لحظة فيحس بأمر لم يعهده في نفسه فترة يثار عليه ويستزيدعلما وهذا العلم إما أن يكون علما بالجزئيات وإما علما بالكليات . فالعلم بالكليات أمثال ما ذكرته فبا تقدم من الابداع في النظام والحكمة والعلم بالجزئيات مثل أن يفكر في أهل أوروبا الآن وأهل الشرق وأرباب البيانات فبرى أن بعض المسامين اليوم قد غلبوا على أمهم وأن أهل أوروبا بهم الغالبون بالسلاح والكرعاع وأن الفاسق والكافري سود ويغلب الصالح الناسك وأن كثيرا من الصالحين فقراء وكثيرا من الفاسقين أغنياء . فهناك يحصل الشك والكفر والصلال فالخطة على قسمين : خطة تؤدى الى الهدى في النظر الى النظام العام العجيب . وخطة تؤدى الى الردى وتوقع الانسان في هوة الهلاك بالنظرات الجزئية وهذا هو الذى يحصل في هذه الأرض وهو المرموز له بالخطة التي يتبعها شهاب ثاقب . فهذا الشهاب الثاقب المذكور هنا والشهاب المبين المذكور في سورة الحجر إما للهلاك وإما للحكمة والعلم . ومن عجب أن الشهاب يهذى ويهلك ككلام به الحياة والممات وهكذا النور . ولا أحد ممن تعلموا من جهال نوع الانسان يخلون من إحداها . فأهل الأرض إما قوم صلحون آمنوا بأنبيائهم بلا بحث ولا تقيب . فهؤلاء هم الصالحون ولهم مراتب تناسب عقولهم فيعيشون في الجنة الجسمية ويكونون من

أصحاب العين . ولما قوم قالوا كلا نحن نريد أن نعرف بمقولنا وهؤلاء قسبان : قسم بحث فلم يحصل وكسل
رمال إلى الترف والتعميم ، وهؤلاء هم الدرجة الوسطى من الباحثين وهم أهل الفلكل . وقسم وصل وهرف
أمثال ما في هذا التفسير ، فأولئك هم الذين أنهم الله عليهم بالعلم والحكمة وهم الفائزون وهم المقربون ومن
قبلهم هم أصحاب المشأمة

ملخص ما تقدم أن للناس جميعهم ﴿ أربع درجات ﴾ ناظرون لا يفتقون ، وناظرون يفتقون الأنوار
المحسوسات ، وناظرون يدركون سر الحركات والنظام ، وناظرون يدركون ما وراء ذلك ، والفريق الأول
منهم من ينظر نظرة فلما أن يلمح بأحد الأقسام الثلاثة بعده ، ولما أن يهلك فبردى ، هذا ملخص ما تقدم
وهو من أسرار هذه الآية

﴿ نظرات الناس في قراءة القرآن كنظراتهم في الأفلاك ﴾

وكما أن الناظرين في الفلك وجهه يكونون أربعة أقسام ، هكذا قراء القرآن ، ختم من يكتفي بلفظه
فيقرأ هذه الآيات ويكتفي بالتلاوة فهذا كالفريق الأول ، وقسم يجب بالبلاغة والاعراب وأنواع الجواز
والاستعارات والتقديم والتأخير والفكر والحذف وهكذا من فنون علم المعاني والبيان والبديع . فهذه الطبقة
الثانية هي التي تقف عند الفرح بمعاني الكلام كما وقف أولئك عند محاسن الأنوار من كواكب السماء
وجهاها ماوراءها ، وهؤلاء هم أكثر علماء البلاغة والمدرسون في المدارس الشرقية والفريفة المخصوصون بفن
البلاغة ، وقسم ثالث يقول . كلا . لا بد من الدراسة والعلم بهذا الوجود ، وقسم رابع يخطو وراء ذلك خطوات
وهذان القسمان يشبهان القسمين الثالث والرابع فيما تقدم . فهنا اجتماع الفريقان : فريق الناظرين .
وفريق السامعين وإن كانوا في مبدأ الأمر مفترقين

﴿ نظرات فلاسفة العالم أربعة ﴾

ألا تعجب من أيها الذكي : أنك مهما قلبت طرفك في آراء علماء اليونان والرومان والعرب والألمان
والانجليز والفرنسيين وجميع فلاسفة الشرق والغرب لا ترى غير هذه النظرات . سبحانك اللهم وبعمدك .
إنك جعلت (طاليس المالمطي) ومن بعده من (ديموقراطيس) قد وقفوا على المادة وقالوا إن الهواء أول الماء
أو النار أو الأرض أو الأجزاء التي لا تتجزأ هي أصل هذا الوجود كله فلا إله ولا ملك ولا نبي . ولارسول قال العالم أوله
وأخوه لأصل له إلا ذلك . وهذه الطاقة هنا تنسب الطاقة الأولى من الطوائف الأربعة المتقدمة بعض النسب
مع اختلافهم في تعيين المبدأ منها . فهم اتفقوا في الأصل واختلفوا في تعيينه . وجاءت طاقة ثانية فقالت :
« والله نحن متعجبون ! هذه الأرض لا علم فيها ولا حقيقة . وكل امرئ له أن ينظر كما يشاء » وهؤلاء هم
السوفسطائية . وقسم ثالث نظر فقال . كلا . ههنا في الطبيعة حساب وههنا هندسة ونظام . إذن الحساب
أصل أو يقولون هنا حجة ونظور ودفع وجذب . إذن أصل العالم حجة ونظور وحساب مثل ما يقوله فيثاغورس
وأنبيقليس . وقسم رابع قال : « لأحساب بلا حساب . ولا حجة ولا نظور بدون فاعل لهما » وهؤلاء هم
انكسافورس ثم سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس فهؤلاء أقرؤا بالله ولكن الأول ظن لا حصل له إلا في
الكليات والآخرون يقولون بأنه يحيط علما بجميع الجزئيات

فهذه الطوائف الأربع لا يخرج عن حصرها أحد في العلم قديما وحديثا ومستقبلا . فلما سمعت أن
طائفة من المتأملين بمصر وبلاد الشرق القريب على مذهب بخترا الألماني المفسر لمذهب (طروين) والكتور
(شبل نيميل) المترجم لهذا الكتاب إلى اللغة العربية فاعلم أن هؤلاء في صف القسم الثاني والأول فهم إما
متعجبون ولما واقفون عند المادة . ولذا سمعت قوم منهم يقولون : « إن الإله موجود ولكنه ترك المادة
حبلها على غاربها » فهؤلاء أشبه بمذهب انكسافورس الذي تقدم وهكذا

واعلم أن هذه درجات نوع الانسان في كل عصر وجيل لاختلاف الأرض منهم وذلك على مقتضى جبلاتهم ومتنهي ماوصلت اليه عقولهم ، والسبب في ذلك (أسعدك الله) أن لكل امرئ حدا في المعرفة كما قيل :
الناس شتى اذا ما أت ذقتهم * لا يستون كما لا يستوى الشجر
هذا له ثم حلو مذاقه * وذلك ليس له طعم ولا ثم

﴿ نظرات الخليل عليه السلام ﴾

ومن محب أن هذه المراتب الأربع هي التي أشار الله لها في القرآن في نظرات الخليل ، فان الكواكب والقمر والشمس لم تكفه في نظراته فتخطاها وقال - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - الخ واياك أن تقف عند اللفظ فليس الخليل عليه السلام بالذي يشق عند هذه المناظر . كلا . بل هذا رمز للمعارف والعلوم وانها درجات بعضها فوق بعض حتى تنتهي الى الدرجة الرابعة المتقدمة ، واعلم أيديك الله أن نظرات الخليل ذكرت في القرآن ليعلم المسلمون كيف يرتقون في أسباب العلوم وأن هذا لا بد منه ان يريد الوصول لله وليس المعنى أننا نكتفي بهذه الآيات أو بلاغتها أو معناها . كلا . ثم كلا . فالقرآن أنزل ليعلن العروج لله بالحكمة والفهم والنقل

أفلا ترى أن هذا من غرائب القرآن وجهاته ، ثم ألا تحب أن أريك أمرا عجيبا يناسب ما ذكرناه هنا وهو ما جاء في « اخوان الصفاء » الذي أت منذ نحو ألف سنة وقد يقرؤه بعض أهل العلم ولكن أكثرهم كانوا لا يفهمونه ، وكيف يفهمون ما لم يدركوه ؟ وكيف يدركه امرؤ لم يدرس علوم الحكمة من الرياضيات والطبيعات حتى يعرف جمال الله في تشرح الانسان والحيوان ونظام النبات وكان أكثرهم يظنون أن هذه العلوم تنافي الدين فوقفت العقول وطمست البصائر ، وربما كان بعضهم يرى تأويل آية في ذلك الكتاب فيعتد هذا التأويل كفرا فيغير من الكتاب ، فإذا قلت لك الآن جلة صالحة منه فاني أقول نحن الآن لسنا مقلدين لأحد ، فنحن نأخذ الحكمة اني وجدناها ونذكر ما لدليل عليه . هذا ديدنا في هذا الكتاب وغيره ولا يصدق عن العلم أن يقال : « ان صاحبه قد أخطأ في بعض المسائل فما فيه خطأ أنا أجنبه لانني أترك ألف حكمة لأجل خطأ موهوم أو محقق في حكمة واحدة . إن هذا جهل وغرور ولو كانت هذه القاعدة صادقة لم يخلق الله العالم . إن الماء وان النار وان الهواء وان الشمس كل من هذه فيها هلاك باغراق ناسك وإحراق مجبور وأحداث أمراض بالهواء الفاسد وازدياد المرض لمن به حي وأحداث ضربة الشمس . فلو كان الضرر القليل يوجب ترك النفع العظيم لوجب أن يفتني هذا العالم كله ولكان خلقه عبثا - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لآعين - إذن فلا قص عليك ما جاء في كتاب « اخوان الصفاء » في الجزء الثالث منه تحت العنوان الثاني وهذا نصه :

﴿ فصل في جزاء المحسنين ﴾

اعلم يا أخي أن جزاء المحسنين يتفاضل في الآخرة بحسب درجاتهم في المعارف واجتهادهم في الاعمال الصالحة والناس متفاوتو الدرجات في أعمالهم كل يعمل على شاكلته وأجود أحوال العامة والجهال كثرة الصوم والصدقة والصلاة والقراءة والتسبيح وما شاكل ذلك من العبادات المفروضة والسنة في الشرائع المشقة لهم عن فضول وبطالة ومالايبني لهم كيلا يقنوا في الآفات وأفضل أعمال الخواص التفكير والاعتبار بتصاريف أمور المحسوسات والمحمولات . وبخاصة ما يتنطق بالدين وقد قيل أفضل أعمال الخير خصلة واحدة وهو التفكير قال الله تعالى - قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا - ثم اعلم أن الانسان إذا عقل الأمور المحسوسة وعرفها وتفكر في الأمور العقلية وبحث عنها وعن عللها استقبله عند ذلك طريقان

إحداهما ذات الجين تؤديه الى الهداية والرشاد والأخرى ذات الشئال تؤديه الى التلوي والضلال وذلك ان أمور العالم نوعان كلييات وجزيئات لاغير فاذا أخذ الانسان يفكر في كليتها ويعتبر أحوالها وتصاريفها ويبعث عن الحكمة فيها بأشده وأمكنه أن يعرفها بحقائقها وأرشد اليها فكما تقدم فيه ازداد هداية ويقينا ونورا واستبصارا وتحققا وازداد من الله قربا وكرامة واذا أخذ يتفكر في جزئيتها والبعث عنها وعن عليها خفيت وانغلقت مناجيها وكما ازداد تفكرا ازداد تحيرا وشكوكا ومن الله بعدا وكان قلبه من أجل ذلك في عذاب أليم . مثال ذلك انه اذا ابتداء الانسان أولا وتفكر في نفسه ونظر الى بنية هيكله ونفسه وكيفية تركيب جسده وكيف كان أولا في صلب أبيه ماء مهينا . ثم كيف صار قطعة في قرار مكين . ثم كيف صار مضغة . ثم كيف كسا العظام لحا . ثم كيف صار جنينا بعد أطوار متعاقبة . ثم كيف قبل جسده نور شعاع فيض روح القدس الالهي . ثم كيف أخرج من الرحم الذي هو عالم كونه الى الدنيا التي هو عالم آخرته . ثم كيف صار طفلا حساسا . ثم كيف تربى وهو طفل صبي جاهل . ثم كيف نشأ وصار شابا علما أوجاهلا . ثم كيف صار رجلا علما فيلسوفا حكما مدبرا متملكا على ماله . ثم كيف صار زاهدا عابدا . ثم ان طال عمره كيف يرجع كما كان بديا ضعيفا ذاهب القوة . ثم كيف ظهر بعد الشباب والقوة الضعف والشيبة - الله الهى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء - فاذا فكر الانسان في هذه الحالات التي ينقل فيها من أدونها الى آتيا ومن أفضلها الى أكلها فيعلم بالضرورة ويشهد له عقله انه صانعا حكما هو الذي اخترعه وأنشأه وأغناه فاذا تحقق عنده ماوصفنا من هذه الحالات جعل نفسه عند ذلك مقيلا على سائر أبناء جنسه فعمل علما يقينا انه قد فعل بهم مثل ما فعمل به وهكذا سائر الحيوانات وكما ازداد تفكرا في هذا الباب ازداد بر به يقينا وبأوصافه معرفة وعلم أن الله تعالى حي عالم قادر عليم حكيم محسن جواد كريم مشفق رحيم ولو نظر في التشريح أو في كتاب منافع الأضياء أو كتاب الحيوان أو كتاب النبات أو كتاب المعادن أو كتاب الآثار العالوية أو كتاب تركيب الافلاك وماشاكلها من الكتب والعلم والمعارف من وصف مصنوعاته وعجائب مخترعاته فانه كلما ازداد فيها نظرا ازداد بالله علما وبأوصافه الالتقاء به معرفة واستبصارا وإليه قربة وإلى لقاء الله اشتياقا فهذا هو الطريق ذات الجين للمؤدى سالكه إلى الله تعالى وإلى نعم جنانه به وأما الطريق الآخر ذات الشئال المؤدى الى الشكوك والحريرة والضلالة والعمى وهو أن يبتدىء الانسان قبل النظر في العلوم والآداب والرياضيات وقبل أن يحسن أخلاقه ويهذب نفسه بالكشف عن الأمور الجزئية الخفية للمشكلة على الحذاق من العلماء والفلاسفة فضلا عن غيرهم نحو معرفة ألم الأطفال وطلب معرفة مصائب الأخيار والبحث عن الأبناء وتيسير أمور الأشرار ولم زيد الخازم فقير وعمره العاشر غنى ولم جعفر النعماني أمير وعبدالله الحكيم حقير ولم هذا الرجل ضعيف والآخر قورى صحيح ولم هذه البعوضة صغيرة وهذا الجمل كبير ولم الفيل مع كبرجته له أربع قوائم والبق مع صغر جثته له ستة أرجل وجناحان ولماذا يصلح البق والضب والقرودان والبراغيث وأى فائدة في خلق الخنازير والوزغ وأى حكمة في خلق العقارب والحيات وماشاكل ذلك من المسائل التي لا يحصى عددها إلا الله ولا يعلم سواه عليها فاما الانسان فانه لا يعرف الحكمة في عليها الا بعد النظر في العلوم الالهية وهو لا يعرف الا بعد النظر والتفكر في الأمور الطبيعية وهو لا يعرف الا بعد النظر في الأمور العقولية وهو لا يعرف الا بعد النظر والتفكر في الأمور المنسوسة فمن لم يكن مرئيا بهذه العلوم والمعارف ولا متأدبا بها ولا صافي النفس ولا صالح الأخلاق فيبتدىء أولا يطلب الأمور المشككة التي تقدم ذكرها فلا يدركها ولا يسفلها فيرجع عند ذلك خاسرا متفكرا متحيرا غافلا بنفسه وسواسا في قلبه فينظر عند ذلك الى أمر العالم مهملات والتكاثرات بافتاق لا بناية حكيم ولا صنع صانع عليم أو يظن أن رب العالمين غافل عن أمره حتى يجرى فيه ما يليق بالحكمة أو يظن أنه لا يعلم ما يجري فيه أو أنه لا يفكر في هذه الأمور الجزئية ولا همه أو يظن أنه تاس قایل الرحمة والنظر

لضعف الخلق أو أنه جائر في صفاته وأحكامه متعب لخلق مفروط في تقديره غير عدل ولا حكيم في كثير من أفعاله لا يرحم الضعيف ومما شاكل هذه من الظنون والشكوك والحيرة والضلال التي قد تارة في طلب معرفته عقول كثير من العقلاء المتحمسين المرتاضين بالعلوم الحكمية فكيف غيرهم ممن ليست له راحة ولا معرفة بمخاطب الاسرار المعروفة وقيل إن حكيم الفرس يزجر جهر لما تفكر في هذه الأمور المشككة ولم يعرف عليها قال عند ذلك احتجاجاً لنفسه إذ قد تبين له بأن الله حكيم عدل فأن مصائب العباد اذن لعل لإعريفها أقرار على نفسه بالجهز عن معرفة هذه الأمور المشككة ويقال إن فينا اجتاز مرة بعين من الماء في سفح جبل فتوضاً منها ثم ارتقى إلى الجبل ليصل فينا هو كذلك إذ نظر إلى فارس قد أقبل على تلك العين فشرب منها الماء وسقى فرسه ثم ركب فضى ونسى عند العين صرة فيها دراهم ثم جاء من بعده راعي الغنم ورأى الكيس فآخذه ومضى ثم جاء بعده شيخ حطاب عليه أثر البؤس والسكنة على ظهره حزمة من الحطب ثقيلة حملها لخطا هناك حزمة واستلقى يستريح بماءه من شدة الضعف والتعب والريق والانبهار ففكر النبي وقال في نفسه لو أن ذلك الكيس مكانه لكان هذا الشيخ الضعيف أولى بأخذه من ذلك الراعي الشاب الغني القوي فما كان الا قبلاً حتى أن الفارس قسرجع إلى مكانة الذي شرب الماء منه وطلب الكيس فلم يجده فطالب الشيخ فأبى الشيخ وقال ما عندي خبر هذا فصر به وعذبه حتى قتله ومضى الفارس فقال عند ذلك يارب ما وجه الحكمة في هذه القضية وأين هذا من العدل فأوحى الله تعالى إليه إن أباً الشيخ قتل في الزمان الماضي أباً الفارس وكان على أبي الفارس دين لأن الراعي بمقدار ما في الكيس فأخذت القود ورددت الدين وأنا حكيم عادل . ولذلك يحكى أن نبيا من أنبياء الله تعالى اجتاز بنهر فيه صبيان يلعبون وبينهم صبي مكفوف وهم يفرصونه في الماء ويولعون به وهو يطلبهم ولا يظفر بهم ففكر النبي في أمره ودعا ربه أن يرد بصره ويساوي بينه وبين الصبيان فلما رآه الله بصرة ففتح عينيه ففهم فدعا واحداً من أولئك الصبيان فخلق به وغوصه في الماء ولم يفارقه حتى قتله وطلب آخر كذلك وهرب الياقون فدعا النبي حين ذلك ربه أن يكفهم شره فأوحى الله تعالى إليه وقال أتى قد فعلت ولكن لم ترض بحكمي وتعرضت في تدبيرى لخلقى فبين للنهي أن كل ما يجري في العالم من أمثال هذه الأمور فله تعالى فيه سر وقد ير وحكمة لا يعلمها الا هو . وقد أخبر الله تعالى في القرآن من حديث نبيين وما جرى بينهما من الخطاب في هذا المعنى أحدهما موسى عليه السلام وهو صاحب شريعة وأمر ونهى وحدود ورسوم وأحكام والآخى الخضر عليه السلام وهو صاحب سر وغيب وكنهان وكيف تعرض له موسى عليه السلام فما يفعله بواجب حكمة وكيف اعتذاره إليه لما لم يستطع معه صبرا وانحازا كرنا هذه الحكايات في هذا الفصل لأن أكثر الآراء والمذاهب تشعب من هذه الأمور المشككة التي فكر فيها العلماء وطلبوا عليها فلذا لم تبلغ أفهامهم كيفية معرفتها ففرقت بهم الآراء والمذاهب عند ذلك الأمن عصمه الله وهدي قلبه وعرفه كما قال - ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء - وقال الملائكة لأعلم لنا إلا ما علمتنا - وقوله - ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلمنا - اهـ

هذا ما اخترته من ذلك الكتاب . وها هو ذا أوضح لنا (ثلاث مسائل * الأولى) أن النظر في هذه العوالم يقر بنا إلى الله ويجعلنا مشتاقين إلى لقائه . ولن يتم ذلك لأحد من أهل الأرض إلا إذا استوتق من عجائب الطبيعة البهجة البديعة العجيبة . وهذه الخصلة هي نهاية حكمة الحكاء في الأرض . فإذا اشتقنا إلى لقاء الله كان الموت لنا سعادة لا حزناً وألماً إذ به يرى ذلك الذي أروانا شموسا جليلة وكواكب وجعل أضواءها سببا في نظام النبات وتنوعه بحيث يمد الجوع ويكسو الجسم ويبيح النظر ويؤتي السواء ويزيل الماء ويهيج حاسة الشم بالروائح وحاسة اللمس بالملموسات الناعمة . فهذا الصانع الحكيم الذي يبدع هذا الإبداع ويجعل شمسه العظيمة مواتية في تناجها لحواسنا ورغباتنا . إليه يشتاق المفكرون ولكن ليس كل من قرأ هذا المقال وفهمه تحسن نفسه بهذا النعم العلمي . كلا . مم كلا . فهذا المقال نفسه يقرؤه ألف واحد ولكن

الذى يقره حق قهره عدد قليل وهم الكاملون في العلم وغيرهم يسمعون من وراء حجاب لضيق الاستعداد - وقليل من عبادى الشكور - (المسألة الثانية) إن اشتغال النفس بالامور الجزئية من قوت وحياة وقر وغنى لا تعنى إلا الشكوك وظن السوء (المسألة الثالثة) ان العلماء المفكرين يحصل عندهم يقين بأن الجزئيات لها أسرار تخفى عليهم لأنهم لما نظروا في الكليات صارتهم يقين بأن صانع العالم ليس بزرقة بلا حساب وهو عدل في الجزئى كما انه ثبت انه عدل في الكلى . أما العامة فلما عجزوا عن البرهان للذكور فهؤلاء يقال لهم أمثال حكاية الفارس المذكورة وحكاية السبي الأعمى وحكاية الخضر وموسى عليهما السلام انتهت الطليقة الأولى والحمد لله رب العالمين

(الطليقة الثانية)

(في قوله تعالى أيضا - إنا زينا السماء بزينة الكواكب * وحفظا من كل شيطان مارد *

لا يسمعون الى الملائ الأطل - الى قوله - شهاب ثاقب -)

(كتب في صباح يوم السبت (٢٩) مارس سنة ١٩٣٠)

قبل أن نخوض في هذا المبحث الجليل أقدم مقامة فأقول : « لقد تقدم في هذا التفسير مرآة سقراط وتلميذه أفلاطون من أن هذه المادّة وماتركب منها لا يستحقان ولا يصلحان أن يكونا مناط العلوم ولا مسميين باسم الموجود . المادّة عندهم لا تصلح لموضوع العلم ، العلم ثابت دائم والمادّة متحركة غير ثابتة . هي دائماً التغير والتعريف أذبال الكون والفساد فكيف يتكلم عليه العلم ؟ وكيف تكون له مهدا ؟ »

هذه هي النظرية التى نستقها أفلاطون ، وجاء من بعده أرسطاطاليس فأقرّ هامن جهة وخالفها من جهة أخرى . فقال : « نعم المادّة لا تصلح لمناط العلم ، ولكنى لا أوافق أستاذى في أن العلم مناطه ومتعلقه هو عالم المثال . كلا . إذ لا يرهان عليه ، ولا أريد أن أطيل في هذا المقام لأنه معروف في سابق هذا التفسير وفى لاحقه إن شاء الله في (سورة القتال) عند آية - فاعلم أنه لا إله إلا الله - وإنما سقت الكلام في هذا الموضوع توطئة لتفسير الآية . ذلك أن القوم لما جعلوا المادّة لا تصلح لمناط العلم بل لا تصلح أن توصف باسم الموجود إذ الوجود لا معنى له إلا إذا كان دائماً ، أما الوجود المؤقت فما أقلّ ثقله وما أضلّ سعيه فوجوده عدم وعلمه جهل . هذا ما أردت أن أقدمه لتفسير الآية وعلى هذا الأساس أقول :

إذا كان العلم لا يبنى على المادام له . وكذلك الوجود فليكن هكذا الفرح ، فإذا فرح الناس بما لا بقاء له ففرحهم غرور وسرورهم غمّ ونعيمهم شقاء وغناتهم فقر . ولقد اعتاد هذا الانسان أن يفرح بالزينة المنصوبة في الأرض وفي السماء ، والزينة على قسمين : زينة طبيعية ، وزينة صناعية . فالزينة الطبيعية كالأزهار والأشجار والأنهار وجمال الحدائق الفناء وجداول الماء وجهاء الوجوه ومحاسن الوجود وجمال النجوم والشموس والأقمار وجمجمة الأججار الفينة ، كل ذلك جمال طبيعي لسكان هذه الأرض به يفرحون وبه في أوقات فراغهم ينشرحون . أما الزينة الصناعية فهى ما يصنعه الناس من زينة في ثيابهم ومنزلهم ومساجدهم ومعابدهم وما يزينون به نساءهم من المصانج والأقراط والخلخلة والخلل وما تزودان به ملوكهم من التيجان والقصور وما يقيمون من الزينة في الولائم والمسررات لمولود أوختان أو عقد زواج أو زفاف أو نصر على عدو أو لتتويج ملوكهم وأعيادهم أو حفلات دينية كالأعياد والمواسم التى اعتاد الناس أن يرضوا فيها الرايات وينصبوا الأعلام ويتعابوا بما يحلوهم من الملابس ويلبسوا كل ما غلا ثمنه وجل منظره ونشر الحصول عليه من الأججار الكريمة كالزبرجد والياقوت والماس والزمرد وأمثالها

هذه مجامع الزينة التى اعتاد الناس أن يظهرها في مواسمهم وفى أفراسهم الخاصة وهى تتبع في نظامها ثروة الذين قاموا باظهارها . فإذا كان المقام بتلك الزينة دولة من دول الأرض وكانت ذات بسطة ونفوذ وغنى

ممت سرادقتها وتلاذت أنوارها وازدهرت أفنان الأشجار ليلا بما يخلق عليها من أفانين الأنوار من أصفر
فلق وأخضر فاضر وأحمر قان وأبيض يقق ، ففرى الزينة تبهراً العقول تذكراً لحوادث وطنية وأحوال سياسية
أو أعياد دينية

هذه مجامع مايزدان به الناس في الأرض وبه يهيمون وله يهرعون ويضرحون . هذه كلها زينة الأرض
وكلها فانيات . أما زينة السماء فهي تلك النجوم الجميلة التي رصعها الله في الجوّ التي فوقنا ، فهي دائماً
باقية في أفراحنا وأحزاننا وموتنا وحياتنا ، فنحن في مصر في هذه الأيام قد كانت لنا أنواع من الزينات في
شهر مارس سنة ١٩٣٠ فيها ما هي تلك البلجيك ، ومنهلهما نفس ملك مصر بحيث ازدانت جميع العواوين
بالأنوار المتلاذلة وذلك في يوم أو بعض يوم ، وهكذا تمر الأعياد الدينية تلو الأعياد وينصب الناس الزينة لأجل
ولعة العرس أو الختان أو غيرها ثم تنتهي تلك الزينات ويرجع الناس إلى أعمالهم ، ولكن زينة السماء باقية ،
زينا منازلنا ومدتنا أم لم نزينها فزينة السماء الدنيا باقية ، فإذا أزيلت الزينة من الأرض فزينة السماء باقية
ليلاً ونهاراً وهي زينة بدية شمسها الوهاجة تجري ولا نظير لتورها في مصابيح زينة الأرض . وكذا القمر
والنجوم الثابتة والسيارة . فهذه كلها مضبوطة بجلة بهجة سارة للناظرين . زينة العرس تتلوها الماسم وكل
زينة نصبناها في الأرض يسبق الفرح بها رد فعل وهذا قوله تعالى - إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَرْحِينَ -

تأمل أيها القارئ ما تقدم بقسميه وهما زينة لا تدوم وهي الأرضية وزينة دائمة وهي السماوية ، ولاجرم
أن لكل زينة راضاً لها ومنظماً لها ومنظم الزينة المقيم لها غير المتفرجين عليها القرحين بها . فهنا ثلاثة :
منظم الزينة ، ونفس الزينة ، والناظرون لها . فغظم زينة الولائم في الأعراس أناس لم علم بانقائها والمدمعون
للفرح قوم آخرون ، فالسما وكواكبها من الزينة والملائكة هم المقيمون لها والناس هم الناظرون ، ولكن
ليس كل ناظر للزينة ينشرح بها صدره ، فالرجل الذي ساورته الحموم ، وأحاطت به القنوم ، وأرهقته الدبرون
إذا تمرّ باعظم زينة لا يحس بها فؤاده ، ولا ينشرح بمرآها صدره ، ولا يسر بمجموعها قلبه ، بل لا منزلة لها
عنده ، هكذا الناظرون إلى السماء أكثرهم لا يعقلون جاهلها إما للجهل أو لانصراف النفس لأمور عارضة
أو لتقص النظر أو لظفرة ، والنفوس الكبيرة تألف الزينة الباقية ، والنفوس الصغيرة تألف الزينة الفانية
* قال الشاعر

على قدر أهل العزم تأتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم

وعظم في عين الصغير صغيرها * وقصغر في عين العظيم العظائم

تري الأطفال والجهال والنساء ومن على شاكلتهم يفرحون بمبارون من زينة الأرض طبيعية أو صناعية
وهم للصناعة أميل لأن صانعها من أمثالهم من الناس ، أما الطبيعية فهي في المرتبة الثانية لأن صانعها ليس
من الناس ، أما الزينة السماوية فهم لا يفكرون فيها ولا هم منها يتجشبون لأنها من صنع الملائكة المسخرين
بأمر الله ، إن للملائكة علماً وحجلاً والعمل أشير له في الآلة بالزجرات زجوا ، وزجوا السحاب مثلاً فصل في المادة
وهؤلاء هم السطان على المادة فيتمصرفون فيها بالكون والفساد والانهاء والافناء والتصوير والابحاد ، والعلم
والعلم أشير له بالتاليات ذكراً ، أسمى الله بالصافات الزجرات التاليات وهؤلاء هم الملائكة كما قال تعالى في آخر
السورة في شأنهم - وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبوحون -

وأكبر مظاهر هؤلاء الملائكة تزيين السماء بالكواكب فهذا هو قوله تعالى - والصافات صفا * فالزجرات
زجراً * فالتاليات ذكراً - إلى قوله - إنا زينا السماء بزينة الكواكب -

عجب وألف عجب من فظم القرآن الحكيم ، يقول الله هنا - إنا زينا السماء بزينة الكواكب -
ويبعه بقوله - وحفظنا من كل شيطان مارد * لا يسمعون إلى الملائ الأعلى - الخ ولكنه لم يقل نظير ذلك في

قوله تعالى - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها - بل قال - لتبأوهم أيهم أحسن عملا * وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جزا - . فزينة السماء حفظها من الشياطين ، وزينة الأرض لم يحفظها منهم بل ابتلى الناس بها وفى الناس شياطين كما فى الجن كما قال فى آية أخرى - شياطين الانس والجن - ولاجرم أن العقول المظلمة من بنى آدم المتجسدين ، ومن الأرواح التى ليست من نوع بنى آدم فى الأرض لاتعقل جمال النجوم والشمس والقمر . كلا . ويناسب هذا قوله تعالى فى سورة أخرى - وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين - فزينة السماء محفوفة ، ونتيجة ذلك ما نشاهده فى بنى آدم ان أكثرهم لايقولون جمال هذه النجوم ولايشاققون لفهمها ولابحرصون على اكتناء كنهها ولا يتذكرون بها عظمة مبدعها ، فهذه الزينة فوق متناول عقولهم . أما زينة ملائكتهم وأعيادهم وأعراسهم وماشبه ذلك فهم بها فرحون ، ولها وامقون ، وعليها يحرصون

ومن هذا القليل قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين - الخ وقوله - حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وزاينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا - الخ وقوله تعالى - أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا - وقوله - والخليل والبغال والحمير لتركبوها وزينة - وقوله - ولاتعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا -

فهذه مجمل أنواع الزينات التى لبقاء لها ونهى عنها الخواص وأغرم بها الجهلة والعوام ، وهؤلاء مبعدون عن زينة السموات لالبعث فى العلية ولكن قصر نظرهم وضعف فطرم ، فتلهم كثر الأتيام إذ يتنعون أن يسطوا ما لهم حتى يلبثوا الخ ، أو كثر السفهاء من نحو النساء والصبيان الذين قال الله فيهم - ولاتؤنوا السفهاء أموالكم - الخ أو كثر الصالحين فى المدينة وقد خبي الكثر لها فأقام الخضر الحافظ عليه ليحفظ حتى يلبثا أشدهما ويستخرجا كنزهما

جالس أيها التقي من تشاء من بنى آدم فانك تستخرج مافى نفسه بالمعادة ، وسرعان ماتدرك أهو من الشياطين المدحورين ، أم من الملحقين بالملائكة للمكرمين ، فان كان نزاع الى معالى الامور مغرما بالامور العالية كاستئناء عجائب النظام العالم والكواكب مغرما مولعا بمبدعه مهجبا بتلك الآثار فاعلم ان هذا اذا سار فى سبيله صار أباً من الآباء الذين خلقهم الله فى الناس وفرق بينهم كأبنائه فهو ينفعهم ماديا وأديا كما أن الملائكة كذلك ولانعجب عنهم الأسرار الكونية الممكنة لأمثال أهل الأرض ما داموا أحياء

﴿ تبصرة ﴾

إن أنواع الزينة المنصوبة فى الأرض آفا فانا مذكرات بالزينة العلوية ، فالحكيم يحقر ما يبنى ولا يفرم إلا بما يبنى ، وما جال الوجوه فى الناس ولا أنواع الزينات فيها إلا أعراض زائلات مذكرات بالجمال الدائم والحياة الروحية الخالدة التى يذكرنا بها دولم الكواكب وأنوارها والشموس وأقارها ، فهذه بدوامها الممكن لها تقول لنا بلسان حالها : « كل زينة عندكم كاللعدم » وهذا يذكرنا بقول أفلاطون المتقدم : « إن الكائن الذى لبقاء له ليس جديرا بأن يكون مناط العلم ، بل ليس جديرا أن يستحق اسم الموجود » فهكذا هذه الطائفة الكيرة النفوس لاتبلى بالزينة العرضية وتوجه وجهها لازينة الدائمة التى حفظها الله لهم فلا يشاركهم فيها التوغاء . وهذا هو الأمر المدعش . زينة يراها البار والفاجر طالعة غلبة ولكنها لا يفرح بها إلا الأقولون

هذا ما فتح الله به فى تفسير قوله تعالى - والصفات دة * قالزاجرات زجرا - الى قوله - فأتبعه شهاب

ثاقب - مساء يوم الثلاثاء أول ابريل سنة ١٩٣٠ م

﴿ بهجة العلم ﴾

(في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظنا من كل شيطان مارد *

لا يسمعون إلى اللأطى - الآية)

(كتب في صباح يوم الاثنين ٢١ يوليو سنة ١٩٣٠)

توجهت ليلة السبت ١٩ يوليو سنة ١٩٣٠ إلى قرى الريف في المزرعة التي اعتدت أن أراقب أحوالها وبت مع الفلاحين هناك وأنا أشاهد النجوم في الحق الرائق البهيج الطيف ، فإذا رأيت ؟ رأيت بهجة الكواكب وجالها والنسبات تلعب بالأشجار والحشائش والزروع والفلاحون يتحدثون ويدبرون السواقي تنسق الجنات المعروشات من البطيخ والسناوى وأشباهما فساتين سائل : ما الذى نشاهده في السماء كأنه سحاب وليس بسحاب ؟ قلت هذه اسمها عندنا المجرة . فقالوا هي عندنا طريق التبانة لأنها أشبه بما في طرقكم من التبن . قلت هي عند علماء الدين أبواب السماء وعند العجائز الطريق اللبني وأخذت أذكر لهم عدد نجومها ولكنني ألقيت أن القوم لاتحمل نفوسهم هذه الجباب ، فلما ان انطلق همود الصبح وقال المؤذن « حى على الفلاح » خيل لى أن يد العناية العظمى القدسية امتنت جهة المشرق صباحا وقد أخذت تسدل على الظلام ستارا ، وعجبي من هذا الستار لم أره نظريا في الأرض ، ستاراهوم من صوف ، ولامن وبر ولامن شعر ، ولامن قطن ، ولامن تيل ، ولامن حرير ، بل هو ستار من نسيج غير النسيج الأرضى مرمع بجواهر جمعت أصناف الألوان من أحر وبرتقالى وأصفر وأخضر وأزرق ونيلى وبفسجى ، والمادة المنسوجة لاتراها العيون ، ولاتخيلها الظنون ، ولا يعرف كتبها المفكرون ، لم ينسج على منوالها الناسجون ، نسيج هذا الانسان فى مادة غليظة من الصوف والقطن الخ ونسيج رب الانسان فى موجود سماه الناس أثيرا ، كيف نسجه وهو لا يرى ! نسجه بحركات منتظمة ، حركات مرمعات تكاثرت واتحدت فصارت ذات مظاهر ملونة بالألوان السالفة ، فهذه هى ألوان ضوء الشمس فى عالم التأثير ولكل لون عدد خاص من الحركات فى الثانية . فبينما يكون عدد الحركات فيها (٤٠٠) مليون مليون لون المجرة اذا هذا العدد يزداد فى غيرها بالتدريج حتى يصل الى (٧٠٠) مليون مليون فى الثانية فى البنفسجى

أيها المسلمون : ههنا نسيج كالذى فنسجه على منوال لا تقدر على تقليده . منوال بديع . ما أجهل الانسان والحيوان فى الأرض . سبع نتائج تدخلت وامتنعت وكثرت ستارا واحدا ألقى على السماء فأخفى كواكبها وعلى الأرض فأبان مواكبها من جبال وبحار وأنهار وأشجار وزروع جيلات وأشجار باسقات تبارك الله : ستار واحد يخفى عالم السماء ونجومها ويظهر بهجة الأرض وجالها . إن الذى وضع هذا الستار بين العالمين العاوى والسفلى لجليل وبديع . يلقى على السماء وعلى الأرض ستارا وليس بستار يخفى النجوم وهو مظهر الجبال . بهذا الستار نجلى معنى القابض الباسط . فهاهنا قبض أنوار النجوم وظلام الليل فأصبنا لاتراهما وهكذا بسط الزروع والحقول والأنهار فأصبنا نراها

تباركت يا الله . انك أنت الذى علمت أصحاب دور الصور المتحركة (السبينا) كيف يقلدون ليك بالظلام ويقلدون نهارك بالضياء . فإذا أرادوا اظهار صور البلاد النائية والأمم القاصية والبلد البعيدة فلهم يقبضون النور ويسطون الشرائط التى رسمت عليها تلك الأشكال ويعرضونها الى نور ضئيل فأخذت الجباب تبرز للناس فى تلك الصور بهيئة عجيبة وهم فرحون لما رأوا من مناظر لم يروها ومعالم لم يهتدوا اليها كما تراك أنت فعلت مع الناس ليلا إذ تزيهم فى دجنات الظلمات كواكب وكواكب وتبر الحكماء والعلماء بياهر الجبال وبديع الصنع . فاولئك العلماء متى نظروا تلك النجوم هامت نفوسهم فى الحكمة والفلسفة . وهى يكون ذلك إلا فى الظلام

ومنظر النجوم. فأما أكثر الناس فأنهم يقولون أعينهم وينامون نوما عميقا فتظهر لهم صور وأشباح وأحلام. إذن الظلام يعطى النفوس الانسانية فرصة الحرية التي بها يجولون في عوالم الكواكب السماوية ويسبحون في بحار رجيّة من عوالم الأحلام وفي مواكب مختلفة مذكريات بسواف الأيام وأعاجيب الزمان ، فإذا قلد منعتك مديرو دور التمثيل بعض التقليد في تقليدك الليل والنهار فلكم قلد حيوانك بنو آدم في صناعاتهم كما تقدّم في ﴿سورة طه﴾ فعاشوا في الكهوف كما عاش الجردان تحت الأرض وفي الأدواح كما عاشت فيها الطيأة والمها واتخذوا بيوتا كما اتخذ النمل . وصنعوا القناطر والجسور لما رأوا (الكستور) وهو (الجنديداستر) يصنع سدودا لمنع قوة السيل . واتخذوا السفن في البحار لما رأوا السنجاب يركب خشبة في البحر ويجعل ذنبه مواجعا للرياح ليكون أشبه بالسكان (الدقه) التي تضبط سير السفينة . وهكذا رأوا الدّب السهالي يسافر في البحر على قطعة من الثلج واصطاد لما رأى الطليين البرى والبحري يعيشان على الصيد الى آخر ما تقدّم مما ذكر هناك وهي (٣١) صناعة قلد فيها الانسان الحيوان وأجاد واستفاد وأقلد . أما في تقليد الليل والنهار فقد أحكمه أيضا إذ أظهر وقت الاظلام مناظر الصور المتحركات كما تتحرك النجوم في مداراتها فإذا انتهى المور أبرزوا النور فتوارت تلك الصور كما تتوارى نجوم الليل اذا أشرقت الشمس صباحا وتحمى تلك الأحلام في دياجي الظلمات والعيون هاجمة والحواس خامدة والناس نيام

وانى لا أزال في حيرة من أمر هذا الستار الذى يلقى على الأرض فيظهر جمالها واذا رفع عنها أظلمت أرجاؤها وأوحشت ساحاتها

هيا هيا : لقد لمت لوامع النور من وراء ستار الظلام الدامس وأخذت أفهم الجواب بعد اللتبيا والى . ذلك أنه كلما كان الصانع أظلم كانت الصنعة التي هي أقرب اليه أظلم . فإذا كان صانع بني آدم يعلمون في كتاب وصوف وحبر والفلاحون في ماين وماه فان الشمس ذات الاشراق صنعت بيد العناية ذلك النسيج الذى تشوق عليه أرواح علوية . وأعلى من ذلك أن الأنبياء ينسجونه العقول بالدين والحكماء بالحكمة فالمصنوع الغليظ يتبعه صنع عوالم الحيوان والمصنوع اللطيف كضياء الشمس مناسب لاشراقها لأنها جسم نارى والمصنوع الذى هو أظلم من ذلك هو النسيج العقلى من العلم والحكمة فهو أرقى صناعة وأظلم من صنعة الضياء . وليس التاسع له أجساما حيوانية ولا شمسوا نارية . ولقد مر ما يقرب من هذه الخواطر في أول سورة الأنعام عند قوله تعالى - الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور - ولكن لم يخطر لي هذا السؤال هناك فهنا أجبت . ولكن التاسع لذلك أرواح وهي درجات بعضها فوق بعض - والله من ورائهم محيط - . لطفا من الله بالناس جعل سائرهم الضوق غاية في اللطف ونهاية في البهجة والجمال . لم يرهقهم بستان جسمية . أشرق عليهم بنوره . أناء لهم تارة وأظلم ليهم تارة أخرى اظهارا للرحمة والجمال . المنظر باهر وساحر ولكن الناس مسحورون بغيره . هم منزهون أناملهم الشهوات وأبعدتهم الحسرات . لو ان الناس أدرکوا جمال هذه الحوادث لانبهروا أشد البهر ولكن الحكمة قضت أن يكونوا في غمرة ساهين لاهين حتى يعيشوا أمدا ليقضى الله أمرها كان مفعولا

﴿ نظرى في مزعة قطن ﴾

فلما أشرقت الفزالة وملأت البطاح وتجلت المزارع أخذت أجول في تلك الأصقاع فصادفت مزعة قطن ولاجرم أن القطن أنخص مزارع بلادنا وعمد ثروتها . ولكنى نظرت اليه نظرة أخرى وكأني من عالم غير هذا العالم الأرضى وكأن الدنيا قد لبست ثوبا قشيبا جيلا

الله أكبر : الناس غشت على عقولهم العادات حتى قال الله - اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون - كلما كان الجبال أبهج كان الاعراض عنه أتم وأكثر . هذه مزارع القطن التي نمر عليها غدتوا وعشيا وفيها

لبلاب جبل وأنواع مزارع أخرى نظرت إليها إذا هي عجلة بالزهر المختلف الألوان . وهناك جوزات القطن ضمت فصوصها ضما لتحفظ في داخلها شعر القطن وبذره ، وهما هي ذه لإحدى الجوزات قد فتحتت بلحاح حوارة الشمس عليها وكأنهن جميعا يخاطبني قائلات : « انظري الزهورات الجليات ، وإلى الجوزات الخضراوات ، وإلى شعر القطن الذي فتحت عنه الأكام ، ههنا ملايس اليك نهديهما من شعرا لتضع عنك الحر والقر ، وهذه الزهورات جبال بسر الناظرين ، وهذه الجوزات اللاتي تحفي في داخلها شعر القطن والبذر ليضعنهما ويكمل خلقها ، كل هذه اليك ناظرة لاسيا الزهورات الباهرات الجليات وزهرات أخرى في أنواع الشجيرات الأخرى وأن الزهر الأحمر والأزرق والبنفسجي ناظرات اليك مسدات عليك ، وقد حليت كل هذه الأزهار وأوراقها بأقراط من اللبس وهبا لإياها قطر الندى ، فازينت الأرض بأجل زينة ، وازدانت بالبهجة والجبال ، وهنالك لم يسنى إلا أن أمسيح قائلا : يا الله أنت يجب أن تحبك لأن نخاف منك ، أفغ هذا الجبال كله يكون خوفا منك ، إن من جهلك أسق بالغوب منك ، ومن أظهرت له جالك أولى بحبك لأنك قربت ، وانما خوفا يكون لهيتك منك أو خوف بدمه عنك

فجبت لنفسي طربت لهذا الجبال مع ان ما ألقته النفس لاجبال له ، كم نظرت هذا في حقولنا وكنت أنا في زمن الشباب من زرعه ، فما هذا الذي ألبسه لباس الجبال في نظري الآن ؟ العقل الانساني اذا لم يزخره العلم عن مرقه في الصبا ولم يوقظه النظر والفكر بنى أسير العادات قليل النظر قليل الفكر ، فاذا استيقظ أدرك انه يعيش في بيئة من الجبال والبهجة والحسن والاشراق ، وأين كانت هذه المزروع ؟ كانت في المكان الذي فيه تخيلت أن البدر يخاطبني في وسط التخيل بالقرب من المرج بالقرب من القاهرة وذلك تقدم في (سورة فاطر) عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الخ وما أدري لماذا لم تسقيط نفسي ليلا سابقا ونهارا لاحقا إلا في هذا المكان ، ثم لماذا خارت هذه الخواطر في هذه الأيام ؟

الله أكبر : لقد تجلت الحقيقة واضحة ، أنا لم أتم ليلة واحدة في ذلك الحقل ولكني نمت هذه الليلة ، لماذا هذا ؟ عرفت الجواب أن ذلك لسر ظهر وسكته بهرت وهي انها جاءت لتفسير قوله تعالى في هذه السورة التي قد استعدت المطبعة لطبع تفسيرها في هذا الشهر (أغسطس سنة ١٩٣٠) أليس هذا هو قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بمصاييح - وهذه المصاييح ندعو العقلاء للتفكير في جلالها وفي حكمها وفي حسابها كما تقدم في (سورة يس) عند قوله تعالى - والششم تجري لمستقر لها - وفي سورة يونس عند قوله تعالى - هو الذي جعل الشمس ضياء - الخ وفي سورة الأنعام وفي سور أخرى كثيرة ، ويقول في آية أخرى - إنا جعلنا ماء الأرض زينة لها - الخ ويقول في (سورة الحجر) - وزيناها للناظرين - . إذن الله لم يزين السماء لمن ليسوا أهلا للنظر ، إذن الحكما في هذه الأرض هم الذين زين الله لهم السماء . أما الجهلاء فلم يزين لهم إلا شهواتهم ليعيشوا غالبا كما تعيش الأنعام وهم خامدون . إذن بهذا نفهم قوله تعالى - وجعلناها رجوما للشياطين - فشياطين الانس وشياطين الجن يعيشون ويموتون ولاهم يقولون جبال هذه الشمس ولا بهجة هذه النجوم وانما هم محبوسون . إن هذه هي التي أجراها الله على لسان العاتية في بلادنا المصرية إذ هم اذا رأوا سحبا منشورة في السماء مقطعة غير ملتزمة قالوا إن السماء مزينة وانما زينت لعالم مات . فهم يقولون إن العالم اذا مات زين له السماء أي زين لروحه اذا صعدت كما زين المدن لتقديم الملوك والعظماء ولكن في الحقيقة هي مزينة له في هذه الحياة الدنيا وهو الذي يفهم جلالها فاذا مات ازداد بصيرة في ذلك الجبال ففطرة العاتية قد ألت بطرف من معنى الزينة . فالأرض مزينة للحكماء والسماء والنجوم والجبال والشجر والدواب فهم أبدا في سعادة وحبور . وليكونن قراء هذا التفسير المغمومون بالعلم من أرقى هذه الطبقة في عالم الانسان . وبهذا انتهى المقال في تفسير هذه الآيات صباح يوم الاثنين ٢١ يوليو سنة ١٩٣٠ في نفس اللحظة

التي افترقت بلادنا فرقتين : فرقة أوصلت دار النبابة في وجوه الأمة . والفرقة الأخرى هي جميع الأمة المصرية فهؤلاء يريدون دخول البرلمان وهؤلاء يمنعونهم . وسر ذلك كله تدخل الأجانب في هذه البلاد . وذلك كله منشؤه أن رجال الشرق ينقصهم العلم والتعليم . وهأنذا أتت بما يجب علي وعلى كل امصري في بلاد الاسلام أن يقوم من التعليم بما ألهه الله وأفقره عليه . - والى الله ترجع الامور -

﴿ ماحقيقة السموات . وهل للنور وزن ؟ وهل للنور خالق ؟ ﴾

وإذا بقي دهر أطول أفلست الأرواح أحق بذلك ؟ ﴾

في يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو سنة ١٩٣٠ حضر مديقي العالم القدي اعتاد محادثتي في هذا التفسير فقال حسن ماقلت في هذا المقام ولكنني أسألك سؤالاً في نفس موضوع الآية . إن ما ذكرته هنا إنما هو وجدانيات قامت بنفسك فسطرتها والوجدان شيء والعلم شيء آخر ، وانك لم تذكر إلا الصبابة والعشق والفرام وبذلك إلا عواطف كمواطف العشق الانسانية الشائعة بين الناس وما كل امصري بهاشق لأن العشق استعداد ، فهل أنت على استعداد أن تحدثني في حقائق السموات ؟ فقلت حبا وكرامة . فقال حياك الله ، هل السماء مبنية شديدة ؟ فقلت أذكرك أيها الصديق بما مر في أول ﴿ سورة البقرة ﴾ عند الكلام على السماء وقد ذكرت هناك أن هذا العالم لا فراغ فيه فهو ملاءم بوجود سموه الأثير وهو موجود لأنه به يقوم الضوء والكهرباء والجاذبية فهو إذن موجود ، إذن عالم السماء موجود . فقال حسن هذا وأنا أذكره وأذكر انك أثبت هناك عدم الفراغ يبرهاين . برهان القسماة القائل : إن هذا القدي سميناها فراغا لا يتخلو ما رآه فيه من النور والظلمة من أحد امرين اثنين : إما أن يكون أجوهرين ، ولما أن يكونا عرضيين أو أحدهما عرض والآخر جوهريان كانا جوهريين فالسموات إذن موجودة وإن كانا عرضيين أو أحدهما فالعرض لابد قائم بجوهر إذن ثبت انه لا فراغ وأن السموات موجودة فعلا ، هذا ماقلته أنت إذ ذاك عن القسماة ، وأما المحدثون فانك أثبت قولهم بأنهم استدلوا بأن التفراف السلبي والذي لاسلك له كلامها محمول وهل الحامل يكون معدوما ؟ إذن هو موجود . إذن القسماة والمحدثون مجمعون على ذلك ، فالسماة المذكورة في الآية هنا موجودة ، فأنا الآن لا أسألك في وجود السماء وقد عرفت فيما تقدم في هذا التفسير وإنما سأولى هل هي مبنية وهل هي شديدة ؟ إن البناء لا يكون لما هو كائنا ل . وهل خيالنا مبنى ؟ وهل خيالنا متين قوى ؟ وهو يفتي حالا . فقلت : هل الأثير خيال ؟ فقال أنت عبرت بهذا القول سابقا فقلت انه كائنا ل . فقلت : سأبرهن لك على أن الأثير قوى متين وعلى أنه أقوى من أبينتنا وكل بناء عرفناه . فقال ياليت شرعى كيف يكون ذلك ؟ فقلت : أيها الصديق . ألسنت نعلم بأن هناك قوة جاذبة بها تجذب الشمس ماحولها من السيارات وأرضنا منها . فقال أسلم به لأنها قضية مسلم بها . فقلت : لو أني أنا وأنت وأنتس آخرون معنا حاولنا أن نخرج صخرة من مكانها وربطنا فيها حبلا وأخذنا نجري ذلك الجبل ونحن عصبه أولو قوة وزحزحنا هذه الصخرة . وأخذنا ندير بها أدوارا منتظمة حول محور فإذا قول في هذا الجبل القدي به جذبتنا هذه الصخرة أضعف هو أم متين ؟ قال بل قوى متين . قلت فإذا جذبت الشمس كل سياراتها بقوة الجاذبية القائمة بالأثير أفلا يكون الأثير قويا متينا بنسبة هذه الأجرام . أفلا يكون نسبة هذا الأثير إلى الشمس والأرض كنسبة الجبل إلى عصبتنا والصخرة المذكورة قال بلى والله هذا حق . قلت إذن ثبت أن عالم الأثير أقوى من البناء وأمن شيء عرفناه في الوجود . فإذا سمعنا الله يقول - والسماء بانيها بأيدى وأما لموسعون - وسمعناه يقول في ﴿ سورة النبا ﴾ - وبنيانوقكم سبعاً شدادا - فانا نقول هذه الحقيقة ياربنا لم يتجمل لنا بعض معناها إلا في هذا الزمان لأن الناس عندهم شكوك وأوهام في هذا الموضوع . فقال إن هذه المسألة لم أسمع لها جواباً شافياً إلا الآن . فقلت فلتحمد الله على العلم وعلى الحكمة . وهذه تكمل ما نقصنا من العلم في تفسير بسملة (ص) فقال لم أفهم مرادك . فقلت لم تقل

هناك ان الانسان له قوى علمية وهي الحواس الخمس والعقل وقوى عملية وهي اليدين والرجلان وأن الحواس بها عرف الناس ماحولهم ووصفوا لما قرب من الكواكب وأن المجاهر والمناظر المعظمة التي أسداها العلم لهم زادت علونهم . فقال بلى تقدم ذلك . فقلت والعقل اقتصر الصور بالحواس فكانت العلوم الطبيعية وصور المقادير فكانت العلوم الرياضية وأن الآلات الجارية على الأرض مساعدت للأرجل وهكذا الطيارات والسفن وهكذا جميع الهلات والآلات المتحركات مساعدات الأيدي في أعمالها . قال عرفت ذلك . فقلت بلى شئ واحد لم تذكره هناك ولكن هنا عمل ظهوره . فقال وماهو ؟ قلت إن اللسان يوصل العلوم كما قلنا هناك . ونقول هنا انه يستخدم الهواء وينوب عنه التفريغ السلبي والتي لاسلك له والتلقون . قل هذا حق . قلت ولا واسطة لمساعد اللسان المذكور إلا الأثير . قال حق . إن هذا البرهان وكل ما ترتب عليه حسن ، ولكن اذا عضدته ورسخته بكلام علماء الفن يكون أهدي سيلا وأقوم قبلا وأوضح تأويلا . فقلت انهم يقولون إن كثافة الأثير هي ألف طن للأبتر الواحد والطن نحو ٢٢ قطارا ، إذن كثافة المليمتر الواحد من الأثير تعادل نحو ٢٢ ألف قطار . فقال يا لهجب : هذه كثافة لانظيرها في كثافة ما نعرفه من الحديد والرصاص والحجارة وحقا ان الذي به تجذب الشمس سيارتها يجب أن يكون كذلك ليتحمل ذلك كله ، وانظرا مكتبة بعض المجلات العلمية وهو المقتطف في شهر ديسمبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان الآتي وهذا اسمه :

(تحول الآراء في الأثير)

(من نيوتن إلى أينشتاين)

مهما يكن تصور نوع النضاء الذي يحيط بنا صعبا . ومهما تختلف الآراء في نوعه وحدوده الهندسية ومهما يكن تقصيرنا عن ادراك كنهه وحقيقته . فإن له صفات طبيعية خاصة به يمكننا درسها ومعرفة بعض قوانينها . وعليه لا يمكننا أن نسميه فضاء خصب . بل علينا أن نطلق عليه اسما يرم على خواصه الطبيعية أو بعض هذه الخواص . وأول من بحث في هذا الموضوع بحثا دقيقا وسمى هذا المجهول بالأثير كان الطبيب الانكليزي العظيم السير اسحق نيوتن . يستحيل علينا أن نصف صفات الأثير الطبيعية بالدقة التامة بالتعابير والمصطلحات التي نستعملها لوصف خواص المواد الارضية . لكننا لانستطيع غير هذا السبيل فنضطر إلى استعمال هذه المصطلحات لكوننا لانعرف سواها . وفي مثل هذه الحال يجب علينا أن نبقى متذكريين اننا لاتعبر عن الحقيقة بالصفة التامة ولكنها تفعل ذلك لو كان الأثير مادة عادية . نحن نتكلم عن مرونة الأثير وكثافته مثلا . فبأي حق نفعل ذلك ؟ ليس الأثير مادة عادية كوادنا لننسب اليه صفاتها . ومع ذلك نقول ان كثافة الأثير هي ألف طن للأبتر المكعب . ومرونته تساوي حاصل ضرب كثافته في مربع سرعة النور . وبهذا نفى أنه لو تحول الأثير مادة لكانت له تلك الكثافة وهذه المرونة . يمثل هذه التحفظات يمكننا أن نستعمل الاصطلاحات العادية لتعداد خاصيات الأثير المعروفة فنقول :

(١) الأثير شفاف

(٢) » عديم الاحتكاك بالمواد

(٣) » عظيم الكثافة

(٤) » تام المرونة

(٥) » عديم الحرارة

(٦) » عديم الصوت

(٧) » موصل حسن للجاذبية والنور والامواج الكهربائية - المضطيسية

(٨) » وسيط لتلاصق دقائق المادة وتماسكها

(٩) الأثيروسيط للجاذبية الكيماوية (أو الالفة الكيماوية)

(١٠) « بلاك كل فراغ من المادة . اه ماجاه في مجلة المقتطف

لست الساعة بصدد أن أوضح :

(١) نظرية نيوتن الذى اضطر أن يفرض وجود الأثير حين عرف خاموس الجاذبية العام وقال « لا تصور

أن قوة هائلة عظيمة تنقل من الشمس الى عوالمها بدون موصل لهذا التأثير » (لذن هو جبل يوصل الجاذبية كما قلنا في الجبل الذى جذبت به صعبنا الصخرة فيما هتتم)

(٢) ولا يصدد أن أذكر (هويجنس) الذى يقول : « إن الأثير مؤلف من ذرات في غاية الصغر سرية الحركة ثقيلة الوزن عظيمة الكثافة ، وما النور الاموجيات فيه لأنه ذرات كما قال نيوتن »

(٣) ولا أنا في مقام شرح نظرية (فرنل) الفرنسى الذى جعل الأثير مختلف كثافته باختلاف مواقفه

(٤) ولا في مقام آراء كونتى فيه الذى يؤيد وجوده بسبب ما نراه من الظواهر الكهر بائية والمغناطيسية في الأرض

(٥) ولا أنا الآن أود أن أشرح نظرية (جورج توكس) القائل « انه سائل شفاف عديم الاحتكاك بالأرض والسيارات عند حركتها فيه ولكنه صلد قوى متين عند ما تنظر اليه من جهة اتصال

الجاذبية والنور » وقد أيد هذا رأى (السرأوليقرلودج) بالتجربة وهكذا

(٦) نظرية (ماكسول) إذ قال بلرونة والكثافة فيه وأن المرونة تساوى حاصل ضرب الكثافة في ربع درجة النور

(٧) وغالب العالم (أمايقن) هؤلاء العلماء في الكثافة وهكذا

(٨) العالم (ماك كولاغ) فانه قال « انه لا يقبل الضغط »

(٩) والعالم (ايفشتين) يقول : « انه خيال من الفضاء والوقت يصعب على من يتعمق في الرياضيات أن يدرك كنهه »

أقول : أنا لست في مقام شرح هذه الأقوال وإنما المهم الاتفاق على الجعول المتقدم المحترم عند جمهور هؤلاء العلماء وغيرهم . لذن ثبت هنا أن السماء أولا موجودة . ثانيا انها أشد الأبنية وأمتنها وأقواها . ثالثا ظهر بهذا أن اشارات القرآن أصبحت اليوم واضحة جلية في العلوم الحديثة ، فإذا كانت السموات بناء وإذا كانت شديدة فيها هوذا أصبح واضحاً جلياً . فهل كفلك ماسمت عن علماء الفن ؟ فقال كفى والحمد لله أقول : لقد مررت الاشارة الى هذا الموضوع في غير هذا المكان والايضاح هنا أهم

﴿ هل للنور وزن ؟ ﴾

ثم قال : ولكنى أريد أن أسأل في النور . لقد سمعتك تذكر أن النور حركات في الأثير والحركات لا تكون إلا بقوة دافعة والقوة الدافعة تحرك الميزان ستا . لذن النور موزون ، ولكنى ماسمت أحدا يقول ذلك . فقلت له : انه موزون وله ثقل . فقال : كيف ذلك ؟ فقلت : هاك ماجاه في بعض المجلات العلمية وهذا نصه :

﴿ أربعة ملايين طونولامة من أشعة الشمس في الثانية ﴾

(هل النور له وزن ؟)

يقول العامة « ضربه الشمس » كأن أشعتها تشتمل على مادة تضرب بها الاشياء . وما أقرب هذا التعبير الى ما اكتشفه العلم الحديث في هذا الشأن فهو في الواقع - حقيقة وليس بالجاز كما يريد أن يفهمه الناس . ولكن اذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون للأشعة وزن كسائر الأشياء المادية فقد برهن العلم محققا اكتشاف

﴿ازدياد بهجة العلم﴾

(في قوله تعالى أيضا - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب -)

﴿ وصف الكواكب وبهجتها وأنا في الحقل ليلا حتى مطلع الفجر ﴾

الهم إنك أنت الخلق القيوم ومن حيالك استمتعت العوالم حياتها ، ومن علمك استمتعت علمها ، ومن قدرتك استمتعت قدرها ، ومن جبالك استمتعت جبالها ، أنت الذي نقشت لنا السماء ، ونقشت الأرض ، وزخرقتها بزخرفك ، وأزنتها بنورك ، عجبت للنقش والرقش والجندرة واللايداع في تزويق الأرض بنباتها وجبالها ، وفي تزيين السماء بنجومها وشموسها وأقمارها ، لنا عقول تظهر لنا أنها كبيرة جدا بدليل انها مستعدة لأن تفهم بعض مصنوعاتك

ولعلنا كنت مشوقا أن أنام في العراء ليلا لأشاهد جبال النجوم قبيل الفجر وهي طالعة فوق الحقول والجبال والصحارى والقفار . كنت أود ذلك كثيرا ، ثم أنا أشاهدها كل ليلة فوق سقف المنزل ولا حاجز بيني وبين النجوم وجبالها ولكن أين القريا وأين القرى وأين منظر النجوم في القاهرة حيث المنازل والأبجزة المتصاعدة ودخان الآلات البخارية وبين منظرها في الخلوات ، ولقد هيأ الله لي هذه الفرصة الآن لأصف في هذا التفسير تلك المناظر الجلية أيضا بقوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - فتوجهت الى مزرعتنا بجهة المرج وهي الى الجبل الشرقى أقرب وليس وراءها إلا الصحراء والجبل فبت بعض الليالي هناك في نفس الحقل في أواخر شهر يوليو سنة ١٩٣٠ واستيقظت قبل الفجر فاذا رأيت ؟ رأيت زينة حقيقية ، ياسبحان الله : نحن نشاهد فيها يقيمها الناس من الزينة في الولائم العاتية وأفراحهم والموائد التي يحتفلون بها مصاييح يوقدون فيها ويضعونها صفوا منتظمت ، وإذا هبت الريح أخذت تلك المصاييح تضطرب اضطرابا يكسبها جمالا على جمال ، فها أنا ذا في هذه الليلة لطاعت فنظرت المصاييح السايبة تهتز ربا وقد ظهرت بهيئة لم أعهد لها في المدن ولا في القرى ، فلكم رأيت النجوم ليلا أيام الشباب وأنا في قرينتنا كنفروض الله سبحانه وهكذا في القاهرة ، ولكن هنا في الجبل والصحراء والحقل تبثت لي راقصة ضاحكة مستبشرة ، ما أبدع هذا المنظر ، إن فرق ما بين الثوابت والسيارات أن الأولى كثيرة الاضطراب أما الثانية فهي لا اضطراب فيها وإن كانت أكبر حجما في نظر العين ، وما أكثر الثوابت وما أقل السيارات ، لذلك كان ذلك المنظر أسمى أجمل مارأته عيني في الحياة وخيل لي أنني في جنة عرضها السموات والأرض ، مبدعة أبما أبداع ، متقنة أبما اتقان ، قد أنشئت وأسكن للنظرين ، وحسنت ولكن للعالمين (بكسر اللام) وشعرت نفسي كأنها كانت في هذه الساحات الجلية وقد أبعدت عنها بفروانها رجعت الى مستقرها وفرحت بالرجوع الى وطنها . ومن العجيب أن الزراعيين قد يبيتون في الحقول كما بت ، بل بعضهم نام في الحقل معي . هذه المناظر أمامهم ومع ذلك لا تحرك فيهم ساكنا ولا توقف فيهم ذاسنة فالجبال تظلم والحلجان باهرة وأكثر أهل الأرض لا يدرون فيينا أرى الثريا قد أخذت تشرق طالعة اذا البران ذو النور الأحمر قد تلاها وقد ساق أماءه : وما بهيئة ضلعي مثل ووراءه من الحقعة ثم المنعة ونجوم الجبل التي يبرعها بالجوزاء فأذكرني ذلك ما جاء في «صبح الأعشى» من وصف هذه النجوم فأجيب ذكره وهاهوذا تحت هذا العنوان

﴿ الصنف الثاني : نجوم منازل القمر التي ينتقل فيها القمر من أول الشهر الى الثامن والعشرين منه ﴾

ونكتفي من هذا الفصل بما نحن فيه إذ ذكر الشرطين والطين ثم أتبعهما بذكر الثريا فقال مانصه :

﴿ الثريا ﴾ ويسمى النجم علما عليها ، وبه فسر قرله تعالى - والنجم إذا هوى - وهي ستة أنجم صغار يظنها بعض الناظرين سبعة أنجم ، وهي في شكل مثلث متساوي الساقين ، وبين نجومها نجوم صغار جدا

كارشاش ، ومطلعها الى الشمال عن مطلع الشرطين والبطين ، وأول ما يطلع منها ويغرب هو الجانب العريض دون الأخاذ منها ، وهي عند أمهاب الصور بالقرب من محل ذنب الثور المنقطع . قال ابن يونس : وليست من صورة الثور ، وبعضهم يسميها آلية الحبل لقربها منه

(الديبران) ويسمى تالي النجم لكونه يطلع تلو الثريا ، وربما سمي حادى النجم لذلك ، ويسمى أيضا المجدح وعين الثور ، وهذه الميزة سبعة أنجم تشبه شكل الدال ، واحد منها مضى . أحر عظيم الثور ، واسم الديبران واقع عليه في الأصل ثم غلب عليه وعلى باقى الميزة . وهذه الكواكب السبعة عند أمهاب الصور هي رأس الثور ، وأول ما يطلع منه طرف الدال ، ويصكون رميها إلى الجنوب وفتحها إلى الشمال ، والكوكب الأحمر المضى هو آخر ما يطلع منها ، والعرب تقول للكوكبين القرييين منه : كياه ، والباقي غنمه وربما قالوا . قلاصه ، ويقولون في خرافاتهم . إن الديبران خطب الثريا إلى القمر فقالت : ما أصنع يسبروت ؟ فساق إليها الكواكب المسميات بالقلاص مهرا ، فوبرت منه فهو يطلبها أبدا ، ولا يزال تابعها ، ومن ثم قالوا في أمثالهم : أوفى من الحادى وأغدر من الثريا .

(الحقعة) سميت بذلك تشبيها بدائرة تكون في عنق الفرس ، يقدم القول عليها في الكلام على أوصاف الخيل ، وهي ثلاثة كواكب محيية صفار تسمى الأنثى . وهي على أعلى القدم اليسرى من التوهم المعبر عنه بالجوزاء . اهـ

أقول : ومن أجل المناظر ماسماه الحقعة وما عبر عنه بالجوزاء . نظرت فرأيت هذه النجمات تايها بنجوم دقيقة ممتدة في نظر العين قد صنعت قوسا بديعا جيلا واسعا بهجا كأنه عقد من الماس رصعت به السماء فأبهج وزاد جمالها . ثم نظرت وراها إذا أنا بنجوم الجوزاء التي يسمونها الجبار وهي أضوأ النجوم في نظر العين فهناك ثلاث نجوم من القدر الأول وأمامها نجوم أخرى تصنع معها ما يشبه زاوية حادة ويسمىها العامة الميزان تشبيها بميزان الباعة في بلادنا . ولقد وصفت نفس هذا المنظر في السنة الفاتية في نفس هذا التفسير في تفسير البسملة في بعض السور التي تتلو سورة العنكبوت ولكن وصفها في هذه المرة جاء في الحقل لافى المنزل وتلا ذلك ما نقلته من كتاب «صبح الأعشى»

إن في الحقل لتسعا للخيال . تبدو للمناظر العين وتسمع الأذن طنين الحشرات فكأنها حفلة جعت مايسر العين ويبهج الأذن . انهاجئة هجئت للفكرين الذين يقولون قوله تعالى - ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح - الألفاظ لتلك المدرسون وتلك السمين مدارس في الحقول ليدرسوا الحقول والحدائق والأنعام والبهائم والأنهار والجبال نهارا ويدرسوا النجوم ليلا والافليعلوا انهم عن ربه معرضون وعن الرقى في الدنيا والآخرة مبعدون . ولن يذهب ما كتبت عن هذه المناظر سوى سيشهد ما شهدته التلاميذ والمدرسون - تعرف في وجوههم نضرة النعم - ولكم بانهض في ذلك المتنافسون -

وهل هذه المناظر يتف جهالها عند ما ذكرناه ؟ كلا . أوليست الجوزاء هي التي كشف العلماء اليوم كما تقدم في هذه السورة آقا أن بعض نجومها أكبر من الشمس (٢٥) ألف ألف مرة ، ومعالم أن شمسنا أكبر من أرضنا ألف ألف مرة وثلاثة ألف مرة ، ويقولون إن ضوء الشمس بالنسبة لضوء ذلك الكوكب من الجوزاء المذكورة أشبه بنور الجبابح بالنسبة لضوء الشمس ، إذن الجبال الظاهري التي تمتع به هذه الليلة ليس شيئا مذكورا بالنسبة للعلوم المتدخلة في هذه المناظر . إذن الدنيا فيها مفاتيح الجنة ، فأول مفاتيحها جبال الظواهر وبابها العلوم التي عرفها نوع الانسان وراء هذه الظواهر والعلوم هي السعادة بل هي مفتاح الجنة . ومن لم يشعر بالسعادة العلمية في هذه الحياة فكيف يسعد بالنظر الى مبدع هذا الجبال اهـ

﴿ استحل عقول الناظرين من الأمم ﴾

انظر الى البدوي في العراء المذكور في «صبح الأعشى» كيف وقف أمام الدبران والثرى والقمر وتصور في نفسه أن القمر خاطب والثرى مخطوبة والدبران هو الذي ساق بأمر القمر النجوم السبعة لتسكون مهرا ، فهذا تصور لطيف اشرعه الرجل من أحوال الانسان واخترع للسماء نظاما كنظم أهل الأرض فيه الأحوال الاجتماعية ، وثارة يقول قائلهم :

أليس الليل بجمعى وسلمى * وإيانا وإياها تداى

فهنا تخيل الليل خيمة قد جعلته مع سلمى وإن تضاءت الليل ، ومرة نسمع قائلا يقول من المتأخرين من الأمم الاسلامية العربية :

يا ليل طل يا شوق دم * إلى طي الحلالين صابر
لى فيك أجر مجاهد * إن صح أن الليل كافر
يهنيك بدرك حاضر * ياليت بدرى كان حاضر
حتى يبين لناظرى * من منهما زاه وزاهر
بدرى أرقى محاسنا * والفرق مثل الصبح ظاهر

وأونة نسمع آخر يقول :

سل يا أبا البدر نجم الليل عن سهري * قدرى النجوم ولا قدرى الورى خبرى
ونسمع آخر يقول في ممدوحه وذلك في حسن التعليل في علم البديع :

لوم تكن نية المجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد متعلق

فالبديوى في البداية كان خياله أقرب الى الفطرة ، أما المتأخرون فان خيالهم نزل بالمنظر السماوى الى اللذات اتى ملكت على تلك الأجيال مشاعرهم إذ ملكوا زمام الأمم وأغنتهم الفنائم باتساع الملك وكثرت لديهم الجوارى الحسن من الأمم فأخذوا يتغزلون وجاراهم في ذلك علماء اللغة وكلما زادوا ابداعا قيدوه بجهلوه من العلم ، ولم يفهم ذلك حتى تخيلوا تلك النجوم قد تنزلت فصار من خدام ملوكهم الذين يمدحونهم ، ولماذا هذا المدح ؟ ذلك لأجل الجوارى اتى يأخذونها من مال الدولة بلامقابل إلا ذلك المنح ولكن الله كأنه يقول : لما زينا السماء للناظرين المفكرين فأما أن تكون النجوم لأجل الفزل أولا لأجل الزلف للبلوك فذلك كله خيال الشعراء - والشعراء يتبعهم الفناون -

إن شعر الأئمة وخیالها يدلان على درجتها ، وهذه الأمم العربية المتأخرة نسبت أصل الفضائل وأفرطت في اللذات فرجعت الى باديتها حتى تستقيم أجيالها ككرة أخرى ثم باتى لها من يوقظها ككرة أخرى ، وهذا المقام أوهمته في ﴿سورة الشعراء﴾ عند تفسير هذه الآية وذكرت هناك ما قاله سديوالفرنسى أن مجموع الشعراء عند الأمم العربية الاسلامية أكثر من مجموع الشعراء في الأمم كلها ، ولكن الافراط في الشعر عند المسلمين في الأندلس والتفكر والتقل عند الاسبانين جعل الآخرين يغلّبون الأولين ولله في خلقه شؤون وقد ذكرت هناك أن ذلك من معجزات القرآن في آية الشعراء ، والله زين السماء للناظرين وقال :

- إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - ولقد ابتلى الله آباءنا العرب لما عظم ملكهم واستولوا على فارس والروم فانصرف متأخروهم عن بهجة عاوم الكائنات الى بهجة الغلمان والنقيات وابتدأ ذلك في عصر بنى أمية وعظم في عصر بنى العباس ، وانظر ما جاء في الجزء الأول من كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » وهذا نصه :

كان الشاعر الجاهلى يقول الايات تغزلا في حبيته يعبر بذلك عن حبه أو مانكته جوارحه من العرام

أو الشوق ولا يشب في غير حبيته أو خليفته وقد يسميها بغير اسمها . والغالب أن يكنى عنها بأحدى عرائس
الشعر ثلاثا يعلم أهلها بتشبيبه فيمنعوه من الزواج بها . لأنهم كانوا شديدي الغيرة على النساء حتى أن أحدهم
إذا سطا عليه عدو وخاف على حياته منه عمد إلى امرأته أو حبيته فيقتلها غيرة عليها من أن يمسها سواء بعد
موته (١) ويندر في الجاهلين أن يشب شاعرهم بغير حبيته . وإذا فعل فلداع فوق العادة كما فعل دريد بن
السمعة إذ رثى أخاه قصيدة صتورها بأبيات غزلية (٢) وقد رأيت الشعراء العشاق في الجاهلية يعدون على
الأصابع فأصبحوا في العصر الأموي أضاعف ذلك وأكثروا من وصف الحب وأعراضه وأحواله

وذلك طبع في الأمة بانتقالها من البداوة إلى الحضارة وخصوصا إذا كان ذلك على أثر الفتوح وفيها
الغنائم من السبايا فيصيب الرجل منهم جارية أو يضع جوارق كل معركة ملكا حلالا له . وكانت السبايا في صدر
الاسلام كثيرات وأكثرهن من الروم والفرس . والقائمون يبعونهن أو يستخدمنهن في حاجات المنزل
ويستبقون الجيلات منهم للقسرى فتعرت القلوب وتبعت القرائع للواضيع الغزلية وصار الشعراء يشبون
بالنساء الجيلات . وكان الخلفاء الراشدون يعدون ذلك خروجا عن حرمة الأدب فجعلوا التشبيب ذنباً يستوجب
القصاص . وكان عمر بن الخطاب لا يسمع بشاعر يشب بأمرأة إلا جلده (٣) فلما أفضت الدولة إلى بني أمية وقد
انتقلت عاصمتها من المدينة إلى دمشق وكثر الاختلاط بالأعاجم وأخذ العرب بأسباب الحضارة وذهبت هيئة
العفة من نفوسهم واهتفت شدة الراشدين في المحافظة عليها هان عليهم التشبيب فأكثروا منه ولا سيما في المدينة
لأن أهلها من أسبق المسلمين إلى التصف والهول لقيام بعض أبناء الصحابة بين أظهرهم وقد أفرقهم معاوية
بالمطايا والرواتب ليشغلهم باللهو عن طلب الملك فكانوا ينفقون الأموال على المغنين ونحوهم فكثرت الهوى في
المدينة وسبقت آثار المدائن الإسلامية إلى الغناء وشاع التصف بين أهلها وتجروا الشعراء على التشبيب بغير أحبائهم
وجاء في هذا الكتاب أيضا في موضع آخر ما نصه :

كان في المدينة على عهد معاوية طائفة من أبناء الصحابة يخشى قيامهم للطائفة بالخلافة كما فعل أحدهم عبد
الله بن الزبير فاهمهم معاوية بالمطايا وقيدهم بالاحسان ووسعهم بالخلم فركنوا إلى الفتح بالدنيا من طعام وشراب
وسباح . ينفقون في ذلك الأموال وهي تتدفق عليهم من خزائن الشام . فلما تولى عبد الملك بن مروان (سنة
٦٥ هـ) كانت المدينة قد أصبحت مسرحا للهو والغناء ونبع فيها طائفة من المغنين وتكاثر فيها الخنثون وأهل
الصف إلا من كان فيها من الحفاظ والقراء اه المقصود منه

أن لا ترى أيها القارئ أن فساد الأمم العربية في القرون المتأخرة إنما حصل بكثرة الافراط في الذات والانحراف
في سلك الترف والتمتع الذي هو آفة العمران ، فالخلفاء الراشدون كما رأيت منعوا التشبيب وبنو أمية أباحوه
والعباسيون أعظموا أمره ، ألا ترى معي أن الاسراف في ذلك نجم من الاسراف في مال الدولة وفي الانقياس
في الذات وهذا وذاك أبعد المسلمين عن معرفة جلال هذه الدنيا لأننا بين جالين : جال يقصرنا على الشهوة
الحيوانية وهو ما رأيت ، وجال يفرحنا ويشرح صدورنا بجمال العالم ومعرفتها والعروج إلى الله بمعرفتها ،
فإن غلب الأول انحطت الأمة ، وإذا غلب الثاني ارتقت ، وهذا معنى - نلباهم أيهم أحسن عملا - فالأرض
مزينة بالجمال وكل يصيب منه ما استعمله . وكتاب الأغاني الذي انتشر في الخلفاء من أسباب كثرة الفجور
وسقوط الأمة الأندلسية لأن أبناء الأشراف هناك كانوا يقرؤن للمعاصرات المنحرفة عن مبادئ العباسيين وعشقهم
للجوارى ومعاقرة بنت الحان فظنوا ذلك حقا فاستقوا تلك المذاهب فهلكوا . كل ذلك داخل في معنى
- لما زينا السماء الدنيا - الخ ومعنى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها نلباهم أيهم أحسن عملا -

يا أمة الاسلام : هذبوا الأدب العربي . لا تلقوا بالكتب المورثة بين أيدي شبانكم . عشقوهم من إبان

مفرهم في جبال السماء وجبال الأرض لافي الغزل والتشبيب . احذروا هذا الأدب فانه أدب ضال . فليروا
الأشعار الفاضلة لا الغزلية كآيات عمرو بن كلثوم في الفخر في معلقته إذ يقول :

إذا ما الملك سام الناس خسفا * أبينا أن نقرّ القتل فينا
وكآيات زهير بن أبي سلمى إذ يقول :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستقن عنه ويذم
وكقول طرفة بن العبد في معلقته :

لَعَزَّكَ إِنَّ أَلَمْتَ مَا أَعْطَا النَّفَى * لِكَالطَّوْلِ الْخُحَى وَتَنْبَاهُ بِالْيَدِ
مَنْ مَآيَنَا يَوْمًا يَفْقَهُ لِحَنَّهُ * وَمَنْ يَكُ فِي أَسْرِ اللَّيْنَةِ يَنْقَدِرُ

إن ما يسمعه القتي أليم حدادته عالق لاشكّ فهواده ملازم له بقية حياته ، وزي القرنجية في تعليمهم
للأحداث يدرسون لهم في المدارس كتباً فيها صور جيلة نباتية وحيوانية وسماوية فيعشقون العلم والبحث
والنظر في هذه العوالم . وهذا هو المنطبق بعض الانطباق على هذه الآية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ وآية
- إنا جعلنا ماعل الأرض زينة لها - الخ

أفليس المسلمون أولى باقتناء آثار القرآن . هاأنذا حذرتكم أيها المسلمون . فأما أدب الأغاني والكتب
الأخرى التي تملأه فليس يجوز أن تكون عاتمة بل تخصص لها طائفة لحفظ المأثور . أما التعليم العام فيجب
حذف التشبيب منه بتمام واستبداله بهجاء الدنيا الجلية والله خبر حافظا وهو أرحم الراحمين

(اعتراض على المؤلف وجوابه)

هنا سألني أحد الفضلاء فقال : وهل في شرعة التأليف أن تذكر أشعار الغزل وذمها وأشعار الفضائل
ومدحها ومغائى المدينة وفسوق الأندلسيين وذهاب دولتهم وهكذا ؟ هل الآية تحتمل هذا سلكه ؟ فقلت وأكثرت
منه . إن الزينة السماوية والزينة الأرضية قد جمعتا جميع العلوم . فإذا صرف الإنسان عقله للزينة العاتمة في
العوالم كان حكيما . وإذا حصر عقله في الجزئيات فإن كانت مؤلمة أورتته الشك كما تقدم عن اخوان الصفاء
وإن كانت سارة كما في محاسن النساء وسائر الشهوات أورتته العصيان . فالزينة إذن تشمل العلوم كلها وتشمل
ما يحصر النفس في الشهوات التي تخفض النفس وتمنعها من الرفعة في الدنيا والآخرة . أليس القرآن يفسر
بعضه بعضا . ألم يقل الله في سورة الكهف (بعد أن ذكر في أولها أن ماعلى الأرض زينة لها) - واتل
ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا * واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم بالغفلة والعشى . يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا -

إذن هذه الآية تكملة للآيتين في الصافى وفي الكهف . فهو يقول إن الزينة زينتان : زينة الحياة
الدنيا وهي مذمومة . وماهى زينة الحياة الدنيا ؟ قد فسوها بقوله - المال والبنون زينة الحياة الدنيا -
وكل ما ألهمنا عن العلم فهو زينة الحياة الدنيا وهي مذمومة . وكل ما ذكرته لك داخل في هذا . إذن هذا
كله تفسير الآية . إذن الآيات مرتب هكذا

(١) - إنا زينا السماء الدنيا - الآية

(٢) - إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها -

(٣) - ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا -

(٤) - المال والبنون زينة الحياة الدنيا -

(٥) - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

المسومة والأنعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب -

(٩) - أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا -

فالأولى والثانية الزينة العامة . والثالثة أخرجت الزينة المهيجة للشهوات . والرابعة مقصلة بعض التفصيل
لثالثة . والخامسة مقصلة للرابعة . والسادسة لبيان أن الزينة قد قصدت ذلك الى سوء أعمال الناس
التي رأوها حسنة في بادئ الرأي . إذن كل ما ذكرناه هنا لابد منه حتى نعرف لماذا زين الله لنا السماء وما
الزينة الممنومة ؟ وما الزينة المدحوخة ؟ وهل الفول إلا ما يرجع الى النساء المذكورات في هذه الآيات ؟ وهل
يقبر أمثال ما كتبناه يكمل ارتفاع المسلمين بمجمل آيات القرآن . فقال : * إن من البيان لسحرا *
قلت : اللهم إني أحمدك على البيان والتبيين وانفراخ الصدور وظهار الحقائق لأُم الاسلام . انتهى
صباح يوم الأربعاء (١٣) أغسطس سنة ١٩٣٠ م

{ نور على نور }

أذكرك بما تقدم في أول { سورة البقرة } عند آية الجنة وأنى قلت لك هناك عن الامام الغزالي في
الاحياء أن العلم الجنة العارفين وأن الجنة الحسية للجاهلين فالرجع اليه هناك فأنى علم هذا الذي إذا أدركناه يكون
جنة ياليت شعري : أعلوم القاتات من الصرف والنحو والبلاغة التي فتن بالوقوف عند حديثها المتدعون من
الأجيال القاتية الاسلامية بعد العصور الثلاثة الأولى الذين لم يجدوا لهم متقدين من الجهل ، وكما نبغ نابغ
ليقتنهم كفروه جهالة ونذالة ، أم علم الفقه وأصوله مع الوقوف عليهما . كلا . بل هي العلوم التي بها نعرف
نظام هذا العالم { وبعبارة أخرى } هي العلوم التي قد جمع زهراتها هذا التفسير
الله أكبر : أليس في تقديم الكلام على تلك العلوم في هذه السورة شاهد على ذلك . ألم يقدم الله هنا
ذكر جبال العوالم وزينة السماء على ذكر قصرات الطرف المحور العين اللاتي كأنهن البيض المسكون وعلى
ذكر كأس المعين البيضاء التي تذل الشاربين ولا تنصر عقولهم ولا تسكروهم بل قسم الله آية جبال العوالم وزينة
السماء على ذكر لذات الجنة وحورها وخزنها فقال - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - ولاجرم أن
هذه لغة العقول ولذات الجنت الظاهرة حسية ولذات العقول أقوى من لذات الأجسام وإنلك كانت لغة
الملوك والقواد أشد من لذات الأعمال والصناعات ، وفوق هؤلاء وهؤلاء لذات العلماء ، واللذة بالمرقة لاحد
لها ، والله يوم القيامة يجعل الناس في منازلهم بحيث لا يتخطونها فمن لم يعرف من اللذات إلا النساء والشرب
والأكل أدخله الجنة الحسية ، ومن ارتقى فوق هذه الطبقة فعرف الله أعطاه فوق ذلك النظر الى وجهه
على مقدار علمه في الدنيا فيزيد هناك انكشافا

{ سوامع وخواطر في هذا المقام }

يظهر لي أن صفى الشجاعة والحب هما الصفتان اللتان بهما سعادة الحياة والممات ، وأن الجبن والبغض
بهما شقاء الحياة والممات ، وللعجب مفتاح وهذا المفتاح والجد لله أصبح في أيدي الأذكاء قلبي في هذا التفسير
وهو النظر في جبال هذه العوالم . فكلمنا زدنا علما زدنا حبا لصانع العالم . وهذا الحب يجعل حياتنا كلها
نشطا في أعمالنا ونحس فيها بشعور المحبة الانسانية العامة والخاصة . فترى الذين وصلوا الى هذه الدرجة
مفرجين بإسعاد الأمم لأن العالم في نظرهم أصبح واحدا ويقدمون اسعاد أُم الاسلام الذين هم أقرب اليهم
ولا يتلكؤن في اسعاد الأمم الأخرى . فياليت شعري كيف يرى الانسان ذلك الجبال العالم الذي ضربت لك
مثله بما شاهدته في الحقل هذه السنة في آخر شهر يوليو سنة ١٩٣٠ ليل قليل القصر في أول هذا المقال من
بدائع الجبال والنور المشرق في سائر الأرباء . وذلك الجبال وذلك النور وراءهما ما هو أجل وأبهى وأبهى وهي

ففس الحقائق العلمية . أقول كيف يرى الإنسان ذلك وأنه لا حذر له في البهجة والكمال والامتداد ولا تكون حياته كلها علما وجمالا واسعادا للناس فاطمة . ثم كيف يرى ذلك مم يخاف من الموت وقد علم علما ليس بالظن أن روحه في يد مبدع هذا الجلال لاسيا أنه أحبه . ويمتدوا المحبة تكون لغة النظر للحبيب . وهذه الأجسام مانعة منه : فاذن تكون هذه الحياة عاقبة عن النظر . إذن هذا الحب تصعبه الشجاعة فإذا لم يخف من الموت فم يخاف إذن فلا مصيبة في هذه الأرض أقوى عند الإنسان من الموت فإذا لم يكن مصيبة أصبحت جميع أحوال الحياة سهلة وضعت آثار ما نسميه مصائب فيها . فهنا أصطعبت الشجاعة مع الحب وبضدها تميز الأشياء . فإذا عاش الإنسان جاهلا فلم يعرف هذه الجباب لم يستل الحب قلبه . وإذا عمل عملا صالحا لم يكن له باعث عليه إلا أحد أمرين : إما أن ينتظر المكافأة عليه في الدنيا على أيدي الملوك والأمراء والعامة وما أن ينتظرها في الآخرة بالخير الحسن وكأني للمعين والحلي والحلل . وهذا وما قبله آثارها أضف من آثار المحيين لربهم أولئك الذين يعملون في الدنيا ويرون أنهم سعداء بنفس أعمالهم ويرون اطلاع محبوبهم على أعمالهم خير من شجاعة لهم وهؤلاء سعداتهم في الآخرة تكون على هذا النوال فهم أبدا في ازدياد العلم ونفس العلم لهم سعادة حقيقية ولوانهم منعوا ذلك النعم ووقفوا عند حد الطعام والمشارب والحوار لأنهم معذبون عذابا لا يطاق . وفي هذا العالم اليوم من إذا قال له الملك أنا أعطيك أجل جارية عندي تحظى بها ومن المال ما تشتهى ولكن لا تحضر مجلسي لأنك لا تصلح للوزارة ولا للمشاورة ولا للخدمة لكان ذلك عليه أشد من الموت لأنه إذ ذاك سقطت كرامته في نفسه وأصبح ذليلا مهينا . فإذا كان هذا في الطبقة الوسطى وهم الملوك والأمراء ومن على شاكلتهم وهم أرباب اللذة الوسطى فما بالك بمن فوقهم من أرباب اللذة العليا العقلية وهم الحكماء ، ولقد قدّمنا كثيرا في هذا التفسير أن لغة المحسوسات أدنى ولغة الحكم والغلبة أرقى كدنة الأسد بنسبة لغة العز والفزال . فأما لغة العلم والحكمة فهي أحق من جميع اللغات . ولئن صدق هذا القول إلا من عرف هذه الأقسام الثلاثة وجربها بنفسه فان من لم يجرب ولم يذق فستحيل عليه أن يصدق ذلك أو يتصوره والله الخلق والأمم وهو رب العالمين

ثم إن هؤلاء المحيين لربهم بسبب هذه العلوم يرون أن كل من أحب غيره فان ذلك المحبوب يشعر بحب من أحبه وهذه تطعيم تشجيعا إذ يرون أن الله يحبهم حبا يليق بجلاله لا تكب الحقائق لاسيا إذا قرؤوا قوله تعالى - يحبهم ويحبونه - وقوله - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم - واعلم أن الأذكى من قراء هذا التفسير سيكون حبه لله مفرطاً . ذلك أن الإنسان كلما ازداد علما ازداد حبا . وهذا العلم الموجب للحب إنما هو علم الجباب والجباب في كتب الحيوان والنبات والمعادن وعلم طبقات الأرض والفلك وغيرها مشتقة في الكتب بل صعبة الفهم فلذلك لا تجد البارعين في تلك العلوم عندهم هذه المحبة بل ربما أنكروا الألوهية وأصدقوا بها ولكنهم غافلون لأن علومهم أخذوها منفصلة غير متصلة ولا موصلة لجديها . أما في هذا التفسير فانها متصلة موصلة . إذن هي موصلة لذلك الحب ولم تكن هذه الجباب في القرون الأولى واضحة لعموم الناس كما اضمحلت في هذا الزمان لاسيا بالصورة الفوتوغرافية . وسيزيد يقينك بما كتبت الآن ما أقوله لك عن الامام الغزالي في الاحياء تحت العنوان الآتي وهذا نصه :

﴿ بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ﴾

اعلم ان المؤمنين مشتركون في أصل الحب لا اشتراكهم في أصل المحبة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا إذ الأشياء اختلفت باختلاف أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي قرعت سمعهم فتأفكروا وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني تعالى عنها رب الأرباب وربما لم يطلعوا على

حقيقتها ولا تخيولها معنى فاصدا بل آمنوا بها إيمان تسليم وتصديق واشتغالوا بالعمل وتركوا البحث وهو لزامهم
 أهل السلامة من أصحاب الجين والتمثيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم القريبون وقد ذكر الله حال
 الأصناف الثلاثة في قوله تعالى - فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم - الآية فإن كنت لا تفهم
 الأمور إلا بالأمثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله
 الفقهاء منهم والعموم لانهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحمد خصاله ولكن العاى يعرف
 علمه بمجلا والفقهاء يعرفه منفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم وإعجاب به وجه له أشد فان من رأى تصنيف
 مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لأمحالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف
 لأمحالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فإذا سمع من
 غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعة ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والعاى
 قد يسمع أن فلانا مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما فى التصنيف فيكون له معرفة بجملة ويكون له
 بحسبه ميل بجل والبصير اذا اقتبس من التصنيف وأطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لأمحالة لان عجائب
 الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بحملته صنع الله تعالى وتصنيفه والعاى
 يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فإنه يطلع تصنيف صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلا من عجائب صنعه
 ما يذهبه عقله ويتعجب فيه له ويزداد بسببه لأمحالة عظيمة الله وجلاله وكآل صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما
 ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدلل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا ويزده
 المعرفة أهى معرفة عجائب صنع الله تعالى بحرا ساحل له فلا جرم تفاوتت أهل المعرفة في الحب لاحصره وبما يتفاوت
 بسببه الحب اختلاف الأسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه منمنا عليه
 ولم يحبه لقائه ضفت محبته إذ تتغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والتعناء وأما
 من يحبه لذاته فلانه مستحق للحب بسبب كآله وجلاله وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه
 فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال
 تعالى وللاخرة أكبر درجة وأكبر تفضيلا

(بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه وتعالى)

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلها هو الله تعالى وكان هذا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها
 الى الافهام وأسهلها على العقول وترى الأمر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وإنما قلنا انه أظهر
 الموجودات وأجلها لمعنى لانهم لا يتفهموا الابتثال وهو انا اذلأرأينا انسانا يكتب أو يخيط متلا كان كونه حيا عندنا من
 أظهر الموجودات حياته وعلمه وقدرته و ارادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته
 الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وهمة ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك
 فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته و ارادته وعلمه وكونه حيوانا
 فإنه جلى عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته و ارادته فان هذه الصفات لاتحس بشئ من
 الحواس الخمس ثم لا يمكن أن تعرف حياته وقدرته و ارادته الابحياطة وحركته فلا نطرق الى كل ما فى العالم
 سواء لم نعرف به صفة فاعليه الادليل واحد وهو مع ذلك جلى واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر
 صفاته يشهد بالضرورة كل ما نشاهده ونفكره بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان
 وساء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا
 وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا

بالحواس الخمس ثم مدركتنا بالعقل والبصرة وكل واحد من هذه المدركات مدركة واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومديرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لأحضر لها فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها إلا الشاهد واحد وهو ما أحسنه من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظيمته وجلاله إذ كل ذرة فاني تادى بلسان حالها أنه ليس بوجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وإنما محتاج إلى موجد ومحرك لها . يشهد بذلك أولاً تركيب أعضائنا واتلاف عظامنا ولحمنا وأعضائنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة . فإنا نعلم أنها لم تأتلف بأفئسها كأنهم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومعترف عظيم ظهوره فانتهرت العقول ودهشت عن ادراكه فإن ما تقصر عن فهمه عقولنا فله سببان : أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثله * والآخر ما يقتضيه وضوحه وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لانخفاض النهار واستناره لكن لشدة ظهوره فإن بصر الخفاش ضعيف يهره نور الشمس إذا أشرقت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع إبصاره فلا يرى شيئاً إلا إذا امتزج الضوء بالظلام وضمف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجلال الحضرة الإلهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشد عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب خفاؤه فسيحان من احتجب بأشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره ولا يتجيب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فإن الأشياء تسببان بأضدادها وماعم وجوده حتى أنه لا ضلته عسرا إذا كان فلا تختلف الأشياء قبل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض فإنا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لأغروب لها لكننا نظن أنه لا هيئة للأجسام إلا ألوانها وهي السواد والبياض وغيرها فإنا لا نشاهد في الأسود إلا السواد وفي الأبيض إلا البياض فأما الضوء فلندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين نعلمنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوء وانصفت بصفة فارتقت عند الغروب فعرفنا وجود النور بصدمة وما كنا نطلع عليه لولا عدهم إلا بصير شديد وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام . والنور هذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به ندرك سائر المحسوسات فها هو ظاهر في نفسه وهو يظهر لغيره أنظر كيف تصور استبهاام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فإنا نعلم أنه هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانتهت السموات والأرض وبطل الملك والمملكة ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الأشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لأدركت التفرقة بين الشئيين في الالهة ولكن دلالة عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم الأحوال يستحيل خلافه فلا جرم أدركت شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في تصور الإفهام وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فإنا في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة فلا وجود لها بالحقيقة دونها وإنما الوجود الواحد الحق القوي به وجود الأفعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا يرى فيه الفاعل ويذهب عن الفعل من حيث أنه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث أنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجازا له إلى غيره كمن نظر في شعر إنسان أو خطه أو تصنيقه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث أنه جبر وعصص وزاجر صوم على بياض فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف وكل العالم تصنيف لله تعالى فنظر إليه من حيث أنه فعل الله وعرفه من حيث أنه فعل الله وأحبه من حيث أنه فعل الله لم يكن ناظرا إلا في الله ولا عارفا إلا بالله

ولاحبا الاله وكان هو الموجد الخالق الذي لا يرى الالهة بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا يقال فيه انه فني في التوحيد وأنه فني عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كتبنا ففينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر أشكأت لضعف الانهمام عن دركها وقصور قدرة العلماء بهل عن إيضاحها ويأتها بعبارة مفهومة مؤهلة للغرض الى الافهام وباشتغالهم بانفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعينهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه أن المبركات كلها التي هي شاهدة على الله إنما يدركها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم يتدو في غزيرة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهوته وقد أنس بمدرسته ومحسوساته وألفها فسقط وقها عن قلبه بطول الانس ولذلك إذا رأى على سبيل النجاة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجبيا انطلق لسانه بالعزلة ط بها وأعضائه فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضائه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحبس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض أنكم بلغ عقلا ثم اقتضت غشاة عينه فامتد بصره الى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل النجاة لطيف على عقله أن يظهر لعظم تعجبها من شهادة هذه الجبابر لخالقها فهذا وأمثله من الأسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سدد على الخلق سبيل الاستغناء بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالتس في طلبهم معرفة الله كاللهدوش الذي يضرب به المثل إذا كان راكبا لجاره وهو يطلب حماره والجلبات إذا حارت مطلوبة صارت معتصة فهذا سر هذا الأمر فليحقق ولذلك قيل لقد ظهرت لنا تخفى على أحد * الاعلى اكه لا يعرف القمر
لكن بلنت بما أظهرت محتجبا * فكيف يعرف من بالعرف قد ستر

﴿ زبرجدة ﴾

(في قوله تعالى - فأنبئه شهاب ثاقب - وظهر أسرار القرآن في عصرنا الحاضر)
اعلم أيها الدكي أن كثيرا من العقلاء وأهل العلم والفلسفة إذا سمعوا هذه الآية توهموا وظنوا أن هذه لا تعاون أحد من البشر : إما أن تكون أصرا خياليا وضع للوعظ والتعليم ، وإما أنه مجاز ، فاما أن يكون هناك شياطين يرتقون الى السماء ومتى وصلوا اليها سمعوا الملائكة وأن شهابا تقابلهم في طريقهم فتمنعهم ، فهذا مما لا سبيل اليه بحسب ما نشر من العلوم
هذا هو الذي يظنه أكثر أهل العلم في زماننا وفي كل زمان . واعلم أن العلم الناقص هذا شأنه فيعكم بما علم على ما لم يعلم ، وهذا إذا باسط لك أيها الدكي آراء المتقدمين وعلماء العصر الحاضر في هذه المسألة لتتف أولا على حقيقة الشهب بحسب العلوم المدونة في زماننا ثم أحدثك بعدها عما فتح الله به من أسرار هذه الآية لينزل المخرج من صدرك وتعلم من العلم ما ينله كثير من الفضلاء وليشجع صدرك وتكون من المؤمنين الفرحين بالعلم الذي هو حجة مجلبة للعارفين في هذه الحياة الدنيا فأقول وثقه الفضل ولده وهو رب العالمين قد تقدم بعض هذا المقام في سورة الحجر ولكن هنا لابد من استيفائه فأقول ناقل عن كتابي « بهجة العلوم في الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية » وهذا نصه :

﴿ حوادث كرة الاثير من الشهب الساقطة واتمضاض الكواكب ذوات الازناب ﴾

أما الأقدمون فيقولون اننا نرى في السماء صورة أعمدة مخروطة قائمة قاعدتها مما يلي كرة النار ومخروطها مما يلي وجه الارض وما هي الا دخان يابس لطيف معد من الأرض كقائمة مناء والجلال والبراري فإذا بلغت الأبحرة اسكرة الزمهريرية تتلاقى في أعلاها بكرة الأثير وهي الكرة الدرية التي حصدت فرق كرة الزمهرير بسبب سرعة الحركات الفلكية التي ولدت الحرارة فأنشأت هذه الكرة وتقل حاراتها كلما اقتربت من كرة

الزهرير الفاصلة بينها وبين كوكب النسيم فإذا بلغ الدخان كوكب الأجر للمذكورة اشتعل ناراً كما ترى الدخان الطائر من السراج المنطوق يشتعل بملافاته لسراج متقد وكأثرها تشتعل في النفط الأبيض ثم تنفث بسرعة فينطفئ وإنما اعتبروها دخاناً محترقاً لأنهم يقولون أنها تظهر في أيام الجذب أكثر والجذب يقل معه المياه في الأرض فيقل البخار ويكثر الدخان ويستدلون على أنه دخان أيضاً بأن النار عند اشتعالها فيه ترى عظيمة فلا تزال تقل حتى تختفي فيخيل للناظرين أنها نار نارية من السماء . وتارة ترى كأنها كوكب صغيرة متدحرجة على سطح كوكب كبيرة فهي تبتدى في حركتها من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق ومن الجنوب إلى الشمال وبالعكس وتارة تنسكب فكلأنها في قطر العين كوكب من فطن اشتعلت فيها النار ثم رمت في الهواء وكلما احترقت بالنار تثار شرورها وصغرت حتى تنفث . ومثلها الكوكب التي يلعب بها أصحاب الخيالات يمجنونها من سندروس وأجزاء عقاقير ويشعلون فيها النار ويأخذونها في أفواهم فإذا رقصوا أو تنفسوا رأيت النار تخرج من أفواهم ومنافذهم وهكذا حتى تنفث . ويقولون في ذوات الأذناب أنها تظهر قبل طلوع الشمس أو بعد غروبها ولا تحدث إلا في كوكب الأثير وهي تدور مع فلك القمر على توالي البروج كبير الكواكب السيارة وتارة تتأخر راجعة ومادتها هي المادة المتقدمة البخارية ولكن هذه ألطف فتتقد وتكون شافة كالبلور وإذا أشرقت عليها الشمس شفت من الجانب الآخر فلا يزال المذهب يشرق ويغرب حتى يذهب من الوجود . وملخص كلام القدماء أن الدخان اعتلى في الجو واشتعلت فيه النار ككوكب القطن أو كالنفط المشتعل أو كالسندروس المجهون مع غيره . وأن نجمة الذنب أشرف مادة وأبقى مدة وأطول أجلا ثم تضمحل . سبب هذا الرأي . أنهم كانوا يرون تبعا للقدماء أن الكواكب لا تنفث ولا تنكسر ولا يكون فيها شظايا لأنها باقية إلى الأبد وقد علمت بطلانه

﴿ أراء علماء العصر الحاضر في المذنبات والشهب والنيازك ﴾

المذهب نجم ذو ذنب فله رأس وله ذنب وهو أنواع منه الماذهب له وهي كثيرة الثقل وقد تكون رموس المذنبات أجساما مستقلة . وأما الأذناب فهي أجسام كبيرة لطيفة المادة دقيقة لها وطاقة الأذناب مستنجة من خفيها ولقد نعلم أن السيارات تسير في مدار واحد لجهة واحدة . أما المذنبات فلانظام لها في سيرها وأما كثرتها فهي كسمك البحر عدا . وذنبها يكون أكثر ظهورا كلما اقتربت الرأس من الشمس والرأس تنجذب نحو الشمس متى اقترب المذهب منها . فأما الذنب فإما يكون اندفاعه إلى الجهة الأخرى ومذهب (دونائي) . أول ماظهر في شهر يونيو سنة ١٨٥٨ واختفى من الأعين بعد قليل ونور المذهب ليس مستعرا كنور القمر وكوكب هذه النجمة يسمى نواة أو لباً ورؤية ذوات الذنب لا يمكن إلا في جزء من مدارها أي حين قربها من الشمس وذوات الذنب متفاوتة في المقدار والضوء خفامات سروريتها ولو بالآلة . ومنها مايشغل بسبب عظم ذنبه ثلث السماء أو نصفها بحيث يكون أعظم من ٩٠ درجة إلى ٩٠ فالنجمة التي ظهرت سنة ١٨١١ افونكية كانت لا تنكاد ترى فكما قربت من الشمس صارت بخارا وأضحى جرمها شفافا وهي لا ترجع إلا بعد ٣٠ قرناً ولم يتحقق العلماء من رجوع نجوم ذات ذنب عما رصدوها إلا اثنتين وهما

(١) نجمة هليه التي تقطع فلكها في ٧٥ سنة ونصف وقد ظهرت سنة ١٩١٠

(٢) النجمة القصيرة البرور وهي تقطع فلكها في ثلاث سنين ونصف وقد ظهرت سنة ١٨٢٩ وفيها بعدها ومن النجوم ذوات الذنب مالا تقطع فلكها إلا في عدة قرون . ومنها ما يذهب جهة النجوم الثوابت فيخفى عنا ولا يرجع أبداً

إذا رؤيت ذوات الذنب لا يحكم عليها بأنها دورية أو غير دورية وكيف يعلم ذلك وقد علم أن مدد دورة بعضها يمد بالآلاف أو بمئات الآلاف من السنين حتى ترجع ومن ذين رجوعها

الشهب والنيازك . الكرات النارية . الحجارة الجوية

الشهب جمع شهاب وهو ما يرى كأنه كوكب اقتض والنيازك جمع نيزك وهو مغرب (نيزه) بالفارسية

ومعناه الرمح التصير ويطلق على الشهاب تشبيها ويقال شهاب ثاقب ونجم ثاقب لانه يتقرب الظلام بضوئه :

(الشهب)

الشهاب ما يرى في الليالي قد اقتض من السماء وليس كوكبا وانما هي اجسام صغيرة ربما لا تزيد الواحدة عن حجم البلاطة وهذه الاجسام كثيرة جدا ومنها مجموعة تسمى الاسديت وهي تم دورتها حول الشمس في شكل اهليلجي في ٣٣ سنة ولا يحصى عدد هذه الشهب وقطرها ١٠٠٠٠٠ ميل أو أكثر . والأرض لا تتخفى في سيرها هذه الاسديت الا ثلاث مرات كل مائة عام وأخر مرة كانت سنة ١٨٦٦ وفي كل مرة قضيف آلاف الآلاف من هذه الشهب أو النيازك مما ينزل على سطحها . وأما النور القوي يظهر من تلك الشهب فانهما يكون من سرعتها واحتكاكها بمادة الجو كما يتضح الزناد وهي أكثر سقوطا في ليال معلومة فهي تزيد في ١٠ أغسطس و ١٣ نوفمبر وتقل في ٢٠ أبريل و ٢٧ نوفمبر و ١٨ و ٢٠ أكتوبر و ٦ و ٩ و ١٣ ديسمبر ويقال ان عدد الشهب التي راعاها العين المجردة والمقارب المتوسطة عما يتخفى جونا كل عام يبلغ نحو ١٥٠٠٠٠٠٠ وآلاف آلاف منها تصيب أرضنا وتبقى عليها

(الكرات النارية)

هي أيضا اجسام مضيئة تظهر وتختفي بسرعة كالشهب ولكنها أبداً منها وتترق غالبا بالقرب من الأرض فتحدث فرقة وقد يكون منها اهتزازات وما يقع منها على الأرض يسمى الطيارة الجوية ويدخل في تركيبها الحديد والسليس والنيزيا والنيكل وغيره وارفع الشهب من ٨ كيلو مترا الى ٦٠ و ١٠٠ و ٢٠٠ كيلو مترا وسرعتها متغيرة كارتفاعها وقد تساوى سرعة الأرض بل تزيد عنها ويقولون ان هذه الكرات عبارة عن مادة قطعها صغيرة الحجم دائرة حول الشمس ومتى قربت الأرض منها جذبت اليها بعض تلك القطع فتسقط نحو الأرض وتشتعل في الجو على هيئة شهب أو تسقط الى الأرض على هيئة حجارة جوية اه . فتأمل نجد الفرق بين القذائف والمحدثين ان الاولين يزعمون ان تلك المذنبات والشهب والنيازك والكرات عبارة عن بخار أرضي قابل النار فاحترق . وعلماء العصر الحاضر يقولون سلمنا بالاحتكاك من الاحتكاك لامن كرة الأثير فنحن لا نقر بها ولكن لانسلم ان المحترق هو البخار كلا وانما المحترق اجسام وقطع صغيرة دائرة حول الشمس كما يدور سرب الحمام والقطا في الجو فحتى مرت الأرض به في أيام معلومة اختلطت منها آلافا مؤلفة فطبختها بالحرارة في جوها من الاحتكاك بها كاحتكاك الزناد ثم التهمتها فأكلتها وكان هذه الاسديت المذكورة وأمثالها قطعان من البقر والغزلان تأكل منها الأرض اذ صارت بها وقد تأكل في أوقات معلومة فان للأرض كل ثلاث وثلاثين سنة مدة يقال لها الفرق بين السنين القمرية والسنين الشمسية ويكون الفرق بينهما سنة في تلك المدة وتلك المدة بنفسها هي التي تمر فيها في الاسديت فاذا كان مائة سنة يكون الفرق بين السنين الشمسية والقمرية ثلاث سنين فهكذا ستمر في تلك الاسديت لتأخذ زائدا للسفر ثلاث مرات فكيف في الكون من عجب وقبل ما تبلمه تصلحه بالنار في جوها كما تفعل نحن في طعامنا وأقول لقد اطلعت على بعض تلك الاجسام التي حفظت في المتاحف المصرية والله أعلم

(توضيح الفرق بين المحدثين والقديما فوق ما تقدم)

فانظر أيها العاقل للعقول الانسانية قديما وحديثا فالقديما لما اعتبروا الأرض مركز العالم والسماء لا كسر فيها جعلوا ذوات النجوم والسهم والكرات النارية من الأرض . والمتأخرون قالوا كلا انما هي أجرام دائرات حول الشمس تنزل اليها وترى فوق سطحها والجيج عرفوا انها تارة تكون سهاما وتارة تكون كرات وان نورها في الجو وسراريتها بالحركة والسرعة عند المتأخرين والناظر اسرقت السخان عند المتقدمين وكل من الاولين والآخرين يسمون حكماء لانهم عرفوا الحقائق على مقدار الطاقة البشرية انتهى علم الآثار العالوية . انتهى ما أردته من كتابي بهجة العلوم

هاهي ذه أيها الذكي - آراء القدماء وآراء المحدثين في الشهب والنيازك التي ذكرنا معها المذنبات تقيما للبحث العلمي ، وقد علمت أن الشهب تبلغ نحو (١٥٠) مليوناً في السنة حول أرضنا كما أن المذنبات تبلغ عدد سلك البحر ، فينتج من هذا كله أن جو الأرض ملؤه من تلك الشهب ومن ذوات الأذئاب ونحن لا نرى منها إلا القليل ، فهل هذه الشهب التي تحترق أرضنا وهي تجري حولها ليلاً ونهاراً هي التي تحرق الشياطين وتمتصها من صعود السماء

أقول : اعلم أن الشياطين (نوعان) شياطين الانس وشياطين الجن ، أما شياطين الانس فهم النفوس المحبوبة التي تعيش في أبدانها في هذه الأرض من بني آدم فهؤلاء الآن شياطين بالقوة فإذا ماتوا صاروا كهية الشياطين بالفعل ، ألم ترى قوله تعالى - فكذبوا فيها هم والفاطون * وجنود ابليس أجمعون - إذن هم أصحاب واخوان وأصدقاء وكل ما أوتوا من زينة الحياة الدنيا من مال وولد ونعمة إن هي إلا عذاب لهم كما قال تعالى - فلا تحببكم أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليضلهم بها في الحياة الدنيا ويذهب أنفسهم وهم كافرون -

والانسان لا يستطيع الحياة إلا مع من هم على شاكلته فالعالم لا يعيش عيشاً يناسبه إلا في هيئة علمية والصبر يفرح بالصوص وهؤلاء لا يعيشون في جو مكهرب بالعلم والمطريز من السحاب ويجري في الأنهار ولكنه سرعان ما يكر راجعاً الى موطنه الأصلي وهو البحر الذي استخرجه ضوء الشمس منه فارتفع فصار سحاباً هكذا المفكرين في الهباب في هذه البحار المحيية للحكمة يرجعون الى مقرهم عند ربهم لأنهم دائماً يحنون الى ذلك المقام . وشياطين الانس الذين يعيشون في الأرض الآن لم يعجبهم عن الحقائق العلمية إلا أدراة الذنوب والشهوات كما أن الأنبياء صفت قوسهم فاطلعوا والحكام فكروا عرفوا معرفة أقل فصاروا خلفاءهم . وللنفوس المحبوبة الشيطانية الاشارة بقوله تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم انهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون - وللنفوس الفاضلة الاشارة بالآية بعدها - كلا إن كتاب الأبرار في عليين وما أدراك ما عليون - إذن النفوس الشيطانية من بني آدم لها شهوات وأهواء ومعاص وزوات منعها من الاطلاع على الحقائق . ومن ذلك اسرافها في الماء كل والمشرب وقفاها في طهي الطعام الذي يلذ طعمه ويقل خيره وهل خيره إلا مادة الحياة المسماة بالقيتاين المتقدم كثيرا في هذا التفسير والتي سيأتي الكلام عليه في (سورة ص) عند آية - فبعرزك لأغوينهم أجمعين - فالتفا في التوابل وفي الطبخ بالنار التي هي القاتلة لمادة الحياة في الطعام كما أظهره الكشف حديثاً والتباعد عن المفرة من تعاطي الطعام وهو غير مطبوخ من كل ما يمكن أكله بلا طبخ فأصبح ذلك طبيعة للناس عاقلة بهم لا يجمعون عنها عيضا كما لا يجد السكر عيضا عن السكر وهو يعلم انه نار تظلي عليه . كل ذلك مورث للأمراض وضعف الصحة ومانع عن فهم الحقائق

فلننظر إذن الى بيت التصيد وهي النفوس الشيطانية التي فارت الأجساد من بني آدم وقتلنا انهم هم اخوان الشياطين لأن القليلين من واد واحد ، ولأذكر كأيها الذكي بما تقدم في سور كثيرة عما قلته عن علماء الأرواح أولا وعن الشيخ البياض والخواص وأماها سابقا ، ونجد بعضه في (سورة التوبة) فانك تجد هناك أن الأرواح في البرزخ قبل يوم القيامة لا تكون في الجنة الحقيقية ولا في النار الحقيقية ، فالجنة والنار الحقيقيتان تكونان يوم القيامة ، ألم ترى أن الله يقول - النار يرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب - الخ فهؤلاء هم واخوانهم الشياطين يكونون في الجحيم لا يرتقون الى الملأ الأعلى ، وهذا الجحيم ملؤه بهذه الشهب وهذه الشهب كثيرة الحركات فيه وكثرة الحركات فيه تجعله ميدانا لانشغال النفوس واضطراب الأفكار ، إذن كما أننا نعيش في أرض قد ملئت بالحرب والحجارة والبرودة والأمراض

وهكذا وذلك كله يشغل الأذهان عن الوصول للحقائق إلا قليلا من الأكابر هكذا الشياطين واخوانهم من أرواح بنى آدم الشريرة يعيشون في جو عاوه من الاضطراب والزلازل للمناعين من صفاء الأذهان الموصل للاطلاع على الحقائق ، إذن في الحق أوصاب واضطراب يمنع سكاله من معرفة الحقائق كما في الأرض ، وعلى هذا يكون قوله تعالى - ويقتفون من كل جانب * دحورا ولم عذاب واصب - جاء على حقيقته ، فكما أن الجرمين من بنى آدم الساكنين معنا في الأرض قد أضاعوا حياتهم في الشهوات واللذات والحرب والضرب والقتال وهم عن معرفة الحقائق بهذه الأعمال عجوبون هكذا الجرمون من الأرواح الانسانية واخوانهم شياطين الجن الذين ضعفت نفوسهم فلم يجاوزوا جو أرضنا - لهم عذاب واصب - بغموم نحن نجعلها وهموم ومنها أخلاقهم التي اكتسبها بعضهم في الأرض ولم يظهر لنا من ذلك العذاب إلا تلك السحابة النارية التي تجعل جوهم خاليا من الصفاء كما ترى الناس يقتتلون في البيادين ونفوسهم مشغولة بالدافع والنيان التي تقذف منها على المتحاربين ، وكما أن المدافع والغارات الخائفة والمعمية تنزل على المتحاربين بأيدي غيرهم هكذا هذه الشهب تسقط في الأجواء بأيدي الملائكة المذكورين قبل ذلك الموصوفين بالزاجرات زجرا ، فهم كما يزجرون السحاب ويزجرون العالم العلوي والسفلي ليكون خاضعا لأمر الله وحكمه . هكذا يزجرون تلك الشهب تلك الأرواح عذابا لها لتحجبها عن الاطلاع على الحقائق كما حجب نفوس كثير من أهل الأرض عنها لأنها ليست أخلاقا لله والله يقول - ورحمتي وسعت كل شيء - وهذه الأرواح المحبوبة منعت معرفة الحقائق رحمة من الله بها لأنها لم تستد لها ولوعرفت لهلكت ، فالنع الذي هو عذاب لهم قد صاحبه رحمة حقيقية لأن العالم كله خلقه وهو أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين وإلى هنا تم الكلام على اللطيفة الثانية في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - إلى قوله - شهاب ثاقب - انتهى صباح يوم الخميس (١٤) أغسطس سنة ١٩٣٠

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم * وقفوههم انهم مسؤولون -)

أيها المسلمون : ظهر الحق واستبان السبيل . الناس طائفتان : طائفة جاهلة وأخرى عالة . فالجاهلة تعيش وتموت كما يعيش ويموت الود ولو كانت من قارئ الديانات والعلوم وهم في غفلة معرضون . أما الطائفة العالة فهي التي أدركت اليوم قبل يوم القيامة إدراكا يقينيا أن هذه العوالم كلها تجري على نظام ثابت من حيث المتناسبات فكما أننا نرى الطيور في الجو والأنعام على الأرض والسماك في البحر بحيث لا يقدر أحدها أن يعيش في غير مكانه المألوف . وأيضا كل طائفة من الإنسان والأنعام والطيور لا يجب أحدها أن تعيش إلا مع أشاله وهو غريب بعيد عن غير نوعه . هذا أمر واضح . فلهذا سنكون بعد الموت فأصحاب الجحيم هم هنا الآن مجتمعون معا كما سيجتمعون معا هناك . وسترى الحكام الظالمين لا يحبون إلا أمثالهم والمصوص وأرباب الكبر تجيما بأف بعضهم بعضا فالله تعالى والآخرة على وتيرة واحدة

أيها المسلمون : العالم مقبل على أيام انقلاب عظيم وسوف يختلطون بالأمم عاجلا أو آجلا . والأمم المعاصرة لنا كلهم أوطانهم اخوان وأصحاب المسيح الدجال لأن المسيح على قسمين : مسيح صادق وهو المسيح ابن مريم وأتباعه القديما الصالحون . ومسيح دجال كاذب يظهر الصلاح وليس صالح وهذا هو المسيح الدجال الوارد في الشريعة وقد ظهر أعوانه في الأمم للمعاصرة لنا . إن المسيح الدجال الذي ورد في الحديث يظهره بعدنا بما يشبه الجنة ويهددنا بما يظهر لنا أنه جهنم . فإذا دخلنا ناره أصبحنا في نعيم وبالعكس إذا دخلنا

جته . الله أكبر : أليس هذا حاملا فضلا صدقا . ألم تدخل أوروبا بلاد الشرق لارتقا ثمة هي تملأ بلادنا بالجر وأنواع الخنترات . فوا أسفاه على بلادى المصرية . واحسرتاه على عقول ونفوس ذلت وهلكت تتقدم في هذا التفسير أنى تقلت عن (حفرى الفرنسى) انه قال : « إن الخرافى يستعملها المستعمرون في إهلاك الشعوب لم تؤثر في بلاد الجزائر » ولكن أما قول متحصرا متأسفا : « لقد نال المستعمرون ما أرادوا ودخل مسيحيوهم الرجالون بلادنا ونهكوا على العقول وملؤا البلاد بالخنترات والمسكرات والسوم المهلكات فانظر ما جاء في مجلة « الدنيا المسقورة » تحت العنوان الآتى وهذا نصه :

﴿ عيد السموم البيضاء ﴾

﴿ أولئك الذين اشتروا الموت بالشرف والكرامة ﴾

﴿ حركة جديدة مباركة لمحاربة هذه السموم من مكتب مكافحة الخنترات بحكمдарية القاهرة ﴾

اذاهم البلاد عدو قادر ينهب الأرواح ويدمر الأملاك ويعيث في الأرض فسادا فان الواجب يقضى على جيع أبناء البلد الواحد بأن يتآزروا ويتضامنوا لدفع أذى هذا العدو السفاح وصون البلد من شره وويله . وقد ينسكب العالم بالحروب . وبالجماعات . ولكنه لم ينسكب من قبل بمثل نكبة الخنترات التى تفترس الأرواح قبل الأجسام وتقتضى على الاخلاق والعزائم وتجعل من بنى الانسان الذين خلقوا للعمل وللجهاد جيشا بالية وحطاما فانيا . وقد نكبت مصر كما نكبت البلدان الأخرى بهذا الداء الويلس الذى تفت سمومه بين طبقات فيها . اعمال وقتك فتكا ذريعا وكان من حسن حظ مصر أن آلى حضرة صاحب السعادة حكمدار بوليس القاهرة أن يحارب هذا الداء الفتاك محاربة قاسية لاتعرف الشفقة والرحمة . وقد ظهرت نتيجة هذه الجهود وأثمرت ثمر احسنا وبعد أن كانت الوسيلة التى اتبعتها الحكمدارية هي وسيلة القمع والتهديد . والحكم بالسجن الطويل والغرامات الفادحة على تجار هذه السموم ومدمنىها عمدت الى وسائل الوعظ والارشاد والترغيب وكثيرا ما أفلحت العود حيث لا يخلع الوعيد . ولهذا الخنترات أحياء خاصة تنتشر فيها كما ينتشر اللهب في الهشم اليابس . ومن هذه الأحياء المنكوبة هي القرعة البولاقية . طوقة واحدة في ذلك الحى تبين لك أهوال هذه السموم وقتكها الفرع بالفوس . فاذا جلت بين البور الخفية والازقة والشارع خيل اليك أنك تجول في مقبرة لظت أمواتها غفروا أشباحا مجردين من اللحم والدم يهيمنون في الطرقات وهم عظام نخرة تكسوها طبقة من الجلد الماركن الذى فقد رونق الحياة ونضرة الصحة . يفيض هذا الحى بأولئك العمال البائسين وأكثرهم من الصعابدة ، ومن الطبقة السفلى الذين أدمنوا تعاطى هذه الخنترات فأصبحوا لا يعيشون الا لأجلها فلا يهمهم أن يأكلوا أو يشربوا أو يلبسوا . وانما كل همهم أن يحصلوا على ما يشبع فيهم تلك الشهوة المفترسة . شربة سم السموم وحقتها . ولم تكن الحكمدارية تجهل مصائب هذا الحى . بل كانت لها في كل حين هجمة على تجاره تقودهم الى أعماق السجون ويبحث دقيق بين ساكنيه يؤدي بمن يضبط معه شئ من هذه السموم الى الحبس . ولكن ماحيلة البوليس في شخص تراه مهلهل الثياب زائغ البصر عظم الأعصاب مطروحا على الأرض لا يقوى على الحراك وان قوى فاقما يسى للحصول على دراهم قليلة يشتري بها شيئا من الكوكاكين أو الهرويين يسم به جسده البالى . ماحيلة البوليس فيه وهو لا يعمل معه من الخنترات ما يجعله طريدة السجن ؟ تلك قامت قوة من رجال البوليس في الصباح المبكر من يرم الاربعاء الماخى وطافت في ذلك الحى المنكوب . وراح أفرادها يتصيدون تلك الجثث المتحركة من الأزقة والشوارع والخوانيت . ولم يكن البوليس في حاجة الى من يرشده الى مدمنى تلك السموم فان لهم طابعا خاصا . طابع البؤس والجوع والقتارة والجنون ! . ولم تمض ساعات قليلة حتى جمع البوليس حول ٢٥٠ شخصا من المدمنين الذين

تم مظهرهم عليهم مم جلهم في السيارات الكبيرة الى دار المحافظة وجلس ذلك الجيش الجرار في فناء المحافظة وهم لا يكادون يفقهون ماحولهم . وكان مشهدا مفرقا هو عبدة المعتبرين . وهو الفرس البلع لمن تحته نفسه بأن يقضى على نفسه وعلى روحه وعلى كرامته هذا القضاء الشنيع . وراح رجال البوليس يحققون أمرهم . وانضح أن الكثيرين منهم سجنوا مرارا لاحتزازهم المخدرات ثم أفرج عنهم بعد أن انتهت مدة سجنهم فلم يروعهم السجن بل عدوا الى الشر ما كانوا عليه . و بينهم نبيان في مستقبل الحياة وقد اضمحلقت قواهم العقلية وظهرت عليهم دلائل البله والجنون وغارت قواهم الجسدية فكأنهم في دور الاحتضار . واشتد بهم البؤس حتى لم يجدوا ما يستقروا به أجسادهم النحلة الاخرقا بالية واسبالا مهلهلة . وطاف بهم سعادة الحكمدار وضباط الحكمدارية وسار بينهم جناب الليالاي بيكر بك يسوق اليهم التصح ويدكرهم بأولادهم الجالعين وعائلاتهم المنكوبة وكرامتهم الضائعة وهم جود ذاهلون . ولا شك في أن أولئك المنكوبين بمجموعة الآلم وأحزان وشقاء فإن لكل منهم قصة كاملة ملؤها الفواجع والنكبات . ويكفي أن نرى هنا قصص بعضهم حتى يدرك القارئ مقدار ما تصنع تلك المخدرات بضحاياها . فهذا عامل كان يشتغل نجارا ولزوجة وابنتان . ابتلى بداء المخدرات فما لبث أن طرد من عمله . ولم يعد وسيلة للحصول على ثمن السم الا ببيع أثاث منزله . وحاولت زوجته أن تردعه فلم يردعه ولم يعد لديه ما يصلح للبيع فراح يأمر زوجته بأن تشتغل حتى تأتيه بالمال الذي لم يعد في وسعه الحصول عليه بعد أن خلت قواه . ولكن الزوجة كانت عاجزة عن العمل . وأرهبها الزوج التعس بطلب المال وبنتت به الخمسة أن عرض عليها أن تاجر بعرضها الذي هو عرضه . فذهبت غاضبة الى منزل أحد جيرانها حيث لم يكن لها أهل في القاهرة . وأما البنتان فقد سقى الأب حتى استطلع أن يرسل كل منهما خادمة في منزل ويحصل لنفسه على أجرة خدمتهما . وبعد شهور قليلة فرت إحدى البنيتين واختفت آثارها . ولو كان في الأب بقية من قوة تساعد على البحث لمتز عليها في دور الفجور . وغيره شيخ كبير لم يجد وسيلة للحصول على المال ليستم جسده الا بالسرقة فسرق وسجن . وخرج من السجن فلم يعد أمرا لابنته التي كانت تعوله وقد جرفها الأقدار القاسية في سبيلها . وهذا كان « افنديا » . وكان موطفا . ثم ابتلى بهذا الداء وكان يحسبه في أول الأمر هوا بسيطا . ومالبث ذلك الهوا أن أصبح شغلا شغلا . وطرد من وظيفته بعد أن انقطع عن أداء عمله وطلقت منه زوجته ورحلت الى أهلها . وانتقل من الثقة التي كان يسكنها إلى مدبرة حقيرة في حي بولاك . وعاش عائلة على تجار المخدرات يوزع لهم بضائعهم المسمومة مقابل أن يمنحوه شيئا يشبع بهشهوة شهو باع ثيابه وسار في الطرقات عارى الرأس حتى القدمين . ثم ضبطه البوليس فسجن . وقضى في السجن سهورا وخرج منه وليس في العالم بأسره من يهتم بأمره . فكان يردد ليلته تحت الخدران في الازقة المظلمة ويسعى نهاره للحصول على قروش معدودة بأبوة وسيلة . فكانت الوسيلة التي هداه اليها البحث أن يرشد طلاب الهوا الى منازل البعرة السرية ؟ أولئك هم عبيد السموم البيضاء الذين اشتروا الموت بالشرف والكرامة . وسترى في الرسم الآتي في الصفحة التالية (شكل ١) صورة طائفة كبيرة من المصريين للمدمنين على تعاطي الكوكايين



(شكل ١) - أخذت هذه الصورة للمدنيين على الكوكابين - وكان عددهم ٢٥٠

نفسا - في حوش المحافظة ويرى بجوارهم العساكر

وجاء في جريدة الأهرام في يوم الثلاثاء الموافق ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠ ماضه

﴿ بيان رسل باشا في لجنة الأفيون ﴾

﴿ صراحة رسل باشا ووقع بيانه ﴾

جنيف في ٢٧ يناير - افتتح اللواء رسل باشا في لجنة الأفيون المناقشة في منع الاتجار بالمخدرات ببسطا الحالة في مصر ببسطا مقرونا بالصراحة والشجاعة ، وكان لكلامه عن انشاء هذه الآفة وعن العمل السلي الذي يقوم به أصحاب مصانع المخدرات الاوربية وقع عظيم في النفوس . وقد قال ان هذه التجارة كانت قبل الحرب الكبرى مقتصرة على الحشيش السوري والأفيون السوداني وكانت اضرارها محصورة في دائرة ضيقة فبعد الحرب قامت تجارة الكوكابين وتلتها تجارة المروين وجنى المهربون منها أرباحا طائلة . وقد انتشر استعمال هذه المخدرات فتناولها جميع الطبقات حتى الفلاحين وانتشرت بين الشبان على الخصوص وأصبح الأدمان على هذه السموم يشمل أكثر من نصف مليون نفس من مجموع السكان الذي يبلغ أربعة عشر مليونا . ووصف رسل باشا بعبارة مؤثرة فعل هذه الآفة وانتشار عدوها بين سكان هم من أصحاب بنية وأعظمهم نشاطا وقال هل من العدل أن تصب أوروبا ادمانا من السموم على مصر ونأشد جميع البلدان التي تصنع المخدرات أن تعاون في منع هذه الآفة التي تعمل لجنة عصبة الأمم بعزم صادق في سبيل القضاء عليها وتكلم بعبارة لينة عن وجود التضامن الدولي في هذا الكفاح وعن ان عمل أوروبا يجب أن يكون مقرونا بشعورها بالتبعة والمسئولية . ثم كشف بصراحة وشجاعة القاب الذي يلقيه بعض ضروب الاعمال البرلمانية والادارية على أعمال القائمين بهذه التجارة في كثير من الاحيان وهكذا قدم رسل باشا للجنة الأفيون مثلا حسنا في استقلال الرأي والحزم والصراحة وذكر الأعمال السيئة التي قامت بها عصابات مركزها في سويسرا وعمل بعض المصانع الألمانية والفرنسية . واستشهد بقضية مولر في بل وهي لا تزال لدى القضاء وأشار الى العروج المنتشرة في إيطاليا وفرنسا وألمانيا واليونان وتركيا وهل ان أساليب أصحاب هذه الصناعة ومصدرى موادها قد اكتشفت في أكثر الاحيان بفضل يقظة رجال السلطة في مصر . وأنهى على ما أبداه رجال السلطة الفرنسية . والسلطة السويسرية من المماودة فرد عليه ال. يو بورجو مندوب فرنسا قائلا ان الحكومة الفرنسية مصممة على متابعة

هذه المعاونة لمنع هذه الآفة وأكد المسيو كارير مندوب سويسرا معاونة الحكومة السويسرية وأشار إلى تلافى النقص الذى كان فى التشريع السويسرى ووقع بسببه ما أشار إليه رسل باشا فى بيانه وهما رسل باشا بما أبداه من النشاط والخدم . وقد أشار رسل باشا إلى التحقيقات القضائية الجارية وستعود اللجنة إلى المناقشة فى جلسة خاصة وبفضل ما أبداه رسل باشا من الحزم سيفضى الأمر باللجنة إلى طلب إيصالها من بعض الحكومات عن عمل بعض المعامل الكبيرة التى تصنع العقاقير وهكذا عانت إلى بساط البحث مسألة تحديد صنع المخدرات التى كانت اللجنة تتجنب البحث فيها من قبل

﴿ الافشاءات الخطيرة فى تقرير رسل باشا ﴾

﴿ أقوال جريدة منشستر جارديان ﴾

لندن فى ٢٧ يناير - نشرت جريدة منشستر جارديان اليوم رسالة لمكاتبتها من جنيف ضمنها نتيجة مقابلته اللواء رسل باشا وقد قال عنه أنه صرح له بحقيقة راحته وهى أن الافشاءات التى بدت فى تقريره تتفرع منها حقيقتان هما بمثابة تحد للبلدين المختصين وتستفزان رفع المستوى وقد قال رسل باشا بنفسه أنه قد يكون فى السبعين يوم الاثنين عند ما يمثل أمام اللجنة ويقدم ادعاءين كل منهما بمثابة تحد فيما يتعلق بشؤون معمل موهاوس وكياوى زوريج . اذ يتبين من تقرير رسل باشا أن معمل موهاوس استحضر وصدر إلى الخارج سنة ١٩٢٨ من الهروين ٤٣٤ كيلو جراما وهذا يساوى أكثر من ضعف ما يلزم للعالم كله من هذه المادة للقتنيات الطبية والعلمية ويربى على مجموع ما صدرته فرنسا من هذا الصنف كما ورد فى التقرير الفرنسى عن سنة ١٩٢٨

أما فيما يتعلق بكياوى زوريج فقد علم رسل باشا من المسيو كارير أن القانون السويسرى سيعمل بهذا الشأن ويبقى علينا أن نرى ماذا يقول مندوب فرنسا المسيو بورجوا عن معمل موهاوس . فالسويسريون رئيس مكتب المواد المخدرة الذى انتهى حديثا فى فرنسا وصل أخيرا إلى جنيف لمساعدة المسيو بورجوا . ويقول رسل باشا أن أرقامه مأخوذة من دفتر معامل موهاوس بمرقة أحد رجال البوليس المصرى الذى كان يعمل بمعاونة أرباب السلطة فى موهاوس

لندن فى ٢٧ يناير - أُنشأت جريدة منشستر جارديان اليوم مقالا افتتاحيا قالت فيه : نعم إن مطالعة تقرير رسل باشا تحزن ولكنها تثير العواطف وتستدعى الاهتمام . فقد استطاع رسل باشا وزملاؤه أن يكشفوا عن خطوط مواصلات خفية تربط بين كبار تجار المواد المخدرة فى الاسكندرية ولندن ومصانع هذه المواد فى أوروبا الوسطى . وقد وجهت الآن العناية إلى محاربة المصانع الكيماوية التى تنتج من هذه المواد أكثر مما يجب إذ لا فائدة من الاقتصاد على مقاومة الموزعين والتجار وترك المصانع وشأنها مادام مصنع واحد فى الإلزام يمكنه أن يستحضر من الهروين فى كل عام أكثر من ضعف ما يلزم العالم منه للأغراض المشروعة فقد يقضى لتجار المخدرات أن يرب الأموال الطائلة أن يشتروا كل ما ينتجه ذلك المصنع وفى تقرير رسل باشا معلومات مختصرة وإافية للجنة عصبة الأمم للنظر فى خطط فعالة لتحديد منتجات المعامل من هذه المواد طبقا للقتنيات الطبية ولكن مادام العالم يزيد من زرع القنب وشجر الكوكا أكثر مما تتطلبه الحاجات الطبية لا بد أن يستمر صنع المواد المخدرة وتجارها المحرمة . ثم أن تدخين الأفيون واكله فى الشرق الأقصى يجعل الآن تحديد محصره تحديدا دقيقا غير ممكن عمليا ولكن ربما نرى ذلك فى المستقبل اه

﴿ تنسكرة ﴾

(في صباح يوم الخميس ١٧ يوليو سنة ١٩٣٠)

نأمل أيها الذكي هذه الصورة وأعجب لآيتنا التي نحن بصدها - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - الخ
واذكر قوله تعالى - فكبكبو فيها هم والفاوون * وجنود بليس أجمعون - وقوله تعالى - لأملأن جهنم
منك ومن تبعك منهم أجمعين -

أندري ما سبب هذا كله ؟ سببه الجهل ، لولا الجهل ما تعاطى هؤلاء المختدرات القاتلات ، وما هؤلاء
الرسومون المساكين الذين أغراهم زبانية جهنم من الاورو بين الذين يسعون لاهلاك الشرقيين احتقارا
لعقولهم واستصغارا لشأنهم وقياما بحق الاهلاك الذي سنته شرائعهم التي اتفقوا فيها بينهم عليها منذ أيام الحروب
الصليبية ومن قبل ذلك في الحروب الأندلسية ، ذلك أنهم رأوا في أمة العرب قوة شكيمة فهرعوا الى الخديعة
والغدر وأجمعوا أمرهم بينهم أن لا يحاربوهم إلا بالعادات وادخال الخفلات عليهم ، وعاهدوهم على أن يكون
التعليم حرا والتجارة كذلك ، هنالك قام رجل يقال له (ابن مصعب) فنادى في قومه قائلا : « أيها القوم :
سيأتي يوم ينسى أبناء العرب مجد آبائهم بما يقرؤون في كتب الاورو بين وينعمون وينفسون في الشهوات
ويسرفون في المآكل والمشرب ويحرقون دينهم ثم يفرقون شيئا ويدنق بعضهم بأس بعض . فقالوا :
أت رجل قصير النظر لا تعرف في السياسة شيئا »

هنالك أقاموا الأفراح شهرين بعد هذه المعاهدة ورئيس الأمراء يومئذ (ابن عباد) ولبعض الملوك
الاسلاميين جيوش فعال خيلهم من ذهب ، ولقد صدقت فراسة (ابن مصعب) وحق القول على المسلمين في
الجزيرة (اقرأ هذا الموضوع في غادة الأندلس) وصار الشاب يلبس الحرير ويتختم بالذهب واستدانوا من
الفرنجية بالربا وشربوا الخمر نهارا جهرا ودموا العرب وأخلاق العرب وتاريخ العرب وعكفوا على الشر وتركوا
الصلاة واتبعوا الشهوات فلقوا غيا

هنالك ذهبت الحجة وافترقوا شيئا وذاق بعضهم بأس بعض وفترقوا عشرين دولة وهم صاغفرون ،
مم هلكوا ومن بقي منهم تنصر ومنهم من غرق ومنهم من طرد الى فرنسا ومنهم من سار الى بلاد مراکش
وما والاها والله الأمر من قبل ومن بعد

وهذه النظرية التي فعلوها في الأندلس هاهم أولاد فعلونها في بلاد الاسلام الآن ، فانظر كيف غمكوا
على أذماننا وأدخلوا السم بلادنا جريا على أخلاق المسيح المبعجل . دخلوا متظاهرين باسم رقينا واسعادنا ودسوا
السم في السم . فأما المتعلمون منا فعلمهم قشور وفضلات ، والهيليل على ذلك أنهم لا يعرفون من علومهم
إلا أن ينطقوا بالفرنسية مثلا أو بالانجليزية . ويطعن أكثرهم أنهم بسبب هاتين اللغتين أو بعض العلوم الأدبية
قد ألغوا علوم الفريين وجهلوا أنهم أصبحوا مغمورين في مخزى سفاهتهم وشرور جهالهم واندجوا في
هماسهم فطلعت الفومية وضاعت لتفرق الأهواء وتخاذل سفهاء الرؤساء سعي وراء الشهوات التي اتبعوها
باغراء القوم وازدراء للوطن والاديان الشرقية تقليدا لأولئك الاوروبيين فهم لا يلبسون إلا من مصانهم
ولا يغازلون إلا اناسهم ولا ينامون إلا في فنادقهم ولا يتعاطون مشروبا ولا مأكولا إلا من أيدي خادمي فنادقهم
ولمنزل المعلقة للشراب والطعام . غيا أنبه القليلة بالبرحة

لقد ذكرت في الأجزاء السابقة قصة ذلك الراهب الاسباني في قرطبة الذي اشترى عنب قرطبة كلها
وعصره وقال أنا لا أعطي إلا لأبنائي وأحبائي تلاميذ المدارس المسلمين وهذه أربعمائة سنة واللفظة مستحكة
ولم يظهر في أم الاسلام عقول راجحة تفهم العاقبة ملاحق بهم من القتل والهوان والجهالة واتى لم أجد رجلا في

الشرق استيقظ لذلك إلا نابتة الهند وهو غاندى فانه حرم للباس القطنية والحرير وكان الأجدر بهذا أم الاسلام
 إذن ليس هؤلاء المرسومون في الصورة المتقدمة المختارين وحدهم . كلا . فأم الاسلام اليوم في بلادنا
 مخترة لأن التخدير على قسمين : تخدير ظاهر وهو ما رأيت ، وتخدير باطن وهو تخدير المعلمين والأغنياء
 وأرباب الجاه ، أولئك الذين يعيشون ويعوتون ولا هم يدركون فلا يعلقون ما يراد بهم ، إن جميع أنواع التجارة
 الأوروبية من باب التخدير ، يجب أن يجذ أهل الشرق في المصانع والمعامل والمناسج والمزارع والتجارة حتى
 يضارعوا أهل الغرب في كل فرع من فروع الحياة والا فهم مخترون وصدق فيهم قوله تعالى - احشروا الذين
 ظلموا وأزواجهم - وحشرهم في الآخرة قد ظهرت بوادره في الدنيا بأمثال هذه الصورة وباشترائك سكان
 شمال افريقيا من مصر الى مراكش وسكان بعض الشرق الأدنى من أهل الشام والعراق والموصل في
 الاستبعاد للأثم الأوروبية لغفلة العلماء والأمراء السابقين بسبب استحكام الجهالة ، فلئن رأينا الرسميين في
 هذه الصورة السابقة مسوقين الى المحاكم عند الحكومة المصرية ليزجهم في السجون لقرين هذه الأم
 العربية في شمال افريقيا وغرب آسيا مسوقين لسجن الاحتلال والاستبعاد واذلال أهل أوروبا يرسفون في
 القيود وهم لا يعلمون

ومن رعى غنا في أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد

اللهم إن هذه هي نفسها صفة المسيح السجال ، إذن المسيح السجال المذكور في الأحاديث الآتية في آخر
 الزمان له أمثال وأشياء هؤلاء المسيحيون السجالون يطلق عليهم المسيح السجال من باب الكناية لأن الكناية
 لفظ أطلق وأريد به لازم معناه فليس المسيح السجال الذي في الأحاديث على معناه الظاهري ولكن المقصود
 هنا في زماننا هو المعنى الكناية كما ذكره الامام الغزالي في حديث « إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا
 صورة » فقال هذا الحديث باق على معناه وهذا لا يمنع من المعنى الكناية وهو ان الذين امتلأت قلوبهم
 بالشهوات الرموزها بالصورة أو بالقوة التفضية الرموزها بالكلب لاتصل الملائكة بقلوبهم فهم أبعد الناس
 عن العلم فيكذبا هنا فليكن السجال على معناه الظاهري ولكنه يرمز الى ماتمن فيه الآن ، إن المسلمين اليوم
 دخل عليهم هؤلاء المسيحيون السجالون فأعموهم عن الحقائق وصاروا جهالا ففسدهم في الشهوات والذوات
 والجهالات فانت النفوس ، بل أكثر هذا النوع الانساني اليوم مختلج بخمير كهؤلاء الذين في هذه الصورة فهم
 يأكلون ولا يعقلون كيف يأكلون ، انظر الى ماتمن في سورة طه وسورة الشعراء وأول سورة الحجر وفي سورة
 البقرة عند آية - أنسبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - ففي تلك المواضع وضع ما يقوله الأطباء في زماننا
 في الذي يجب أن نأكله وفي أنواع المداواة ، ثم انظر الى ما يأتي في (سورة ص) عند آية - يادود إنا
 جعلناك خليفة في الأرض - وكيف تسمع أنطاطون حاكما عن سقراط في الجمهورية وهو مخاطب غلوكون
 إذ يتم أبناء الجمهورية الذين يعيشون عيشة الترف وأن ذلك مضغ للأجسام مضغ للعقول ، وكيف تدش
 حين تسمع منه هذا الأسر الحبيب العريب وهو أن هناك علاقة وثيقة وصلة ثابتة بين القضاء والأطباء وبين
 الماء كل والمغاني ، وأن الناس كلما أكلوا من أنواع الطعام ولم يكتفوا بالسلطة من الأطعمة كثرت عندهم
 الأمراض فاحتجوا الى الأطباء ، وأن المغاني وإن كانت ملطعات لأمرجة الجيوش الذين يراولون الأعمال
 الرياضية (بالجناسك) لا يجوز التفان فيها لأن ذلك يورث الفسوق والعصيان وذلك من موجبات الوقوف
 أمام القصة فوجب أن تكون المغاني بسيطة وكذلك آلات الطرب وكذلك الماء كل ، وعار على أبناء
 الجمهورية أن يحتجوا الى الأطباء لإلنادرا ولا الى القضاء إلا في أمور خاصة ، وأخذ يحقر من يفخر بأنه قد
 غلب خصومه بالجة أمام القضاة قائلا : « إن الحياة السهلة التي خلت من القضايا ومن المشاغبات هي الحياة التي
 تليق بالإنسان »

إذن المخترون المرسومون في الصورة لهم اخوان كثيرون لم يرسموا وهم أكثر المتعلمين نصف تعليم من الذين درسوا في المدارس النظامية ومن الأغنياء في ديار الاسلام ومن رجال السياسة ، فهم قد زجوا في نارين : نار تقليد الفرقة وشراء بضائعهم ونار الجهل في الماء كل التي توقع كثيرا منهم في المرض مع الشهوات الأخرى كقطع الحرس والحسد الموقعات في المشاحنات وإقامة القضايا أمام القضاة ، فلأن حشر هؤلاء المخترون في السجون المصرية كما سيحشرون يوم القيامة معا هكذا حشر أولئك المتعلمون والأغنياء من أبناء العرب ونحوهم في شمال أفريقيا والشرق الأدنى في حظيرة الاستعباد كما سيحشرون يوم القيامة في البرجة التي كانوا عليها في الدنيا معا

هناك سألتني صاحبي قائلا : علام هذه الضجة كلها ، ألسنا الآن في تفسير القرآن ؟ قلت بلى . قال : وهل هذا كله ينطبق على - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - الخ مع انها لم ترد إلا في الكفار يوم القيامة وأنت صيبت كلامك كله على المسلمين في الحياة الدنيا . فأين الآية وأين ما ذكرته أنت . إن من يقرأ هذا يقول إنك أنت لك قصد قوله فأنت به تبع الآية والآية بريئة منه . فقلت له : هو تفسير للآية حقا وصدا وما مثلي في هذا إلا كمثل عمر رضى الله عنه في قصة الربيع بن زياد المذكورة في ثنايا هذا التفسير إذ كان أميرا من أمراء البحرين تحت رئاسة أبي موسى الأشعري إذ كتب له عمر احضرات ومن معك فحضروا جميعا ووكلوا بدلم من يقوم بالحكم مدة غيابهم ، واحتمل الربيع الذي هو أحد الأمراء أن يفعل ما يرضى أمير المؤمنين بإشارة غلام عمر السمي (برقا) بأن اتخذ فعلا مطابقة أى ذات رفاق من جلد غير منتظمة ولبس أهداما بالية وأجاع بطنه يومين كاملين حتى يقدر أن يأكل طعام أمير المؤمنين الخشن وهذا الأمير ومن معه ماتوا ودوا الطعام الخشن ، فلما أن مدت المائدة لم يكن في الأمراء من كان أسرع اليها من الربيع لشدته جوعه فأهبط به عمر رضى الله تعالى عنه فأخذ يحادثه دون رفاقه فسأله الربيع يا أمير المؤمنين هل لك أن تتخذ طعاما ألبس من هذا فجزره عمر وقال ماذا تقول ؟ فقال لو أنك أسرمت أن يكون خبرك في يوم الأكل لكان أسهل لك فقال له أعلى هذا غرت (يضم أوله وسكون ثابته وفتح ثابته) أى أنت تريد هذا ، ثم استرسل معه فقال : يا ربيع لو شئت لملأت هذه الرحاب صلاتي وسباتك وصنابا ولكني سمعت الله يميز قوما إذ يقول - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتن بها فاليوم نجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تصفون - والمراد بالصناب ككتاب الزيب المصنوع مع الخردل ليقوى شهوة الطعام التي ذمها أطباء العصر الحاضر ، والمراد بالصلاتي أنواع اللحوم والسباتك ما يصنع من الدقيق الناعم الأبيض الذي استنكره أطباء زماننا ، إن هذه الآية وردت في الكفار ولكن عقول الصحابة وآراؤهم لم تكن كقولنا وآرائنا فهو أدرك المقصود من الآية وهو أن الذين ينهكون في الشهوات يعاقبون لأن انهماك نفسه سبب للنجاة لافرق بين مسلم وكافر فذلك قرأ الآية ولم ينكر عليه أحد والعلماء التأخرون يقولون في مثل هذا انه اعتبار بما في الآية فأننا أقول : الذين ظلموا وأشباههم يحشرون في جهنم . فأننا إما أن أفهم كفهم عمر رضى الله عنه ويكون كل هذا دخلا في معنى الآية وإن وردت في الكفار ، وإما أن يكون ذلك أمرا راجعا للاعتبار بالآية كما يقوله علماء الأصول وكلامنا هنا كلام علمي تاريخي لا متناقض ينتقضه . نعم الجهل هو الذي ينتقض والجهل شوم كله . فأننا إذن فسرنا الآية إما تفسيرا أصليا على طريقه عمر أو تفسيرا بالاعتبار على طريق التأخيرين ولحمد الله رب العالمين

واعلم انه لولا ضيق المقام هنا لذكرت لك أيها الدكي هتا قولنا جامعا في حبس الناس في عاداتهم وأخلاقهم وأحوالهم لمناسبة صور أولئك المنمنمين على المختبرات ولكن اقرأه في ﴿سورة ق﴾ عند آية - يوم تقول

لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد - فهناك سستم حديث الكبر الذي ملكته الجحرفواذه فلم يقهر على التخلص منها والحديث المبكى المذكور في الجرائد المصرية وبين الحديثين أر يعون ستة والحديث الثاني حديث من وقع في المختبرات المذكورة هنا وكان تلميذا في الابتدائي . فهناك وصف عجزن لهذه الطائفة التي ابتليت بشم الكوكابين الذي جلبته أوروبا لنا لاهلاكنا . وهناك تبيان واسع ليلين أن هذه أمثال ساقها الله لنا وأخصة تدل على معانيد هذا الانسان من العادات الموروثية والشهوات التي حصرت في أحوال خاصة منعتهم من الخروج منها بما يدل على أن حياتنا الدنيا في صورتها أشبه بمصفرجهنم فأناس يريدون أن يخرجوا من شهواتهم ومن عاداتهم ولكنهم لا يقدرون كما هي الحال في أهل جهنم والحمد لله على ما علم وله الشكر على ما ألهم

﴿ جوهره في قوله تعالى - وقفوههم انهم مسؤولون * ما لكم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون - ﴾ جاء في الحديث أن ابن آدم لا تزول قدمه من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن شبابه فيم أبلاه ، وعن عمره فيم أفناه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقته ، وماذا عمل فيما علم اعلم أيها الأمم الاسلامية أن سؤال الآخرة ووقوفنا بين يدي الله تعالى له مقتضات ظاهرات في الدنيا خافيات ، فنحن في تعاطي الطعام مسؤولون وإن كنا به جاهلين كما أنا مسؤولون في نظام مدتنا وفي إفضاء الخير على غيرنا وإن كنا غافلين ، لا عنر للجاهلين في الدنيا ، ولو كان الجهل عنرا لم تر الذين يسرفون في طعامهم وشراهم تنبأهم الأمراض ولا أولئك المسرفون في أموالهم ترهقهم الديون ولا الكسالى والمترفون يشاهم الفقر ولا الذين يتعاطون المخدرات في بؤس وعذاب مهين في هذه الحياة وعذابهم لزام كأنهم يشربون شرب الطيم ، ولا الأمم الشرقية التي غفلت عن العلوم والصناعات قد ملك زمامها الأوروبيون - وقفوههم انهم مسؤولون * ما لكم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون -

أثم مسؤولون عن مخبرات الأمور وكبرياتها في الآخرة كما أنكم مسؤولون في الدنيا . هاأنذا في مصر بلادى أرى جهالة شائعة وأعمالا فاسدة وتقاليدها ظالمة والناس بها مقتونون ، اهدموا التقاليد وأزايوا الحجب وأميطوا الأذى من طرق الإصلاح ، أمرت في شوارع القاهرة فأرى شبانا وزهرات الجبل الحاضر محشورين زمرأهما في مشارب القهوة يتعاطون أنواع المشروبات وهم يقرؤن علم الطب في الكتب ونظام السياسة في الجرائد ولكن أكثرهم لا يصونون

التجارة في يد الأجنبي وهو الذي يدير تلك المحال ويستنزف الثروة ويضيع شباب شبانا ويضع لهم باب الشهوات فتقل الأمانات ولهم امتيازات وتفضل على الوطني نالوه قديما ونحن نأثمون منذ نحو (٧٠٠) سنة اجتمع أساطين الأمم المسيحية مع البابا وبارونات أوروبا ودوق فينيزيا وقالوا « لاطاقة لنا اليوم بحرب هؤلاء العرب بالأندلس فلنعاهدكم على حرية التجارة والدين والتعالم ، وهؤلاء سليمان القلوب فلندخل عليهم مائشاء من التعالم » فاجتمعوا وعاهدوا ملوك الأندلس تحت رئاسة ابن عباد وتم ذلك والقوم كانوا عن الحقائق معرضين فأيقظهم رجل منهم يسمى ابن مصعب فتولوا عنه مدبرين ، شرب الخمر في الأندلس ، زال البأس والشهامة والنخوة ، تباهى الشبان والشابات بالفسوق وعدوا ذلك مدنية حديثة ، عصروا حب اسباني عنب قرطبة كله خراجا في أحبابه وهم تلاميذ المسابن ، تفهقرت الأخلاق ، طاحت الأنساب ، ذلت الأعقاب ، ذلت الأقدام . هلك الحيوش ، زالت العروش ، طردوا من بقى من البلاد وهم محقورون مزحولون منبذون - وقفوههم انهم مسؤولون * ما لكم لا تناصرون * بل هم اليوم مستسلمون -

زالت الأندلس ولم يبق منها إلا الذكرى ، إن الذكرى تنفع المؤمنين وقفوههم انهم مسؤولون ، لم يعتبر

أبناء العرب بما حلّ بأخوانهم ، جهلوا أصلهم ، حقت عليهم كفة ربههم ، ساء مصيرهم . وقفوهم انهم مسؤولون
نبئت أم ودول في أوروبا ساروا سيرا سبانيا ، دخلوا شمال أفريقيا من تونس والجزائر وما كثر ومصر
والعراق والشام ، بماذا دخلوا ؟ بنفس النرس والاساوب التي أسسه البلبا وبارونات أوروبا ودوق فينيزيا
فتحوا لهم أبواب الشهوات ، زجروهم في محال القهوات . استهووهم بالعادات الحسنان . شغلواهم بالعادات
بفضوهم في العبادات وفي كل ما هو شرق . سقوهم خرم . وأجلوهم في أماكنهم . أخذوا قودهم .
حرقوا لهم دينهم وأصلهم وما كلفهم ولا لبسهم ومشاريهم وسير آياتهم . مقتوهم . كرهوهم . وقفوهم انهم
مسؤولون . وهم يبرؤن منهم ويقولون . وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين .
ذلك المصري والمراكشي والجزائري والتونسي وأقلت الطليان زوايا السنوسيين في طرابلس وتزقت
وحدة السورى لأن هذه الأمم متفرقون وأمرأوهم السابقون وعلمأوهم وصلحأوهم لم يكونوا يتواصلون
وكل حزب بما لديهم فرحون . فذلت الأعقاب وأهيفت الأنساب وحلّ البطش وتفرق الجلع . وقفوهم انهم
مسؤولون * ما لك لاتناصرون * بل هم اليوم مستسلمون .

ذل الجلع . واتسع الصدع . وقتل الرقي . وقتل الجند . وذهب الجند وزال الجند^(١) وقتل الجند^(٢) والمسلمون تأخون
- وقفوهم انهم مسؤولون -

بقيت امتيازات الأجانب في البلاد لجهااتهم لأن تجارهم رابحة وأعمالهم رابحة . ربطت العادات على
قلوب الشبان فهم في تلك الأماكن يكرعون . ومن ما كلفهم يتفنون . فتوطدت الامتيازات وبقي الذل
- وقفوهم انهم مسؤولون -

استيقظ بعض الأمم الشرقية كأهل الهند فعلموا الملايس الأجنبية وحاربوا الخمر لأن الأمرين بايان للفنان
وزناب الأسرة وضاع المال وبقاء الاستعمار ولكن في بلادنا وأماها لاسميع ولا محجب . وقفوهم
انهم مسؤولون -

وينشأ ناشئ الشبان منا * على ما كان عوده أبوه

اعتاد الناس تعاطى الخمر وتغالوا في شرب الخمر وأتبع ذلك الشاي وغيره ومخدرات وسموم والناس
ساهون لاهون والفرجة هم المضلون والمسلمون مهملون . وقفوهم انهم مسؤولون -
ليحرم علماء الاسلام أن تفتش تلك الأماكن أماكن الفرجة التي تخالف الصحة في هوائها القاسد بكثرة
الأنفاس وأنواع الشراب وهكذا يتناوب الكوب الواحد في اليوم عشرات الشاربين . ويتعاطون الخمر
والقهوة والخمر . ولقد أصدر الأطباء حكمهم على هذه لاسيا أطباء أمريكا وتقتم قتل ذلك في سورة البقرة
عند آية الخمر ولكن أكثر المسلمين جاهلون . وقفوهم انهم مسؤولون -

تفرقت القلوب شعبا في بلادنا وذاق بعضهم بأس بعض . وبأسهم بينهم شديد تعصبهم جميعا وقلوبهم شتى -
سواصل على المل وغراما بالشهوات تلك الأجنبي وذال الوطني وعسى أن يزول ذلك قريبا . وقفوهم انهم مسؤولون -
بعض الصوفية يسيطرون على العقول وهم أنفسهم جاهلون فلا زالوا يضيأ درسوا ولا الطيبيات تعلموا
ولا الإلهيات فهموا . وقفوهم انهم مسؤولون -

قلت الصناعات وملاحت التجارات في البلاد وقلت الديار وضاق الخناق وتفرقت الأهواء وكثر
المراء وظهر الجندل واضمحعل العلم والدين ولا مغيث ولا معين . وقفوهم انهم مسؤولون -

ما ملك الفرجة ولا أبقاهم في بلادنا إلا طموح الأفراد للشهوات الساقطة في محافلهم وافتانهم بصناعاتهم
ولو أن الشعب عرف الحقيقة ونخل عنهم نخرجوا من البلاد وهم مسرعون ولكن المسلمين ساهون لاهون

— وقفوهم انهم مسؤولون —

أجسام الشرقيين قوية ، وعقولهم صحيحة ، وأنسابهم رفيعة ، الدين من بلادهم ظهر ، وكل نبي فهو من الشرق بإسطفاء الله ثابت ، عرفت أوروبا قدر الشرقيين ثقافوا بأسمهم ، حذروا أن يقرأوا علومهم ويعرفوا صناعاتهم فيردوا كيدهم في غرهم فشغلواهم بالشهوات ، وأقشوا بينهم الصداوات ، لأنهم باتباعهم فرحون ، وعن تعليمهم قاصرون ، واقتصروا علماء الدين نحو ألف سنة على فروع الفقه ونسوا أكثر ما ذكروا به في القرآن ونسوا آيات الله في الأكوان في الأرض والسموات فأقفوا باب علوم القرآن — وقفوهم انهم مسؤولون —

اتحد الأطباء في اليابات وأمريكا وأوروبا على تحليل الأطعمة . أيها أملح لنوع الانسان وأيها أضر ؟ فأجمعوا في هذه الأيام على أن ما أفضجته النار قليل النفع وما يتعاطى بلا طبخ ينفع الأجسام ويمنع الأمراض ويحفظ العقول ويرجعوا بالناس الى آدم وحواء قبل الأكل من الشجرة ، ولكن المسلمين قل فيهم الأطباء فلم يدلو دلوهم في الفداء لأن المسلمين لا يعلمون — وقفوهم انهم مسؤولون —

درس الأطباء في العالم أيضا نظام الملابس والهواء والماء والغذاء فأجمعوا أن تعرض الأجسام للشمس نهرا كما يعرضها الحاج في عرقه والحياة الخالوية في الهواء الطلق منعتة للأبدان مقوية للعقول قاتلة لكل مرض ولكل (مكروب) حيوان ذرئى ولكن هؤلاء الأطباء في المسلمين يقولون لأن أكثر المسلمين لا يعلمون — وقفوهم انهم مسؤولون —

درسوا أيضا فوائد الرياض البدنية وتقوية الأعضاء بالأعمال الزراعية والمشي في الخلاء ودوام الحركة وحققوا أوقات النوم واليقظة كما فعل ذلك كله من قبل علماء الطب كابن سينا في كتاب القانون إذ رأيته ذكر جميع أنواع الفترينات بأوسع مما ذكره الفرنجة ، ولكن المسلمين المتأخرين هم النائمون وإن قرأ بعضهم الطب ولمحقاته قائما هم للفرجة مقلدون — وقفوهم انهم مسؤولون —

رأوا في جزيرة العرب أمراء وملوكا يحكمون أما لا تزال على فطرتها وعقولا قوية ونفوسا شريفة تستعد لأرفع المدنيات ، وتصلح لأقوم سبل الحريات . فهام الآن يريدون أن يعملوا بأسمهم بينهم شديدا ليصرفهم عن العلم الى الحرب . فالعرب الذي تعلموه من قدماء الاسبانين لا يزالون له حافظين ولكن المسلمين عن ذلك ذاهلون — وقفوهم انهم مسؤولون —

اللهم إني أكتب هذا وأنا أعلم انك سأتلى عن كل ما علمته من النقص في أم الاسلام ولقد سهلت لي سبيل العلم والنشر فأنا مسؤول وكل قصير يقع مني في تلك السبيل أعتقد اني عنه مسؤول والجزاء عليه في الدنيا بالحرمان وفي الآخرة بالعذاب يوم أقف بين يديك ويقف المسلمون والمخلاق أجمعون — وقفوهم انهم مسؤولون —

المسيح مسيحيان : مسيح صادق . ومسيح كاذب . فالمسيح الصادق هو ابن مريم ويشا كله في الصدق أناس وأمم في أزمان مضت في دهر البهار . وأما المسيح الكاذب وهو السجال فله أمثال وأشكال وجيوش مستعدة في جميع الأمم شرقا وغربا وهم الكذابين الخائفون من أهل السياسة وغيرهم وعلى قدر غفلة المسلمين بالجهل سلب الله هؤلاء عليهم وهم أصحاب السيف والنار والمدافع والغزاة هكذا هم أصحاب الوظائف وتولية الأمر والوزراء وإباحة الشهوات وإكثارها في البلاد سرا فتكون الشهوات مقصودة مرغوبة فتأمرهم من إطلاها نال جنة الاستقلال ويستهم الشهوة من المطاعم والملابس والاعتزاز بالوظائف والإمارة من دخلها لم يفلت منها وتقلب عليهم نارا حامية فكانها شراب النمر والمختبرات يذل شاربها وهو لا يقدر على القرار منه وهذه الطوائف في نأرهم يحترقون — وقفوهم انهم مسؤولون —

أهل المتعلمون : أهل الأمراء . أهل الملوك في الاسلام : افشوا الصناعات والعلوم وعمموا تعليمها وزنوا العقول بالقسطاس المستقيم امتحاناً في المدارس وضعوا كل امرئ فيادى عليه استعداداً من زراعة في الحقول أو صناعة في المدن أو سياسة أو علم ، فكل امرئ شأن واستعداد يخصه والمسلمون لذلك تاركون - وقفومهم انهم مسؤولون -

استخرجوا كل قوة من قوى أفراد الشعب ، لاضيعوا استعداد النفوس التي خلقها الله لكم ولا تذكروا حقلاً ولا سهلاً ولا جبلاً ولا نهراً إلا باجتهاد وعرفتم طرق الارتفاع به ، ولا ينسى لكم ذلك إلا بتعليم طائفة من الشبان الأذكياء العلوم المختلفة لظهور منافع ما تملكون وتذكروا - وقفومهم انهم مسؤولون - اللهم إني نصحت وبذلت طائفي في إضفاء هذه الأمة وهذا جواني يوم أسمع الداء - وقفومهم انهم مسؤولون * ما لكم لاتصرون * بل هم اليوم مستسلمون - وبهنا تم الكلام على اللطيفة الثالثة . كتب في مدينة حلاوان يوم الجمعة بعد العصر ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٠ والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(في قوله تعالى - إني كان لي قرين -)

لقد تقدم في ﴿سورة سبأ﴾ عند قوله تعالى - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ كيف كان الاتباع والتقليد الأعمى في الامور الاعتقادية وسيران الناس وراء القادة والرؤساء بلا عقل ولا هدى ولا كتاب منير أوقع الأمم الاسلامية في الجهل قروياً وقروناً وأفشت هناك في الكلام على محمد بن موصى وتورعت وبلغت تاريخه وأنه أسس دولة واستقل بها إزالة للظلم وإقامة للعدل ولكن جعل نفسه معصوماً إلى آخر ما تقدم هناك ، وقد أثبت أن مثل هذا لا يدوم فقهه وإنما دوام النفع بتعميم التعليم للذكور والإناث ، فأما هنا فإن القرين لم يتبع قرينه بل فكر واستبصر وعرف سبيل الهدى ولم يكن إثمته كإثمته تسير وراء قائدها فذلك أخذ يقول : - إني كان لي قرين * يقول أنتك لمن المصدقين - الخ

ومن عجب أمر القرآن جاء في ﴿سورة سبأ﴾ بالمحاور بين الرؤساء والمرؤسين وكل يوقع اللوم على الآخر بعد وقوع العذاب فأما هنا فكانه يشر إلى أن الناس قد احتسروا مما وقع فيه المقلدون بلا عقل فذلك ترى القرين لا يتبع إلا الحق ولا يتبع قرينه فذلك يقول الله هنا - تالله إن كنت لتردين * ولولا نعمتي في لكنت من المحضرين - بدل أن يقول هناك - لولا أتمم لكننا مؤمنين - الخ فهذه المحاورة لما قل أراد صاحبه اضلاله فلم يعأ به واتبع عقله وهذه خصلة أم الاسلام في مستقبل الزمان يتعلمون ولا يتفترقون تابعين في ذلك أمواء الرؤساء المضلين والشيخو المجاهلين بل هم أنفسهم متى تعلموا أمركوا أن أم الاسلام لا تعيش بالافتراق الذي جناه عليهم الرؤساء وإنما تعيش بالوئام والمحبة العاتمة وقطع دابر التخاذل والتناهد والغصام وإذن يقول المسلم لمن كاد يضل - تالله إن كنت لتردين - . أكتب هذا على أنه تنظير لا أنه نفس معنى الآية بل هو أهم مقصود القرآن

هذا وليعلم المسلمون في أقطار الأرض أن الآراء التي يتلقاها الناس كباراً عن كبار قد تكون مدخولة مغلطة وإن كان الناس لا يعلمون :

(١) مثال ذلك مسألة النيازك وهي الصخور المعدنية (وأكثرها حديد ونيكل) التي تسقط على الأرض من السماء آتية من اجرام سماوية أخرى . ففي أواخر القرن الثامن عشر أظهر بعض العلماء بناء على مشاهدات حقة أن هناك كتلا معدنية صغيرة مختلفة في الحجم وفي الثقل تسقط على الأرض من بعض الكواكب فقابل

أغلب العلماء هذا الاكتشاف بالعداء والسخرية وانفرد من بين هؤلاء العلامة الأشهر لافوازييه (واضع أصول الكيمياء الحديثة) فظن أن هذا الاكتشاف الجديد مستندا على قانون الجاذبية العام قائلا بأن كل جسم ساوي يجذب أجزائه إليه وأنه من المستحيل أن تسقط منحور من السماء على الأرض وقدم تقريراً جازماً إلى جمع العلماء بباريس ساخراً فيه من هؤلاء العلماء الذين ساقهم عقلم إلى الشك في قانون الجاذبية هذا الشك الفاضح . ثم صرنا لا عوام وتظهر من تكرار المشاهدات أن لافوازييه كان خاطئاً وأن النيازك حقيقة لا شك فيها وأنها تسقط من الكواكب على الأرض رغماً عن سيطرة الجاذبية

(٢) وهناك مسألة أخرى خاصة بالكائنات البحرية وتتلخص في أنه كان من البديهي عند العلماء في النصف الأول من القرن التاسع عشر أنه لا يوجد أثر للكائنات تحت عمق أر بعامة متر في البحر الملح وذلك لأن الضوء لا يصل إلى هذا العمق وأن الضغط على جسمها يبلغ عند هذا العمق عشرات أضعاف الضغط الجوي وأنها لا يمكنها أن تعيش مطلقاً تحت هذا الضغط . فمن البديهي إذن أن لا يوجد كائنات حية تحت هذا العمق . ولا يخفى أن هذه البرهنة واضحة بسيطة متماسكة منطقياً فكان من المعقول أن يكتفي بها العلماء وأن يطمئنا إلى حقيقتها ولكن أظهرت الأبحاث التالية في صيد الحيوانات البحرية على أعماق مختلفة وذلك بالآلات صيد خاصة تدل بالضبط على العمق الذي أخذت فيه هذه الحيوانات من أن هناك كائنات حية متعددة ومتنوعة من أسماك وقشريات ونجميات على أعماق بعيدة يصل بعضها إلى سبعة آلاف متر أو أكثر . وأن هذه الكائنات تتحمل ضغطاً يقدر بمسماة ضغط جوي وأنها رغماً عما كان ينتظر منطقياً منها بحية بدروع صلبة تجعل أعضائها الداخلية في مأمن من العطش بل أن أغلب هذه الحيوانات هي على الغد من ذلك طرية للمس والجدار كبعض مثيلاتها في المياه السطحية والعقل يحار أمام السر الذي تخفيه هذه الحيوانات في تحمل هذا الضغط العظيم . ولما تكرر صيد الأعماق البحرية ثبتت هذه الحقيقة شيئاً فشيئاً حتى أصبحت لا شك فيها الآن ودخلت في مجال العلم رغماً عن مخالفتها للمنطق الذي استندت عليه الآراء القديمة

(٣) ولما ظهر دارون بكتابه «أصل الأنواع» قامت القيامة في وجهه وانتقده العلماء وسفروا به لأن آراءه الجديدة كانت مخالفة لما تعودوه من التفكير ولكن لم يلبث أن خضع له الكثيرون ممن كانوا لا يؤمنون به . وإن كانت آراء دارون الأصلية قد نشأت كثير منها في مهبط الريح إلا أن أثرها في تطور الأبحاث العلمية لا شك فيه ومركزها في تاريخ العلم مركز عتيق

(٤) وكذلك لما قام العلامة باستور بأبحاثه المعروفة في المكروبات وأظهر لعالم الطب الدهش أن كثيراً من الأمراض سببها تكاثر ميكروبات خاصة في عضو من أعضاء الإنسان أو الحيوان وأنه من الممكن زرع هذا الميكروب في سواقل خاصة واحداث المرض نفسه في حيوان سليم . لما فعل باستور ذلك قامت قيامة علماء الطب عليه وصاروا يطعنون أشد الطعن في هذه الآراء الجديدة ولكن كل هذا العداء من جانب علماء ذلك العصر لم يمنع نظرية الأمراض الميكروبية من التقدم والتحسين حتى أصبحت الأصل للجراحة والطب الحديثين

(٥) ولما أظهر باستور بواسطة تجاربه النقية المحكمة أن الكائن الحي لا يتكوّن إلا من كائن حي سابق وأنه من المستحيل أن تتكوّن الحياة في سائل عضوي معقم تعقياً كافياً أي أن نظرية التولد الذاتي مستحيلة التحقق وكانت هذه النظرية شائعة كل الشيوع بين علماء ذلك الوقت . لما أثبت باستور ذلك احتج عليه العلماء من كل صوب عظمين كل التجارب مستدين إلى ما تعودوا ورويته وكل هذه الضجة الهائلة لم تمنع آراء باستور من الانتصار

(٦) ولقد شاعت نظرية دوران الشمس حول الأرض ولكن لما ظهر الحق على أيدي علماء الاسلام أولا كما تقدم ايضاحه في أول ﴿ سورة يونس ﴾ وأن الأرض هي التي تسبح حول الشمس وعرفها علماء أوروبا فلما ظهرت على أيدي بعضهم صودر وحس وحكموا عليه بالكفر ولكن ظهر رأيه وانتشر في الأرض فهذه ست مسائل مما فاز بظهاره العلم بعد أن كان الجهل به حقيقة لا يشك فيها ، أليس معنى هذا أن المسلمين في المستقبل غير المسلمين الحاليين الناعمين الذين يعيشون بفكر غيرهم وكثير منهم أشبه بالحشرات اللاتي تمتص دم الانسان وهي ضعيفة - إن الله لا يضر ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - ولقد قلت مرارا في هذا التفسير أن أمم الاسلام في المستقبل غيرها في الماضي والله هو الهادي الى سواء السبيل . انتهت اللطيفة الرابعة وبها تم الكلام على سورة الصافات والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة ص ويقال لها سورة داود عليه السلام (وهي مكية)

(آياتها ٨٨ - نزلت بعد القمر)

والكلام عليها في « ثلاث فصول » الفصل الأول « في تفسير البسملة » الفصل الثاني « في تفسير الألفاظ » الفصل الثالث « في مقصود السورة »

﴿ الفصل الأول في تفسير البسملة ﴾

لما قمت هذه السورة الى الطبع حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في هذا التفسير فقال : لقد فسرنا البسملة في السور السابقة بطرق شتى بحيث لا يسبق الى ذهن تكرار في التفسير ، فهل تريد أن تكتب شيئاً في تفسير البسملة هنا . فقلت نعم . فقال : وهو يضارب ما تقدم ؟ فقلت نعم . فقال : من أي وجهة ؟ فقلت من وجهة الوحدة والكثرة ، فالوحدة في لفظ الجلالة لأن هذا الاسم لا يلحظ فيه إلا الذات وأما الرحمن الرحيم ، فهنا للرجة آثار لانهاية لاعتها ، إذن هنا وحدة وكثرة ، فالوحدة للذات الإلهية والكثرة في آثار الأسماء الدالة على الصفات وأسماء الله جميعها تدل على الصفات . فقال : هذا كلام إجمالي والوحدة والكثرة ذكرها الصوفية ولكن كلامهم مجمل ، ويدكرها الحكماء في علم ما وراء الطبيعة ويقولون : « إن العالم ذو وحدة تقسم الى جوهر وعرض وكل منهما يقسم أقساماً ، وهذه الأقسام هي المقولات العشرة المشهورة وهناك تقاسيم أخرى لاحاجة الى الإفاضة فيها وكلها ترجع الى تقسيم وحدة العالم الى كثرة حتى ان تقسيم العالم الرياضية والطبيعة يرجع الى هذه الكثرة المنجودة في وحدة العالم . فقلت هذا حق ولكن الوحدة والكثرة التي سأذكرها هنا تؤخذ من المشاهدات الطبيعية خلت في ذلك مثل علماء الهندسة إذ يمرضون على الطالب أموراً معاول للجهل والعالم ويستنتجون علوماً لا يعرفها إلا الخاصة فهم يقولون الكل أكبر من الجزء والنقيض لا يجتمعان وإذا أنصف شيان متساويان الى شيئين متساويين يكون الجميع متساوياً وإذا حذف شيان متساويان من شيئين متساويين فالباقي متساو وهكذا ويستنتجون من هذه نظريات وراء نظريات حتى يصلوا بعد (٣٧) نظرية الى أن زوايا المثلث الثلاث تساوي قائمتين وبعد نيف وأربعين قضية يقولون إن مربع وتر الزاوية القائمة يساوي مجموع مربعي الضلعين الآخرين وهذا الشكل يسمونه شكل العروس ، فهذه مسائل دقيقة استنتجوها من أمور أولية بديهية ، فهكذا هنا أنا أبحث في الوحدة والكثرة في الأمور المشاهدة أولاً وأقفى على ذلك بما هو أعلى وأغلى . فقال : لقد شاقني وصفك فكيف يكون ذلك ؟ فقلت : ما من أمرئ إلا وهو يعتقد انه واحد وهذه الوحدة مشتملة على كثرة ، فكل إنسان أعضاء للاحساس وهي خمس وأعضاء للعمل وهي خمس أيضاً ، اليدين والرجلان واللسان ، فاليدان لجميع الصناعات على الأرض والرجلان لا يتنقل الأجسام واللسان لنقل المعلومات في الهواء ومن صناعات الدين الخط وهو مساعد اللسان في نقل علم الأولين الى الآخرين وعلم الحاضرين للقاتين ، إذن الرجلان واللسان وبعض أعمال اليدين لنقل الأجسام ونقل العلوم . ثم ان العينين من أعضاء الحس واليد من أعضاء الحركة كل منهما مركبة من أجزاء مختلفة كالشبكية والباورية في العين وكلجلد والعروق والمضغ في اليد ونحو الجلد والشبكية والباورية كل من هذه يسمى جزءاً باسم كنه . فقطعة من الجلد وقطعة من الشبكية وقطعة من العضلات وقطعة من العروق كل هذه يكون شأنها شأن ما قطعت منه في التسمية . فقطعة من العظم وأخرى من اللحم لا يتغير اسمها عما

قطعت منه بخلاف الجلد اذا كسطناه عن اللحم فكل منهما يحمل اسما يميز الآخر . وهذه الأجزاء التي تسمى جزؤها باسم كلها مركبات من عناصر دخلت فيها وتنتهي هذه الأجزاء الى الالكترولونات وهي النقط الضوئية الصغيرة جدا ، فهذا عرفنا وحدة الانسان في قوله انا وكثرته هذه الأجزاء التي لا يعرف مدى قسبتها وتحليلها ، ولا جرم أن الوحدة هي التي جعت هذه الكتلة وحفظتها ولذلك اذا خرجت الروح من الجسم وهي الجامعة لتفرقاته في الحياة رأينا هذه الوحدة قد تفرقت شذرت في الأرض والماء والهواء إذ أن الوحدة لها السلطة والغلبة على الكتلة وكثرة بلا وحدة ضائعة متفرقة ، وحدة الأسرة والمدينة والأمة والانسانية جماء والحيوانية وهكذا الى أن تقول وحدة الكرة الأرضية ، ومثل ما قلنا في وحدة الجسم وكثرته قول في وحدة الأسرة المركبة من أفراد لها رئيس جامع لها وكثرتها وهكذا القرية والأمة الواحدة والأمم الشرقية والقرية ثم الانسانية جماء فكل هذه لها كثرة ووحدة بوجهين مختلفين ، واذا عدنا الى ما هو أوسع من الانسانية اعتبرنا الحيوانية فالعوالم النباتية فالعالم الأرضي كله فالكرة الأرضية جميعها فلها وحدة ولها كثرة بحكم الانسان وبالوحدة البقاء وبالتفريق الملاك فلا بد من وحدة تضبط الكرة ، واذا علونا فوق ذلك رأينا السيارات مع الشمس لها وحدة نسميها المجموعة الشمسية التي نرى لها تسع سيارات باعتبار الكوكب التي وراء نبتون التي كشف في هذه السنة ، وهناك ذوات الأذنان والنيازك والشهب الجاريات حول الشمس التي يقال ان عددها تعدد سمك البحار فهذه كلها مع الشمس معتبرة وحدة . ألا ترى الى ما يسمونه المجاذبية ، تلك الحال التي تضم الأرض والكواكب السيارة وأقمارها فتجعلها لاتتحيد عن أماكنها كما لاتترك اليد ولا الرجل جسم الانسان وغيره

تباركت يا الله : لنا أجسام ذات وحدة جعت كثرتها فاذا فارقتها الوحدة يخرج الروح تفرقت أجزاءها وللمجموعة الشمسية وحدة كوحدة الروح مع الجسم بحيث نرى الكواكب في أماكنها ولولا المجاذبية لتفرقت وطاحت ، إذن هنا أمر عام في المجموعة الشمسية حكمه حكم الروح في جسمي اذا خرج منها تفرقت تلك الأجزاء وتناثرت وتباعدت وطاشت في أقطار الخلاء البعيد المدى وفي المجرة الواحدة مئات الملايين من تلك المجموعات الشمسية التي نشاهدها في الليل بهيئة نجوم صغيرة جدا في رأى العين ، وحكم المجرة الواحدة مع كواكبها الثابتة التي هي في الحقيقة مجموعات شمسية لها حكم ماذكرنا أولا من الجسم وما بعده (انظر بعض هذا في أول سورة سبأ) وليس في السماء مجرة واحدة بل هناك مجرات وسدم (جمع سديم) تعد بمئات الملايين وقد فعل بها ما فعل بما قبلها بحيث أصبح العلماء اليوم يقولون : « إن العالم كله كرة واحدة يسير النور حولها مائة ألف مليون سنة . ومعالم أن النور يسير في الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل (٣٠٠) ألف كيلو . إذن هذه العوالم جميعها جعلت كرة واحدة كما جعل الانسان الواحد جسما منظما له روح تجميع وتضم وتحفظ أجزاء جسمه كما ان في العالم معنى يحفظه وقوة تضمه يسمونها المجاذبية وهي عين الوحدة

﴿ نظام الجسم الانساني مع هذه العوالم ﴾

قلنا إن الجسم الانساني له حواس للعلم وله أعضاء للعمل . فأما الحواس الخمس فأولها حاسة اللمس التي تم كل حيوان حتى البعوضة بل هي سارية في النبات أيضا وهذه قسطها من العوالم حولنا ما قرب منا بالاحساس بالبرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة وهكذا ولها حاسة التذوق بالخلوة واللحوة والمرارة والحارقة والعذوبة وهكذا ثم الشم للروائح التي يحملها الهواء ثم السمع للأصوات من سائر الجهات ثم البصر لما هو أبعد حتى أقصى النجوم من القدر السادس . ثم بعد ذلك يستعين الانسان بالعلم بفصل الى معرفة أقدار النجوم وأبعادها ويعرف بالمجهر الى القمر العشرين . إذن الحواس الخمس عرفت مبدأ العالم والعلم أغاث الانسان فرصه فوق ما رفعت هذه الحواس . إذن الجسم الانساني من حيث العلم قد شهد العوالم بحواسه ثم بعقله وبهذا انتهى الكلام

على القسم العلمي من الجسم الانساني

أما القسم العملي فهو أعضاء العمل وهي قيمان : قسم للانتقال ، وقسم للأعمال . أما قسم الانتقال فهما الرجلان اللذان يسير بهما على الأرض وقد ساعدهما سفن البحار وقطار البخار في الأرض والآلات الجارية كالغريبات وما يسمونها السيارات (الاتوموبيلات) وهكذا كل ما يجري على الأرض بجر الحيوان أو يدفع البخار أو بمادة البنزين المستخرجة من الفحم أو بالكهرباء ، كل ذلك على الأرض ، وعلى ذلك الطيارات التي تطير في الحق وتحمل الناس والأقال ، فهذه كلها قائمات مقام سعى الرجلين وبهذا تم الكلام على الضويين اللذين أعدنا لنقلنا وسبرنا على الأرض

أما العنوان اللذان أعدنا للأعمال فهما اليان اللذان بهما نصنع ما محتاجه للطعم والملبس والمسكن وما تفرع منهما واستعنا على ذلك بالآلات قامت مقام عمل اليدين كما قامت المجاهر مقام العينين في بحث الكواكب البعيدة وقامت الطيارات في الهواء والسيارات على الأرض والسفن في البحار مقام الرجلين ، وهذه الآلات التي قامت مقام اليدين أو ساعدتهما إما أن تديرها اليان أو الحيوان أو الفحم أو الكهرباء ، كل ذلك لا تلم عمل اليدين وحفظ حياتنا على هذه الأرض ، وبالجملة هذه العوالم مزودة الانسان من وجهين : وجه العلم ، ووجه العمل وجسمنا خلق على استعداد لهما ، أما اللسان فهو رسول بين الأفراد يوصل العلم من واحد الى الآخر ويعين على الأعمال الصلة فهو يحركه عامل وعمله ينتج العلم . هذه هي حال الانسان بالنسبة للعوالم المحيطة به وأكثر ما ذكرناه هو علوم طبيعية لصور خارجية في العوالم الأرضية والسبوية

﴿ الصور الخارجية والصور التقنية والعلوم الرياضية ﴾

قلنا إن أكثر ما ذكرناه علوم طبيعية إذ هي ترجع الى المادة المحسوسة المشاهدة ولكن هذه العوالم المشاهدة كما قررنا لها وحدة ولها كمية من وجهين والكمية لاحد لها ، فإذا لم ترجع الى الوحدة في ذاتها كما أنها واحدة في الخارج كان جهلنا بها عظيما لأن العلم لا يثبت إلا لما هو ثابت ولا ثبات لإلوانين ، أما الكثرة التي لا قانون لها ولا ضابط فهي خارجة عن الحصر وما خرج عن الحصر لا يعلم ، هنالك احتاج الانسان الى علم العدد والحساب ، ولا جرم انه كما قلنا واحد في نفسه لأن له روحا جعلت أجزاء هذا البدن وإذا خرجت هذه الروح من الجسد تميزت تلك الأعضاء وطاحت تلك الحواس وتناثرت تلك الأجزاء وضاعت في كل فج عميق ألم يشاهد الناس أن الميت هذه حاله لاضابط لأجزاء جسمه الممزقة ولا حافظ لأعضائه المختلفة ، فالتى جمع ذلك كله وحدة هي الروح ، فليس في الأرض امرؤ يقول في نفسه انه اثنان بل يقول أنا ، فيه معنى الوحدة بداهة ثم ينظر في أعضائه فيجد فيها الرأس وهو واحد والعينين والأذنين والتدين والسبيلين وهكذا فهما اثنان ، ويرى في كل أصبع ثلاث مفصل ويرى أعضاء البطش أربعة وهي اليان والرجلان وأعضاء الحواس خمسة وأصابع اليد الواحدة خمسة وتضعيفها تكون العشرة ثم العشرين بضم أصابع الرجلين وهكذا يضاعف العدد الى المائة والألف والآلاف والملايين وما فوق ذلك وينتهي ذلك كله بأن تقول علم العدد . إذن الانسان فقل في صورة التقنية ما فعله بالصور الخارجية . إن الانسان كما انتقل من جسمه الى العوالم فأرجعها كلها الى كرة واحدة فقل يعلم العدد هذا العمل نفسه . فالعشرة عنده وحدة والمائة وحدة والألف وحدة والمليون وحدة وهكذا وينتهي الأمر بعد آلاف آلاف الملايين أن يقول هو العدد أو الحساب كما قال في العالم المحسوس هو الكرة التي يسير الضوء حولها كذا وكذا فما تقسم . إذن الانسان اخترع لنفسه صوراً ذهنية هي الأعداد وهذه الأعداد لا وجود لها في الخارج وهل في الخارج إلا المعداد . والسما والأرض والبحر والجبل ليست أعدادا كلا . بل هي معدادات . وما الأعداد إلا صور ذهنية اخترعها العقل الانساني ليكبح بها جراح الصور الخارجية التي تريد أن تغفل من يده فضعها وجعلها فقرت في يده وحضرت لديه فصرها فكان بذلك قرر العين

وبلى الحساب علم الهندسة . وما علم الهندسة إلا نظام للتقدير المتصلة من الخطوط والسطوح والأجسام كالخط المستقيم والمنحني والتكسّر وكأزواية والمثلث والمربع وكالكرة والمكعب وما أشبه ذلك ، فالتقوانين الهندسية التي سبق كثير منها في ﴿سورة الروم﴾ عند آية - فطرة الله التي فطر الناس عليها - بها ضبطنا كثيرا من هذه الأجسام فبقيت في عقولنا وحفظت في أذهاننا فأرجع إليها فأنك تجد هناك نسبة وصلة ورجا بين أنواع الأشكال في مساحتها كالنسب والصلة بين ذوى الرحم من نوع الانسان . إذن الهندسة متممة للحساب في ضبط المادة كي يعلمها الانسان ويساعد ذلك كله علم الجبر وعلم الفلك وعلوم أخرى مفرقة على ذلك . وما ذلك كله إلا صور ذهنية اخترعتها العقول الانسانية بحكمة دبرت وآيات أبدعت في خلق الروح المودعة في هذه الأجسام . إذن الانسان قدر أن يصنع في نفسه نوعين من الصور : نوع له وجود في الخارج وهي مواد العالم الطبيعية . ونوع لا وجود له في الخارج وهي الأعداد وعلوم الهندسة والأعداد مقادير منفصلة والهندسة مقادير متصلة إذ ترى المثلث مثلا اتصلت أضلاعه وزواياه بخلاف واحد اثنين فهما منفصلان لا امتصان وهنا يقولون إن الوجود له ﴿أربع مواطن﴾ وجود في الأذهان كهمزة الأعداد ونظريات الهندسة . وجود في الأعيان وهي المعدودات والأشكال الهندسية الملموسة . وجود في اللسان وهي الكلمات العبارات على ماقى الأذهان . وجود في البنان وهي الكتابة الدالة على ما نطق به اللسان . إذن الموجود أصالة هو الخارجى وهو المعدود مثلا ويبر عنه العدد الذهني ويبر عنه اللسان وينوب عنه القلم . فأولا مرتبة الخارج يتبعها التهن يليه اللسان فالبنان . ولكن التي في الخارج هو المعدود والتي في التهن هو العدد فهما متقاربان من هذه الجهة

﴿البحث فيما وراء المادة﴾

(ومعرفة الله تعالى ونظام السياسة في الأمم)

نظر الانسان بذلك فقال : هذه علوم طبيعية وهذه علوم رياضية والآخرة حفظت الأولى ولكن ما الحافظ هؤلاء جميعا والتي حله على ذلك غريزته وفطرته كأن نفس الفريزة هي التي اخترعت علم العدد . فهناك قال الانسان : « إن العالم صانعا ولكن كيف أتصوره ؟ المادة مشاهدة . والأعداد ونحوها متخيلة مسنتجة من المشاهدات المحسوسات » هناك أخذت الخيلة تحتلق له صورا وأشكالا . ويانه أن الانسان يتصور السماء والأرض وما بينهما في مخيلته اذا كان بصيرا كما شاهدهما ويتصور المسموع بصورا يراه ويشاهده بعينه لأن البصيرات أغلب عند المصرين وهكذا يتصور الأعداد بصورا يشاهده بعينه . أنا منذ الصغر حفظت القرآن عن ظهر قلب بلا عقل فأنا لاحظ الآن أن سور القرآن سورة سورة مرسومة في ذهني مفصلة بهيئة صور لها ألوان مما أشاهده في العالم وهذا من المسموعات ولكن هذه الصور المخترعة في مخيلتي للمسموع من القرآن ليست في الوضوح كصور السماء والأرض ثم أرى صورا أخرى في خيالي للأعداد من الواحد والعشرة والمائة وما بينها فهي مرتبة منظمة بحسب ما يشاهده بصري . وليس من المعقول أن الأسمى يتصور هذه الصور كما يتصورها البصراء . إذن الانسان في صور المحسوسات والصور المخترعة للتع يتخيلها بحسب ما غلب عليه . إذن الانسان في تصوره لم يلتزم طريقة بينهما فهو حر يتصور بحسب ما غلب عليه . فاذا كانت هذه حاله فيما له صورة في الخارج ونحوه فهو فيما ليس له صورة في الخارج أغور في الحرية وأعرق وأبعد مدى في التصوير . ألا ترى الى ما يقوله الحكماء : « ان الطبيعيات هي محتاج في ادراكها الى المادة في التهن وفي الخارج والعلوم الرياضية محتاج في ادراكها الى المادة في الخارج لافى التهن والعلوم الإلهية محتاج في ادراكها الى المادة لافى التهن ولا في الخارج وذلك كالنخلة في الأول والمائة في الثاني والله في الثالث

هنا أخذت عقول الناس تجول فيما حوّلها . فأخذ كل يصف الله في خياله بما غلب عليه مما هو عظيم

في نظره من بقرة يحترث الأرض عليها وفيل هائل للنظر وحية عظيمة وقرد وشمس وقر وكوكب فالتخيل هنا كان أوسع حرية بخلافه في المحسوسات فمن صورها ظاهرة فلا داعي لسعة الاختلاف في تصويرها ، ولذلك رأينا أهل هذه الأرض ملؤها بالأصنام اللاتي تصور لكل أمة ماغلب على طباع أهلها ، وتارة يتخيلان صانع العالم رجلا عظيما كما تخيلوه كوكبا متبرا ، بل منهم من تخيله شريرا كثيرا الشر لما غلب على الطبع من أن الشرير يخاف كأمثال قوم يزيديه يعبدون ابليس ويقولون إن الله رحيم فلا حاجة إلى عبادته ولكننا نعبد ابليس لأنه شرير وهكذا من الصور التي لاحد لها ، ولكن الانسان ذلك المخلوق القوي أدرك في نفسه وحدة وكثرة ووحدته حفظت كثرته رجع فقال . كلا . الوحدة في جسي وفي العوالم والوحدة في الأعداد كما تقدم ، فالإله ليس متعددا بل هو واحد وما هذه إلا مظاهره كما إن رومي واحدة والأعضاء مظاهرها لا غير ، لذلك نسمع علماء الهند يقولون : « إن الآلهة الثلاثة التي يعتقدونها ما هي إلا صفات للجوهر الحقيقي وهم براهما وسيغا وفشنو ، فهم اذا ملؤا بلاد الهند بالأصنام فكلمها آلهة ثانوية ترجع الى الثلاث والثلاثة إنما هي صفات والله واحد » وهكذا تسمع المسيحيين يقولون قولا أخرى من هذا فيقولون : « الثلاثة واحد » ولكنهم لا يصححون كما يوضح أهل الهند لأن هؤلاء مقلدون لهم والمقلد لا يعقل ما يفعله من علمه فلما جاء الاسلام أعلن الحقيقة مرة واحدة فكسر الأصنام ومنع تعدد الآلهة وأنكر الآبوة والبنوة وقال الله واحد ، فقوله تعالى حكاية عن الكفار في هذه السورة - أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملائكة منهم أن أمشوا واصبروا على آلهتهم إن هذا لشيء يراد * ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق - منشؤه نظرهم الى الكثرة والكثرة بالوحدة ضائعة

﴿ سياسة الأمم تتبع عقائدنا ﴾

إن الأمم لا نبات لها ولا دوام إلا بوحدةها ، ولا وحدة لها إلا بعلم يحفظها كما حفظت الصور المحسوسات في نفوسنا وعلقت بضوابط حسائية ، فكما أن العلوم الرياضية رباط العلوم الطبيعية وحفاظ لها هكذا العقائد الثابتة في الأمم رباط الجماعة الانسانية تحفظها من الهلاك والتشتت ، ولذلك نجد دين الاسلام شرع الأمرين معا : وحدة الخلق ، وتبعها وحدة الأمة : العرب في البداية كانوا أشتنا كل يفضي بأتمته وأسرتة وحشيتة اغرقا في البداوة كما يفضي بصنمه الذي يعبده ويحقر صنم سواه ، فهو بصيرته وبصنمه مقنون ، هنالك تفرقوا سياسة كما تفرقوا عقيدة ، فقال الاسلام لهم : « أيها الناس : لا فضل لعربي على عجمي إلا بالقوى ، ما هذا التفرق ، ما هذا الخذلان ، ما هذا التباعد ، هذه وحدات ضيقات ضائعات متفرقات متباعدات ، اجعوا هذه الوحدات كلها في وحدة تجمعكم ، قم يا بلال أذن في الكعبة وأتم أيها العرب اسمعوا أذانه ، وإن زعمتم أنكم أولى بالكعبة من كل الأمم ، أتم بنو آدم لابنوه دنان ومقطان فقط ، فلتكنوا أيها الناس أمة واحدة ، ألم نكسر أصنامكم المفرقة لكم ، ألم قل لكم إن إلهكم واحد رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق ، إذن الوحدة علقة في الكون فمن أين أتيتم بالتعدد ؟ وهذه الوحدة يجب عليكم أن تفتوها بالصوات الخمس محبة لأبدانكم وقوة لإيمانكم وجامعة لمدينتكم وحافظة لدولتكم والزكاة من أعظم الروابط بينكم واشتراككم في صيام رمضان يقوى لإيمانكم ودولتكم والحج يجتمعكم »

هذه هي أركان الاسلام التي تجمع المسلمين على عقيدة واحدة وعمل واحد وهذا العمل يقوى العقيدة ويحفظ الوحدة ، ولما ترك المسلمون الصلوات وما بعدها وتهلونوا فيها حاق بهم التزل لأن العقيدة لم تحبها فنفذها ويقوئها ويحفظها فتفرقت الوجهة وساء المصير

فقال صاحب بعد أن سمع هذا . الله أكبر : إن هذا خبر بيان في هذا المقام ولكن يتوجه اليك سؤالان

فأرجو أن تأذن لي في ذكرهما . فقلت : لك ذلك . فقال : ﴿ أولاً ﴾ ان اليابان عابدة الأصنام والفرجة الذين يؤمنون بثلاثة آلهة قد اتحدوا ولا توحيد عندهم والمسلمون الموحدون لارابطة لهم . إذن لاعلاقة بين العقائد ونظام السياسة ﴿ ثانياً ﴾ أننا الآن في تضيق البسمة في أول ﴿ سورة ص ﴾ والى الآن لم تبين مافى هذه السورة من الوحدة والكثرة وما تقدم كله إن هو إلا أشبه بالقتل . فقلت : أما كون الأمم اتى لاتوحيد في عقائدها قد نجحت في سياستها والأم التي وحلت في عقائدها قد اضطرت سياستها كالأم الإسلامية ، فهذا يحتاج الى البيان . توحيد العقائد والاشراك فيها أمر يرجع الى العلم والجهل . فهو إذن راجع لجهل الروح وعلمها . واعتقاد التوحيد قد يجر الى اتحاد السياسة ونظام المجموع . وقد يقف عند الإيمان المجرد فاذا غذى ذلك الإيمان بما يزيد يوماً فيوماً من الاجتماعات العامة في الصلوات كالصور الأولى ، وبما يؤدى الناس من الزكاة للضعفاء والمرضى ، وبما يحجون ويصومون ويتصدقون

فهذه كلها مغذيات منميات لتلك الوحدة وينقل التوحيد من العلم الى العمل ويصبح الناس اخوانا . واذا دهمهم علو تألبوا عليه وازدياد الحوادث تزيدهم اتحادا . فأما اذا بقى التوحيد أمراً قلبياً لإيماننا أو يقيننا بالعلم ولم تسمح الأمة الى إيجاد روابط عممية بالصلوات والاجتماعات العامة في خطب الجملعات والأعياد فمن أين يتعدى التوحيد العقول ويسرى الى الأجسام ويوحدها . فليس كل من وحد استوفى شرائط التوحيد ولا كل آمن بالله جذيراً بنصره . - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون - ولا جرم أن أركان الاسلام الخمس هي النواة والحجر الاساسى لبنان الأمة وسلامتها وحفظ كيانها . هذا هو السبب في تحاذل المسلمين وعدم اتحادهم في القرون المتأخرة

إن اتحاد الأمم في السياسة له طرق شتى ونواح مختلفة وترجع كلها الى توحيد وجهة الأمة وذلك كما يحصل بالدين يقوم بالعصبة والوطنية والاتحاد في اللغة وفي النسب وفي الاتباع لماك جامع لهم وفي المعاهدة وفي مصاهرة الملوك وفي الاستعباد بأن تقع الأمة من استعبودها وهكذا مما ذكره العلامة الفارابى في كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة »

كل هذه جعلها النوع الانسانى طرقاً ومسالك للاتحاد وهي درجات بعضها فوق بعض فان قاموا بشراطها جنتهم وان لم يقوموا بها تفرقوا شلخهم ، وبهذا تفهم كيف اجتمعت اليابان فقد جعلتها الحاجة الى الدفاع عن وطنهم واتحادهم في النسب واللغة والوطن وقد قاموا بما يجب لهذا كله والله يقول - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - فهم لما أصلحوا أحوالهم النظامية لم يكن ظلمهم بالكفر سبباً لاهلاكهم كما أن الحيوانات التي في الغابات لا حصر لها تعيش في أمن وسلامة فليس الانسان أدنى منزلة منها لأن الله رحيم رحيم يسع في ملكه كل من أصلحوا معيشتهم في الحياة الدنيا وان كفروا بآخر الأديان إما لأنه لم يبلغهم على وجهه كما هو المعروف الآن وأما للتكبر والأناية والعظمة وهذا قليل

فقال صاحبي : لقد اجتمع أهل مصر وتونس وطرابلس والجزائر وصراكش وسوريا والعراق والموصل في اللغة والدين وتجارب الأوطان وفي النسب فلماذا لم يتحدوا ؟ فقلت له : الجواب على ذلك ظاهر مما تقدم . فكم عجزوا عن تنفيذ العقيدة الدينية بالظواهر المادية لها التي توجب اتحادهم في السياسة الدينية فضلاً عن محبة الله والسعادة الآخورية هكذا عجزوا عن القيام بحق اللغة وآدابها ونشرها وعن قراءة علم تاريخ أسلافهم وتواصل المودات بينهم والتعارف فالعجز عن مغذيات الدين بأعماله الظاهرة فظنره العجز عن مغذيات اللغة والنسب وقرب الجوارى الى الوطن . كل ذلك متروك كما ترك غيره . فأما الأمم الأخرى فان لهم روابط كثيرة بل ان أوروبا المسيحية تجتمع ضد الشرق وتحاربه مهاباً ويكون الدين من أهم روابطها لأن المدارس على الاعتقاد والاعتقاد له جميعات تحافظ عليه فاستبان بهذا وظهر ظهوراً لامرية فيه هذا اللوضوع وعرفت أيها

الترك أسباب اتحادهم وعلوها وضعت أم وسقوطها . ولا يظن ظان أن اتحاد التلاميذ في ملايهم وظلمهم في الأعمال والقرين الرياضى والبروس وهكذا قراهم في المدارس الثانوية علوما رياضية وطبيعية وتاريخية وفلكية لم يقصد به تلك الوجهة العامة . إن اتحاد العقول في علوم عامة واتحاد الأجسام في مظاهر ملايها وروقتها كل ذلك ذرائع لاتحاد الأمة حتى ان الأمة الواحدة قد تنقسم لأديان كثيرة ولكن كثرة المقومات الواحدة تمنع تفرق المجموع ولوجب الظاهر والقانون . ولا ريب أن أقوم مقومات اتحاد الأمم هو الدين اذا قام الناس بحقه . فغير ما أنزل الله للناس هو هذا الدين الذى جمع الناس عقلا وعقيدة ودنيا وآخرة . ولما أهمل حاملوه أصحوا في مؤخر الأمم . واعلم أن الانسانية لن تسعد ولن تستريح راحة تامة إلا بوحدة شاملة . كذب هذا الانسان . كذبت المدينة الحاضرة

هيجي : سمع أن الأمة التركية قد تركت دين الاسلام أى ان الحكومة أعلنت ذلك ولكن قرأت في مجلة « السياسة الأسبوعية » في شهر يونيو سنة ١٩٣٠ مملخصه أن جاعات أتت الى بلاد الترك من أمريكا وهم من السود المتزجين بأهل البلاد الأصليين وهؤلاء يبلغون نحو مائة أوزيدون على ما أذكر وانهم عرفوا الاسلام هناك من جمعية الرقى بالآيتام وانهم يقولون : « نحن آمننا بالدين المسيحى الذى أنانا به الجنس الأبيض (وهم الاوروبيون) ومع ذلك لايزالون يكرهونا ومتى رأوا من أحدنا ذنبا حقا بمنزلة « شر » ثم تركوا اخوانهم بهذا فرحون : ونحن لما سمعنا بالاسلام وسهولته فهمناه حق » فهمه ولم تفهم الدين المسيحى . وهانحن هاجوا من أمريكا الى هذه البلاد لعيش مع اخواننا الترك المسلمين » أقول وقد قابلت أحدهم بعد ذلك بمصر وهو عالم عظيم ولا جرم أن هذا القول ينطبق على السود الذين هم في الولايات المتحدة فهم هناك يمزقونهم كل يمزق على صراخى وسمسم من الشرطة في تلك البلاد . إذن الانسانية اليوم لا تزال طفلة . فالتصعب يكون للدين كما يكون للون وللوطن فالناس لا يزالون في أحضان الجهالة يتربون . عجب وأق عجب لدين الاسلام الذى لا يفرق بين أمة وأمة ولا وطن ووطن ولا لغة ولغة ولا لون ولون وأذان بلال بالكعبة شاهدا صدق على ما تقول أمام العرب المتحسين لوطنهم ونسبهم . إذن فلتخجل الانسانية الحالية فان مدينتها مدينة جاهلة سواء أكانت بالوطن أم باللغة أم بغيرها . وغير المدينيات أن يكون جميع الناس متعاونين

إن الأمم التى عندها اجتماع ما بلغة أو دين أو وطن كأهل أوروبا وأمريكا فهى أمة هوراء وهذا العود أفضل ألف مرة من الصمى لأن أم العرب المتجاورة لم تكن به بل بقيت منزلة كأنها لم تسمع بالاسلام ولم تسمع باللغة أو بالوطن أو غيرها . إذن الأمم عمياء اذا لم يكن لها اجتماع بوحدة مما تقدم . عوراء اذا اجتمعت بلغة أو دين أو وطن وهكذا . بصيرة اذا اجتمع الانسان كله اجتماعا صادقا مع العدل وحفظ العقول والعالم واستخراج قوى النفوس وقوى الطبيعة

فيا أيها المسلمون : نحن أمة أكثرنا لم يصل الى درجة العور فنحن في أخريات الدرجات فارتقوا درجة واتحدوا كالأمم حولكم ثم بعد ذلك ارتقوا بالانسانية الى الدرجات العالية وهى أن يكون النوع الانسانى كله على بصيرة . فليكن قهم معنى كونه صلى الله عليه وسلم رجة للعالمين . وهى يكون رجة العالمين تصب أمريكا على السود والجر أو تصب أوروبا على سوريا وتمزيقها الى دول صغيرة وتشتيت شمل المسلمين في بلاد الجزائر وصرا كش وإذلالهم في عقودارهم . كلا . فهذه ليست رجة

الأمم الحاضرة لاصلاح لرقى نوع الانسان . واعلموا أيها المسلمون أن هذا الكتاب ستعقبه نهضة في الشرق يتلوها رجة في الغرب يعقبها سعادة الانسان - ولتعلن بناء بعد حين - وبهذا تم الكلام على سؤالك الأول (الجواب عن السؤال الثانى) وهو قولك اننا الآن في تفسير البسملة في أول (سورة ص) وانى لم أين مالى هذه السورة من الوحدة والكثرة فأقول :

اعلم أن أسماء الله الحسنى دالة على صفاته وصفة الرحمة مصالحة للعلم والارادة والقدره لأن رحمة الله لم تعرفها إلا بالآثار ولا آثار إلا حيث كانت قدرة أظهرتها والقدره تتبع الارادة ولا ارادة إلا حيث يكون العلم ، فالرحيم الذي لا علم عنده كالأم تكون رحمتها مضرة ، والرحيم القوي لا قدره له عاجز عن إيجاد ما قصده من الخير فالرحيم العالم المريد القادر هو الذي يستعان به ، ولذلك نجد الرحمة سورة بتمامها كما أشرنا اليه سابقا في سورة أخرى إذ جعلت ﴿ سورة الرحمن ﴾ كلها كالتمصيل لآثار الرحمة ، بل جبيع مافي هذه الدنيا والآخرة آثار للرحمة وحديث : « ان لله مائة رحمة وإن رحمة واحدة منها جعلت في الأرض بها ترفع القوس حافرها عن ولعها خشية أن تصيبه وأن هذه الرحمة تنضم الى ٩٩ رحمة الأخرى تكون لأهل الجنة » يوضع هذا المقام ، فعالم الدنيا والآخرة آثار الرحمة ، فإذا لم تكن هذه العوالم لم تعرف الرحمة . إذن الوجود آثار من الرحمة والعدم آثار الغضب ولا يجرم أن القرآن من الرحمة ولذلك يقول الله - الرحمن - علم القرآن - فالقرآن من الرحمة ومافي هذه السورة طبعاً من الرحمة ، ومافي الدنيا والآخرة من الرحمة وهذا هو الباب الذي دخل منه سيدنا علي كرم الله وجهه إذ نقل عنه انه نوحاه لكتب وقرسمين بعيرا في تفسير البسملة وهذا حق لأن الرحمة شملت العالم العلوي والسفلي والآخرة والدنيا وهذا هو السر في الابتداء بها في أول كل سورة ، ومعاني القرآن كلها داخلة تحت أسماء الله الحسنى الدالة على صفاته ، إذن الأسطرطاهر ولكن ليس معنى هذا أن يكون تفسير القرآن كل شيء بل القرآن يفسر بالطرق التي يراها المفسر أقرب لعقول أهل زمانه ويكتب ما يفهمونه هذا هو المقصود من التفسير لأنه يكتب كل شيء بل يكتب بحسب ما يناسب زمانه لا غير فإذا حاد عن ذلك لم يكن مفسراً بل هوناقلاً وكل بغير فهو ناقلاً

فإذا سمعت ما يأتي في هذه السورة من قصص سليمان وداود الذين أغدقت عليهم النعم وسمعت قصة أيوب الذي ابتلى بالقم فاعلم أن النعمة والقيمة يرجعان لأمر واحد وهو الصبر بل الصبر على النعمة أشد على النفس من الصبر على القيمة كما ذكرناه سابقاً قللاً قللاً نسب الى (أرسطاطاليس) إذ أرسل الى الاسكندر يهنئه بالنصر في فارس ويذكره بأن النعم تنتقل من دولة الى دولة اذا ترك الناس في حال أمنهم فبطروا العيش وشموا الرخاء وأن الناس في حال الخوف والحرب أشط وأسرع عملاً وفي حال الامن هم يكسلون ويبطرون ويذهب ملكهم . فهم يحتملون أيام المخافة ولا يكادون يصبرون على النعم لأنها تنجمهم وقتلهم بالبطاسة وساءت مصيراً

ومن هذا الباب ما جاء على لسان سليمان في ﴿ سورة النمل ﴾ - هنا من فضل ربى ليبلونى أ أشكر أم أكفر - إذن سليمان عليه السلام المذكور في هذه السورة ابتلى بالنعمة بل ابتلاؤه أسد من ابتلاء أيوب على هذا القياس . فهنا أمران : رحمة بالابتلاءين الخير والشر ووحدته فان الخير والشر وإن كانا متقاربين جمعهما الابتلاء . فهما وحدة وهما كثرة والوحدة بها جمعت الكثرة كما ان تعجب الكفار بقولهم - اجعل الآفة إلهاً واحداً - القى أملاه عليهم الجهل يدفعه الوعى والعقل ويرجعان الى التوحيد . إذن الوحدة في الاووية يوجبها الوعى والعقل والتفريق يوجبها الجهل . والوحدة في نظام الأمم يوجبها الوعى والعقل والتفريق يوجبها الجهل . والنظام في الأمم إما لا أساس له كالأمم الوحشية واما متوسط الأساس وهو نظام الأمم الحالية واما ثابت الأساس وهو اتحاد الأمم جميعاً والله يهدى من يشاء الى سواء الصراط . انتهى الكلام على الفصل الأول في تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين

﴿الفصل الثاني﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من وأقر أن ذي الذِّكْرِ • بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِهِمْ • كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ
 مِنْ قَرْنٍ فَتَنَّا دَاوُدَ وَلَاقَ حِينَ مَنَاصِي • وَهَجَّيُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ • وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سَاحِرٌ
 كَذَّابٌ • أَجَعَلَ الْإِلَٰهَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ • وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا بِأَوَّلِهِمْ وَأَعْلَى
 إِلَهِهِمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ • مَا تَعْبَهُنَّ هَذَا فِي آيَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا آخِثَاتٌ • أَلَمْ نَزَلْ
 عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابٍ • أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ
 رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ • أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَانْزِلُوا فِي الْأَشْيَابِ
 جُنْدٌ مَا هُنَاكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ • كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَقَادَ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَارِ •
 وَهَامُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ • إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَتَقَرَّبَ عِقَابٌ •
 وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْغَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ قَوْلِي • وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْعًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ •
 أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ • إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ
 بِالْحَمْدِ وَالْإِسْمِ الرَّحْمَنِ وَالْعَزِيزِ عَشُورَةً كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ • وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا
 الْخِطَابَ • وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا لِلْعُغْرَابِ • إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ
 خَصَمَانِ بَنِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا يَلْحَقَ وَلَا تَنْشُطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الْمَرَاتِبِ • إِنَّ هَذَا
 أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً وَلِي نَجْعَةٌ وَاحِدَةٌ قَالَ أَسْكُنْهَا وَعِزَّنِي فِي الْخِطَابِ • قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
 بِسُوءِ النَّفْسِ إِلَى نَجَاحِهِ وَإِنْ كَثِيرَ أَمِينِ الْخِطَابِ لَيَبْنِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 وَكَفَّلُوا مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدَ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّزْنَاهُ أَكْبَارًا وَأَنَابَ • فَفَرَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَهُ عُذَّةٌ
 لِنَا لِي وَحَسَنَ مَا بَ • يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاجْعَلْ بَيْنَ النَّاسِ يَلْحَقَ وَلَا تَتَّبِعِ
 أَمْرِي فِيهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ مَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ •
 وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ •
 أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْفُجَّارِ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ • كِتَابٌ
 أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أُولُو الْأَلْبَابِ • وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ

إِنَّهُ أَوَّابٌ • إِذْ غُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَرِيِّ السَّافِنَاتُ الْخِیَادُ • قَالَ إِنْ أَخْبَنْتُ حَبَّ الْخِیْرِ عَنْ ذِکْرِ
 رَبِّی حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ • رُدُّهَا عَلَیَّ فَلَیْقَ مَسْعَا بِالسُّوقِ وَالْأَحْثَاقِ • وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَیْمَانَ وَأَلْقَيْنَا
 عَلَیْ كُرْسِیِّهِ جَسَدًا مِمَّا أَنْتَ • قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلْکًا لَا یَبْتَغِی لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِی إِنَّكَ
 أَنْتَ الْوَهَّابُ • فَفَرَّغْنَا لَهُ الرِّجْمَ فَتَجَرَّى بِأَمْرِی رُخَاءً حِثُّ أَسَابِ • وَالشَّیَاطِینَ كُلَّ بَنَاءٍ
 وَغَوَاصٍ • وَآخَرِینَ مَقْرَنَیْنِ فِي الْأَصْفَادِ • هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَیْرِ حِسَابٍ • وَإِنَّ لَهُ
 عِندَنَا لَکَلِّی وَحُصْنًا مَآبٍ • وَأَذْکُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنِّی مَسَّتَنِی الشَّیْطَانُ بِغُضْبٍ وَعَذَابٍ •
 أَرَاكُنْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُتَمَسِّكٌ بِرِیْدٍ وَفَرَّابٍ • وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِکْرًا
 لِأُولَى الْأَلْبَابِ • وَخَذْ بِیْدِكَ ضِغْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِیْمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ •
 وَأَذْکُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِیمَ وَإِسْحَاقَ وَیَعْقُوبَ أُولَى الْأَبْدَانِ وَالْأَبْصَارِ • إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِکْرَی
 الدَّارِ • وَإِنَّمَا عِندَنَا لَیْلُ الْمُسْطَفَیْنَ الْأَخْبَارِ • وَأَذْکُرْ إِسْمَاعِیلَ وَالْیَسَعَ وَذَا الْكِیْلِ وَكُلَّ مِنْ
 الْأَخْبَارِ • هَذَا ذِکْرُ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِینَ لِحُسْنِ بَابٍ • جَنَّاتٌ حَزَنٍ مُتَّعَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ • مُتَّكِنِ
 فِیهَا یَدْفَعُونَ فِیهَا فَاكِهَةٌ کَثِیرَةٌ وَشَرَابٍ • وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الْعُرْفِ أَرْبَابٌ • هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ
 لِیَوْمِ الْحِسَابِ • إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ قَادٍ • هَذَا وَإِنَّ هَاطِغِینَ لَشَرَّ مَآبٍ • جَهَنَّمَ یَصْلَوْنَهَا
 فِیئْسَ لِلْهَادِیِّ • هَذَا فَلِیَذُوقُوهُ حِیمٌ وَغَسَّاقٌ • وَآخَرٌ مِنْ شَکْلِهِ أَذْوَاجٌ • هَذَا فَوْجٌ مُقْتَضِی
 مَعَهُمْ لَأَمْرٍ حَبِیْبٍ لِنَهْمٍ صَالُوا النَّارِ • قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرٍ حَبِیْبٍ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدِمْتُمْ لَنَا فِیئْسَ
 الْقَرَارُ • قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَوَدَّ عَذَابًا ضِغْفًا فِی النَّارِ • وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا
 نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ • أَلْتَّخَذْنَاَهُمْ سِغْرًا أَمْ رَاضَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ • إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَافُ أَهْلَ
 النَّارِ • قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ • رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَیْنَهُمَا
 الْعَزِیزُ الْغَنَّارُ • قُلْ هُوَ نَبِیُّ عَظِیمٌ • أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ • مَا كَانَ لَی مِنْ عِلْمٍ بِاللَّهِ الْأَعْلَى إِذْ
 یُخْتَصِمُونَ • إِنْ یُوحَى إِلَیَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِیرٌ مُبِینٌ • إِذْ قَالَ رَبِّکَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّ خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ
 طِینٍ • فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَحَضْتُ فِیهِ بَنَیَّ بِنَیْ رُوحِی فَقُولُ لَهُ سَاجِدِینَ • فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَتَعْمُونَ •
 إِلَّا إِبْلِیسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِینَ • قَالَ یَا إِبْلِیسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِیْدِی
 اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِینَ • قَالَ أَنَا خَیْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ • قَالَ
 فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِیمٌ • وَإِنَّ حَبْلَکَ لَعَنَیَّ إِلَى یَوْمِ الدِّینِ • قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِی إِلَى یَوْمِ یُعْمَدُونَ •
 قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِینَ • إِلَى یَوْمِ أَوْتُوا الْمَوْتِ الْمَوْلُودَ • قَالَ فَمِنْ رَبِّکَ لَا غَیْرَ لَهُمْ أَتَعْمِلُونَ • إِلَّا عِبَادَکَ

مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ * لَا مَثَلًا لِّجَهَنَّمَ مِثْلَ شِعْبِكَ وَفِي جَهَنَّمَ أَسْمِينَ * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنَّهُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْفَالِغِينَ * وَلَقَدْ كُنَّا نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ص) تقدم في سورة آل عمران والعنكبوت والروم ويس بعض أسرار الحروف وسنخصصها بالكلام في الفصل الثالث لتعرف أنها مغزى السورة كلها وللقصود اللهم منها (والقرآن ذى الذكر) أى أقسم بالقرآن ذى الشرف والبيان انه لمجهز وان محمدا صادق (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) أى ما كفروه من كفر لخل وجده فيه ، وانما ذلك الكفر لمزة أى استكبار عن الحق وشقاق أى خلاف الله ولرسوله ، واذا ثبت أن القرآن مجهز وأن هؤلاء معاندون لم يبق إلا إظهارهم ولذلك قال (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) من أمته (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب فأجابتهم الملائكة قائلين (ولات حين مناص) أى ليس الحين حين مناص أى نجا لأن وقته فات (وهيجوا أن جاءهم منور منهم) أى بشر مثلهم (وقال الكافرون) فيه وضع الظاهر موضع المضمر للتشنيع عليهم بالكفر (هذا ساحر) فيما يظهره مجيزة (كذاب) فيما يقوله على الله (أجعل الآلهة إلها واحدا) بأن جعل الالهية منحصرة في واحد (إن هذا لشيء عجاب) ببلغ في العجب فانه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا (واطلق الملائكة منهم) أى اطلق أشرف قریش من مجلس أى طالب بد ما يكتمهم رسول الله ﷺ قائلين بعضهم لبعض امشوا واثبتوا على عبادة أهلكم فلا تنفعكم مكائده وهذا قوله (أن امشوا واصبروا على أهلكم إن هذا لشيء يراد) أى إن هذا لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مزملة (ماسعنا بهذا) أى بالنبي يقوله (في الملة الآخرة) في الملة التي أدركننا عليها آباءنا (إن هذا إلا اختلاق) كتب ثم أخذوا ينسكرون اختصاصه بالوحى وهو مثلهم أو أدون منهم في الشرف والرياسة فقالوا (أأنزل عليه الذكر من بيننا) ثم أضرب عن انكار ذلك الى ذكر سبب انكارهم وهو انك لميلهم الى التقليد ثم أضرب عنه أيضا الى أنهم الى الآن لم يدفوقوا العذاب ومضى ذاقوه فانهم يلجئون الى التصديق وهذا قوله تعالى (بل هم في شك من ذكرى بل لما يدفوقوا عذاب) ثم أخذ يتكلم بهم قائلا (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أى بل أعندهم خزائن رحمة وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شأوا ويصرفوها عن شأوا فيتصبروا للنوبة بعض سناديدهم (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) أى بل ألهم ملكهما أى ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الحسباني الذى هو جزء من خزائنه تعالى وان كان لهم ذلك فليصدقوا في الماراج التي يتوصل بها الى عرش هذا الملك حتى يستروا عليه ويدبروا أمر هذا العالم فينزلوا الوحى الى من يستصوبون وهذا قوله تعالى (فليدعوا في الأسباب) الارتقاء الصعود ، والأسباب الماراج والطرق التي يتوصل بها الى الاستيلاء على العرش ، ثم وعد بنصرتيه ﷺ فقال : هؤلاء الذين يقولون هذا القول (جندما هناك مهزومين الأحزاب) الكفار المتحزبين على المؤمنين مغلوبون في الوقائع هناك في مصارع بدر وغيرها فأتى لهم تدير الامور الإلهية والتصرف في الخواصن الربانية وما في - جندما - مزيدة للتقليل ، أخبر الله نبيه ﷺ وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين وهذا عجيب لأنه وهو بمكة لاجندله فجاء تأويلها يوم بدر ونحوها وهذه من أعظم للجزات ثم عزى الله نبيه ﷺ فقال (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد) أى ذلك

وقد غنوا فيها بأنهم عيشة * في ظل ملك ثابت الأوتاد

(ونمود وقوم لودوا أصحاب الأيكة) وأصحاب الفيضة وهم قوم شعيب (أولئك الأضراب) بمعنى المعززين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم كأضراب الذين تحزبوا عليك ، ثم بين سبب انهزامهم وعقابهم فقال (إن كل لا أكذب الرسل حق عقاب) يعني إن أولئك الطوائف والأمم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين إذا تزل بهم العذاب (وما ينظر هؤلاء) أى وما ينظر كفار مكة (إلا صيحة واحدة) وهى النفخة الأولى (مالها من فوق) أى من فوق مقدار فوق وهو ما بين الحلبيين ، أو مالها من رجوع ، من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة ، ويقال فوق الناقة أيضا ساعة يرجع الهر إلى ضرعه وهو بالضم والفتح (وقالوا ربنا عجل لنا قتلنا) قسطننا من العذاب الذى توعدنا به وهومن قتله إذا قطعه ، ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس أى عجل لنا صحيفة أعماكتنا ننظر فيها (قبل يوم الحساب) وهذا الاستعجال على الوجهين منهم استعزاء (اصبر على ما يقولون) فبك واحترأ ن تهن في مصابرتهم وتحمل أذاهم (وإذ كرعبنا داود) أى قصه ليعلموا أنه مع عظم شأنه وبخه اللاتكة بالتحليل والتعريض حتى تظن ، فلتحذرات حتى تصون نفسك أن تزل وقوله (ذا الأيد) أى ذا القوة في الدين (لأنه أواب) رجاء إلى مرضاة الله * روى أنه كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل (لأنه سخرنا) ذلنا (الجبال منه يسبحن) أى سبحات بسميحه إذا سبح والضرع اختبر للتجبد (بالعشي والاشراق) العشي وقت العصر إلى الليل والاشراق هوجين تشرق الشمس أى قضى وهو وقت صلاة الضحى كإفسره ابن عباس ، وأما الشروق فهو الطلوع قول شرفت الشمس ولما تشرق بضم التاء (والطير محشورة) أى أى وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية (كل له أواب) أى كل واحد من الجبال والطير لأجل تسميحه رجاء إلى التسبيح مع الدوامه على ذلك (وشددنا ملكه) وتقواه بالنية والنصرة وكثرة الجنود * روى أن رجلا أذى برة على آخر وهجز عن البينة فأوى إليه أن أقتل المذمى عليه فأعلمه فقال صدقت أنى قتلت أباه غيلة وأخذت البقرة فظلمت هيته بذلك (وأثبتناه الحكمة) النبوة وكال العلم وأثان العمل والاصابة في الامور (وفضل الخطاب) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل ، ثم ابتدأ سبحانه نبأ يحيى من أبياته وشوق إلى استماعه بالتهيب منه فقال (وهل أتاك نبأ الخصم) أى خبر الخصم وهو يطلق على الواحد والجمع (إذ تسوروا المحراب) أى معدوا وعملوا سور الفرفة التى كان يشتغل فيها داود بالطاعة (إذ دخلوا على داود) متعلق بتسوروا (ففرغ منهم) ذلك أن ملكين بعثهما الله إليه في صورة انسانين طلبا أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته فقعما الحرس فسوروا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففرغ من ذلك لدخولهما في وقت الاحتجاب لأنه كان يجزى زمانه يوما لعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته (قالوا لا تخف) نحن (خضبان) متخاضبان (يقى بضنا على بعض) وهذا من باب الفرض (فأحكم بيننا بالحق ولا نشطط) ولا نجري في الحكومة (واهدنا إلى سواء الصراط) أى وسطه وهو العدل (إن هذا أخى) بالدين والنصيحة (له نسع وتسعون نجبة ولى نجبة واحدة) هى الأتى من الشأن (فقال أكفنيها) ملكيتها (وعزنى في الخطاب) وغلبنى في غلبته إياى (قال) داود قبل أن يسمع كلام المذمى عليه الذى (لقد ظلمك) المذمى عليه (بسؤال نجبتك إلى فجاجه) أى والله لقد ظلمك بذلك ، ثم استورد فقال (وإن كثيرا من الخطاطم) الشركاء (ليبتدى يعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وهماوا الصالحات وقليل ما هم) أى وهم قليل وما يزيد للإيهام والتعجب من فعلتهم ، فلما قضى دلود بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه وتحكم ومعدا إلى السماء فقم داود أن الله ابتلاه إذ قال له الخصيان - أحكم بيننا بالحق ولا نشطط

واهدنا الى سواء الصراط - حكم للذي بدون أن يسمع كلام خصمه (وظن داود) أى أيقن (أنما اقتسام) ابتليناه وامتنعنا لحكمه للذي قبل أن يسأل المذمى عليه (فاستغفر ربه) لقنبيه (وخزراكه) للسجود صليا كأنه أحرم بركتى الاستغفار (وأجاب) ورجع الى الله بالتوبة (فغفرنا له ذلك) أى ما استغفر عنه (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) أى تقربة بعد المغفرة وحسن مرجع فى الجنة ، وأما ما روى أن بصره وقع على امرأة فشقها فأرسلها الى رئيس الجيش أن يقرب زوجها أوريا بين يدي العدو فيقتل وأنه تزوجها بعد ذلك فإن ذلك من كلام القصاصين . ولقد روى عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال : « من حدثكم بحديث داود على ما روي به القصاص جلدته مائة وستين » وكيف يليق ذلك بمن يخاطبه الله قائلا (ياد داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض) أى استخلفناك على الملك فيها (فاحكم بين الناس بالحق) بحكم الحق (ولا تتبع الهوى) ما تهوى النفس من المبادرة الى تصديق المذمى قبل سؤال المذمى عليه (فيضلك عن سبيل الله) دلالة على أن نصبا للحق (إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فإن تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى ومن الهوى الإسراع الى تصديق أحد الخصمين لجودة إلقائه وحسن بيانه وما أشبه ذلك من استئثار المحامين الذين هم أقدر على البيان فى هذا الزمان ، فالقاضى بسبب ذلك معرض لأول كل حين . ولما كان آدم وبنوه خلفاء الله فى الأرض يقومون بالعدل والنظام على مقدار طاقتهم وقيامهم بالعدل تابع للنظام العام كما قال تعالى - ووضع الميزان - الأتقوا فى الميزان - ناسب أن يذكر عدله وحكمته فى السموات والأرض فقال (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) مبطلين عابثين أولا باطلا الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى العدل (ذلك ظن الذين كفروا) أى خلقهما باطلا ظنهم (فويل للذين كفروا من النار) بسبب هذا الظن وذلك لأنه حكم بلا دليل كما يحكم القاضى لأحد الخصمين قبل سماع الآخر كما تقدم . وإذا كنا فتنا داود فى القضاء وعلم أنه قد فتن بسبب أصفاته لأحد الخصمين دون الآخر فنتن نحن فتنا هذا الانسان على وجه الأرض وامتنعنا فى نظامنا عنهم من يرى أن إيماننا وأحياءنا وأحداث الأمراض والأرزاء فى الأرض والوباء والحروب والأكاذيب والأراجيف والفتن كل ذلك باطل لامتني له فيعيش الانسان ويموت وهو يقول : لِمَ هذا كله ؟ وهلا خلق الله الناس فى راحة وطمأنينة وسعادة لا يمرضون ولا يشقون ولا يحاربون ولا يخاضمون ولم أمر الآساد أن تأكل الطباء والأرانب وحدد أنياب الآكلات ومنع المأكولات السلاح والمقاومة . والناظرون فى هذا على قسمين قسم ينكر ذلك انكارا قلبيا ففهم من يظهره كبعض الذين تعلموا فى العصر الحاضر تعليما سطحيا . ومنهم من يخفيه وهم كثير من المتدينين بأى دين . وقسم يقرأ علوم الحكمة ويستوعبها وهذا يشعر بأن هذا النظام جيل وأن كل ذلك فيه مقدمة لحال أعلى من هذه وقد أومحنا فى هذا التفسير أيضا كثيرا . إن من يحكم أن نظام هذا العالم باطل أشبه بمن يحكم لأحد الخصمين . فإذا أراد أن يحكم بالحق فليقرأ علوم الحكمة التى تبحث فى نظام هذا الوجود وهذا هو الذى يبين قضية الخلق وكيف خلقه الله ؟ فكأن الانسان إذا نظر فيها قد أمضى الى المذمى عليه وفهم حجة وجهته هو هذا النظام البديع ومتى أدركه الناس بذات الفكرة الأولى وهى ان هذه الدنيا مبدئية غير منظمة الى آخر ما تقدم . وبما يثير الشكوك فى نظام هذا العالم أن الظلم فيه مجسم ولا سيما فى هذا الانسان ، كيف لا ونحن نرى أن المصلحين والصالحين فى الأرض مغبونون لا ينالون جزاء أعمالهم فى الدنيا ، ونرى كثيرا من المفسدين متمتعين بالنعمة والعافية ، فأى عدل وأى نظام هذا ! ولكن اذا أدركك الناس أن هذه الحياة ستعقبها حياة أخرى ترجع فيها الامور الى حقائقها كما دل عليه علم الأرواح المنتشر حديثا فى أوروبا وأجعت عليه الهيات . فانهم يعرفون أن النظام عدل لذلك أعقبه بقوله (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل للمتقين كالفجار) هذا انكار للتسوية

بين المؤمنين والكافرين ، ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم فان من يسوى بين هؤلاء يكون سفيها هذا (كتاب أنزله اليك مبارك ليذبحوا آياته) أى ليتدبروا ويتفكروا فيها (ولينذكر أولوا الألباب) أى وليتخطوا بالقرآن أولوا العقول السليمة ويستحضروا ما هو مركز في عقولهم من تمسكهم من المعرفة بالذلال الكونية والبهائم الخلقية . روى عن الحسن انه قال : « قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لاعلم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضعوا حلوده » اهـ

وهذا القول منطبق على أكثر المسلمين في هذا الزمان ، إن الأمة اليوم لا تقرأ القرآن غالبا إلا للتعبد وأما التفكير فلا وهذا هو السبب في ضياع ملك الاسلام وعظمته ووقوعه فيها مقسما بين دول أوروبا ولكن هذا هو الزمان الذى أذن الله فيه اذنا حقا يبعث هذه الأمة من مرقدتها وتقوم برأبها كما قال تعالى - ليظهره على الدين كله - وهذا هو الزمن الذى سيظهر فيه وهذا أمر حتم سيكون قريبا

﴿ قصة سليمان عليه السلام ﴾

قال تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) سليمان (إنه آتوب) رجع الى الله بالتوبة (إذ) ظرف لأتوب (عرض عليه بالعشي) بعد الظهر (الصافات) الخيل القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف حافر ولا يكاد يكون ذلك إلا في العراب الخلس (الجياد) جمع جواد وهو الذى يسرع في جريه (فقال) لما عرضت عليه فأجروها أمامه وذلك لاستعدادها للغزو (إلى) أصيبت حب الخيل (أثرت) حب المال ومنه الخيل المعروضة (عن ذكر ربى) أى أتى لأحبها لأجل الدنيا ونصيب الغنى وانما أحبها لأمر الله تعالى وتقوية دينه ثم أمر بأجرائها واعدائها حتى توارت تلك الخيل بالحجاب أى غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل اليه وهذا قوله تعالى (حتى توارت بالحجاب) ثم قال (ردوها على فلفظ) يمسح (مسحا بالسوق والأعتاق) أى يمسح سوقها وأعتاقها نشرها لها لكونها للجهاد والجهاد من أعظم الأمور وليبشر الأمور بنفسه ليقننى به الوزراء ورجال الدولة كما كان يفعل صلاح الدين الأيوبي إذ كان ينقل الأحجار بنفسه في بناء الأسوار أيام الحروب الصليبية وليكشف عن أمراض الخيل وعلاها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض

﴿ فتنة سليمان عليه السلام ﴾

روى صنفوا أن سليمان عليه السلام قال : « لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف بطائف فوجد على كل امرأة فارسا ، فوالله نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرسانا » فهذا قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان) ابتليناه (وألقينا على كرسيه جسدا) وهوشق الطفل المذكور به على كرسيه فوضع في حجره (ثم أناب) رجع الى الله عما فعل وهو أنه لم يقل إن شاء الله والأنبياء يحاسبون على ما لا يحاسب عليه سواهم لشدة قربهم من ربهم ، وأما حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فنأبطال اليهود وذلك أنهم قالوا ان زوجته كانت تسجد لصورة أبيها ودام ذلك أربعين يوما وهو عليه السلام لا يعلم فلما علم كسر الصنم وعاقب المرأة ، ثم إن الله عاقبه بأن سلط شيطانا يسمى صخرأ فأخذ خاتم الملك فصار الشيطان في صورته عليه السلام أما هو فأصبح منكرا لا يعرف أحد فكشف أر بعين يوم أم طار الشيطان ووقع الخاتم في البحر فالتقطته سمكة واصطادها صياد فوقع في يد سليمان نفرا ساجدا لله . هذه هي الأبطال اليهودية ويكون صخر هو الجسد الذى ألقى على كرسيه (قل رب اغفرلى) ذنبى (وهب لى ملكا لايتنى) لا يصلح (لأحد من بعدى) إنك أنت الوهاب) تهب الملك والنوبة لمن تشاء وذلك لأنه أحب أن يخص بخاصة كما خصر داود بالانه الحديد وعيسى بأحياء الموتي ، ولذلك روى انه عليه الصلاة والسلام كما في الصسيهين قال : إن شفرينا من الجن تفلت على البارحة

ليقطع صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه
كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان - رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي - فردده خاسئا
ثم قال تعالى (فسخرنا له الريح نجري بأمره رياء) لينة ليست بمصافة (حيث أصاب) حيث أراد (و) سخرنا
له (الشياطين كل بناء) يبنون له (وغواص * وآخرون مقرنين في الأصفاد) فاذن الشياطين منهم بناؤن
ومنهم غواصون يستخرجون اللؤلؤ من البحر ، ومنهم صرمة الشياطين يقرن بعضهم مع بعض في القيود
والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد ، والصد القيد ، وربما كانت الأصفاد تمثيلا لكف شرهم وحبسهم
حسبا يناسب أجسامهم النارية (هذا) الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطائنا فامان) فأعطته
ماشئت من المنة وهي العطاء (أرأسك) عن العطاء ، وقوله (بغير حساب) حال من عطائنا أى جا كثيرا
لا يكاد يقدر على حصره (وان له عندنا زلفى) في الآخرة مع هذا الملك العظيم في الدنيا (وحسن ماآب)
وهو الجنة

﴿ قصة أيوب عليه السلام ﴾

قال تعالى (واذكر عبدنا أيوب) وهو ابن عيسى بن اسحق (إذ نادى ربه) بدل من عبدنا (أنى
مسنى الشيطان) أى بأتى (تصب) صب (وعذاب) ألم ومرض وبلاء وانما نسب المس إلى الشيطان لأنه
بسبب وسوسته أعجب بكثرة ماله فسه الله بالمرض لأجل ذلك فأرسل الله له جبريل فقال له (اركض برجلك)
الأرض فضرب فنبعث عين فقيل هذا مفلس أى ما يفلس به ويشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وهذا قوله
تعالى (هذا مفلس بارد وشراب) ثم قال تعالى (وهبنا له أهله) بأن جعلناهم عليه بعد تفرقهم (ومثلهم
معهم) حتى كان له نصف ما كان (رحمة منا) أى لرحمتنا عليه (وذكرى لأولى الألباب) تذكيرا لهم لينظروا
الفرج بالصبر أولا والاتجاه إلى الله ثانيا فيما يحيق بهم ، وعطف على - اركض - قوله (وخذ بيدك ههنا)
حزمة صغيرة من الحشيش ونحوه (فاضرب به ولا تحث) - ذلك أن زوجته رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت
لحاجة فأبطأت خلف أن يرى ضربها مائة ضربة لخلل الله بعينه بذلك ويجب أن يصيب المضروب كل واحدة
من المائة وهذه الرخصة باقية على شرط إصابة المائة للمضروب كما عرفت (إنا وجدناه صابرا) على ما أصابه في
نفسه وأهله وماله وليس شكواه إلى الله من الشيطان جزءا (ثم العبد) أيوب (إنه آوآب) مقبل على الله
(واذكر عبدنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار) أولى القوة في الطاعة والبصرة في الدين
(إنا أخلصناهم بخلاصة) جنانهم خالصين لنا بخلاصة خالصة لاشوب فيها هي (ذكرى الدار) ذكرى الدار
الآخرة دائما فانا نزعنا من قلوبهم حب الدنيا لئلا يذكرواها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكرواها (وانهم عندنا
لن المصطفين) المختارين من بين أبناء جنسهم (الأخيار) جمع خير وخير بالتشديد والتخفيف (واذكر
اسماعيل والبسم) لام التعريف دخلت على يمع (وذا الكفل وكل) أى وكلهم (من الأخيار) يقال ان
ذا الكفل هو ابن عم يعقوب أيوب ويقال انه فرأى إليه مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فأوهم
وكفهم . ثم ان أول السورة - ص * والقرآن ذى الذكر - وقد ذكر قصص الأنبياء وصورهم وأعمالهم
الشريفة . ولما أتم الكلام عليهم قال (هذا ذكر) كأنه يقول هذا ذكر بما اشتمل عليه القرآن المذكور
في أول السورة أى الذى يتلى عليكم شرف وجبل تذكرون به

﴿ وصف الجنة ﴾

قال تعالى (وان للتين أحسن ماآب) مرجع ثم عطف على حسن ماآب عطف بيان فقال (جنات
عدن) حال كونها (مفتحة لهم الأبواب * متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب * وعندهم
نساء أطراف أثراب) مستويات الأسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة ومناخيات لا يبقا نضن

ولا يتحاسدن ، ومعنى قاصرات الطرف أى قصرن أطرافهن على أزواجهن (هذا ما توعدون ليوم الحساب) أى لأجله فإن الحساب على الوصول الى الجواز أى قيل للؤمنين - هذا ما توعدون - الخ ويقول أهل الجنة (إن هذا لرزقنا ما له من غداء) اقتطع بل هو دائم كما قال تعالى فى سورة أخرى - أكملها دائم - (هذا) أى هذا الأمر كما ذكر

﴿ وصف جهنم ﴾

قال تعالى (وان للطاغين لشر مآب * جهنم يصلونها فبئس المهاد) المهد والقرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالنم تقديره جهنم (هذا) مبتدأ وقوله (حيم وغساق) خبر وجملة - فليذوقوه - اعتراض والصاق هو ما يفسق أى يسيل من صديد أهل النار والحميم الماء الحار . وقال ابن عباس : الفساق هو الزمهرير يحرقهم يبرده كما تحرقهم النار بحرما ، وعذاب (آخرون شككه) من مثل العذاب المذكور فى الشدة والقطاعة (أزواج) صفة لآخر أى أجناس وأصناف ، ثم يقول الخزنة للقادة إذا دخلوا النار ودخل بعدهم أتباعهم (هذا فوج) جمع كثيف (مقتحم معهم) أى دخل النار فى صحبتكم ، والاقتحام الدخول فى الشيء بشدة والقصبة الشدة (لا مرحبا بهم) أى الأتباع يقول لمن تدعوه مرحبا أى أتيت رجبا من المكان لاضيقا وتدخل عليه لا فى دعاء السوء ، وهذه الجملة من كلام الرؤساء (لأنهم صالوا النار) أى داخلوها (قالوا) أى الأتباع (بل أتم لا مرحبا بكم) مخاطبين رؤساءهم الذين دعوا عليهم (أتم قتمتموه لنا) أى قتمتم العذاب لنا أى دعوتونا الى الكفر فكفرتنا باتباعكم (فبئس القرار) النار (قالوا) أى الأتباع أيضا (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا) مضاعفا (فى النار * وقالوا) أى رؤساء الكفرة (مائلا لا ترى رجلا) هم فقراء المساكين (كنا نعدهم) فى الدنيا (من الأشرار) من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى (اتخذناهم سخرى) يسكرون على أنفسهم ويؤنبونهم على استسغارهم منهم فى الدنيا (أم زأغت عنهم الأبصار) أى مالت فلا تراهم ، ومعنى ذلك أن الكفار إذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا مائلا لا ترى هؤلاء الذين اتخذناهم سخرى لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزأغت عنهم أبصارنا فلم تراهم حين دخلوها (إن ذلك) الذى حكينا عنهم (لحق) لا بد أن يتكلموا به هو (تخاصم أهل النار) فى النار وذلك لأن قول القادة للاتباع والأتباع للقادة لا مرحبا بكم من باب الخصومة (قل) يا محمد للشركين (إنما أنتم ذنر) أنذركم عذاب الله (وما من إله إلا الله الواحد) الذى لا شريك له (الافتهار) الغالب وفى ذلك رهبة لهم ثم أعقبه بما يدل على الرجاء فقال (رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار) فهو مرب والترية احسان وكرم وجود وهو غفور للذنوب وان عظمت وكل هذا دال على الرجاء (قل هو) أى القرآن (نبؤ عظيم * أتم عنه معرضون) لا تفكروا فيه فتعلمون صدق فى نبؤتى

﴿ قصة آدم عليه السلام ﴾

قال تعالى (ما كان لى من علم بالألأ الأعلى) معنى الملائكة (إذ يختصمون) فى شأن آدم فهذه فى صورة الخصامة والمناظرة والأفالة لا يخلص معنى إنما علمت هذه الخاصة بوحى من الله تعالى (ان يوحى الى إلا أعا أناذر مبين) أنذركم وأبين لكم ما أتونه وتجنبونه بلفظ تعلوها ، ثم بين الخصومة فقال (إذ) بدل من - إذ يختصمون - (قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين) معنى آدم (فأذا سوته) أعمت خلقه (وفضحت فيه من روحى) أناف الروح الى نفسه للتحريف والاضافة للإك كما تقول بيت الله ، وأيضا الروح جوهر شريف قدسى (فقموا له ساجدين) وقد قدم هذا الموضوع فى البقرة (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر) قطم (وكان) وصار (من الكافرين) بسبب استكباره واستكافه عن المطوعة (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت يدي) أى خلقته بنفسى من غير توسط كآب وأم ، وفى ثنية

اليد اشعار بما في خلقه من مزيد القهرة واختلاف الفعل (أستكبرت أم كنت من العالمين) أى أنظمت نفسك عن السجود أم كنت ممن علا واستحق التفوق ، فأجاب ابليس (قال أنا خير منه) يعنى لو كنت مساويا له في الشرف لقبح السجود له فكيف يكون الحال اذا كنت خيرا منه ؟ ثم بين ذلك فقال (خلقتى من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين وأفضل منه ، فضلى بشرف عنصرى التى خلقت منه ألا ترى أن النار قلب الطين وتحرقه (قال فأخرج منها) من الجنة أو من السموات (فانك رجيم) مطرود من الرحمة (وإن عليك لعنتى) عذابى وسخطى (الى يوم الدين) يوم الحساب (قال) ابليس (رب فأنظرنى) فأجلنى (الى يوم يعثون) من القبور (قال) الله (فانك من المنظرين) المؤجلين (الى يوم الوقت المعلوم) الى النفخة الأولى (قال فبعضك) فبسلطتك وقهرك (لأعوزهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين) الذين أخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة (قال) الله (فالحق) يعنى أوقسى ، وقوله (والحق أقول) جملة اعتراضية وجواب القسم قوله (لأملأن جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (ومن تبعك منهم) من ذرية آدم (أجمعين) أى لأملأن جهنم من المتبعين والتابعين لأتارك منهم أحدا (قل ما أسألكم عليه من أجر) أى على القرآن أو على تبليغ الوصى (وما أنا من المكلفين) المتصنعين بما ليسوا من أهله على ما صرتم من حالى فأتعلل النبوة وأتقول القرآن (إن هو إلا ذكر) عظة (للعالمين) للثقلين (ولتعلن نبأه) وهو ما فيه من الوعد والوعيد وصدقه (بعد حين) عند ظهور الاسلام أو ظهور العالم التى تضمنها ولم تكن معروفة من قبل . انتهى التفسير اللفظى

﴿ الفصل الثالث فى مقصود السورة ﴾

أى فى معنى - ص - وفى قوله تعالى - واصبروا على آلتكم - وقوله - اصبر على ما يقولون - وقوله - وهل أتاك نبأ الضم - وقوله - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا - وقوله - وألقينا على كرسيه جسدا - وقوله - إنا وجدناه صابرا ثم العبد - الخ - وقوله - هذا ذكر - وقوله - فسجد للملائكة - كلهم - الخ - وقوله - قل ما أسألكم عليه من أجر - وقوله - إن هو إلا ذكر للعالمين * ولتعلن نبأه - بعد حين -

لقد صرف ما للحروف التى فى أوائل السور من المعانى الشريفة فى سور كثيرة ولكن لها خواص فى كل سورة بحسبها فتأمل فى لفظ - ص - فانها فضلا عن صفاتها العامة لها مقاصد سامية فى هذه السورة ، إن فى السورة تحميلا لشاغل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقضى بها ، ولقد جاءت الصاد فى لفظ - اصبر على ما يقولون - وفى لفظ - واصبروا على آلتكم - وفى - إنا وجدناه صابرا - وهكذا تجد معنى الصبر وانحما فى مسألة الخصمين إذ دخلوا على داود فانه لم يصبر حتى يسمع كلام الخصم فحكهم وفى قصة سليمان إذ عزم أن يدخل على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتى بولد ذكر يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله ، ولقد عوقب على هذا ، فكأنه عليه السلام لما لم يكمل الأمر لله بذكر الشئ عذ كانه غير صابر ، هكذا كل كافر يظن أن السموات والأرض خلقتا باطلا بلا نظام فان هذا الزعم منه ناشئ من تسرعه وعدم صبره على المشقات فى سبيل البحث فى الحكمة حتى يعرف كيف كان العالم منظما وهكذا ابليس تكبر واعتز بأصله ولم يسجد لأدم وهذا لأنه لم يصبر على تحمل مكارم الأخلاق - صبر أهل مكة على آلتهم وتواصوا بالصبر على ذلك وتحمل كل مضىض فى سبيل إبقاء العقيدة للمروءة عن الآباء ونيد كل برهان معقول ومغالب الألة المحسوسة . كل ذلك لحفظ العقائد الموروثة فأمر الله رسوله أن يقابل مبرهؤلاء المبطلين بصبر الصادقين فقال : - اصبر على ما يقولون واذكر عبادنا داود - وقص قصص الخصمين وذكر انه قد لاه الله على تسرع بالحكم لأعدائها

قبل سماع الآخر هكذا أنت يا محمد قد قومك قومك وصبروا على مقاومتك فإياك أن تمل وتصبّر ولا تستجلب
واعلم أنك منصور ولقد امتحنك بهم كما امتحنا داود بالخمين فاصبر على الامتحان فيه يكرم المرء أو يهان
إنا امتحنا داود في الحكم بين الخمين فأسرع ولناه فرجع الى ربه فتحن بذكر قصصه تحزنك وتحزن كل
مؤمن أن يحكم قبل التحقيق والياتسون من نصر الله عند الصلوات والشهادات لا يأتون المعالي لأنهم ليسوا
صابرين . وإذا صبر المبطون فما أحرى الصادقين أن يصبروا لأن الصادقين منصورون ، هما صابرون أحدهما
مغلوب والثاني غالب ، وإذا كان المغلوبون في العاقبة يصبرون فأجدر بالذين لهم العقبى أن يكونوا أدم صبرا
وأقدر على المقاومة ، فليصابر كل مؤمن على الأعمال الصالحة فانه منصور وليقرأ - أين امشوا واصبروا على
آلهنكم - ويقرأ معها - واصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود - وليجب كيف كان آخر الصبرين أبقاهما
وأقصهما وأدومهما ، فمليظ كيف كان لفظ - ص - في أول السورة يتضمن هذه المعاني الجليلة ، ولما كان
الصبر أهم الأمور في الحياة الدنيا والمداومة على الأعمال والثقة بالله تعالى في إنجازها أهم الأمور كلها إذ لا عمل
في الدنيا ولا الآخرة إلا بالصبر ، ابتدأ السورة بقوله - والقرآن ذى الذكر - وختمها بأنه ذكر للمعلمين ،
وقال بعد قصص الأنبياء في وسط السورة - هذا ذكر - وقال أيضا - كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا
آياته وليتذكر أولوا الألباب - فهذه كلها تشير الى أن السورة مسوقة للصبر على المشاق والأعمال وأن المداومة
على العمل لأجل ألفاظ القرآن بل الأمر كله في الصبر ومقاومة الصعاب

حتم الله الصبر على من أصابته البأساء ومن منح النعماء فأبوب صبر على بلائه وسليان وداود قد
عوقبا على عدم الصبر في بعض عملهما . يقول الله انى تمتحن جميع عبادى لافرق بين الملوكة وغيرهم ، لم
أخل سليمان في ملكه ولا داود في قضائه وولته من الامتحان في الصبر وهكذا أيوب المبتلى . كل من هؤلاء
وهؤلاء مبتلون ، ابتلى الله من هم في بحبوحة النعيم والملك العظيم ومن هم في البلاء والبؤس يألون ، وهذا
معنى قوله تعالى - ونياؤكم بالشئ والخير فتنة - ولذلك قال الله على لسان سليمان عليه السلام - هذا
من فضل ربى ليبلونى أشكرهم أكفر - كما تقدمت ، ومعلوم أن الشكر ملازم للصبر فمن عمل برا فقدمبر عن
الشئ الذى هو قادر عليه في مقابلته ، فمن نظر في المصعف فهو في الوقت نفسه قد صبر على غص طرفه من
النظر للحوادث عليه ، ومن تلا القرآن والعلم فهو في الوقت نفسه صابر عن توجيه همه من هجر القول والتم
والضعف وما أشبهها الى القول النافع المفيد . ألا تهب كيف كان لفظ - ص - رمزا الى مقصود السورة
وكيف جمع صبر المبطلين من الكفار وصبر نبيينا ﷺ وصبر أيوب وأن هؤلاء الأنبياء مشى عليهم وغالبون
فأثرون ، وكيف كان ذلك أيضا رمزا الى اللوم على من لم يصبر ولم يتم عمله فكأنه قيل : فكروا في الصبر
واحتسروا من الاسراع ، وكيف كان من لم يفكر في نظام هذه الدنيا حتى يقف على الحقائق وأسرع بالحكم
على نظام هذا العالم وانه باطل أشبه بمن أسرع في الحكم لأحد الخمين قبل سماع الآخر ، وكيف كان ذلك
رمزا الى أن المقصود من الحياة إنما هو الحكمة والعلم ، فأما القضاء ونحوه فأنما هو لنظام نوع الانسان في
الحياة الدنيا ، ولعمري ما أبعد الفرق بين المقامين مقام القضاء بين العباد ومقام معرفة الحقائق والوقوف على
الحقائق في نظام السموات والأرض . أن أولهما مقفمة وثانيهما نتيجة ، لذلك نجد قضاء داود تبعه ذم الذين
يفنون أن السموات والأرض خلقنا إبلا . إن في هذه السورة حشا على حسن القضاء بين العباد لحظ الدولة
ونظام الأمة وبهذا النظام وقيامه يقدر الناس أن يفكروا ويفقهوا فأما اذا لم يكن قضاء ولا نظام فلا مفكرين
ولا حكماء لأنهم لا يجدون أمنا في البلاد فلا يقدرين على التفكير ولا العلم

يقول الله في آخر السورة - ولتصلن بناء بعد حين - وهذه الآية شرحها طويل ، فمن نبأ القرآن هذه
الأمة الاسلامية المترامية الأكتاف التى تبلغ الآن نحو (٣٥٠) مليوناً من المسلمين ، أفليس هذا من أعظم

أنبيائها ، ومن نبأ القرآن العلوم التي كشفها الناس حديثا ، وكيف جاء علم الأرواح الحديث مطابقا لهذا القرآن وأن الأرواح بعد الموت أحياء وأن من الأرواح من هم مغرمون بالمادة والمال والحياة والصيت والذكر في هذه الدنيا وهؤلاء يكونون بعد الموت مجنوبين الى الملة معدن بذلك ومنهم من يكونون أرقى علما وحكمة وأخلافا ، وهؤلاء يقاعدون عن المادة ويقربون من ربهم وأن أعلى الأرواح وأطهرهم وأرفعهم من يتخلص من المادة ويقرب من الله و يراه وان من الأرواح من هم في غاية الصفاء والطق ومنهم من هم في ظلمة وكثافة فلا تقدر الأرواح العالية أن تلمهم ، وان من الناس في هذه الأرض من لطف نفوسهم فلا تقدر الشياطين على الوسوسة اليهم كما لا يقدر الصالحين على مقابلة الملوكة كما قال تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - أفلا ترى أن هذا مجزء للقرآن ، أفلا ترى أن هذه الامور المذكورة في هذه السورة قد أصبحت تقال في المجمع النفسية علنا وهذا هو نفس القرآن (وبعبارة أخرى) هو ما في هذه السورة من ذا كان يظن أن نبأ بقاء الأرواح بعد الموت وحسابها يظهر في الدنيا قبل يوم القيامة

﴿ حكاية صهيبة ﴾

هل لك أيها النكتي أن تسمع ما أرويه لك عن حال نفسي : كنت أيام مجاورتي بالجامع الأزهر ناشأ به إذ رأيت كاتني في قريتنا (كفرعوض الله حجازي) وكان قائلا يقول لي : انظر انظر ! فنظرت فرأيت كرة بيضاء تميل الى الحرة وسطزقة الجوق تملو عن المقابر قليلا مقدار خمسة أمتار فقال هذه هي الروح ، وكان ذلك ليلة الخميس فاستيقظت وقت مع اخواني المجاورين لتوجه الى قصر النيل وما جاوره للرياضة فوجدت عند أحدهم كتاب ابن مسكويه في علم الأخلاق ولا علم لي بهذا الكتاب ولا بهذه العلوم فعدت يدي الى الكتاب فقرأت في أوله مسألة الروح والاستدلال على وجودها فحببت كل العجب وصرت مغرما به وبغيره ، ثم تعادى الزمان حتى هذه الأيام الأخيرة أي بعد هذه الحادثة بأربعين سنة فاطلعت على علم الأرواح فوجدت انهم لما سألوهم في المجمع النفسية أي لما أحضروا بعضها قالت : « إن الأرواح بعد الموت ترتفع في الجوق على مقدار خلاصتها من المادة وكلما كانت أجل أخلافا وأغزر علما كانت أبعد عن الأرض » فحببت كل العجب من موافقة تلك الرؤيا لأقوال الأرواح التي خاطبوها وأنا الآن لست أقول ان هذا تحقيق المقام بل أقول ان الموافقة هي العجب العجيب ، وأحب من هذا انها توافقي آراء ابن سينا والفلاسفة القائلين هذا القول وأن الانسان على قدر انجذابه الى المادة يبعد عن الله ويقدر بعده عن الله يقرب من المادة ولعل مرتبة الروح في القلاة عند صعودها دالة على مرتبتها في جهنم . أليس هذا قول الله تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم انهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون -

يقول علماء الأرواح : « إن النفس بعد الموت اذا كانت متقدمة رداء الذنوب جلتها وزملتها وحجبتها عن الأرواح العالية حتى لا تقدر على تعليمها » ويقولون أيضا : « انه كلما كان الانسان أشد انكسارا للبعث كانت روحه عند الموت أشد عذابا لأنه يتنازعها عاملان : عامل الانجذاب الى المادة والياس من حياة أخرى وعامل خروج الروح الذي قضت به التواميس الإلهية في الأرض ، وكلما كان الانسان أكثر صلاحا كان أكثر سهولة في انفصال روحه من جسمه . قالوا : وأرواح الأشجار بعد الموت الظاهر تنقي متصلة بسمه مدة حتى يحس المنحرون برعى العود في أجسامهم ويحكم عليهم بعد الموت بامور فظيعة لأنهم لم يصبروا على ما أصابهم فيضطرون لعذاب عظيم لا يطاق هناك »

وقالوا : « إن النفس متى خرجت من الجسد اطلعت على جميع أعمالها مسطرة في جسمها كما أنها تشاهدها لاحتاج في التعريف الى شيء آخر ، وهناك تعرف مقدار ما عملت وتعرف الثواب وتعرف مقدار

العقوبات التي سنالها ، وكل قصص في النفس يتبعه ألم هناك ، وهناك يكون العذاب والتعذيب القوي أصاب النفس مقبلا حول الروح فهو هناك كالمواء هنا ، فهم إما في إطار من شقاء أو من نعيم »
 يا محبا كل العجب ، جاء في الحديث : « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » وهذا هو الذي جاء في العلم الحديث اليوم ، ويقول الله - اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا - وهو عين ما نبحث

انظر كيف يقولون أيضا : « إن عواطف المحبة والبغضاء والحسد والغيرة والتدلمة والاشفاق وما أشبه ذلك تكون لها سواكل روحانية محيطية بالنفس فهي كروائع الزروع المختلفة في جسم الانسان . إن علم النبات يفهمنا ذلك ففيه الروائح الطرية المختلفة وفيه الروائح الكريهة الكثيرة والانسان يميزها بشمها ، فذاقتنا ميزنا سواكل الفضائل المختلفة كما نميز روائح النباتات المتميزات واذن يظهر للروح قوله تعالى - كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا - فيعرف الانسان كل شئ بنفسه كما يميز في بعض الأوقات حبيبه من عدوه مما يشعر به في نفسه من الميل ومن النفور »

ويقولون أيضا : « إن كل خلق ذمير تتأذى به هناك له عقاب ، وكل ما يصيبنا من آلام الدنيا ومصائبها يزيل عنا بعض هذه العيوب ويبقى منها ما يلزمنا بعد الموت ، والروح في حال البرزخ يعذب عذابا مازيا أو معويا على مقتضى ذنوبها حتى إن المتكبر يقاسى الآلام لا تطلق في حال البرزخ »
 وقالوا : « إن المجرم بالمال والحشم والحشم والشهوات يصاب بألم نفسي لأنه يطلع فيرى الناس انقسموا ماله وأخذوا ثروته وهو يراهم ولا يقدر على منعهم وهذا عذاب لا يطلق »

ويقولون : « إن القتل والسفاكين تطاردهم أشباح من أمواتهم فلا يهدون ولا يقدرين على الاحتجاب من هذا العذاب ، وهؤلاء وأمثالهم لا يصلحون على بعض أحوال مستقبلهم للظلمات المتركة عليهم »
 ويقولون : « إن الأرواح العالية ترى ملاعين رأت بعد الموت وتطير إلى الصلاجات جاعات جاعات وينتهجون بالجمال الإلهي وأحكام الصفة البديعة في السموات ويقون سكرى آمادا وآمادا وهم يسبحون زمرا مضامين كل جماعة في درجاتهم الخاصة التي ماتوا عليها وهم متحابون متجاذبون كتجاذب المواد الأرضية وتظهر على أيديهم الجباب في عالم الأثير المهبج البديع ، والذي يجمعهم اتحادا وتخلعهم من الكبرياء واتحادهم في الفضائل وتكون أجسامهم خفيفة لطيفة غلبت روحانياتها »

ويقولون : « أنهم يرفعون في طبقات الأثير ألقانا بديعة وقد يجتمعون حول روح أعظم منهم فيعطيه تعاليم ترقبهم ، ثم إن أجسامهم لا تعرض كأجسامنا للظلمات وخفتها »
 ويقولون : « أنهم يقيمون أفرقا وأعيادا واجتماع الأرواح العلوية من أقطار الكون كله وكل منها يتلأأ بسنة اللطيف الدال على صفاته ودرجاته في الرق »

هذا هو الذي أحييت أن أقوله لك الآن من كتب الأرواح المسطورة أمأى ، إياك أن تظن أني أجعل هذا القول المنقول عن الجامع النفسية قولاً لا يحتاج إلى دليل إنما المقام مقام تضيقه قوله تعالى - وتعلمون نباء بعد حين - فنقول نعم ياربنا عرف عبادك بعض ما جاء في كتابك فهلم أولاء عرفوا أن الأرواح لها نعمات وموسيقى في اجتماعها وهذا هو الذي قاله بعض المفسرين في قوله تعالى - إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون - فعندنا من ذلك النعمات الموسيقية وعرفوا أنهم نزع ماني صدورهم من غل أخوانا على سرر متقابلين وهذا لا يكون إلا للأرواح الخالصة من شوائب الحسد والغفل الخ وعرفوا أن الروح تقرأ أعمالها في شكل جسمها الروحي وغير ذلك مما أوتعت في هذا المقال ، فليس المقام مقام تحقيق صدق هؤلاء وكذبهم بل المقام في أنه طابق مافي القرآن ، ولست أيها الذكي ملزما أن تبحث عن كون قولهم حقا أو باطلا

فأماك القرآن نص عليه فان أردت البحث فاقرا طرق تحضير الأرواح من كتابي المسمى « الأرواح » واستحضرها بالطرق الرائجة هناك وكن مختصا في البحث لأجل العلم والمعرفة لا لأجل الدنيا فستعرف الحقائق بنفسك لا بأهل أوروبا الذين أخبرونا أن أرواح القديس الصالحين هذا شأنهم وهكذا الظالمون والجدلة رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين . انتهى الفصل الثالث في مقصود السورة

﴿ لطائف هذه السورة ﴾

- (١) في بعض أسرار - ص - وسورتها
- (٢) في قوله تعالى - ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض -
- (٣) في قوله تعالى - رب اغفر لي ملكا - الخ
- (٤) في قوله تعالى - قال فبعتك لأغوينهم أجمعين -

﴿ الطيفة الأولى في بعض أسرار - ص - وسورتها ﴾

(كتب صليح يوم الجمعة ٢٤ يناير سنة ١٩٣٠)

استيقظت الليلة بعد نصف الليل وكنت تحت قبل أن أصل العشاء فصليتها وفي ركعات الوتر قرأت آيات من (سورة ص) وفيها - ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض - الخ فرأيت في بعض عجائب هذه السورة وبعض عجائب الأرض والسماء وذلك أن (ص) كما قلنا جاءت في أول حروف الصبر وأول كلمة في السورة جاءت الصاد في أولها - واصبروا - والمعزة فيها للوصول ، ثم أمر ﷺ أن يصبر في آية - اصبر على ما يقولون - في مقابلة قومهم - امشوا واصبروا على آلتكم - إذن الكفر عند أهله لا يتم إلا بالصبر والنيوة عند أهلها لا يتم إلا بالصبر ولكن يابعد ما بين الصبرين ، وهنا أعقبه بقوله - واذكر عبدنا داود - الخ فإذا نرى ؟ نرى أنه ذكر داود وسليمان وأيوب ثم إبراهيم واسحق الخ ، فهنا رأينا داود وسليمان ملكين وأيوب ابتلى بنقم الدنيا مرضا وفقرًا ولكن هذان النيان مع هذا الملك قد ابتليا بما يشبه المعصية وهذا يحزنهما كما حزن موسى بقتله القبطي . إذن الألم عند الأنبياء ﴿ نوعان ﴾ نوع يرجع الى الألم الروحي الديني الذي يورث النسم ، ونوع يرجع الى الألم الجسدي والمالي ونحوهما ، فالنوع الأول ظاهر في أمر موسى وداود وسليمان ، والثاني ظاهر في أمر أيوب وإبراهيم واسحق وإسماعيل ، فالأول يبدنه وماله وأهله والثاني بالنار وبذبح ولده والثالث والرابع بذبحه هو فصبر الجميع ففازوا ونجحوا . إذن في الملك امتحان وفي الجسم امتحان وفي الفقر امتحان وهذا كله لم يقصد منه في القرآن أن يعجز الله الأنبياء كلا والله بل قصد منه تعليمنا نحن ، ومعنى هذا أنني أجد في نفسي خزيا وحزنا من أمور سبقت اذا تذكرتها دلت على أنني كنت غير كامل الخلق ولا ممتازا بالصبر كأن أنطق بقول لا قيمة له أو أفضل فعلا غير جيد فيقول الله لي إن موسى لم يمنع قتل القبطي الذي أورثه النسم أن يكون نبيا ورسولا وأن داود وسليمان اللذين ابتليا بما ظاهره أنه ذنب فنسما ولكن هذا الندم ليس معناه لهما أدلا ضييعا طول الحياة وقعدا عن الأعمال . كلا . بل إن الندم مظهر يدل على أن النفس به ترقى وربما تكون بعد الذنب خيرا منها قبله فان معصية توجب ذلا وانكسارا خيرا من طاعة توجب عزا واستكبارا ، وهكذا قد يعثر أحدهنا نقص في الأموال والأفئد والفترات فيقول الله له إياك أن تقطع فكما صبر أيوب على النقص في ذلك وصبر إبراهيم واسحق ويعقوب على ما ابتلوا به ففازوا جميعا هكذا أنت اصبر تنل ، إذن يكون هذا تطبيقا على آية البقرة - وبشر الصابرين الذين اذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون * وألئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون - فذكر البشارة

والصلوات والرحمة والهداية لهم هو الذي ظهر مثله هنا بفوز داود وسليمان وأيوب وأمثالهم بعد أصابتهم جميعاً بمصائب روحية دينية أو مصائب جسمية ومالية إذ يقول الله يا محمد اذكر عبدنا داود الخ فهو لاء جميعاً ابتلوا بأنواع من البلاء في أنفسهم وأهلهم وأنت ابتليت بأهل مكة إذ كذبوك وقد صبروا على كفرهم قاصراً على إيمانك وصابرهم وستفوز كما فاز من قصصهم عليك من الأنبياء ، فهكذا أنا وقرءاء هذا التفسير يقول الله لنا كل ما يصيبكم لا يخرج عما ذكر فهو إما مصائب من أذى الناس وإما من ذنوب تقصت وإما من نقص الأنفس والأموال والقرات وقد صبر نبينا ﷺ على الأول وبعض الأنبياء على الثاني وبعضهم على الثالث ففازوا جميعاً وأنت تفوز كما فازوا إذا علمت الصبر وهذا هو بعض سر (ص) في أول السورة إذ ظهر أن المدارج همه في هذه السورة على شيء واحد وهو الصبر

أقول : ثم بعد أن خطر لي هذا الخاطر تذكرت أمراً عجيباً وهو قوله تعالى - كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب - فقلت فما الذي يتذكره أولوا الألباب يترى في هذه الآيات ؟ هنالك وجدت رابطة دقيقة بين الصبر المتقدم بجميع فروعه وبين صبر القضاة على القضاء بالحق لأنهم معرضون لسخط الناس وسخط الملوك الذين ولوهم ، والله يقول هنا - فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى - وهذا لا يكون إلا بالصبر . فهذا أيضاً من سر (ص) فهناك ما جاء في كتاب «العقد الفريد ، للإمام السعيد» من صبر القضاة على العدل وقول الحق ثم فوزهم ، وفي هذا المقام عشر قضايا وهذا نصها :

﴿ خاتمة لهذا الركن ﴾

من عادة من له خاطر وقاد وهكر تقاد وقلب الى ادراك الفضائل منقاد انه اذا وقف على القواعد الكلية في المقاعد العليا والمقاصد المرعية لاسيما في الراصد النرجية أن يتطلع الى الوقوف على شيء من جزئياتها ويتوقع معرفة شيء من أحوال سالكى طرقها ليكون على بصيرة من التفاوت بين الجامعين أصناف صفاتها القاريين وصيد صفاتها وبين القانعين منها بمجرد أسماء شبهاتها التابعين أهواء غفوسهم الأمارت في ملاذها وشهواتها وهذه وقائع وقضايا صدرت من جبهة من القضاة المتقنين القانعين بأحكام المسلمين فيها اعتبار جامع للتوسمين واذكار باغ والفكرى تنفع المؤمنين تصدع بأن قضاء الشريعة هذا وصعها وولاء أحكام المسلمين هذا صنعها والوقائع الصادرة منهم كثيرة يبعد جهتها وفي ذكر بعضها بصره يعم نفعها ويعظم وقعها وقد وقع الاختصار من أحكامها على ذكر عشرة لاحاجة معها الى زيادة تذكره

﴿ القضية الاولى عن عدل محمد بن عمران الطلحي ﴾

قال نعيم المدني قدم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطلحي متولى القضاء بها وأنا كاتبه فحضر جلسة من الجالين واستعدوه على أمير المؤمنين المنصور في شيء ذكره فأمرني أن أكتب الى المنصور بالحنور معهم أو انصافهم فقلت له تعفني من ذلك فانه يعرف خطي فقال اكتب فكنت وختمت فقال والله ما يغني عن غيرك فخطيت به الى الربيع حاجبه وبعثت أعتذر اليه فقال لأبأس عليك ودخل بالكتاب على المنصور ثم خرج الربيع فقال للناس وقد حضروا أهل المدينة والأشراف وغبرهم ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم اني دعيت الى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقوم اذا خرجت ولا يبدأنى بالسلام ثم خرج وبين يديه المسبب والربيع وأنا خلفه وهو في أزار ورداء فسلم على الناس فما قام اليه أحد منهم حتى بدأ بقبر النبي ﷺ فسلم عليه ثم التفت فلما رآه ابن عمران القاضي أطلق رداءه عن عاتقه ثم احتجب به ودعا بالحنور الجالين ثم دعا بالمنصور فأتى عليه القوم وقضى لهم عليه ثم انصرف فلما دخل المنصور الدار قال للربيع اذهب فاذا قام القاضي من مجلسه فدعه فلما دعاه ودخل على المنصور سلم عليه فرد عليه السلام وقال

له جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حسبك وعن خلقتك أحسن الجزاء قد أمرتلك بشرة آلاف
صلة لك فأقضها فكانت علة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة فما أبرك سلوك السائق القويم وأتبع
الصراف المستقيم

﴿ القضية الثانية عدل عاقبة بن يزيد القاضي ﴾

نقل أن عاقبة بن يزيد القاضي كان على القضاء ببغداد للهدى فجاء في بعض الأيام وقت الظهور للهدى وهو
خال فاستأذن عليه فلما دخل عليه استأذنه في من يسلم إليه القمطر. القى فيه قضايًا مجلس الحكم واستغفاه من
القضاء وطلب منه أن يقيه من ولايته فظن للهدى أن بعض الأولياء قد عارضه في حكمه فقال له في ذلك والله
إن عارضك أحد لتسرك عليه فقال القاضي لم يكن شيء من ذلك قال فما سبب استغفائك من القضاء قال
يا أمير المؤمنين كان تقدم إلي خصمان من مشهور في قضية مشككة وكل يدهي ينة وشهودا وبدلي بحجج تحتاج
إلى تأمل وتلبث فرددت الخصوم رجاء أن يطلخوا وأن يظهر الفصل بينهما فسمع أحدهما أني أحب الرطب
فصمد في وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب فجمع رطبًا لا يتبأ في وقتنا جع مثله لأمر المؤمنين ومارأت أحسن
منه ورشًا بوابي بدرهم على أن يدخل الطبق على ولا يبالى أن ردّ عليه فلما أدخله علي أنكرت ذلك
وطردت بوابي وأمرت ردّ الطبق فردّ عليه فلما كان اليوم تقدمت للخصمان إلى فما تساوا في عيني ولا قلبي
فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل فكيف يكون حال لوقبت ولا آمن أن تقع علي حيلة في ديني وقد فسد الناس
فأقلى يا أمير المؤمنين أملك الله وأعفى عفا الله منك

﴿ القضية الثالثة عدل شريك بن عبد الله قاضي الكوفة ﴾

روى حماد بن حياج بن سعد قال أنت امرأة يوما شريك بن عبد الله قاضي الكوفة وهو في مجلس الحكم
فقلت أنا بالله ثم بالقاضي قال من ظلمك قالت الامير موسى بن عيسى ابن هم أمير المؤمنين كان لي بستان على
شاطئ الفرات فيه نخل وورثة عن أبي وقاسمت اخوتي وبنيت بيني وبينهم حائطًا وجعلت فيه رجلا
فارسيًا يحفظ النخل ويقوم به فاشترى الامير موسى بن عيسى من جميع اخوتي وساموني ورغبني فلم أبعه فلما
كان هذه الليلة بثت بغصاة غلام وقاعل فاقبلوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئًا واختلط بنخل
اخوتي فقال يا غلام أحضر طينة فأحضر نقتمها وقال امض الى بابي حتى يحضر معك المرأة بالطينة
المختومة فأخذها الحاجب ودخل على موسى فقال قد أعدى القاضي عليك وهذا ختمه فقال ادع لي صاحب
الشرطة فدعاه فقال امض الى شريك وقل يا سبحان الله ما رأيت أحجب من أمرك امرأة ادعت دعوى لم تصح
أعديتها علي قال صاحب الشرطة ان رأي الامير أن يعينني من ذلك فقال امض وباك فخرج وقال لفلانة
اذهبوا واجابوا لي الى حاس القاضي بساطًا وقراشًا وما تدعو الحاجة اليه ثم مضى الى شريك فلما وقف بين يديه
أدّى الرسالة فقال لفلان المجلس خذ بيده فضعه في الحبس فقال صاحب الشرطة والله قد علمت انك تحبسي
فقدمت ما أحتاج اليه الى الحبس وبلغ موسى بن عيسى الخبر فوجه الحاجب اليه وقاله رسول أدّى رسالة أي
شيء عليه فقال شريك انه جوابه الى رفيقه الى الحبس فحبس فلما صلى الامير موسى العصر بعث الى اسحق
ابن الصباح الاشعري والى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء القاضي شريك وقال لهم أبلغوه السلام وأعلموه
أنه استخفى بي واني لست كالعادة فمضوا اليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر فأبلغوه الرسالة فلما
انقضى كلامهم قال لهم مالي أراكم جثمتوني في غيرة من الناس فكلمتموني من ههنا من فتيان الحى فأجابه
جماعة من الفتيان فقال ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به الى الحبس ما أتم الاقنعة وجزأكم الحبس
قالوا أجاك أنت قال حقا حتى لا تعودوا رسالة ظالم فحبسهم فركب موسى بن عيسى في الليلة الى باب السجن

وفتح الباب وأخرجهم كلهم فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء جاءه السجبان فأخبره فسدنا بالقدر
 نغتمه ووجه به إلى منزله وقال لقلنا له الحق بثقل إلى بغداد والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ولكن أكرهوا
 عليه ولقد ضمنوا لنا فيه الاضاز اذ قللناه لهم ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد وبلغ الخبر إلى موسى
 ابن عيسى فركب في موكبه فليحقه وجعل يناشده الله ويقول يا أبا عبد الله ثبت انظر اخوانك تحبسهم مع
 أعوانى قال نعم لأنهم مشوا لك في أمرهم لم يمشوا فيهم لست بيلرح أو يردوا جيعا والا مضيت إلى أمير المؤمنين
 المهدي فاستغيت بمعاقدني فأمر موسى بردهم جميعا إلى الحبس وهو واقف والله مكانه حتى جاء السجبان فقال
 قد رجعوا جميعا إلى الحبس فقال لأخوانه خذوا بلجام دابته بين يدي إلى مجلس الحكم فروا به بين يديه
 حتى أدخل المسجد وجلس في مجلس القضاء فجأت المرأة المتظلمة فقال هذا خصمك قد حضر فقال موسى
 وهو مع المرأة بين يديه قبل كل أمر أي قد حضرت أولئك يخرجون من الحبس فقال شريك أما الآن فقم
 أخرجهم من الحبس فقال ما تقول فيأبديه هذه المرأة قال صلحت قال ترة ما أخذت منها وبني حاطها سريما
 كما كان قال أفضل ذلك قال لما أتني لك عليه دعوى قالت بيت الرجل الفارسي ومناحه قال موسى بن عيسى
 ويرد ذلك كله لي لك عليه دعوى قالت لا وبارك الله عليك وزك خيرا قال قومي قامت من مجلسه فلما فرغ
 أخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه في مجلسه وقال السلام عليك أيها الأمير أنا شريك فقال أي شيء أمرك
 فقال له شريك أيها الأمير ذلك الفعل - في الشرع وهذا القول الآن حق الادب فقام الأمير وانصرف إلى
 مجلسه وهو يقول من عظم أمر الله أذل الله عظماء خلقه

﴿ القضية الرابعة عدل القاضي شريك أيضا ﴾

قال عمر ابن أخي خالد بن سعيد كنت من أصحاب القاضي شريك فأبنت يوما في منزله باكرًا ففرج إلى
 فيرداء وليس تحته قميص وعليه كساء فقلت له قد أصبحت عن مجلس الحكم فقال غسلت ثيابي أمس ولم يغف
 اجلس جلست لجلنا تنذاكر باب العبد يتزوج بغير إذن مواليه قال ما عندك فيه وما تقول فيه وكانت الخيزران
 قد وجهت رجلا نصرانيا على الطراز بالكوفة وكتبت إلى موسى بن عيسى أن لا يصح له أمرًا بالكوفة وكان
 مطاعًا بالكوفة ففرج علينا ذلك اليوم من زقاق ومعه جماعة من أصحابه وعليه جبة خزوطيلسان وتحت برذون
 فاره وإذا بين يديه رجل مكتوف وهو يصيح واغوثاه أنا بالله ثم بالقاضي وإذا في ظهره آثار السياط فسلم على
 شريك وجلس إلى جانبه فقال الرجل أنا بالله ثم بك أصلحك الله أنا رجل أعجل هذا الوشى أجرت كل شهر
 مائة أخذني هذا منذ أربعة أشهر واحتبسني في طراز يجري على القوت ولدي عيال قد ضاعوا وهلكوا وأقبلت
 اليوم نحوهم لأراهم فلحقني ففعل بظهرى ما ترى فقال القاضي قم فاجلس مع خصمك يا نصراني فقال أصلحك
 الله يا أبا عبد الله هذا من خدم السيدة مرهبة إلى الحبس قال قم ويك واجلس معه كما يقال لك فجلس معه فقال
 ما هنك الآثار التي يظهر هذا الرجل من أثرها فقال أصلحك الله القاضي إنما ضربته أسواطًا بيدي وهو يستحق
 أكثر من ذلك مرهبة إلى الحبس فألقى شريك كساءه ودخل داره وأخرج سوطًا ثم ضرب يده إلى مجامع
 ثوب النصراني وهو يقول لا تضرب ولله بعدا المسلمين فهم أعوانه أن يخلطوه فقال شريك لقتيل الحى
 خذوا هؤلاء إلى الحبس فهرب الاعوان وبقي النصراني فضربه أسواطًا فجلس يبكي وهو يقول ستعلم فلما
 فرغ من ضربه أتى السوط في الهلبز وقال لي يا أباحفص ما تقول في العبد يتزوج بغير إذن مواليه فأخذنا فما
 كنا فيه كأنه لم يصنع شيئًا وقام النصراني إلى البرذون ولم يكن له من يمكه فجعل النصراني يضرب البرذون فقال
 له شريك أرفق به ويك فإنه أطوع لله منك ثم قال خذ فيما كنا فيه قال هم قتلنا ما لنا ولهذا لقد فلت
 اليوم فلة ستكون لها عاقبة مكروهة فقال لي أعز أمر الله يهزك الله خذ فيما كنا فيه فذهب النصراني إلى

موسى بن عيسى فقال شريك فصل بن كيت وكيت فقال له والله ما أتعرض لشريك غضى النصراني إلى بغداد ولم يعد بعدها إلى الكوفة

﴿ القضية الخامسة عدل عبيد بن عليان قاضي الرشيد بالرقعة ﴾

قال الزبير بن بكار حدثني حمى مصعب قال كان عبيد بن عليان قاضي الرشيد بالرقعة وكان الرشيد إذا ذاك بها جاء رجل إلى القاضي فاستمدى إليه على عيسى بن جعفر فكتب إليه القاضي ابن عليان أما بعد ألقى الله الأمير وحفظه وأتم نعمته أنا بن رجل فذكر أنه فلان بن فلان وأنه على الأمير أبقاه الله تعالى خسمائة ألف درهم فإن رأى الأمير يحضر مجلس الحكم أو يوكل وكيلًا يناظر خصمه أو يرضيه فعل ودفع الكتاب إلى رجل فألقى باب ابن جعفر فدفع الكتاب إلى خادمه فأوصله إليه فقال له قل له كل هذا الكتاب فرجع الرجل إلى القاضي فأخبره فكتب إليه أبقاك الله وأتمم بك حضر رجل يقال له فلان بن فلان وذكر أن له عليك حقا فسرعه إلى مجلس الحكم أو وكيله إن شاء الله تعالى ووجه الكتاب مع عوين من أعوانه فحضر باب عيسى بن جعفر ودفع الكتاب إليه فغضب ورمى به فانطلقا فأخبراه فكتب إليه حفظك الله وأتمم بك لا بد أن تصبر أنت أو وكيلك إلى مجلس الحكم فإن أيت أنهيت أمرك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله ثم وجه الكتاب مع رجلين من أصحابه فتمدا على باب عيسى بن جعفر حتى طلع قداما إليه ودفعوا إليه كتاب القاضي فلم يقرأه ورمى به فغدا فأبلغنا ذلك غظم قطره وأغلق بابا وقعد في بيته فبلغ الخبر إلى الرشيد فدعاء وسأله عن أمره فأخبره الخبر وقال يا أمير المؤمنين اعطني من هذه الولاية قوائمه لا أفعل فاض لا يقيم الحق على القوى والذهب فقال له الرشيد من يملك من إقامة الحق فقال هذا عيسى بن جعفر فقال الرشيد لابراهيم بن عثمان سر إلى دار عيسى بن جعفر واختم أبوابها ولا يخرج منها أحد ولا يدخل إليها أحد حتى يخرج إلى الرجل من حقه أو يسير معه إلى مجلس الحكم فأحاط ابراهيم بداره خسمائة فارس وأغلق الأبواب كلها فتوهم عيسى بن جعفر أن الرشيد قد حدث عنده رأى في قتله ولم يعرف الخبر فجعل يكلم الاعوان من خلف الباب وارتمى الصراخ في منزله وضج النساء فسكرتهن ثم قال لبعض الاعوان من غلمان ابراهيم ادعوا إلى اسحاق لا تكلمه فأعلموه فجاء حتى وقعد على الباب فقال له عيسى ويحك ما حالنا فأخبره بخبر القاضي ابن عليان فأمر بإحضار خسمائة ألف درهم من ساعته فاحضرت وأمر أن تدفع إلى الرجل فجاء ابراهيم إلى الرشيد فأخبره فقال إذا قبض الرجل ماله فافتح أبوابه وهرقه أن القاضي من عمل حكمه فبك ما رأيت فإياك ومعارضته

﴿ القضية السادسة جرأة عمر بن حبيب القاضي ﴾

قال عمر بن حبيب القاضي حضرت مجلس الرشيد يوما عجزت مسألة فتنازعها الخصوم وعلت الاصوات فيها فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قاتلون منهم أبو هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم فقال أنا الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ وأبو هريرة صحيح الثقل صدوق القول فيما يرويه عن رسول الله ﷺ فنظر إلى الرشيد فظفر مضطرب وانصرف إلى منزله فلم ألبث أن جاءني غلام فقال أجب أمير المؤمنين أجابة مقنونة وتحفظ وتكفن فقلت اللهم انك تعلم أنني دفعت عن صاحب نبيك أن يطلعني على أصحابي فسلمني منه فادخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع فلما بصرتي قال يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الدفع والرد لقولي بمثل ما تلقيتني به وتجرات علي فقال يا أمير المؤمنين إن الذي قلته ووافقت عليه وجادلت عنه ازداء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به فإنه إذا سكن أصحابه ورواة حديثه كذا بين فالتمس به بالطله والقرائض في الأحكام في الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود

مردودة غير مقبولة فأنه الله يا أمير المؤمنين أن تظن ذلك أو تصني إليه وأنت أولى أن تغار لرسول الله ﷺ قال أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله أحييتني أحياك الله وأمره بشرة آلاف درهم

﴿ القضية السابعة مدل حفص القاضي ﴾

قال يحيى بن الليث باع رجل من أهل خراسان جالا على مرزبان المجوسى وكيل أم جعفر ثلاثين ألف درهم فغلبه تجنبا وعوقه عن سفره فطال ذلك على الرجل فأتى الى بعض أصحابه وشاوره كيف يعمل فقال اذهب الى مرزبان وقل له أعطني ألف درهم وأحل عليك بالمدل الباقي وسافر الى خراسان فإذا فعل فعرفني حتى أشير عليك ففعل الرجل وأتى الى مرزبان فأعطاه ألف درهم فرجع الى الرجل فأخبره فقال له عد اليه وقل له إذا ركبت غدا فاجعل طريقك على القاضي حتى أوكل رجلا يقبض المال منك في دفعات وأروح أنا الى خراسان فإذا جاء وجلس الى القاضي فلتع بمالك كله فإذا أقر حبسه القاضي وأخذت مالك منه فرجع الخراساني الى مرزبان وسأله ذلك فأجابته وقال غدا انتظرني بباب القاضي فلما ركب من القدر قام اليه الرجل وقال إن رأيت أن تنزل الى القاضي حتى أوكل يقبض المال وأروح فنزل مرزبان فتقاعا الى القاضي وكان حفص بن غياث فقال الرجل أصلح الله القاضي لي على هذا تسعة وعشرون ألف درهم وإدعني عليه فقال له حفص ما تقول يا مجوسى قال صدق أصلح الله القاضي قال قد أقرت لك قال يعطيني مالى والا الحبس فقال للرزبان يا مجوسى ما تقول قال هذا المال على السيدة أم جعفر قال حفص يا أحقى تقررتم قول هذا على السيدة ما تقول يا رجل قال إن أعطاني مالى والا حبسته فقال حفص يا مجوسى ما تقول قال المال على السيدة قال حفص خذوا بيده الى الحبس فلما حبس بلغ الخبر الى أم جعفر فضضبت وبشت الى السندی وقالت وجه عيزبان الى وجهي فأسرع السندی فأخرجه من الحبس وبلغ الخبر الى حفص أن مرزبان قد أخرج فقال أحبس أنا وبخرج السندی والله لاجلست للقضاء أورد مرزبان الى الحبس وغلق باب بيته فسمع السندی ذلك فجاء الى السيدة أم جعفر فقال الله الله في فان حفصا من لا تأخذه في الله لومة لائم وأخاف من أمير المؤمنين الرشيد يقول لي بأمر من أخرجت ردي الى الحبس وأنا أسلم حفصا فيه فأجابته وردته الى الحبس وقالت أم جعفر للرشيد قاضيك هذا أحق حبس وكيلي واستخف به أكتب اليه وصره لا ينظر في الحكم فأمر لها بالكتاب وبلغ حفصا ذلك فقال للرجل أحضرني شهودا لا يسجل لك على المجوسى بالمال وجلس حفص وسجل على المجوسى فجاء خادم السيدة ومعه كتاب الرشيد فقال هذا كتاب أمير المؤمنين فقال له حفص مكانك نحن في حكم شرعي حتى نفرغ منه فقال كتاب أمير المؤمنين فقال اسمع ما يقال لك فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم وقرأه وقال اقرأ على أمير المؤمنين السلام وأخبره أن كتابه ورد وقرأته وقد أفتت الحكم عليه فقال الخادم قد عرفت والله ما صنعت آيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى نفرغ مما يزيد والله لأخبرن أمير المؤمنين بما فعلت قال له حفص قل لما أحييت فجاء الخادم وأخبر هارون الرشيد بذلك فضحك وقال للحاجب مر لحفص ابن غياث ثلاثين ألف درهم فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصا منصرفا عن مجلس الحكم فقال أيها القاضي قسمرت أمير المؤمنين اليوم وقد أمرت لك ثلاثين ألف درهم فما كان السبب في هذا فقال حفص نعم الله سرور أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكلايته ما زدت على ما فعل كل يوم قال ومع ذلك قال لا أعلم الا أنني سجلت على مرزبان المجوسى بمال وجب عليه فقال يحيى فن هذا سر أمير المؤمنين قال حفص الحمد لله كثيرا من قام بحقوق الشريعة ألبسه الله رداء المهابة

﴿ القضية الثامنة عدل القاضي أبي حازم ﴾

قال أبو الحسن عبد الواحد الحسبي حضرت القاضي أباحازم وقد جاءه طريف الخلدی من أمير المؤمنين المعتضد بالله وقال يقول لك أمير المؤمنين لنا على فلان مال وقد بلغنا أن غرماءه أثبتوا عندك أفلامه وقد سقطت لهم ماله فاجعلنا كأحدهم وقسط لنا فقال أبو حازم قل له أمان الله بقاء إذا كررنا قال لي وقت أن قلدي القضاء قد أخرجت الأمر من عنقي وجعلته في عنقك ولا يجوز أن أحكم في مال رجل لمتع إلا بينة فوج طريف وأخبره فقال له قل له فلان وفلان يشهدان يعني رجلين جليلين من أعيان الدولة كانا في ذلك الوقت فقال يشهدان عندي وأسأل عنهما فان زكيا قبلت شهادتهما والا أمضيت ما ثبتت عندي فامتنع أولئك من الشهادة فزعا أن لا يقبل قولهما ولم يدفع للمعتضد شيئا فهكذا يكون القضاء السديد

﴿ القضية التاسعة نادرة في عدل أبي حازم عبد الحميد القاضي ﴾

ذكر وكيع القاضي قال كنت أتقصد لأبي حازم عبد الحميد القاضي وقوفاً في أيام المعتضد بالله منها وقف الحسن بن سهل فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالخلافة أدخل فيه بعض وقف الحسن بن سهل الذي تحت يدي وهو مجاور القصر وبلغت السنة آخرها وقد جبيت مال الوقف إلا ما أخذه المعتضد جئت إلى القاضي أبي حازم ففرقت اجتمع مال السنة واستأذنت في قسمته في سبيله على أهل الوقف قال هل جبيت ما على أمير المؤمنين فقلت ومن يجسر يطالب الخليفة فقال والله لا قسمت إلا ارتفاع أو تأخذ ما عليه والله لأن لم ترح إليه لأوليته عملاً قال امض إليه الساعة وطالبه فقلت ومن يرصلي فقال امض إلى صافي الحرمي وقل له أنك رسول أفندت في مهم ليستأذن لك فإذا وصلت إليه فعرفه فما قلت لك جئت فقلت لصافي ذلك فاستأذن لي وأدخلني وكان آخر النهار فلما صرت بين يدي الخليفة طعن أن أمر أعظم قد حدث فقال هبه فقلت اني أتولي لعبد الحميد القاضي أمير المؤمنين وقوف الحسن بن سهل وفيها ما أدخله أمير المؤمنين إلى قصره ولما جبيت مال هذه السنة امتنع من تفرقة إلى أن أجبي ما على أمير المؤمنين وأفندي الساعة فاصدا بهذا السبب وأمرني أن أقول اني حضرت في مهم لاصل اليك قال فسكت المعتضد ساعة متفكراً ثم قال أصاب عبد الحميد يا صافي أحضر الصندوق فلما أحضره قال كم يجب لك قال قلت أربع مائة دينار قال أتعرف النقد والوزن قلت نعم قال هاتوا ميزاناً قال أزن أربع مائة دينار فقبضتها وانصرفت إلى أبي حازم ففرقت ذلك فقال أضفها إلى ما عندك من الوقوف وفرقه غدا في سبيله ولا تؤخر ذلك فمن حكم بالحق نفذ حكمه وأطيع أمره وأرضى ربه وأبرأ ذمته

﴿ القضية العاشرة عدل اسماعيل القاضي ﴾

قال الدار فطنی سمعت عبد الرحيم ابن القاضي اسمعيل بن اسحاق يقول كان في حجر أبي بنيم فبلغ له أم وأختها في دار الخليفة المعتضد بالله فقات أم اليقيم لأختها كلى أمير المؤمنين حتى يرفع اسمعيل القاضي الجرج عن ولدي فكلمت فلما المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره وقال له قل لاسماعيل القاضي يفك الجرج عن فلان فقال له الوزير ان أمير المؤمنين بأمرك أن ترفع الجرج عن فلان فقال القاضي حتى أسأل عنه وقام فسأل عنه فلم يجبه عنه برشد فتركه ومضت على ذلك أيام فرجعت والده الصبي إلى أختها وسألها أن تعارده أمير المؤمنين وكان المعتضد لا يواد الخشوشة نطودته فقال ليس قد أمرت فقات لم يرفع عنه بعد فعدا وزيره عبيد الله ثانياً وقال أمرتك أن تأمر اسماعيل القاضي بأن يرفع الجرج عن فلان فقال قد كنت فانت له عن ذلك فقال حتى أسأل عنه فقال قل له يرفع الجرج عنه فعدا الوزير ثانياً وقال له وأمر المؤمنين بأمرك أن ترفع الجرج عن فلان فأطرق القاضي

ساعة ثم استدعى دواة وورقة وكتب شيئا وختمه فاستعظم الوزير أن يختم عنه كتابا ولم يقل له شيئا لمحل اسمعيل من الورع والعلم ثم دفع ذلك للوزير وقال له توصل هذا الى أمير المؤمنين فانه جوابه فأخذه الوزير ودخل على المعتضد وقال زعم أن هذا جواب أمير المؤمنين ففتح المعتضد الكتاب وقرأه وأثاء وقال لا تعاوده في هذا فأخذ عبيد الله الوزير الكتاب وإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله

فهذه سيرة القضاة للمتصفين بما سبق من الاوصاف المقتضين في أعمالهم طريقة العدل والانصاف فلا جرم استقرت أحكامهم وجرت أقلامهم وشكرت أيامهم ولم تعجزهم آثامهم اهـ

هناك أخذت أفكر في قوله تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار - الخ ههنا تذكر أولو الألباب المناسبة بين خلق السموات والأرض وبين العدل في القضاء وليس من المنصور أن يعرف الناس تلك المناسبة بقراءة علوم السموات والأرض وهنا يكون العجب من الأمم الاسلامية التأخرة ، حوت علوم السموات والأرض على علم السقف من فوقهم ولكن الأمم الاسلامية في الصور الأولى كانوا يفهمون هذه الامور يقولون وهكذا الأمم القين بعضهم في زماننا وبعضهم بعد مفارقتنا هذه المدارس يفهمون هذا حق الفهم ويقولون إن الله يقول لداود - فاحكم بين الناس بالحق - ثم أعقبه بأن السموات والأرض لم يخلقنا باطلا وفي آية أخرى قال - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاهين ما خلقناهما إلا بالحق - ثم يقولون فلننظر عسى أن نجد في علم النبات هدى فيجدون أن العناصر التي تدخل في تركيب النبات بتجليله تحليلات كيميائية هي :

الكربون . الاوكسجين . الايدروجين . الاوزون . الكبريت . الفوسفور . البوتاسيوم . الكالسيوم الحديد . المغنسيوم

ويحصل النبات على الكربون من الهواء وعلى معظم الاكسجين والايديروجين من الماء ، أما بقية العناصر فيحصل عليها من الأملاح الثابتة في التربة

(اثبات ضرورة العناصر السابقة للنبات)

إذا عمل محلول من ماء أذيت فيه أملاح تشتمل على العناصر الآتية الذكر فإن النبات ينمو فيه بحالة طبيعية (شكل ٢ - ١) وإذا أخص من المحلول أحد هذه العناصر فقد نجو النبات الى حد ما (شكل ٢) ولكنه يضعف ويموت بعد ذلك ، وقد يحتوي النبات النامي في التربة عدا ما تقتسم على عناصر السليس والصوديوم والكلور إلا ان هذه العناصر ليست ضرورية جدا ويمكن للنبات أن ينمو بدونها بحالة طبيعية . والنبات لا يمتص المواد الضرورية له بنسبة واحدة فهو يحتاج مثلا الى مقدار قليل جدا من الحديد في حين أنه يحتاج لكميات أكبر من الاوزون كما أن نسبة كل من العناصر الموجودة في النباتات تختلف باختلاف النباتات نفسها (انظر شكل ٢ في الصفحة التالية)



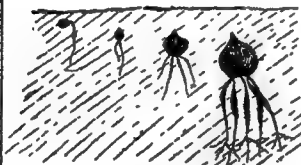
(شكل ٢)

- (١) نبات تام في محلول يحتوي على جميع العناصر الضرورية
 - (٢) نبات تام في محلول يحتوي على جميع العناصر ماعدا البوتاسيوم
 - (٣) نبات تام في محلول يحتوي على جميع العناصر ماعدا البوتاسيوم الذي استبدل بها الصوديوم
 - (٤) نبات تام في محلول يحتوي على جميع العناصر ماعدا الكالسيوم
 - (٥) نبات تام في محلول يحتوي على جميع العناصر ماعدا الاوزوت
- فاذا رأوا ذلك قالوا هذا مثل من أمثلة السموات والأرض وانهما لم يخلقا عبثا ولا لعبا بل خلقا بالحق كما قال تعالى - ما خلقناهما إلا بالحق - وذلك الحق كالخلق المذكور في آية داود - فاحكم بين الناس بالحق -
- الله حق وفصله في تغذية النبات حق بحيث اذا قص النبات في (شكل ٢) السابق البوتاسيوم فقط كان صغيرا جدا واذا قص الاوزوت كان أكبر وهكذا ، أما اذا كان تام التغذية فانه يتم كاله . هذا هو الحق في نظام النبات وهو فعل الله ، وليس هناك اختلاف في هذا القانون ، فلم يسمع الناس أن نباتا قص أحد هذه العناصر ثم كان تاما في شكله غير منقوص وهذا هو نفس الحق الذي تقسم في القضايا العشر التي قتلها لك عن القنماء ، وأي فرق بين عدل محمد بن عمران الطالحي إذ يكتب الى المنصور فيحضر فيحكم عليه وبين قص النبات أمانا اذا قص عنصرا من عناصر التغذية ، واذا كنا نحن خلفاء الله في الأرض على رعايانا من الأعضاء والحواس والأسرات والممالك فوجب أن نتبع من استخلفنا ووزن الامور على مقتضى وزله لتصح لنا الخلافة في الأرض وبهذا نستحق أن نكون - في مقعد صدق عند مليك مقتدر - فهذه العنيدة تقتضي ذلك الحق فيعدل محمد بن عمران ويحكم على الخليفة و يعدل شريك ويحكم على الأمير موسى بن عيسى وهكذا فهذا القتل مناسب تمام المناسبة لما رأينا من العدل في أمر تغذية النبات كالا ونقصا ، فن وفي من الزرع

بالعناصر وقت له ومن قصص قصته له بقدر لازيادة ولاقص وهذا عين قوله تعالى - أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار - الخ أى كما لم نجعل ناقص التغذية من النبات الذى خلقناه بالحق ليس ككامل التغذية ، فالناقص كالمفسدين في الأرض والكامل كالتقين

فاذا عرف هذا أهل العلم من المسلمين في زماننا والذين بعدنا يزدادون علما بالله عز وجل وعلمنا بمصنوعاته وحكمته وتكون طعم سعادته : سعادة روحية ، وسعادة جسمية ، أما السعادة الروحية فهو الحب الحقيقى لصانع العالم ، وإذا كان الإنسان بهم شوقا ويحبب أيما إعجاب بشريكه القاضى ومن معه لاحقا فهم الحق في القضايا فأياك بمن قضاه لانهاية لبعدها وكلها حق وأصبح الناس يشاهدونها بقولهم ، وأما السعادة الجسمية فهي ازدياد ثروة الأمم الاسلامية بزيادة العلم والحكمة ومعرفة حقائق الأشياء ، إن الأمم التى يكثر فيها المحبون للعلوم على هذا النمط الذى في هذا التفسير وهم طيعا يحبون الله تعالى ويحبون عباده بالاجتهاد في ترقيتهم ترقى سريعاً وخواصها المذكورة أوصافهم يكونون في سعادة وازدياد علم لا يعرفه سواهم لأن حب العلم وحب الله وحب رفق الناس متى اجتمعت في امرئ ترادفت عليه أنواع السعادات العلمية وانشرح الصدر وكان الله في عونه - والله يحب المحسنين -

فهؤلاء الذين يزدادون علما بعدنا لا يقفون عند حد فيه فيرون أن جذور الأنواع المختلفة لا يتزاحم بعضها مع بعض في مستو واحد من التربة بل تمتد الى أعماق مختلفة (شكل ٣) بخلاف جذور النباتات الحولية إذ تمتد وتفرع في العادة بالقرب من سطح الأرض ، أما جذور النباتات المعمرة فانها تمتد الى أعماق أبعد ولكل منها حق خاص تنمو جذوره فيه فاذا اقتلعت إحدى الأصيل وزرعت في مستوا أعلى من مستواها الطبيعى تتكون عليها جذور خاصة تعرف بالجذور الشاذة تلتوى كالبرصة فتجذب البصلة الى أسفل حتى تصل بها الى المستوى المناسب (انظر شكل ٤)



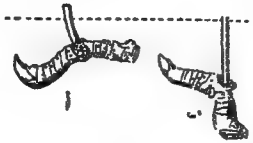
(شكل - ٤)

المستويات التى توجد عليها البصلة الواحدة في سنوات متتالية بعد انبات البذرة لاحظ الجذور الشاذة التى تجذبها الى أسفل



(شكل ٣ - نمو جذور النباتات الصحراوية في مستويات مختلفة)

وكذلك اذا زرع أحد النباتات ذات الريزومات الأرضية في مستو غير مستواه الطبيعى فان الريزوم يتجه الى أسفل وأعلى حسب الظروف حتى يصل الى العمق الخاص المناسب لتثوقه وبعد ذلك يسير موازيا لسطح الأرض (انظر شكل ٥ ا ب في الصفحة التالية)



(شكل ٥)

- (أ) ريّوم زرع في مستوى أعلى من مستوى الطيبي فاتجه الى أسفل
(ب) ريّوم زرع رأسيا في مستوى أعنى من مستوى الطيبي فاتجه الى أعلى متخذاً وضعا أفقيا

وفي السنوات التي يقل فيها سقوط الأمطار عن المعتاد يشاهد أن الشجر المزروع في هذه الأراضي يقف مقفوءا تدريجيا ثم يجف في حين أن النباتات البرية لاتتأثر كثيرا ، وذلك لأن جذور الشجر توجد كلها في مستوى واحد وتزاحم بعضها مع بعض فلا تجد المقدار الكافي من الماء ، أما النباتات البرية فان ترتيب جذورها على درجات مختلفة المستوى يمنع تزاحمها فيتمكن كل منها من الحصول على الماء اللازم له . وعما يلاحظ أن الأمطار تسقط بكثرة على سواحل البحر الأبيض المتوسط ويقل سقوطها شيئا فشيئا كلما بعدت عن الشاطئ فيقل عدد النباتات النامية وتتحول الأراضي الى صحار قاحلة بالتدريج . انتهى ما أردته من كتاب علم النبات إذن يرى المسلمون الذين يزدادون علما في زماننا والذي بعده فيدرسون ويقولون هذا الشجر اذا جف الماء ضعف كله وهكذا القمح وجميع النباتات التي تزرعها لأنها جذورها في منطقة واحدة من مناطق التربة الأرضية ، أما النباتات الصحراوية فان جذورها تمتد في مناطق مختلفات وكل منطقة فيها تربة خاصة يتغذى بها نبات خاص ، ذلك لأن الزارع لها هوائه وهو عدل ومن عدله أن أعطي كل نبات منطقة خاصة يعيش بذاتها ولكن لو كانت كلها في منطقة واحدة لأهلك أقواها أضعفها ، فأما أمثال الشجر والقمح فان الله جعل الانسان قائما عليها ليسبقها واذا ثبت معها نبات يشاركها في منطقتها الطينية فان الانسان نفسه هو الذي يحافظ على زرعها كما ان حيوان البرية لا أمراض تلحقه والحيوانات التي مع الناس تلحقها الأمراض والناس يدأون بها

﴿ تذكرة ﴾

أفلا ترى أيها الذكي أن المسلمين الذين يقرؤن هذه العلوم هم الذين تكون لهم - عادة في الحياة الدنيا والآخرة - الأثرى كيف اجتمع هنا علم النبات وعلم القضاء وأخبار القضاة العاديين الجلية ، أليس ترى أن عدل الله في النبات قد طلب من الانسان أن يسير على منواله ، أليس هذا هو نفس قول المسلم - اهتدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم - والصراط المستقيم هو صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض فهذا هو صراط الله ، أليس ترى أن الانسان كلما أوغل في هذه العلوم حصلت له ملكة بها يكون رجلا ناعما وهامهم أهل أوروبا قد سبقونا في هذه العلوم ولهم دول عظيمة وأهل أمريكا واليابان والصين ففارقونا بهذه العلوم إذا أكسبتهم ملكة التفكير والاختراع ونحن من ذلك محرومون . أليس هذا بعينه هو قول الله تعالى - أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتسمى الأبصار ولكن تعصى القلوب التي في الصدور -

﴿ عبرة في التاريخ ﴾

لقد ذكرت في سورة يونس اني أرسلت خطبا (وهناك نصه) الى المجلس النيابي المصري في أول حياته

والى رئيس الوزراء والى وزير المعارف وقلت فيه « إن الأمة المصرية كانت عندها العلوم قبل الاحتلال فى المدارس الثانوية . وفى زمن الاحتلال أصبح التلميذ يجهل تشريع جسمه ومعركة دابته التى يركبها والسواء التى فوقه وطبقات الأرض تحته فسيصبح القاضي والوزير والمهندس كل هؤلاء جاهلين بهذا الوجود ، فأنا أقترح أن يجعل التعليم الثانوى خمس سنين كما كان ويرجع علم المواليد الثلاثة وعلم الفلك وطبقات الأرض كما كان قديما » هذا هو الذى كتبت منذ بضع سنين ، و بعد ذلك قرئوا خمس سنين ، وقرئوا علوم النبات والحيوان ، أفلا أجد الله إذ يكون ما نقلته اليوم من الكتب التى ألفها الشبان فى أيامنا هذه فى المدارس المصرية . إذن رقى الأم الإسلامية سيكون سرى ما كاذ كرتاه من قبل وبرهانه ما أقوله الآن ، والذى يهمنى فى هذا المقام أن تقول : « ومن الدليل على أن ترك هذه العلوم مضعف للأمة أن المحتلين لبلادنا منعوا أيام سلطتهم وهامى هذه رجعت لتابع سلطتهم ، وانما كتبت الخطاب المذكور لمجلس النواب وللحكومة لأنى أعلم انهم تعلموا فى زمن الاحتلال وأكثروا لم يعرفوا هذه العلوم إلا قليلا ، كما انى كنت فى أيام التدريس بالمدارس أوقف صكبا للمسلمين وأقول فى نفسى اذا كان المحتلون منعوا هذه العلوم من البلاد فهأنذا أكتب بمجملها فى كتبي لتكون تذكرة للمسلمين جميعا »

أما الآن فالى أجد الله إذ رجعت العلوم لبلادنا مع الاستقلال التوحي الذى ينتظر أن يتم فى المستقبل . وأقول إن هذا التفسير كتاب دينى والذى شيقروه إن شاء الله المسلمون ويجدون فيه هذه العلوم مبسطة مشروحة ، فهم إذن لا يفتقروا فى طريقهم عانى يصدهم عن قراءة هذه العلوم لأن الذى يمنع العلوم السكونية من أرضية وسجوية عن المسلمين شيطانان : شيطان داخلى ، وشيطان خارجى . أما الشيطان الداخلى فهو ما يتبعه الجهلاء فى الدين أن هذه العلوم تنافى الدين ، والشيطان الخارجى هم المحتلون لأى بلد من بلاد الاسلام فانهم قد يمنعون العلم عنهم كما حصل فى بلادنا قبل تأليف هذا التفسير ، فهؤلاء حين يرون أمثالا ما أكتبه الآن لا يرجعون عن هذه العلوم مهما كان ذلك ، وعليه أقول : إن أم الاسلام بعد هذه النهضة الحالية سيكونون خير أمة أخرجت للناس

﴿ وصية المؤلف ﴾

والى أوصى كل من يقرؤ هذا التفسير أن يذيعوا بين الناس كل ما يعرفونه لأن اذاعة العلم بين الناس ونشره يرجع فى نفس الحياة الدنيا على الناشر بازياد العلم لأن دورة العلم تمر بالناس ثم ترجع اليه وفيها ازدياد فيزداد هو علما كما اتفق لى فان تقرير هذه العلوم فى البلاد المصرية كان سببا فى أن الحكومة أمرت بعض الشبان فبحثوا فى النباتات المصرية كلها ونشروها فى الكتب ومنها بعض ما كتبناه فى هذا المقام ، فلولا أن هؤلاء الشبان قرؤوا هذا وبحشوه ورسومه ما نشرت شيئا منه ولا عرفته ، الا ترى أنى كنت أقل لك ما كتبه الانجليز ورسومه فى كتبهم ، ولما قرأت كتب أهل بلادى فى الحركة الحديثة كتبت ما تقدم من كتبهم ، فلتكن كل أمة دارسة نبات بلادها وحيوانه وكل شئ فيها والا كانت فى الأذلين . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(فى قوله تعالى - يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق - ولا تتبع الهوى فى ذلك عن سبيل الله إن الذين يضالون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب -)

﴿ كيف نربى قضاة الأم الإسلامية وحكامها وخلفاؤها ﴾

أجدهم الله على نعمك ، وأشكرك على ما أهدمت من العلم وحبوت من الحكمة ، زل القرآن ومضت

أجيال وأجيال والأم الإسلامية ساكنة ساكنة نائمة بعد الصدر الأول وبقى القرآن مهجورا والعلم محبوسا حتى انجس في أم أخرى بعيدة عن الاسلام . إن كتابك آيات ينات في صدور القين أوتوا العلم . إنك لم تنزه للناس لتجس عقولهم وتكبل أفهامهم كما يظن الجاهلون . كلا . بل أنزله هدى وبصرة وذكرى وقلت فيه . لعلمكم تفكرون في الدنيا والآخرة . وقلت . ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا . وقلت . قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . وقلت . أفلم يسبوا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها . أفلم يأن للسلين اليوم أن يسمعوا ويعقلوا ؟ ثم أن ذلك فأقول :

➤ تربية الأمة وقضائها وحكامها ➤

لقد قرأت في « جمهورية أفلاطون » حجا في ذلك فلاذكره أولا ثم أفقي على آثاره بما يناسبه من الكتاب والسنة : « ليعلم المسلمون أن القرآن لا يزال بكارا وأنه يستحيل علينا أن نعقل ما فيه ونعرفه حق معرفته إلا بمقدار ما نعرف من عالم الأمم . إن القرآن بلاعقول مفكرة تعقله ولا نقوس قيمة تفهمه لكتاب مهجور ومغفوك ، الحفظ وحده وفهم المعاني العقلية لا يغنيان شيلا ، ليس من العجب أن نسمع أفلاطون وأستاذه سقراط قبل نزول القرآن بنحو عشرة قرون يقول : « إن من العار علينا أن يكثر في بلادنا صنفان من الناس وهم القضاة والأطباء ، فكثره القضاة في البلاد دليل على سوء التربية وقلة الأدب والجهالة . ويقول : ثم نحن أبغنا بعض الموسيقى البسيطة ولكننا لا نبيع الاغفال فيها والتفان ، إن التفان في الموسيقى يجر إلى الفضول والفضول والفسوق يجران إلى المشاحنات المريبة للقاضي عند القضاة »

وهكذا أخذ يذم كثرة ألوان الطعام والتغالي فيه فذلك موجب للأراض المختلفة وهذا يسبب طلب الأطباء . إذن الأمة يكون فيها جيشان وهما عائلة على الأمة ، وهذان الجيشان أكبر دليل على قصص الأمة وقلة تربيتها ، وعليه يجب أن تربي الأمة كلها على القناعة لحفظ الصحة وعلى التهذيب الأخلاقي الذي يهدد النفس عن الخلاعة فيقتل القضاة والأطباء

ولما قرأت هذا القول دهشت أشد الدهش من أمة الاسلام ، تلك الأمة التي يتهاوت بمجوعها على الهاكم وعلى الأطباء لاسيا في زماننا بمصر فإن الحملة صناعة رائجة في بلادنا ، وعندنا ثلاثة جيوش جوار : قضاة ومحامون وأطباء ، وهؤلاء أكبر دليل على قصص في الأخلاق وفي الصحة وأن الماء كل غير منمنطة والأحوال غير حسنة وحسبنا الله ونعم الوكيل

وما أشبه الليلة بالبارحة ، لقد قلت عن الامام الغزالي سابقا أن علماء الاسلام أكبوا على علم الفقه لأنه يوصلهم إلى كراسي القضاة وأخذ ينتمهم ويقول : « يا قوم هذه فتنة . ما الفقه إلا علم واحد والمسلمون يحتاجون إلى علوم كثيرة » وقد تكرر هذا في التفسير . إذن علماء الاسلام السابقون كانت حياتهم وشرفهم وعظمتهم تتوقف على أمر واحد وهو جهل الأمة وقلة تربيتها . ومتى شاع الأدب في البلاد قلت القضايا فقلت القضاة وهكذا متى صحت الأبدان قل الأطباء

لما كتبت هذا اطلع عليه صليحي فقال : أحب أن أسمع بعض أقوال (أفلاطون) في هذا . فقلت هنا نصه في المحاوره بينه وبين غلاكون :

(س) وهل تنسرك على الاثنين تأقهم في صنوف المحاي

(غ) بشدة أنكركه

(س) فليس من انطاع موازنة نظام العبثه بنظام الموسيقى والفناء المستعمل في مختلف الأوزان

(غ) لاشك في انها موازنة صحيحة

(س) أوليس صحيحا أيضا انه كما يولد التنوع الموسيقى فجورا في النفس تولد الأطعمة عللا في الجسد .
أما البساطة في الألعاب الرياضية فانها تولد الصحة كما انها في الموسيقى تولد العفاف

(غ) بلاشك

(س) واذا انتشرت في المدينة الأمراض وصور الفجور أفلانضطر لانشاء المستشفيات والمحاكم ؟ ولا يئيه
الطب والحقوق عجا مئى وقف كثيرون من الشرفاء حياتهم على هذه المهن بوافر الرغبة

(غ) وماذا حسنا أن توقع غير ذلك ؟

(س) فأية حجة على سوء تهذيب المدينة وانحطاط سكانها أقطع من افتقار أهاليها الى نطس الأطباء
وأساطين القضاة ؟ ليس قط بين طبقات العمال الدنيا بل أيضا بين من يتبعون شرف النعمة ،
أولآتره انحطاطا أدبيا ودليل نقص وتهذيب اضطرارنا الى شريعة ينسأ الأجانب كسادة وقضاة
لنا بسبب فقر الوطن ؟

(غ) لا إهانة أعظم من ذلك

(س) أو تظن انها إهانة أخف على الانسان أن يقضى الجانب الأكبر من حياته في المحاكم بين مدع
ومتدعى عليه ، بل انه زاد على ذلك انه جهلا منه يفخر بأنه حريص في لرتكاب الكبائر وأستاذ
في الخيل والمواربة والمهاد والمكر يتلمص من قبضة العدالة والنجاة من براثن العقاب ، وكل ذلك
لقاء أشياء طيفة تافهة جاهلا بأفضلية الحياة المنظمة للمستقيمة وجاهلا على مثوله أمام قاض شامل

(غ) تلك إهانة أعظم مما سبق ذكرها

(س) أو لا تحسب الاحتياج الى المعالجة الطبية هيبا ، اللهم إلا ما كان لجرح أو لمرض موسمي واهد ؟ أعنى
به احتياجنا الى المعالجة بسبب كسلنا ونوع معيشتنا فتملأنا بالريح والأخلاق كما تملأ المياء القلرة
الحماة فيلزم أبناء اسكولا يوس أن يستنبطوا أسماء جديدة للأمراض كتقبل البطن والركام

(غ) حقا إن هذه أسماء جديدة غاية في الغرابة

(س) اذا مرض النجار مثلا تناول من طبيبه علاجا لا فraz مرضه بالقيء أو بالاسهال أو بالكى أو بعملية
جراحية . أما اذا أشار عليه طبيب بالمعالجة الدائمة كالامساك عن الطعام والأربعة على الرأس ونحو
ذلك من أساليب العلاج فترحالا وأجاب مشيره الطبي أن لا وقت عنده للامزمة الفراش وأن الحياة
على هذا النظام لا تستأهل عنه الآلام الدائمة والخاوف الشديدة مهتما بمرضه مهملا عمله فيودع
طبيبه ويعود الى حياته العادية فلما أن يستعيد صحته ويستمر في عمله أو اذا لم تحتمل بيته ذلك
أراحه الموت الزؤام من شقائه

(غ) نعم ذلك ما يظن انه نفع المعالجة الطبية لرجل في مثل هذه الحال

(س) صحيح أن الأطباء يحرزون مهارة عظيمة اذا قرئوا منذ الحداثة درس الطب بمعالجة عدد وافر من
شراً الحوادث المرئية واختبروا في أشخاصهم كل أنواع المرض ولتلك لا تكون لهم صحة جيدة
لأننى لا أظن أن جسد الطبيب هو الذى يشفى أجساد الآخرين والا لما جازله أن يكون ذا حالة
أو أن يمرض ولكن عقله هو الذى يشفى . فاذا أصيب في عقله تعذر عليه أن يكون طبيبا ماهرا
(غ) انك مصيب

(س) ولكن القاضى يصدىقي بحكم العقل ^(١) بالعقل فلا يجوز أن يشأ عقله منذ نعومة أظفاره في بيته
فأسلة القول ويألف معشرها ويقترف كل أنواع الشرور اقتداء بها لكى يختبر في نفسه ماهية

(١) وردت في بعض الترجمات (النفس) بدل العقل فلا ينس القارى ذلك

الأجرام فيتمكن بهذا الاختبار من زلات الآخرين بقياسهم على نفسه على نحو تصرف الطبيب في الأمراض الجسدية بل بالعكس يجب أن يكون الحاكم منذ الخداع حوا من هذا الاختبار ويمزول عن عوامل الشر والفساد إذا أريد أن يتصف بالكمال الفائق ويحسن رعاية العدالة وهذا هو السبب في سهولة انخداع الصالحين في شديتهم إذ ليس في نفوسهم مثل يقيسون شرور الازدياء به

(غ) نعم وهم معترضون كثيرا لهذا الانخداع
(س) ولذا لا يكون أفضل القضاء شابا بل شيخا عرك الشعر وخبر البطل لا كشي استقر في نفسه بل كأمر خارجي أدركه ودرسه درسا طويلا مدققا في حياة الآخرين ﴿وبعبارة أخرى﴾ انه يتاد بالمعرفة لا بالاختبار الشخصي

(غ) حقا إن ذلك أعرف نوع في الحكم
(س) وهو صالح أيضا ، هذه هي قطعة البحث لأن ذا النفس النقية صالح ، أما القاضي المريب الذي اقترف كثيرا من موبقات الآثام وهو يزعم انه بارع لكونه عاش أمثاله من الشبان فيبدي شديد الحذر قياسا على ما في داخله من نماذج الشر وهي نصب عيذه كل يوم . على أنه متى اجتمع بالشيوخ والأبرار ظهر بازائهم غرا أحق بريته الشاذة وجهله السجية الكاملة لتقديده مثلا لها في نفسه وانما لأن علاقته بالأشرار أكثر منها بالأبرار لانه حاذق لا أحق

(غ) غيبة في الصواب
(س) فلان نشن حاكمنا الصالح في هذا الصنف بل في سابقه لأن الرذيلة لا يمكنها أن تعرف نفسها والفضيلة معا . أما الفضيلة في الكامل التهذيب فلها مجرور الزمن تتمكن من معرفة الأمور : نفسها والرذيلة . فالقاضي الحكيم في منهي هو هذا الفاضل لاذك الرذيل

(غ) أوافقك في ذلك
(س) أولا تنفي في مدينتك ادارتين : طيبة وقضائية . تتصف كل منهما بما ذكرناه من الأوصاف ؟ فتستفيان بركات خدمتهما على أمعاء الأبدان والعقول مع اممال سقام الأبدان فيوتون واعدام الأشرار الفاسدين غير القابلين اصلاحا

(غ) نعم وقد تبرهن أن ذلك خير للدولة ولأولئك السقام
(س) وواضح أن الشبان يحترسون من افتقارهم الى هذه الثريمة ماداموا يمارسون الموسيقى البسيطة التي قلنا انها تنفي رزاة النفس

(غ) دون شك . انتهى ترجمة الاستاذ حنا خباز
فقال صاحبي عندئذ : عجب ! ها نحن أولاء في هذا القول رأينا ﴿عجيبين : الحب الأول﴾ في سورة يس إذ تقدم هناك أن علم الموسيقى والشعر وعلم الفلك كلها من واد واحد وأوضح لنا هناك إذ ظهر أن حساب الفلك يرجع الى دوائر منتظمة مكررات كما في السنين الكيسية والبسيطة ومثلها في ذلك نظم الشعرونهومات الموسيقى والطير ﴿الحب الثاني﴾ هنا فقد أصبح الطب والقضاء توأمين في أن كثرة كل منهما دليل على سقوط أخلاق الأمة وآدابها . ولقد اضطرت حكومتنا المصرية في هذه السنة أن توسع مستشفى القصر العيني وهي تبنى بناء عظيما يسع (٤٨٠٠) سرير للرضى . إذن هذا دليل على الجهل المطبق في هذه الأمة وهكذا كثرة القضاء والمحاميين شرعيين وأهلين . كل ذلك دليل على سوء تربية الأمة وعلى سوء ملكة أهلها . فقلت نعم حتى ماتقول وذلك السوء ليس من طبيعة بلادنا بل ذلك أمر يقع احتلال الأجنبي لبلادنا . ومن أقبح

ما اطلعت عليه بنفسى اثنى منذ أربعين سنة قبل كتابة هذا الموضوع دعيت الى وليمة وقد كانت بلادنا أغنت استقلالاً جزئياً فسمعت الموسيقى تصلح في تلك الوليمة اذا هي موسيقى الحكومة المصرية فكان ذهني عظيماً إذ سمعت كل الأشعار من أقوال الجاهل والسخطاء وأحقر الطبقات وكلها تنطق بالسوق والجهالة والعصبية فسألت الرئيس فبكي بكاء مراراً وقال إن الساطعة للرئيس الأجنبي ولما عارضنا في ذلك عاقبونا فأرغمنا أن ننفي هذا الفناء المحقر . فعلت بهذا وبغيره أن الأمم التي تتدهور أخلاقها كالحصل لأمتنا إنما يكون ذلك أكثره من الأجانب المحتلين للبلاد

فقال صاحبي : عرفنا تربية الأمة على سبيل الاجال فترى أن تعرف تربية الأمراء والقضاة ونحوهم . فقلت : لقد تقدم في ﴿سورة يس﴾ عند الكلام على الموازنة بين الموسيقى والفلك أن أفاطون يحتم أن يقرأ الرياضيات من الحساب والهندسة والجبر والفلك وأن يمارسوا النضائل وتكون دراستهم تلك الصامحة موجهة في ظواهرها الى منفعة العموم العملية وفي باطنها الى أن تتلمس الروح من الحساب البديع المنظم مبدع العالم فتعرف من استقرار الحساب وجوبه على وتيرة واحدة في الأحوال الفلكية وغيرها أن وراءها قوة ثابتة وعلماء وحكمة ورجة وهناك تتصل نفوس الأمراء والقضاة والملوك بتلك الذات القدسية فيحس هؤلاء بأنهم خلقوا في الأرض وانهم هم آباء الناس والناس أبناءهم . وكأنا أوجب الرياضة البدنية والعفة على العامة أوجبها على الجيوش وعلى الأمراء . إذن القاضي والأمير والملك يجب أن يكون أكملهم وشريهم بسبيلين وأن يكثروا التمرين الجسدي والعقلي بالاعمال الرياضية . وأن يفكروا في منظم الكون بحيث يقرّبون منه بفكرهم حتى يحسوا بأنهم خلقوا أشبه بخلقه الذهب في المعادن . فاذا استحقّ الذهب أن يكون حاكماً في معاملات الناس وله السيادة على المعادن فهكذا يجب أن يعلم القضاة الحقيقيون أنهم خلقوا لتلك فقال : أنا الآن فهمت غوى كلام أفاطون الناقل عن سقراط فأين هذا القول في القرآن وفي الحديث كما وعدت أنت ؟ فقلت : يقول الله تعالى في ﴿سورة البقرة﴾ يصف الملك - إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم -

فقال : هذا كلام اجالي فأين التضيي كما فصل سقراط . فقلت : اقرأ القرآن . ألم تر أن هذا الملك نفسه هو الذي أمر قومه أن لا يشربوا من النهر وأن من شرب منهم لم يقدّر على المقاتلة ومن لم يشرب أو شرب قليلاً حارب والذين لم يشربوا كانوا قليلاً والذين شربوا كانوا كثيراً ولم يحارب إلا أولئك الأقلون فاتصروا . وهل هذه القصة موجهة لأحد إلا اليها معاشر المسلمين الآن وذلك أن نعلم الشعب الاسلامي العفة لثمة الصحة والعافية والشجاعة ويقل الاحتياج للأطباء . أفليس هذا يكون سبباً في قوة البدن المذكور في الآية وهو قوله - وزاده بسطة في العلم والجسم - . فقال : زدني من هذا . فقلت : يقول الله تعالى - أذهبتم طيبانكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون - ويقول - واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفين فيها فسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً - ويقول - نغلف من بعلمهم خلف أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً -

أفلا يكفيك هذا في أن ما قاله أفاطون وسقراط قد وضع في القرآن . فقال : هذا في علم الحقوق فاذا في الطب . فقلت : يقول الله سبحانه - وكاوا واشربوا ولا تسرفوا - ويقول - أن تبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - فأقرأ معنى هاتين الآيتين : الأولى في سورة الأعراف والثانية في سورة البقرة . فقال : أين التمرينات العضلية التي ذكرها أفاطون . فقلت : انها في «السبق والرمي» الآتي الكلام عليها قريبا هنا فقال : أين مقابل الموسيقى . فقلت : هي الصلاة فالصلاة التي جاءت بالوحى هي التي تحفظ كيان الأمة وتهذب أخلاقها . والبرهان على ذلك أن الصلاة عاشت بها أم وأمم وفتحوا بلاداً وبلاداً وعمرؤا أرض الله . أما

تعالم أفلاطون فلم يجد لها أمداً دامت عشرات السنين . فقال : حسن هذا كله . فأريد الآن أن تفيض القول فيما جاء في السنة (١) من حيث بساطة الطعام والشراب (٢) ومن حيث القنوينات العظيمة . فقلت : جاء في كتاب « رياض الصالحين » تحت عنوان « باب فضل الجوع » ما نصه :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض » متفق عليه (١) . وفي رواية « ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض » وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول « والله يا ابن أخي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في آيات رسول الله ﷺ نار . قلت : يا خالة فما كان بعيشكم ؟ قالت الاسودان الخمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منابع وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه » متفق عليه . وعن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه فأبى أن يأكل وقال خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير . رواه البخاري . مصلية بفتح ليم أي مشوية * وعن أنس رضي الله عنه قال : « لم يأكل النبي ﷺ على خولان حتى مات وما أكل خبزاً مرصفاً حتى مات » رواه البخاري . وفي رواية له « ولا رأي شاة سميتا بعينه قط » * وعن العنمان بن بشير رضي الله عنهما قال : « لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من البقل ما يعلأ به بطنه » . رواه مسلم . البقل تمرودي * وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : « ما رأى رسول الله ﷺ النقي من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى فقيل : له هل كان لكم في عهد رسول الله ﷺ مناخل ؟ قال ما رأى رسول الله ﷺ منخلا من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى فقيل له كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال كنا نطحنه وننفضه فيطرب ما طار وما بقي ثريناه » رواه البخاري . وقوله النقي بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء وهو الخبز الحواري وهو الهرمك وقوله ثريناه هو بشاء مثناة ثم راء مشنعة ثم ياء مثناة من تحت ثم نون أي بطنه ونجناه * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أوليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ ألا الجوع يرسلون الله قال وأنا والذي قضى بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوماً فقاما معه فأبى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رآه المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال لها رسول الله ﷺ أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني فانطلق فجاءهم يعذق فيه بسمو وعمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدينة فقال له رسول الله ﷺ إياك والحبوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما والذي قضى بيده لتسألن عن هذا النعم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعم . رواه مسلم . (قوله) يستعذب أي يطلب الماء العذب وهو الطيب ، والعذق بكسر المعين واسكان الذال المحببة وهو الكسابة وهي الفصن والمدينة بضم الميم وكسرهما هي السكن والحبوب ذات اللبن والسؤال عن هذا النعم سؤال تعبد النعم لأسوال توبيخ وتطبيب والله أعلم ، هذا الأنصاري الذي أتوه هو أبو الهيثم بن التيهان كذا جاء مينا في رواية الترمذي وغيره * وعن خالد بن عمر العدوي قال خطبنا عتبة بن غزوان وكان أمياً على البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن الدنيا قد أذنت بصرم ببولت حذاء ولم يبق منها إلا صباة كصباة الاناء يتصاها صاحبها وانكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فاتقوا ما يحضركم فإنه قد ذكر لنا أن الحبر يلقى من شفير جهنم فيهبى فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً والله تفلان أفهجم ولقد ذكرنا

(١) معنى هذه أن البخاري ومسلم اتفقا عليه

أن ما بين مصرعين من مصارع الجنة مسيرة أربعين عاماً وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام ولقد رأيته سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشدنا فالتفت بردة فنشقها بيني وبين سعد بن مالك فأنزرت بنصفها فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار والى أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً . رواه مسلم . قوله أذنت هو بعد الألف أي أعلنت وقوله بصرم هو بضم الصاد أي باقتطاعها وفنائها وقوله وولت حذاء هو بجاء مهمة مفتوحة ثم ذال مهملة مشددة ثم ألف ممدودة أي سرية والصباية بضم الصاد المهملة وهو البقية البسيرة وقوله يتصلها هو بتشديد الباء قبل الهاء أي يجمعها والكثيظ الكثير للمتلئ ، وقوله قرحت هو بفتح القاف وكسر الراء أي صارت فيها قروح * وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساء وأزاراً غليظاً قالت قبض رسول الله ﷺ في هذين (متفق عليه) * وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : « إني لأؤكل العرب ربي بسهم في سبيل الله ، ولقد كنا نفزع مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الحبة وهذا السر حتى إن كان أحدنا ليضع كفاتع الشاة ماله خلط » متفق عليه . الحبة بضم الحاء المهمة واسكان الباء الموحدة وهي والسمروغان معروفان من شجر البادية * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً » متفق عليه ، قال أهل اللغة والتريب معنى قوتاً أي ما يسد الرمق * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع وإن كنت لأشد الجوع على بطنى من الجوع ، ولقد فعلت يوماً على طريقتهم الذي يخرجون منه قوة في النبي ﷺ فتبسم حين رأيته وعرف ما في وجهي وما في نفسي ثم قال أباهر قلت ليك يا رسول الله قال ألحقى ومضى فأتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي فدخلت فوجد لنا في قنح فقال من أين هذا اللبن قالوا أهده لك فلان أو فلانة قال أباهر قلت ليك يا رسول الله قال ألحقى إلى أهل الصفة فادعهم لي قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا ولي أحد ، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فسادني ذلك فقلت وما هذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم فقلت وما عسى أن يلقى من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد فأتيتهم فدعوتهم فأجابوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا بحالهم من البيت قال أباهر قلت ليك يا رسول الله قال خذ فاعلمهم قال فأخذت القنح فجعلت أعطيهم الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القنح فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ثم يرد على القنح حتى انتهت إلى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم فأخذ القنح فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم فقال أباهر قلت ليك يا رسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يا رسول الله قال أقعد فأشرب فقصت فشربت فقال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والله الذي بعثك بالحق لأأجده سلسكاً قال فأراني فأعطيت القنح فحمد الله تعالى وشرب الفضلة . رواه البخاري * وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لقد رأيته واني لأخبر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة رضي الله عنها مفشياً على فيعجى الجاني فيضع رجله على عنقي ويرى أنى مجنون وماى من جنون ماى إلا الجوع . رواه البخاري * وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى في ثلاثين صاعاً من شعر » متفق عليه * وعن أنس رضي الله عنه قال « رهن النبي ﷺ درعه بشعر ومشيته إلى النبي ﷺ بنجر وشعر وأهالة سنخة ، ولقد سمعته يقول ما أصبح لآل محمد صاع ولا أمسى وإنهم لتسعة آيات » رواه البخاري . الأهالة بكسر الهمزة الشحم بقاد وبالسنة بالتون والهاء المعجمة وهي المتغبرة * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما

ازار ولما كسأه قدر بطوا في أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه يده كراهية أن ترى عورته . رواه البخاري * وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان فراش رسول الله ﷺ من آدم حشوه ليف » رواه البخاري * وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من الأنصار فسلم عليه ثم أدبر الأنصاري فقال رسول الله ﷺ يا أبا الأنصار كيف أختي سعد بن عبادة (١) فقال صالح فقال رسول الله ﷺ من يهوده منكم فقام وقتنا معه ونحن بضعة عشر ماعلينا نعال ولا خفاف ولا قلائس ولا قص نحش في تلك السباخ حتى جشناه فاستأخر قومه من حوله حتى دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه . رواه مسلم * وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال « خيركم قرني من الذين يلوهم ثم الذين يلوهم » قال عمران فما أدري قال النبي ﷺ مرتين أولتا ما يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويحسبون ولا يؤمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن » متفق عليه * وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يا ابن آدم إنك إن تبدل الفضل خير لك وإن عكسه شر لك ولا تلام على كفاف وأبدأ بمن تقول . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * وعن عبيد الله بن محسن الأنصاري الخطمي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من أصبح منكم أنافي سربه ، معافي في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » رواه الترمذي وقال حديث حسن . سربه بكسر السين المهملة أي نفسه وقيل قومه * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « قد أطلع من أسلم وكان رزقه كفافا وقعه الله بما آتاه » رواه مسلم * وعن أبي محمد فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقعه . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ بيت الليالي المتناوبة طاويا وأهله لا يجيدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح * وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يجر رجال من فائتهم في الصلاة من المخاصة وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب هؤلاء مجانين فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال : لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة . رواه الترمذي وقال حديث صحيح . المخاصة الفاقة والجوع الشديد * وعن أبي كريمة المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ماملأ آدمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لافحالة ثلث لظاعمه ، وثلاث لشرابه ، وثلاث لنفسه . رواه الترمذي وقال حديث حسن . وقوله أكلات أي لقم * وعن أبي أمامة إياس بن نعلبة الأنصاري الحارثي رضي الله عنه قال : « ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يوما عنده الدنيا فقال رسول الله ﷺ ألا تسمعون ألا تسمعون ان البذاذة من الإيمان ان البذاذة من الإيمان يعني التثقل . رواه أبو داود . البذاذة بالباء الموحدة والقول المجمعتين وهي رثالة الهيم وترك فخر اللباس ، وأما التثقل فبالكاف والحاء قال أهل اللغة التثقل هو الرجل اليابس الجلد من خشونة العيش وترك الترفه * وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله ﷺ وأمرعلينا أبا عبيدة رضي الله عنه تلقى عبرا لقرش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو بديعة يطيلنا ثمرة تمر فقبل كيف كنتم تصنعون بها قال نعمها كما يصنع

(١) « فائدة » سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه هو سيد الأوس كنيته أبو عمرو وهو الذي ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال فيه « اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » وفيه أنشدوا :

وما اهتز عرش الله من موت هالك * سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو

انتهى من هامش بعض النسخ منقولاً من خط المصنف رحمه الله تعالى اه

الصبي ثم تشرب عليها من الماء فتكفيها يومنا الى الليل وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله قال
وانطلقنا على ساحل البحر فوضع لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب الضخم فأقبلناه فإذا هي دابة تدعى العنبر
فقال أبو عبيدة ميتة ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا فألقاها عليه
شهورا ونحن ثلثة حتى سمنوا ولقد رأينا نفثت من قرب عينه بالقلال الدهن وقطع منه الفدر كالثور أو كقعر
الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقدمهم في قرب عينه وأخذ ضلعا من أضلاعه فأطعمها ثم
رحل أعظم بعير معنا فرمى من تحتها وتزودنا من لحمه وشاقي فلما قدسنا للمدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا
ذلك له فقال هورزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فقطعونا فأرسلنا الى رسول الله ﷺ منه
فأكله . رواه مسلم . وقوله الجراب وعاء من جلده معروف وهو بكسر الجيم وفتحها والكسر أفصح ، وقوله سمها
بفتح الميم ، والخبط ورق شجر معروف فأكله الابل ، والكتيب مثل من الرمل ، والقرب بفتح الواو واسكان القاف
وبعداء بها موحدة وهو قرة العين ، والقلال الجرار ، والفدر بكسر الفاء وفتح الدال القطع ، وقوله رجل
البعير بتخفيف الحاء أى جعل عليه الرجل ، والشاقي بالشين المججمة والقاف اللحم الذى اقتلع كيقدمه
والله أعلم * وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت كان كم يقص رسول الله ﷺ الى الرضخ . رواه
أبو داود والترمذى وقال حديث حسن . الرضخ بالصاد والرضخ بالسين أيضا هو المفصل بين الكف والساعد
* وعن جابر رضى الله عنه قال : « إنا كنا يوم الخندق نحفر فحضرته كدية شديدة فجاء الى النبي ﷺ
فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال أنا نازل مم قلم وبلنه مصوب بحجر ولبنا ثلاثة أيام لاندوق ذوقا
فأخذ النبي ﷺ المول فضرب فعاد كشيئا أهيل أو أهيم فقلت يا رسول الله انزلنى الى البيت فقلت
لامرأتى رأيت بالنبي ﷺ شيئا مافى ذلك صبر أفعدك شيء فقلت عندي شعير وعناق فذبحت العناق
وطعنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ، ثم جئت النبي ﷺ والبعين قد انكسر والبرمة بين الأثافي
قد كادت تنضج فقلت طعم (كذا) لى فقامت يا رسول الله ورجل أورجلان قل كهموذ كرتله فقال كثير طيب
قل لما لانزع البرمة ولا نزع من الثور حتى أتى فقال قوموا فقام المهاجرون والأنصار فدخلت عليها فقلت
وبحك قد جاء النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار ومن معهم قالت هل سألك قلت نعم قال ادخلوا ولا تضاعلوا
فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويحضر البرمة والثور إذا أخذ منه ويقرب الى أصحابه ثم يرفع فلم يزل
يكسر ويفرق حتى شبعوا وبقي منه فقال كلى هذا وأهدى فان الناس أصابهم جماعه » متفق عليه وفي رواية
قال جابر « لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خصا فانكفأت الى امرأتى فقلت هل عندك شيء فأتى رأيت
رسول الله ﷺ خصا شديدا فأخرجت الى جوارب فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطعنت
ففرغت الى فراغى (كذا) وقطعتا في برمتها ثم وليت الى رسول الله ﷺ فقلت لا تنضجنى رسول الله ﷺ
ومن معي جئت فسارره فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطعنت صاعا من شعير ففعلت أنت وفرمك
ضاح رسول الله ﷺ فقال يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع سورا خبيلا بكم فقال النبي ﷺ لا تزلن
برمتكما ولا تخجنن بعينكم حتى أجيء بجئت وجاء النبي ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقلت بك وبك
فقلت قد ضلت الذى قلت فأخرجت هيمنا فسقى فيه وبارك ثم عهد الى برمتنا فبقي وبارك ثم قال ادع خازنة
فلتخبز معك واقضى من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لا أكلوا حتى تركوه وانصرفوا وان برمتنا
تنط كما هي وإن عجينا ليعجز كما هو » وقوله عرضت كدية بضم الكاف واسكان المال وبالياء المشنة تحت
وهي قطعة غليظة ملبة من الأرض لا يعمل فيها الناس ، والكتيب أصله قل الرمل والمراد هنا صارت ترابا
ناعما وهو معنى أهيل ، والأثافي الأبحار التى يكون عليها القدر وتضاعفوا تراجوا والجماعة الجوع وهي بفتح
الميم والخس بفتح الحاء المججمة والميم الجوع ، وانكفأت اقبلت ورجعت ، والبهيمة بضم الباء تصغير بهيمة

وهي العناق يفتح العين ، والداجن هي التي ألفت البيت ، والسور الطعام الذي يدعى الناس اليه وهو بالفارسية وجيلا أي تعالوا وقول بك وبك أي خاصته وسبته لأنها اعتقدت أن الذي عندها لا يكفهم فاستحيت وغنى عليها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه ﷺ من هذه الميزة الظاهرة والآية الباهرة ، بسق أي بسق ويغال أيضا يزق ثلاث لغات وعهد بفتح الميم أي قصد . واقدسي أي افرق ، وللمقدسة المفرقة وتغشا أي تغشاها صوت والله أعلم به وعن أنس رضي الله عنه قال قال أبو طلحة لأم سلمة قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء ؟ فقلت نعم فأخرجت أقراصا من شعيرم أخذت خارا لها فلفت الخبز بعنقه ثم دنته تحت ثوبي وودنتي بعنقه ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالسا في المسجد ومعه الناس فقامت عليهم فقال رسول الله ﷺ أرسلك أبو طلحة فقلت نعم . فقال الطعام ؟ فقلت نعم . فقال رسول الله ﷺ قوموا فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جثت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة يأم سلمة قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما يطعمهم فقامت أنت ورسوله أعلم فانطلقت أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا فقال رسول الله ﷺ هل معك يأم سلمة فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت عليه أم سلمة عكة فأدنته ثم قل فيه رسول الله ﷺ ماشاء الله أن يقول ثم قل ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة حتى أكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون رجلا أو ثمانون متفق عليه . وفي رواية « فإزال يدخل عشرة ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا أدخل فأكل حتى شبع ثم يأمرها فإذا هي مثلها حين أكلوا منها » وفي رواية « فأكلوا عشرة عشرة حتى فعل ذلك ثمانين رجلا ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤرا » وفي رواية « ثم أفضلوا ما بلغوا جيرانهم » وفي رواية عن أنس قال جثت رسول الله ﷺ يوما فوجدته مع أصحابه وقد عصب بطنه بعصاة فقلت لبعض أصحابه لم عصب رسول الله ﷺ بطنه ؟ فقالوا من الجوع فذهبت إلى أبي طلحة وهو زوج أم سلمة بنت ملحان فقلت يا أبتاه قد رأيت رسول الله ﷺ عصب بطنه بعصاة فبأنت بعض أصحابه فقالوا من الجوع فدخل أبو طلحة على أمي فقال هل من شيء فقلت نعم عندي كسر من خبز وقرعات فأن جاء رسول الله ﷺ وحده أشبعناه وإن جاء آخر معه قل عنهم

وذكر تمام الحديث . انتهى ما أردته من كتاب « رياض الصالحين » والحمد لله رب العالمين

فلما سمع ذلك صاحي قال : لقد أذهبت موقنا أن دين الاسلام في المستقبل سيفهم فهما غيره بالأمس فقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ كان يجمع هو وأصحابه ، وأن خبره لا ينحل ، وأن أهل بيته يتر عليهم الهلال والحلال والحلال فلا يوقدون نارا ، ومعنى هذا أنهم عاشوا عيشة الصحة فإن العلم اليوم أثبت أن الخبز بدون النخالة والسقم كنه ضرر كما تقدم في هذا التفسير ، فترك النخالة والسقم اليوم جهالة تورث الأمراض والشقاء والنذل وأثبت أيضا أن القوة لا تكون إلا لافيا لم يطبخ ، أما الطعام المطبوخ فإن قوته قد ذهب أكثرها . إذن عدم طبخ الطعام أيضا صفة جسيمة أثبتته الطب الحديث . إذن النيرة الحميدة في واد والمساكين في واد ، فالمساكين ينخلون البقيق ويكترون الطبخ ويتقافى علماءهم وملحواهم وموكلهم في ألوان الطعام جهلا منهم فلامحوا ما طعموا النبي ﷺ ولا هم قرؤوا العلوم الطيبة الحديثة المشروح مقصودها في هذا التفسير فبما تقدم ولقد نجد السيدة فاطمة رضي الله عنها كفاي حديث البخاري تطلب منه ﷺ أن يعطيها جارية من السي لتساعد في طحن الدقيق بالرجي فأبى وأمرها بالعبادة علما منه أن الطحن يعطي الجسم قوة فقد جمعت إذن بين العفة وتحرين المضلات فازدادت قوتها وإذا ظهرت هذه الحقيقة ووضح فارجو أن تذكر ما وعدت به من « السبق والري » فقلت جاء في كتاب « تفسير الوصول . لجامع الأصول » تحت العنوان الآتي ما نصه

﴿ مَكْتَابُ السَّبْقِ وَالرَّمَى ﴾

(وفيه فصلان)

﴿ الفصل الأول في أحكامهما ﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل » أخرجه أصحاب السنن . والمراد بالغلف الإبل وبالحافر الخيل وبالنصل السهم . والسبق بفتح الباء الجعل وباسكانها مصدر سبقت أسبق سبقا . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ يضرع الخيل يساق بها » أخرجه أبو داود . وعنه رضي الله عنه قال : سابق رسول الله ﷺ بين الخيل وفضل القرع في الغاية » أخرجه أبو داود . وعنه رضي الله عنه قال : « أجرى رسول الله ﷺ ما ضرع من الخيل من الخفاء إلى ثنية الوداع وما لم يضرع (بتشديد الميم) من الثنية إلى مسجد بني زريق » أخرجه الستة . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من أدخل فرسا بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فليس بقمار ، ومن أدخل فرسا بين فرسين وقد آمن أن يسبق فهو قمار » أخرجه أبو داود . وعن أنس رضي الله عنه قال كان للنبي ﷺ ناقة تسمى الضباء لانسبق بلاء اهرابي على قعود فسبقها فشقي ذلك على المسلمين فقال ﷺ حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه » أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي

وعن قتيب البخمي قال : قلت لعقبة بن عامر رضي الله عنهما تختلف بين هذين الفرضين وأنت شيخ كبير ویشق عليك فقال لولا كلام سمعت من رسول الله ﷺ لم أعانه سمعته يقول : « من قتل الرمي ثم تركه فليس منا ، وأودع عصى ، أخرجه مسلم وهانئة التي مقاساته ولا يست » وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صافه المحتسب في عمله الخبير ، والرامي به ، والممد به » وفي رواية « ومنبهه فارموا واركبوا وأحب إلى أن ترموا من أن تركبوا ، كل طوباطل ، ليس من اللهو محمود إلا ثلاثة : تأدب الرجل فرسه وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه ونبله ، فانهن من الحق ، ومن ترك الرمي بعد ما علمه فانهن نعمة تركها أو فأن كفرها » أخرجه أصحاب السنن ، وهذا لفظ أبي داود ، والنبل التي يناول الرامي النبل ليرمي به وهو الممد به وقوله كفرها أي جحدتها

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على فمر من أسلم يتفضلون بالسوق فقال ارموا بني إسرائيل فإن أباكم كان راميا . ارموا وأنا مع بني فلان فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال مالكم لا ترمون ؟ فقالوا كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال ارموا وأنا معكم كلكم . أخرجه البخاري اه فلما أتممت ذلك قال صاحبي الآن حصص الحق . لقد استبان الآن أن كثيرا من علوم الأم مفصلات ومبينات ومشيرات لحاف القرآن والافتكاتب السبق والرمي يقرؤه المسلمون في جميع أقطار الاسلام ولا يعمل كثير منهم به فوجب على طلاب العلم جميعا وأكثر العامة أن يكون لهم ساعة كل أسبوع ليتقوا هذا الفن لأنه يعطي قوة بدنية وصناعة حربية وشجاعة . والمحافظة على الصلاة تؤلف بين القلوب لاسما إذا كانت في جماعة وهذا قوله ﷺ « الصلاة وما ملكت أيمانكم » للإشارة إلى أن الصلاة أثرها فعال في المعاشرة وهذا سر قوله تعالى - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر -

إن سقراط يقول « الموسيقى تهذب الخلق ولكن لها شروط فإذا فقدت فسد الأخلاق واحتاج الناس إلى القضاء » فأما الصلاة فانها اذا زادها الإنسان فانه يقرب من ربه وقد دلت التجربة على أنها تنهى عن الفحشاء

والسكر كنس الآية . وقد تقدم قول بئلام أن النظافة تحسن الأخلاق ولم يذكر الصلاة وعدة هذه النظافة من محاسن الدين الاسلامي ونسئ هو أن يذكر الصلاة لأنها ليست من دينه فهو يحملها . وعليه يجب على الأمم الاسلامية

(١) أن تذيب الصنائع البدوية بين المتعلمين لأنها تقوى البدن والعقل

(٢) وأن تذيب السبق والري

(٣) وأن تصمم تعليم الجندي بقدر الامكان

(٤) وأن يكون القضاء من أفضل هؤلاء وأعلمهم

(٥) وأن يكون الأمراء والملوك أعلى من الجميع أخلاقا وعلما ورحمة واستقامة فيكون علمهم أكمل وأجسامهم أسح وأزادهم أعلى ، فأما الانتكال على نسبتهم لأبائهم وحداها فانه ضرر ومخالف للدين الاسلامي ، فليكن الملوك والقضاة أصح أجساما وأرق عقولا وأعلما من جميع الأمم المحكومة بهم وإذا وجدنا أن النحل تربي خسرها أي الملكة التي تحكمها وهكذا الأرض فلماذا لا تربي الملوك والقضاة تربية خاصة كما ضات هذه الطوائف من الحضرات . ألم تر أن النحل يجعل حسلا أبيض خالصا بالملكة التي تربيها فيكون جسمها أكمل وتميزها أتم ، وهكذا نجد ملكة الأرض أكثر جمعا وأقوى تميزا من جميع ملكاتها كما تراها مرسومة فيما تقدم في ﴿سورة سبأ﴾

فقد أتت أظم بعض الحضرات أن تربي رؤسها تربية خاصة هو نفسه الذي يقول في القرآن - وزاده بسطة في العلم والجسم - والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم -

فليعلم المسلمون ذلك وليعلموا به والله هو الولي الجيد . كتب ليلة الأربعاء بعد نصف الليل ٢٥ يونيو سنة ١٩٣٠ شارع زين العابدين بقسم السيدة زينب بمصر المحروسة . تمت الطيفة الثانية

﴿ الطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب *)

فسخرناه الرجح - الخ)

اعلم أن الناس بالنسبة للعلم على ثلاثة أقسام : عامة ، وخاصة ، وأما العامة فانهم يفرحون بظواهر العلم مثل روائعها العظيمة ولذاتها المختلفة وبهجة زينتها والافتخار بكثرة ما ازدحام مخازنهم بها وتحبب الناس بفنائهم واعظامهم في المجالس لكثرة أموالهم . وأما الخاصة فانهم لا يقفون من العلم عند ظواهرها وإنما يضيهم من الأغذية ما يفيدهم الصحة ويعطيهم العافية ويزدرون ما وراء ذلك من اللذات التي يفرح بها العامة ، ولا يقفون في الموسيقى عند ظواهر نعماتها ، ولا في الفلك عند ظواهر حساب الشهور والسنين الذي ينفعهم في نظام الحياة بل يرتقون الى ما فوق ذلك من التعجب من القوانين البديعة المحكمة التي تظهر في الأشعار والموسيقى ونفحات الطيور وعلم الفلك وحساب الأوزان في علم الكيمياء مثل ما في تركيب الماء من الأكسجين والهيدروجين . فهذه كلها نسبا منظمة موسيقية لأن نسبها كلها هندسية على وتيرة واحدة فهناك تصبح العلوم كلها عندهم عابدا ونظاما واحدا ويحسون في قلوبهم بسعادة علمية . وأما خاصة الخاصة فهم يرتقون فوق هؤلاء درجة ولا يكتفون بهدايا الملك ونعمه وإحسانه والنظر في ملكه وسياسة دوله بل يشعرون بقرينهم منه ولطفه وعطفه عليهم وموانسته لهم . وهناك يحبسون لذة فوق الطائفتين السابقتين (انظر هذا المقام مشروحا في ﴿سورة يس﴾ عند آية - والشمس تجري لمستقر لها - الخ) فهنا قول اذا كان سليمان عليه السلام طلب أن يعطيه الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فلن يكون إلا من الطبقة الثالثة

بل هو في أعلى طبقات هذه البرجة . وليس يريد مجرد ظواهر الطيارة الطائرة في الريح على سبيل المجزة ولا مجرد عظمة الملك وسطوته ولا مجرد حفظ مملكة بـ اسرائيل وأمنها بل هو يريد ما هو أعلى من ذلك وهو أن يفرح بالنعم من حيث هو نعم لا بالنعمة فالنعمة وسيلة لا غاية . فإذا فرح العاقبة بالنعمة لأجل لذائذهم هم وجدوا ربهم على ذلك . وإذا فرح الخاصة بالنعم من حيث أنها صادرة من الله تعالى وانهم أهل لرعايته واختصاصه خاصة الخاصة إنما يفرحون بالنعم نفسه من حيث هو نعم . فذلك الذي طلبه سليمان عليه السلام الذي لا ينفي لأحد من بعده هو المذكور في الآية وهي تسخير الريح وما بعده وهذا الملك لم يشاركه فيه أحد ألا ترى أن الريح لم تسخر لموسى ولا لعيسى ولا لنبينا ﷺ وإذا ظهرت الطيارات في الجو اليوم فلم تكن إلا بالصناعات العلمية والحدق والحربة والمران في تلك الصناعات ولم تسخر الريح لأحد منا وإنما التسخير هناك بلاصنع مانع ولا حكمة حكيم فهي هناك مجزة وهنا صناعة كأن الجبال قد يعرفون بعض المستقبل بطريق الرؤيا ولكن الأنبياء يعرفون بعض المستقبل بالوحى فهما وإن كنا من عالم واحد قد اختلفا وأحدهما أقل من الآخر (٤٥) مرة وليس يطلب سليمان الملك من حيث هو ذلك كالعلمة بل طلبه من حيث أنه وسيلة للانتقال من النعمة إلى النعم وهناك يصل إلى الغاية المطلوبة والنعمة المحبوبة ويرتقى من الأدنى إلى الأعلى في لمح البصر وهو أقرب ويكون ظواهر الملك هنا أشبه بالنفحات القوانى ترجع بالنفس إلى عالم الجبال والكمال و بظواهر الجبال المذكرات بالبلد الحكيم

أما نبينا ﷺ فإنه أعطى الكوثر وهي النعم الكثيرة وأعطى للمقام الممود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون فالجهتان منفستان ، فليمان طلب نصمة الملك الدنيوى ليكون القرب من هذه الناحية ، فأما موسى فبالكلام ، وأما عيسى فبالروحانية العامة ، وأما محمد ﷺ فبأمور كثيرة من مقام الجدد والكوثر وهكذا . انتهت اللطيفة الثالثة والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(في قوله تعالى - قل فبجزئك لأعونهم أجمعين -)

عز الله تعالى وتعالى أن مطلع على جهاله وبهاء كاله وحسن اتفاقه وعجيب نظامه إلا أولوا الأبواب ، أما أكثر الناس فإن لهم في بلدهم وحضرهم ومدنهم وقراهم وجهلهم وشهواتهم في مأكلهم وملبسهم واقتدارهم بجعلهم وما لهم وأحسابهم وأنسابهم ، وفي أضعافهم وأحقادهم على أعدائهم وتنافسهم وتكاثرتهم لشغلا شاغلا وغفرت هم فيها ساهون

قدما غوى ابليس آدم ، وحديثا غوى ذريته ، والتاريخان متطابقان ، ألا ترى وعاء الله أن بنى آدم فوق الأرض قد مثلا نفس القصص التي ذكره الله في آدم ، آدم أغواه ابليس فأكل من الشجرة فببت له هو وزوجته سواتهما قواريا عورتاهما بجور الشجر وأخرجوا من الجنة وأصبح الأبناء أعداء وأخذوا يسعون للرزق ليل ونهارا

هذه قصة آدم فانظر في قصة بنه ولا يبتك عنها إلا الجغرافية الأرضية عند تفصيلها ، فهناك قوم في خط الاستواء عثر عليهم السائحون قريبا لا يجهلون بينهم وبين ضوء الشمس ستر ، فهم يعيشون عراة ويموتون عراة كما أثبتته الرحلة (ستاني) وتغر على القوم عشرات السنين فلا يسمع الناس عنهم فباحشة ولا خنا ولا زنا وهم من هذه المفاصل آتون . ثم افتر بعد ذلك إلى ما تقدم في آخر ﴿ سورة يس ﴾ في آية - التي جعل لك من الشجر الأخضر ناراً - وكيف رأيت ذلك الشكل المرسوم فيه صورة الرجل الذي نحى بلباس في بعض جزائر المحيط وكلها من ورق اللوز . أليس أولئك العراة يقابلون آدم قبل الأكل من الشجرة وذلك

الرجل الذي لبس ورق الشجر الذي رأته يمثله وزوجته بعد أن ارتكبا الخطيئة . وسوس الشيطان لحواء وهي ساعدته على اغواء آدم فبنينا عيش البساطة والسهولة وأخذنا يقتنان في طرق الحياة ويزاولان حياة جديدة ما كان أغناهما عنها لولا القدر المقدر . ونفس الشيطان وسوس لأبناء آدم كذلك فأخذ يدخل بين رجال القبائل ونساءهم ويصطاد العقول في أقصى السودان ويزأرا المحيط ويقول لأولئك العراة الذين يجولون الحنا والزنا ويعيشون في بحبوحة الهناء والرخاء يقتاتون من الفاكهة ويشربون من سليل العيون ولا يصيبهم في حياتهم نصب ولا يحلّ بأساقتهم لطيب ولا جراح أريب إذ لا مرض يزورهم ولا يؤس يصيبهم وهم في جنة الأرض التي هم بها آمنون . فلا تزال الوساوس تتغلغل في قلوبهم والهوارجس تتابع في أفئدتهم حتى يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير . وهل الأدنى إلا الابتعاد عن الحياة الطبيعية وريدا رويدا والتهاافت على ما نبت الأرض من بقلها وقتاشها وفومها وعدسها و صلبها وقطنها وتيلها وحشير دودها من كل ما لا ينبت إلا بشق الأنفس ولا يحصل إلا بكبد الرجل وجهد المرأة ومزاولة الطبخ والحرق والسقي والحصد والخزن ومقاومة الأعداء ودفع ضرائب الحكومات والنفز والفسخ والتطليط والفصل والتنظيف وإظهار الزينة والتغالي في إبداء الحسن والتبجح بأنواع الصبغ والتلوين والتطريز وما أشبه ذلك من كل ما استغنى عنه القرقي الأول الذين هم في جنات الحياة يسعدون ، إذن تاريخ الانسان الحاضر في كرتنا الأرضية اليوم أعاد لنا تاريخ آدم المذكور في القرآن ، ياسبحان الله ، لماذا يكرر الله لنا قصة آدم في بضع مواضع في القرآن ؟ ولماذا يعيدها تكرارا مع قصة إبليس ؟ أما الجهلاء وصغار العلماء في كرتنا الأرضية فهؤلاء يقرؤون ولا هم يذكرّون ، فأما الحكماء وأما أولوا الألباب فهم الذين يذكرّون ويقولون : « لقد تكررت قصة آدم واغواء إبليس له تذكيرا لنا نحن فلم يكن الله بالقرآن يعلم آدم ولابنيه ولا حواء وزوجه وإنما يريد أن يعطينا النموذج الذي ظهر لنا بأسام العلوم في زماننا ، فأدّم لم نره ولكننا رأينا آثار القصة فينا ، فبنينا العراة الأظهر كآدم في أول أمره وفينا الذين خففوا ورق الشجر على أجسامهم ، وفينا فئة ثالثة نسبت فواكه الجنة الأرضية ما كلاً وأوراقها ملبسا وأخذت نجد في استنبات الأرض لتست الحاجة في مطعمها وملبسها ، فنظر الله للناس فنظر الأب الشفيق لطفه الصغير . والله المثل الأعلى . إذ يلح في الطلب فيجلب لما طلب فأكثر لهم الماء كل والملابس وعلى مقدار تقنتهم أعطاهم ماسألوا وذلك رحمة منه لأنه يعطي بقدر ويمتنع بقدر وهؤلاء هذه مرتبتهم من الوجود وهذا استعدادهم في الحياة

هذه هي قصة الانسان الموافقة لقصة آدم . فهذه قصة جغرافية وافقت القصة التاريخية الأثرية . والعلم إن لم يجر العمل ضائع . والكلام إذا لم يقدم سامعه فوائد فلماذا يقوله . ومن أجل مقاصد هذا التاريخ الذي استوى فيه آدم وبنوه أن تفكر نحن معاشر المسلمين في زماننا ونقول : « التاريخ للعبارة أما مجرد القراءة أو التبعد فتهمامبدأ أن نهايتان وهذا التاريخ يعلمنا أن هذا الانسان كله استعبدته الشهوات وأفسدته البيئات وأخذ في طعامه وشربه ولباسه بخط خط عشواء ويمتنع على غير الصراط السوي حتى أصبحت أنواع الخنثرات وأنصاف الملابس الصناعية يستعملها المستعمرون شبكة يصطادون بها الضعفاء من الأمم ويسترقون الغافلين . إذن هذه الشهوات الطارقة اتخذها الانسان وسائل لاذلال أخيه بالتجارة كما اتخذها الشيطان قدما وسيلة لاستئراجها فأخرجهم من الجنان . إذن لاقه بما عليه حال هذا الانسان الآن في جميع ضروب الحياة . وليس اسبغ انتم وتراكم الخيرات والذات بدليل على أن هذه سعادات للانسان . فاذا حرمانا من نعمة الحياة الأولى التي خلقت من ذلك الكد والكسح ومن ذلك القواحش التي فيها عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولا سبيل للرجوع إليها فعلينا أن نبحت ضروب هذه الحياة من جديد . ولكن ليس معنى ذلك أننا نترك الأم حولنا وشأنها . كلا . بل علينا أن ننظر ماذا قال العلماء في عصرنا في هذا الموضوع ولأى حد

وصلا . فلذا عرفنا آراءهم وجب علينا أن ندقق في أبحاثهم وننظر في آرائهم ونمتحنها ونساعد في رقي نوع الانسان لأن الناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خمد

والذي وصل إلينا الآن من آراء الأمم في هذا الموضوع أى موضوع الملبس كل والملابس شذرات تصلح للبحث فيها والنظر والتأمل وتلك الشذرات ترجع الى مسألة (الفتيامن) أى مادة الحياة التى لم يعرفها الناس إلا في قرننا هذا وهو القرن العشرين . يقولون إن ضوء الشمس هو القوة التى نستمد منها الحياة . فالجلب والفاكهة تعطيانا قوة وهى التى اكتسبتها من نور الشمس والطعام المطبوخ والمحفوظ في العلب والمعلب وما أشبه ذلك كله قد ماتت منه تلك القوة فليس مفيدا لنا . ونظريه النوع الانسانى في حرارة النار التى يحبز بها الخبز ويطبخ بها الطعام نظرية خاطئة كاذبة . ولا معنى لطبخ الطعام بالنار إلا إماتة الحياة منه . ولا معنى لجعله في العلب أمدا طويلا إلا أنه يفقد خواصه وترهق منه روح الحياة ، وهذه الملابس الحريرية والقطنية والسكتانية ماهى إلا موانع من سعادة الحياة ومدد حزين وسور يفصل ما بين أجسامنا وحرارة الشمس التى بها الحياة ، وإذا كنا نحتاج الى الحياة بتعاطي الحبوب والقواكه التى خزنت فيها أضواء الشمس فتدخلها في أجسامنا لتعطيانا قوة الحياة الشمسية المخزونة فيها فأولى أن نلأقها بأجسامنا مباشرة فلامسها كما تلامس كل نبات وكل حيوان فتدخل في منافذها وتعمل ببروقه وتساعد دورته النموية فتعطيه النشاط

(اعتراض على المؤلف وجوابه)

بينما أكتب هذا إذ حضر صديقي العالم الذى اعتاد أن يناقشنى في هذا التفسير فقال : ما أجل قولك وما أئينه وما أحسن هذا الاستنتاج ولكن هناك أمر جدير بالذكر وهوانك بهذا خالفت أصول الدين ونبتت سلوك سبيل المؤمنين ، أتريد أن الناس يصلون وهم عراة ؟ أم تريد أن يتجرد الرجال والنساء من الملابس ومن حلل هذا فقد كفر والعياذ بالله تعالى ، أنت لست كسقراط إذ بحثت تلاميذه ولادين له . كلا . إنك الآن في تفسير القرآن فلتكن المباحث غير خارجة عن الشرائع الاسلامية . فقلت : أبها الأخ : هل رأيتني لوحت أوصرت بما تقول ؟ فقال : كلا . ولكنك عمت القول وهذا ربما يأخذ جاهل أو حاسد فيؤثله الى ما ذكرته . فقلت : أذكرك بأنى قلت في أول هذا المقال اتنا نريد أن نقرأ مباحث الأمم ثم نبث فيها لا انى أتممت البحث وهل الانسان يستغرق في الطعام طول نهاره ؟ قال : كلا . بل يكون وقتا دون وقت . قلت فليكن هكذا استضاءة أكثر الجسم بضوء الشمس وقتا دون وقت مع مراعاته الشرع ، أنا أذكرك بقصة آدم في (سورة الأعراف) ألم تر أن فيها خصف الورق على جسمه وجسم زوجته ليواريا سواتهما . قال بلى . قلت : ألم أقل لك ان الحال الأولى لاسبيل الرجوع اليها . قال بلى . قلت : أنت ذكرت ذلك في أول هذا المقال تريد بذلك أن هنا أحوالا جديدة يجب البحث فيها . قلت : ألم يقل الله في هذه الحال الجديدة - يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين - فأبج لنا كل ما أعطانا ولكنه أعلننا بأنه لا يحب المسرفين منا ، وقال - يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سواكنم وريشا ولباس التقوى ذلك خير - فجعل المدار على التقوى ورفضه النفس ، فأما اللباس الظاهرى فالشرع راعى فيه الأحوال الطاهرة على الانسانية إذ - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - وليس في سعة الناس التخلي عن عادتهم في الملابس ، فالأنبياء لا يكفون الناس مالا يطيقون فيقولون كونوا عراة كما يكى آدم بل ينظمون بأمر الله أحوالهم التى هم عليها ، والظلم هو الاعتدال وعدم الاسراف ولكنه ذكرنا فقال : السترا الظاهرى ليس أجل مقصود بل المقصود الأهم ليس التقوى فأحسنوا الظواهر فعسى أن تصلح البواطن . إذن هو أباح لنا كل طعام ولباس على شرط عدم الاسراف . فقال : وهل للاسراف من قواعد ؟ فقلت قد قدمت بعض تلك القواعد في (سورة الأعراف) فقال انك لم تذكر هناك مسألة (الفتيامن) بل انك لم تكن تعلم

عناشياً فالعلم يحتاج الى ايضاح . فقلت افرأ ما قدم في سيرة النبي ﷺ وكيف كان آل محمد ﷺ لا يوقد في بينهم نار الملل والخلل والهلل ، وكيف كانوا لا ينخلون الدقيق . اليس هذا يكفيك فتعرف أن النبوة قد أوجعت ما أجله القرآن من نبذ الاسراف . فقال ولكن اذا ظهر أن آثار النبوة المحمدية قد ظهرت في زماننا وأن الأطباء أخذوا يرجعون النوع الانساني عن عاداته الرديئة ويقرّبونهم من الأخلاق النبوية لجدير بك أن تسمعي مقالاً في الاصلاح الحديث وإن لم يكن تاماً حتى اذا وافق الأخلاق النبوية والسيرة المحمدية ورأينا أن النبي ﷺ قد وافقه العلم الحديث في الطعام فهناك يكون أمر عظيم (أولاً) انه مجزئة جديدة لم تظهر إلا في قرنتنا هذا (ثانياً) ان المسلمين يرجعون للسيرة النبوية ويعرفون ماصح وما لم يصح في طعامه وشرابه ثم يدرسون العلوم الحديثة في الطعام ثم هم أنفسهم بالصرية سيغيرون طرق ما كلهم متى عرفوا الحقيقة . فقلت لقد قمت في هذا المقام كلاماً في (سورة البقرة) عند آية - أنسبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - وفي (سورة الأعراف) عند آية الاسراف ، وفي (سورة الحجر) في النصف الأول منها عند الإشارة الى قصة آدم ، وفي (سورة طه) عند قصة آدم في آخرها ، وفي (سورة الشعراء) عند قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - وهناك مواضع أخر . فقال ولكن لا أنزال أقول ان العلم في زماننا سريع الترقى فاذ كر لي آخر ما رقت عليه في أمر الطعام . فقلت : سأسمعك « مقالين » الأول « هو ملجاء في كتاب « دستور التغذية » لصديقنا الاستاذ محمد فريد وجدي » فسأذكر هنا لباب ما ترجم من آراء الدكتور الأربعة وهم : هيج الانجليزى ، وكتاتى التليانى ، وسورسكى الفرنسى ، وكوهن الألماني . هؤلاء وغيرهم القتين يريدون من الانسان الرجوع الى حال القطرة في الطعام كآدم قبل الأكل من الشجرة وهذا من أسرار القرآن التي لم تظهر إلا في هذا الزمان ، ثم أفنى على آثار ذلك بضرب مثل لآراء هؤلاء العلماء بنهر النيل والمزارع المصرية مع الجسد وما فيه من الدم الخ فيكون ذلك « فصلين » وأنبهما بفصل ثالث في ست فوائد طبية عن علماء عصرنا

﴿ الفصل الأول فيما ترجمه المؤلف من آراء أولئك الدكاترة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه الى يوم الدين ، (أما بعد) فان الانسان بطوراته المتوالي في المدنية ، وذهابه في الابداع الصناعي كل مذهب ، وبما استتبع ذلك من اخلاذه الى معيشة الترف ، واغراقه في طلب الملاذ البدنية ، قد أخرج مسألة التغذية عن حقيقتها فبعد أن كان يأكل طلباً لازمة حياته ورجاءاً جنانه من العطب أصبح يفعله طلباً للذة المججلة حتى دفعته هذه العاطفة ان تناول الأندية الفاضلة المبيدة لجنانه وهو يعلم ذلك وبشعره ، إلا أنه قد شعر بأن خروجه هذا على القوانين الطبيعية كان له أسوأ تأثير على جسده وعقله معاً ، وأن هذا المتاع الحيواني سريع الزوال ثم يقبه دور من الآلام والأعراض يطول أمده عليه ولا يزال به حتى يصعره على أشنع الأحوال بعد أن يحرمه من جميع الطيبات الجسدية والعقلية

عنى العلم منذ عهد الأول بدق سنن مقررّة للتغذية ، ومازال العلماء والفلاسفة يجعلون هذا الموضوع من أهم مباحثهم حتى يومنا هذا بل استحال أمره في العهد الأخير الى اعتباره أولى بالناية من الوجهة الصحية والعلاجية من كل المسائل التي لها علاقة بالحياة الجسدية لما ثبت أن الغذاء هو العامل الأكبر في الصحة والمرض ، وفي طول الحياة وقصرها حتى قل العادة البكتريولوجي (مشفيكوف) مدير معهد باسور بباريس « ان الانسان خلق ليعيش ثلاثمائة سنة (١) وانما هو يقتل نفسه بسوء سيرته في تغذيه » وأقرّ

(١) الذى يقوله الجمهور غير هذا وهو أن الانسان يعيش مائتي سنة بناء على أن مدة نموه (٢٥) سنة

بهذه الحقيقة جهود الباحثين والمتقنين ، وجاءت العلوم الكيماوية فأبدت أنوارهم بالتحليلات إذ بينت ما يحويه كل نوع من أنواع الأغذية من المواد المختلفة وما يحتاج اليه الجسم كل يوم من كل منها ، وحدثت بجانب هذه الفتوحات الكيماوية فتوحات أخرى طيبة أثبتت بالتحليل أن أدواء القلب والسرطان والروماتيزم والبول السكري والزلازل وتصلب الشرايين والنشل والاسماك المستعصى الى ما اليها مما يطول عندك كلها متولدة من سوء التغذية وعدم تخير صنوف الطعام فأصبحت هذه المسألة والحالة هذه في عداد المسائل المحسوسة الممكن تجربتها تحليلًا وتركيبًا ، فهبّ الفيرورون على الانسان في أوروبا الى وضع المؤلفات في هذا الصدد حتى صار لا يمكن إحصاء ماصدر منها في هذه الخمسين السنة الأخيرة

﴿ مذهب الطب ﴾

لطب اليوم مذهبان أحدهما يرى أن الجسم يحتاج أحيانا الى العلاج بالمواد المختلفة مع استخدام التدابير الصحية و يرى الآخر أن العلاج قديفد العضو المريض فيعوله من حال الى حال ولكنه في الوقت ذاته يوجب مرضا على عضو آخر قد يكون فيه هلاك الشخص . فالطب في نظر هؤلاء يجب أن يقتصر على استخدام قوى الطبيعة من هواء طلق وغذاء جيد محمي خال من اللحم والمهيجات وعمل جسد معتدل واستحمام بالماء الفاتر أو البارد وغير ذلك من التدابير التي تعين الاعضاء المريضة على مكافحة المرض الذي حل بها . ان هؤلاء يقولون ان العلاج لا يشفي المصاب ولكن التئيشفه هي القوة الحيوية في جسمه ، تلك القوة تظهر للعص بضعها على الجراح . أم ترأته لو أصابك جرح أخذ بهد حين في الاندمال من نفسه فلا يزال سائرا في طريقه حتى يصح العضو المجروح ويصبر كأن ليس به شيء وتعود اليه جميع وظائفه ولم يبق للجرح عين ولا أثر . هذا الأثر المحسوس للاندمال والشفاء التدريجي هو أثر القوة الحيوية التي خلقها الله لتحفظ لنا وجودنا الى حين . فإذا أصاب أحد الاعضاء مرض لا مهمالنا لقانون الصحة تولته القوة الحيوية بالعناية والعلاج كما تولت الجرح فلا يجوز أن يكون لنا إذ ذاك من حمل الاسلحة فعل القوة الحيوية باتباع قوانين الصحة ومراعاة الحية والعناية باستنشاق الهواء النقي وغير ذلك فتعمل القوة الحيوية جهلها في ذلك العضو ولا يمر غير قليل حتى يشفي المريض . أما لو أعطى علاجاً وهو في تلك الحالة ازدادت حالته سوءاً وتفاقم مرضه فان نجائه فلا يكون ذلك الا بئذل مجهود كبير من قواء الحيوية تهيئه لمرض مزمن . قالوا وقد جاءت شهادات كبار الأطباء في ضرر العلاجات تؤيد ذلك

قال الدكتور (غراينشتان) وهو من أقطاب الطب بألمانيا وقد نقله عنه الدكتور بلز في كتابه الطب الطبيعي : « الضف في درجاته وأشكاله التي لا تحصى ليس هو على وجه عام الا نتيجة العلاج بالعقاقير سواء أكانت جيدة أم رديئة . العلاجات ان استعملت كما ينبغي تقلبت على المرض الاصلى ولكنها تترك دائماً الجسم بقايا تظهر أجيالاً وعلاجات وتكون نتائجها غير قابلة للشفاء . وعليه فلنأس الحق في تسمية هذا النوع من الضف بالضعف العلاجي . ثم قال : « من عهد ماجادت علينا الكيمياء المركبات المختلفة للزئبق والانغوان وقشر الكنكينا (كذا) وحض البروسيك والرصاص والزرنيخ والكبريت الخ ومن عهد المجاع بتعاطيها بنوع من الجرأة للتناهي باعتبارها علاجات قوية التأثير ضد الآلام التي كانت مجهولة في العصور السابقة ، ذلك العهد نشر الضف بحالة يؤسف لها وانتقل من الآباء الى الأبناء . فالدئ يلقى به الفرد مرة واحدة تحت كلا كل هذا المرض يكون قد رقب حياته على التردد على السيد لات

وقال الدكتور (كيسر) كما نقله عنه الاستاذ بلز في كتابه المتقدم ذكره « ان الحكمة القديمة الفاتئة بأن الدواء قد يكون شرا من الفاء ، والطبيب شرا من المرض ، هي محيطة في كثير من الاحوال . ان عددا

كثيرا من الأمراض تنفي بقوى الطبيعة وحدها وأما في الأمراض كافة فالتشخيص الوحيد الذي يجب على الطبيب عمله ويستطيعه هو حصر وابعاد المؤثرات القاتلة عن المريض ، وإبطال الحركة غير الطبيعية لبعض أجهزته وأعضائه . فان فعل أكثر من هذا ليرضى المريض الحب للدواء ويحقق نظريته الوسواسية وشهوته النفسية فقد أضرمه كل الضرر . على هذه الطريقة كثيرا ما يولد الأطباء الأمراض الصناعية ويمكن القول بأنه في كثير من الأمراض التي يعالجها الأطباء عدد كبير من الأمراض المزمنة منها ما قد سببه الأطباء أنفسهم . وفي الحالة الحاضرة لطلب العمل يجب أن يجعل المريض يعزل عن كل طبيب كاي عزل عن كل سم قتال . هذا ما يشهد به تاريخ الطب . ون كل نظرية طبية خاصة استمدت عددا من الضحايا البشرية لم تتوصل الى الفتك بمثلها أسكا الأروثة والأطول الحروب »

وقال الأستاذ (ستيفنس) أستاذ الكلية الطبية بنيويورك كما نقله عنه الأستاذ باز : « كلما تقدم من الأطباء قل اعتقادهم في تأثير الادوية وزادت قوتهم في قوى الطبيعة . مما قال : ورغما عن كل المنقذات الحديثة التي أحيطت بالتهليل فان المرضى لا يزالون يشكون الأمراض كما كانت حالتهم قبل أربعين عاما . مما قال : ان سبب بقاء تقدم الطب ناتج من ان الأطباء بدلا من أن يدرسوا الطبيعة درسوا كتابات من تقدمهم »

وفل الأستاذ الدكتور (سميث) كما نقله عنه الأستاذ باز : « كل العلاجات التي تدخل في الدورة الدموية تسمم الدم بعين الطريقة التي تسمم بها السموم الجالسية للأمراض . الادوية لا تشفي أى مرض كان بل الذي يشفيها هو الخاصة الطبيعية ليس الا مقل . ان البيجيتال قد قتل ألوف من الناس وحض البروسيك كان يستعمل بكثرة في أوروبا وأمريكا ضد السال الرئوي وقد عالجوا به ألوف من المرضى فلم يشف منهم واحدا بل أنه قتل مئات منهم انتهى وقد نقل الأستاذ بلز عن أكثر من ثمانين عالما من علماء الطب الرسميين مثل هذه الأقوال التي تؤيدها المشاهدة ثبت من ذلك كله ان أثر العقاقير في شفاء الأمراض أثر مهلك وجدير بالإنسان اذا أصابه مرض ان يحتمى عن الاكل وان يعنى بأمر الصحة مستخدما الوسائل التي ذكرها الأطباء الطبيعيون من الاستشفاء بالهواء والطواء ذلك خبر من التعرض لاضطراب العلاجات المختلفة : لم يكن العالم الى اليوم من الطب من فائدة غير تخفيف الآلام للمسكنات وكلها سام قتال ولقد كثرت الاطبات والصيدلات ولا تزال الأمراض والمرضى آخذين في الزيادة وقد طرأت أمراض ما كان يعرفها آبائنا ولا تعرفها الآن الأمم الغالبة التي لا تعرف لها ولا علاجا فما أثر الطب بعد ذلك ؟ يظهر لنا ان علم الطب سيضمحل ويحل محله علم قانون الصحة وسيزيل كل ما يميز للعلاجات من التأثيرات والخواص لظهور أثر الغلو فيها ولن يبقى الا علم الجراحة فهو العلم النافع الذي لاشك في فقهه . هذا ما يقوله أخصار الطب الطبيعي

﴿ أساليب العلماء في معالجة الأمراض ﴾

ويقولون أهجر الأطباء معالجة أقل الأمراض خطورة فلم يتوصل طبيب الى ازالة فقر الدم وضعف الاعصاب وغيرها مما يعتري الناس من جراء أعمالهم بمحض خواص العقاقير فأكثر الناس يشكون الضعف وفقر الدم وقد صرفوا السنين في تعاليم العلاجات القوية بدون فائدة . هذا بالنسبة للضعف وفقر الدم أما بالنسبة لغيرهما من أمراض القلب والرئتين والكبد والمعدة والمخ فحدث ولا حرج وان قلت ان واحدا من يصاب بهذه الأمراض لم يزل حيا من العلاجات الطبية وانتهى أمره الى اليأس لما كنت بعيدا عن الواقع . هذا العلم الظاهر من العلاجات دفع كثيرا من فضلاء الأطباء الى تلمس وسائل جديدة لشفاء الأمراض فأطالوا البحث وصرفوا العمر في التجارب فامتدوا لنتائج ان لم تكن هي الواقع بعينه فقد أدت خلعها جلية . نذكر من هؤلاء العلماء أطباء هيج الانجليزى وكنتاني الايطالي وسوبرويسكي الفرنسي . وقد أحدث كل من هؤلاء

حوادث من الشفاء عزت على الطب والاطباء وطارت شهرتها الى أقاصى المعمور

﴿ أسلوب الدكتور هيج في علاج الامراض ﴾

يقول الدكتور هيج ان اسباب الأمراض هي الحوامض السامة التي تنضاف الى الدم من سوء التغذية أكبرها خطراً حمض البوليك (اسيدأوريك) وحمض الاوكساليك والتطرون وصرح بأن لاسبب للنوراستانيا وهو مرض ضعف الاعصاب الذي ينتشر اليوم انتشاراً مريعاً بين جميع الطبقات الاحض البوليك ، وكذلك هو من الاسباب للإصابة بالنقطة والروماتيزم والتم الرأس والصداع والصرع والجنون وضعف القلب ووقوفه والربو والتهاب الشعب وسوء الهضم والبول السكرى وأمراض القلب . ليس هيج أول من عرف ضرر حمض البوليك ولكنه أول من حدد دائرة نفوذه الضار من الوجهة المرضية . قال هيج ، وهذا القول أساس مذهبه ، ان السميات التي تتخلف من المواد الغذائية تثبت في نغزلات الاوعية الدموية وتسد الاوعية الشعرية فتقتل قوة سريان الدم ويستند ضغطه على القلب ويكون سبباً لضعف عام للبيئة واختلال جميع الأعضاء فإذا أبطأت النورة قلت تغذية الاعضاء ومتى اشتد الضغط على القلب محدثه مرض ثم تنتشر سموم الاغذية بتوالي تواردها في سائر الاعضاء فتمرضها أيضاً . فيشكو صاحبها العوارض المختلفة ويعرض نفسه على الاطباء فيشخصه كل منهم على ما تسمح له به نظرياته فتارة يصحونه بتعاطي المقويات وأخرى بأخذ المنومات وصرية بأمره بالسياسة وأخرى بالراحة وحيناً يزقون جلده بأبراق الحقن وهم في ذلك كله يبيدون عن حقيقة الداء فاولعوا انما نشأ عن سموم الاغذية وعنوا بمعرفة مقادير السموم منها وأشاروا بحمية صحيحة لشفي المصاب ولكنهم يعتمدون على العقاقير الطبية فتضم الى كمية السموم وتزيد فعلها . يقول هيج ان تراكم حمض البوليك في أوعية الدم يسبب انحرافاً في العقل واضطراباً في الحياة وهي أخص أعراض النوراستانيا فإذا سهل خروج حمض البوليك تغيرت حالة العقل حالاً كأنها حادثة سحرية وتقلب الحياة في نظر صاحبها سارة حتى ان الانسان ليحدث نفسه باتيان الاعمال للمستحيل . وقال هيج ان جميع الامراض تزول بإزالة حمض البوليك فاحذفوا هذا الحمض فنبشوا مائة سنة ولا يوجد هذا الحمض غير الغذاء . بالتحليل وجد أن هذا الحمض يوجد في اللحم والقول والعسل والبازلة والفاصولياء واللوبياء الحارقة والشاي والقهوة والكافور . ثم قال وعليه فيجب الاكتفاء بأكل النباتات . وخصوصاً الاسفانجس والخبازي والكربن والقريبط والقواكه واللبن والجبن والامتناع عن اللحم والقول والعسل والبازلة والفاصولياء واللوبياء الحارقة . اذا سار المصاب بأي مرض على هذه الحجة مدة تحللت السموم وتسربت من الكليتين والجلد وغيرها وطهر الجسم منها وزايلته جميع الامراض المرضية

﴿ أسلوب الدكتور كاتاني ﴾

قاعدة الدكتور كاتاني غير قاعدة هيج وان كانت النتيجة واحدة فانه قال بأن حمض البوليك هو سبب كل مرض في جسم الانسان ولكنه ليس هو المادة بل المادة قلة الاوكسيجين في الجسم لتحويله الى بول وزوله مع الفضلات . قال والتي يوجب نقص مقدار الاوكسيجين في جسمنا انه يستهلك باكثرنا من تناول الاغذية الايسرانية الكربونية (كالسكر والنشا) والعنينة . فان لم يتناول الانسان هذه الاغذية بقي الاوكسيجين في دمه غزول حمض البوليك الى بول فأثني الجسم شره كلما تكوّن . وعلى ذلك فالهواء الوحيد لجميع الأمراض عند الدكتور كاتاني هو انبعاثية فلا ياكل الانسان فيها الدهنيات ولا السكر والنشا ويمتنع عن الخل والخملات واللبن والجبن والاحراق والجبنيات والرز والبطلطس والحلاوى والتوابل ويكتفي بالبيض والنباتات الخضراء والقواكه مع الحركة في الهواء الطلق .

﴿ أسلوب الدكتور سوبرويسكي ﴾

يقول هذا الدكتور ان سبب جميع الامراض فساد تركيب الدم ومافسده الا كونه حامضاً غير محتو على قلويات فصلاحته أن يكون قلوياً حلوياً ، وعدم صلاحته أن يكون حامضاً . والبليل على أن سبب الامراض هو خلل الدم من القلويات انك لتجد في الدم ولا في البول املاحاً قلوية في جميع الامراض الحية وهذا برهان على أن هذه الأملاح حوب لتلك الأمراض فقد ثبت أنها تقتل الميكروبات البدنية وتلاشي سمومها كما يقتلها السلياني ملافصل للرؤى أن يملأوا أغذية كثيرة القلويات فان المرض يزول مهما كان نوعه حتى تملح الدم بالقلويات فالقواكه والليمونادة تشقى أكثر مما تنفغية الخمر غالية الثمن ولا يسقط مريض بضعف القلب اذا أعطى قلويات كافية فاذا انكثرت سم في الدم اقترزحالا بفعل تلك القلويات . ولما كانت الوظائف الحيوية تسرع الحيات فتستهلك القلويات فيجب إعطاء المريض أغذية قلوية . أما اللرق فلاحوائه على البوتاس يضعف القلب والقواكه أولى منه بالعناية . الأمراض المزمنة تشقى بإعطاء الدم قلويات وينوب الزمل الصفراوى تحت تأثيره ويشقى البول السكرى والتفتة . وعدم وجود القلويات في الدم يوجد الهرم البارك

وقد الدكتور سوبرويسكي كل تاكسد يبطئ التغذية والتصرف فلا يصل للاعصاب غذاء كاف فيقبل نشاطها فيعثرى الانسان مالا يحسب من أمراضها وكل الذين عاشوا كثيرا كانوا قنوعين جدا . فبالافراط في الاكل تبقى فضلات كثيرة وعلى قدرها يستهلك الجسم القلويات من الدم . لا يوجد للدم نقاء وزيادة قلوياته الا النباتات من القواكه والاعشاب وأفضلها ما كانت قلوياته أكثر . الأمراض كثيرة وسببها واحد وهو اختلال أعضاء التصريف فتلحق بالامراض وتلك الاعضاء المصروفة هي الرئتان والكليتان والجلد والامعاء فان مرضت احداها وقع الجسم في المرض لاحالة . ان مرضت الرئتان يبقى في الدم كثير من حمض الكربون وهو سم ، وان تعبت الكليتان بقيت البولييا (الاورية) وحمض البوليك في الدم وناهيك بهما من غولين للصحة ، وان انسدت مسام الجلد تبقى في الجلد السموم التي يجب أن تصاعد منه بالتبخر الجلدى ، وان تعبت الامعاء بقيت الفضلات في البطن . فالذين يقعون مرضى كانوا مرضى من قبل بأحد هذه الأعضاء فأهملوها ثم أخذ الدكتور سوبرويسكي بفصل في قيمة الأغذية من الوجهة القلوية فقال النباتات التي تحتوى على القلويات الشكوري والراوند والاسفانج والكمثرى والحماض والهندبا والخس والكرفس والجرجير والفجل أما النباتات التي لها خاصية طرد حمض البوليك فهي الاسفانج والكرفس والقرنبيط وكرنب بروكسل والبازلة الخضراء لان بها حوامض تعيق افراز حمض البوليك (الاوريك) . هذه أساليب الدكارة الثلاثة فكلمها ترى الى غرض واحد وهو العناية بأمر الغذاء وعدم ادخال شيء الى المعدة يضر حساب . فالطب كل الطب أن يستدل الانسان في غذائه وأن يكون نباتيا معتددا في تقويم جسمه على النباتات والقواكه الناضجة فان أصابه مرض فعليه أن يعتمد الى الطرق الطبيعية من استنشاق الهواء البقي وتهدد الجلد بالطاقة والحياة التامة والله الشافي . هذا رأى رجال من أقطاب الطب العصري وهو رأينا أيضا ولكل انسان بصيرة يتحرى بها الصواب والله يهدينا الى سواء الصراط . ولا بأس من تميز هذا البحث بإيراد رأى عالم ألماني كبير في أسباب الأمراض فإليك :

﴿ العلامة (كوهن) الألمانية يرى أن لجميع الأمراض سببا ﴾

(واحدا وعلاجاً واحداً)

تقلل منه العلامة (كوهن) الألمانية المشهور عن الاستاذ بلز فقد نشره في المجلد الاول من كتابه الطب الطبى حمية (٩٣٣) فنقول : يرى كوهن أن الأمراض كلها لها سبب واحد وعلاج واحد كذلك

فهو يقول انه لا يوجد الامرض واحد يظهر بمظاهر مختلفة . والملة الحقيقية لهذا المرض هي اجتماع اجسام غريبة في جسم الانسان ليس لها دخل في تركيبه وحفظه ، فهي اجسام غريبة وان شئت فقل جوائيم مرضية لم تستطع الاعضاء الفرزة وهي الامعاء والكليتان والجلد والرتان افرزها . هذه الاجسام الغريبة يرى (كوهن) انها تسرب الى ابداننا من قطائنا اكثر مما نحتاج اليه من الاغذية ، ومن تناولنا اغذية ضارة ومضادة للشروط الفزيولوجية للحياة الانسانية كاللحم والتوابل والاشربة الكحولية المخمرة من التبيذ واليرة والعرق والقهوة والشاي الى غير ذلك فهي من جهة ليس فيها قيمة غذائية ومن جهة اخرى تحدث تهيبعا للجسم يعقبه النصف لاعماله . ومن الاجسام الغريبة التي تسبب لنا الامراض في رأى (كوهن) السموم الصيدلية التي تناول باسم علاجات والتبغ والسعوط (الشوق) وسم تلقح الجدري الذي اذا دخل الجسد قل أن يخرج منه ويكون مصدر جوائيم مرضية له . وما يوجد الاجسام الغريبة في البدن ما يعمل معه الهواء الفاسد والابخرة المتصاعدة من الاصطبلات والغازات التي تستعمل للتطهير في البيوت ، وما يتصاعد من عرق الغير والعثر الثائر في الطرق الخ كل هذه تسرب الى ابداننا وتحث فيها فتسبب لنا الامراض المختلفة . ثم ان ما يحدث المواد المرضية التعب فانه يهلك عددا عظيما من خلايانا فتتكد في ابداننا بسوء نوع معيشتنا بدل أن تنصرف في الدم ومنه تخرج الى الجوف بواسطة الاعضاء المفرزة للسموم . هذه المواد الغريبة المرضية المختلفة من الاغذية يحاول الجسم بخضوعه للقانون الطبي الذي يدير كل حياة ان يعده عنه باعتباره غيبا بفع له اضراره . ولكن أعضاء المفرزة لاستطيع نظرا لكثرة المواد ان تفرزها كلها في آن واحد فتراكم ما بقي منها في الجهة السفلى من البطن . ومن هنالك تنج رويدا رويدا الى الأطراف وتلبث هناك تبعا لتأثيرات وبعثا للوضع العام للجسم إما ذات العين أو ذات الشمال أو أمام أو خاف . فتبقى هذه المواد غير محسوس بها أو تصيب صاحبها قشريات واضطرابات لا يمكن التعبير عنها وقلق علم . وبالجملة تصيب جميع الاعراض التي تسبق الأمراض الحادة أو الجية . تلك المواد التي تتخلف في الجسم هي مواد عفتة أو متخمرة . والتخمر نوع من التفتن سببه التحلل الواقع في بعض المواد العضوية فاذا حدث سبب داخل أو خارجي أو برودة أو حرارة أو انفعال تحيا هذه المواد المرضية وتتخمر ثم تبعث لها عن مخرج فتتحرك على موجب مواضعها والمراكز البينفاوية للجسم متجهة الى أعلى الجسم وإلى الجلد أولا . فاذا وجدت مانعا يحول بينها وبين الخروج تحدث تمعدا في الجهة التي تحمل فيها فتولد ورما ظاهرا أو باطنا . وقد يحدث ان هذه المواد المرضية تسقط الى الأطراف السفلى فتسكن في الساقين والقدمين . هذه المواد تدفع على البوام للبعد عن مستودعاتها على قدر الامكان والتسرب الى الاعضاء البعيدة عنها كالرأس والعنق والايدي والارجل والاصابع وإبهام القدم . وهنالك تفتل لأنها لاستطيع ان تخرج من جسم الجسم لعدم العناية بصحة الجلد ولأن المعيشة ضد الطبيعة جعلت المسام الجلدية كاسها لم توجد أو قليلة الفائدة . وقد يكون الجلد على مايرام من تأدية وظيفته ولكن تدفق تلك المواد عليه جأة لا يمكنه من تصريفها بمعدته دفعة واحدة . فاذا كان نشاط الجلد ضعيفا أو معدوما . والامعاء والكليتان والرتان لا تؤدي وظائفها على ما ينبغي كهي الحالة العامة الآن تسبب عن تلك المواد الغريبة في الانسجة الجسمية تغيرات مرضية تقصد الشكل الطبي للجسم رويدا رويدا فتجهد الانسجة وتتورض العضلات بعد أن كانت ليثة في اللحم ويكون توزعها ظاهرا محسوسا في أثناء تحركها . وفي أحوال أخرى يسبب وجود المواد الغريبة في الجسم تمعدا فيه . ويمكن التحقق من صحة هذه الاحوال . ويمكن أن نلاحظ أصحاب الاجساد السمينة الذين تعددت ابدانهم بترآكم المواد السموية الغريبة فيها أو ان تأمل في الاشخاص النحفاء الذين نجد انسجهم متورقة على درجات مختلفة . قلنا ان المواد الغريبة تمل على البوام أن تنج الى الاراف . والرقبة تكون كضيق بين الجرج والرأس فتظهر تلك المواد الغريبة فيها متراكمة على الخصوص

هذا سبب الأمراض فاهو الهواء ؟ قل (كوهن) لما كان سبب جميع الأمراض واحدا كما رأيت وهو تراكم المواد الغريبة في أجسادنا من جواء تهاطينا أغلبية لا توافق تركيبتها وتعرضنا لتعب المفرط واستنشاق الغازات الضارة . فليس لها الادواء واحد وهو ينحصر في الأمرين الآتين اللذين تليجتهما قطع الامداد عن تلك المواد السمية وتسهيل خروجها .

(أولا) الاقتصر في الغذاء على النباتات

(ثانيا) استعمال الجملات الجذعية والجملات الجلوسية مع ذلك الجسم بوفرة خشنة مبتلة والجملات البخارية . الجملات الجذعية هي أحواض يضر الانسان فيها جضع جسمه فقط أى من عتقه الى غصديه . والجملات الجلوسية هي أحواض تضر فيها المقعدة مع جزء من الظهر والبطن . والجملات البخارية هي احاطة الجسم بالاجرة . جميع هذه الجملات تباع في محل التجارة .

﴿ ملخص هذا المقام ﴾

هذه هي الأساليب الثلاثة لطولاء الأطباء الثلاثة الاول ، فالسبب عند (هيج الانجليزى) هو أن يكون البول حشيا بمواد لا تلائم الجسم ، وهذه المواد تقف في فروع العروق فتسدها فيفصل الضغط على القلب وتكون أمراض مختلفة يعطى لها الأطباء أدوية مختلفة قتالة والهواء عندهم (الاكتفاء بالنباتات والقواكه) وترك اللحم وبعض الحبوب المذكورة كالقول الخ والشاى وما عطف عليه . والدكتور كاتنائى كلامه مثل كلام هيج ولكنه أشبه بمن يقول : « يجب أن يكون في شوارع القاهرة زبالون لحل الكناسات من البيوت » فالدكتور هيج أشبه بمن يقول : « قدارة البيوت سببا بقاء الكناسه فيها » والدكتور كاتنائى يقول : « نعم قوله صحيح ولكنى أقول : إن عدم الزبالين هو السبب فلا يوجد الزبال لرفع الكناسات من المنازل والذى يكون سببا في إيجاد هذا الزبال لازالة القمامات من المنازل (هو النباتات الخضره والقواكه والبيض مع ترك النمل والمخللات والجبن والمرق والهيجينات والأرز والبطاطس والحلوى والتوابل)

والدكتور (سوبر ويسكى) يقول : « إن هذه الزباله تختلط رائحتها جميع طبقات المنزل . وذلك أن المادة الضارة اذا كانت في الماء فهي في السم والعلاج هو أكل النباتات »

إذن أكل النبات متفق عليه للشفاء من جميع الأمراض عند الثلاثة الاول وقد اختلفوا في اللبن وما تفرع منه وكذا البيض ونبذوا ما يعطاه الناس من التبغ ونحوه . وكوهن الألماني جعل السبب أهم وهي أجسام غريبة تتخلل البنية والمعنى واحد . فهو متعدد مع من قبله اجالا والهواء واحد وهو الأغذية النباتية بها التآكل : خذ النتيجة التي ساقها الله لنا . كل النبات والقواكه ودع اللحم والقهوة والشاى والخمر والتبغ والسكر وما اشتق منه من الحلويات

هذا ملخص ما تقدم . أما اللبن ففيه خلاف سببه أن الهيمه ربما كانت مريضه فينقل المرض إلينا من لبنها . هذا ملخص هذا المقام . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في ضرب مثل لأجسامنا ودمها وغذائها وأمراضها بالأرض المصرية ونباتها (والفرين) وهي المواد التي تجعل لونه قريبا من الجرة وهي أهم أغذية النبات والسود التي تمنع الماء أن يصل الى بعض الأرض)

اعلم أن كثيرا من الناس يقرؤن كلام الأطباء فيتحيرون ويصعب عليهم الفهم . فاعلم رعاك الله أن أجسامنا كالأرض ودماءنا كماء النيل (والفرين) الذي فيه وهو المسعى بالطمي في بلادنا أشبه بالمواد الغذائية

التي تجري مع الدم ليوصلها للأعضاء الباطنة والظاهرة . النيل وفروعه كالعروق الصغيرة والكبيرة والتمثيل صحيح وأعضاؤها كالزروع والأشجار التي يسقيها ماء النيل . فلواتنا سدنا ماء النيل من أى مكان يسد أو سدنا أى فرع من فروع النيل فان الماء يرجع الى الورا . وهناك يحصل ضرر ان كبيران ومساومان ما بعد هذا السد من السقي فيحصل تلف في الزرع من جهة قلة الماء . وهلاك الزرع الذي قبل ذلك السد بطفيان الماء عليه هكذا في الجسم اذا سد عرق كبير أو صغير بمواد لا توافق الصحة حصل إفراط فيها قبل هذا السد وتقرط فيها بعده فتحصل أمراض مختلفة في الجسم على حسب استعداده . وكما أننا اذا زدنا تلافى اهلاك زرعنا في حقولنا فتحنا تلك السدود سدّا . هكذا اذا زدنا الصحة أنزلنا الجواز التي في تلك العروق وفروعها . وماتلك الجواز إلا المواد الغريبة

هذا ملخص كلام هؤلاء الأطباء الأربعة . فاذا سمعت قول هيج الطبيب الانجليزي أن حض البولييك وحض الاوكساليك والتطرون وغيرها هي أسباب (التورستانيا) والقطعة والروماتيزم وآلم الرأس الخ فما خرج عن انه نظير قولنا ان ماء النيل اذا سد في أى بقعة اختل نظام النبات فهلك أكثره إما بقلة الماء وإما بكثرة والنبات مختلف وألنا عليه يكون على مقدار نفسه هكذا هنا فانها تحصل أمراض مختلفة يعبر عنها ببارات مختلفة كما يقال في النبات قد هلك القمح والبرسيم والبطيخ وهكذا ولكل واحد من هذه النباتات منزلة عندنا تألم لفقده بسببها ، وإذا سمعت قوله أيضا : « إن تراكم حض البولييك في أوعية الدم يسبب انحرافا في العقل واضطرابا في الحياة » أوقوله : « إن السميات التي تتخلف من المواد المغذية تثبت في تفرعات الأوعية الدموية وتسد الأوعية الشعرية فتقتل قوة سريان الدم » فانه كقولنا « إن وقوع الحجارة والطين في ساق النيل يمنع الماء عما خلفها ويضر بكثرة الماء ما أمامها من الزروع »

وإذا سمعت هيج يقول : « أزيلوا حض البولييك تعيشوا مائة سنة » فهو كقولنا « أزيلوا السدود من المساق يشرب زرعكم ويذر زرعكم وتعيشوا الى حين »

وإذا سمعت هيج أيضا يقول : « دح القوق والعنص والبازة والفاصوليا واللوبيا الجافة والشاي والقهوة والكافور » فهو أيضا كقولنا : « امنعوا الحشائش من مجرى الماء لنسقي الزرع في الأرض »

وإذا سمعت أن البلاد المصرية من قبل حكم المغفور له (محمد علي باشا) لم يكن بها مهندسون فكان الماء يجري بلا قانون فكثرت الجفاف في وقت وكثرت المياه في وقت آخر فاضمحت مصر لقلّة زرعها ، هكذا نقول في مزرعتنا ومساقها وهي أجسامنا ، فنحن اذا أكلنا السكر والنشا والسمينات والخل والمخللات ولبن البهائم المجهولة ممتنها وجبنها والمرق والجبنات والارز والبطاطس والخبز والتوابل من كل ما ذكره (كاتتاني) الايطالي أو أفرطنا في الأكل كما قال الدكتور (سوبر ويسكي) الفرنسي ، أو عططينا اللحوم والتوابل والأشربة الكحولية المخترعة من النبيذ والبيرة والعرق والقهوة والشاي ، أو دناونا بالسموم الصيدية ، أو استعملنا السموم (اللسوق) أو أكثرنا الوقوف في الأماكن التي فسد هواؤها وتضاعفت أبخرتها مثل الاصطبلات أو كان فيها غازات لتطهر في البيوت ، أو جلسنا مع القوم الذين عرقهم له رائحة ، أو سرنّا في الطريق ذات الغبار ، فهذه كلها تدخل أجسامنا وتضعفها كما قاله كوهن الألماني

أقول : اذا قلنا ذلك كله أو بضعه كما قاله هؤلاء الأطباء فان أجسامنا تكون سعادتها وممتنها على حسب المصادقة كمية الأمة المصرية قبل أيام (محمد علي باشا) فقد كان سكانها نحو مليونين فقط لأنهم كانوا يعيشون بالمصادفات . فأما اذا أكلنا النباتات الخضراء والفقوا كه مع الحركة في الهواء الطلق كما قاله كاتتاني المذكور وفصله الدكتور (سوبر ويسكي) الفرنسي وقد ذكر بعضها وهي المحتوية على القلويات مثل الشكوريا والراوند والاسفاناج والكشمري والجامض والهندبا والنخس والكرفس والجرجير والفجل

فهذه وأمثاها هي القلاويط وهناك نباتات أخرى تضارعها في قائلتها ولكن من طريق طرد ما يضرّ الجسم مثل حمض البوليك كالاسفاناج أيضا والكرب والقيقط وكرب بروكسل والبزلة الخضره التي بها حوامض قيق افراز حمض البوليك

أقول : إذا سريا على هذه الطريقة وأضفنا إليها ما يقوله الدكتور كوهن الألماني وقينا ببعض تجاربه كالحامات الجلدية والحامات الجلوسية مع ذلك الجسم بقوطة خشة مبتلة والحامات البخارية

أقول : إذا اتبنا هذا الصراط في حياتنا (لأسيا إذا قرأت أيها الذكي تمام الكلام على تلك الحامات ونحوها وقوائد أخرى في ﴿سورة الشعراء﴾ عند آية - وإذا مرهت فهو يشفين - وآثر ﴿سورة طه﴾ عند قصة آدم فانك تجد هناك تفصيلا وشرحا كافيا لتلك الحامات وغيرها ، وهكذا فظائر أخرى في ﴿سورة الحجر﴾ عند الاشارة لقصة آدم في أولها وهكذا في ﴿سورة الأعراف﴾ عند آية - ولا تسرفوا إنه لا يحب السرفين - وهكذا عند آية - استقبلون النبي هو أدنى بالنبي هو خير - ففي هذه المواضع كلها ملخص علم الصحة وشنرات جيلة في علم الطب) فاننا نكون في محنتنا أشبه بالمصريين من حيث نمو السكان في هذا القرن إذ صلحت الترع والمجاري بناية للمهندسين وصار السكان (١٤) مليونا بعد مليونين قديما

﴿ تذكرة ﴾

أيها الذكي : ها أنذا مثلت لك أجسامنا بالأراضي المصرية والنيل كالسم والسود وفيه كالأحاض الضارة والأجسام الغريبة فيه ، فأنت بين « أمرين اثنين لا ثالث لهما » إما انك تعيش كما يعيش أغلب نوع الانسان الذين أشبهوا آدم حين أكل من الشجرة ولم يتعظوا بقصته ولم يعلموا مقاصد الكتب السماوية من ازال هذه القصة وأمثاها وتكرارها في القرآن ، فاذن كل كياكل الناس مقلدا لهم ، وإما انك تتظفر في هذه الحياة وتلك سبيلا آخر يحسب الطب الحديث على مقدار طاعتك ، فهناك ترجع لحال آدم قبل الأكل من الشجرة . ويظهر لي أن النوع الانساني مقبل على زمان أجل وأبهج ، فإذا سلكت هذه السبيل الحديثة فأعلم انها هي التي تؤخذ من قصة آدم . فاناس جميعا آكلون ما يشتهون من هذه العوالم الأرضية وهم غافلون عما يضرّ وينفع . وها هو ذا زمان ظهور عجائب القرآن . فأنت اذا أكلت النباتات والقواكه وهكذا فان هذه النباتات نفسها تفتح سدود جسمك ولتحتاج الى ما يحتاج اليه النيل من المهندسين . وإذا أكلت الأطعمة الأخرى كاللحم أو الخلل أو السكر وكل ما اشتق منه فانك تحتاج الى مهندس يفتح سدودك وهذا المهندس هو الطبيب يملك مركبات سمية وينزل عليك بالابر فيملأ جسمك سما زعافا مع تقطيع الجلد ودخول الحقن الساقطة . الله هدانا التجدين فلنتبع أسهل التجدين . وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني وهو ضرب مثل بالنيل وفروعه للجسم ودمه الخ

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في نصائح عامة من كبار الأطباء وهي ست نصائح منقولة من ذلك الكتاب)

﴿ النصيحة الأولى ﴾

(رأى الاستاذ هنهيد فييا يأكله الانسان في اليوم)

أهم ما يجب أن يدقق فيه من يريد لنفسه دوام الصحة هو مسأله التقذي فان عليها مدار الحياة والخطأ في وجوها الطبيعية يؤدي الانسان الى أشنع الأمراض المسببة لأشد الآلام . فليكن عينا في هذا الكتاب بالافاضة في هذا البحث وسنفيض فيه ما وجدنا لافاضة موضعا . وقد اطلعنا على بحث جليل لأحد أطباء الانجليز نشرته إحدى الجرائد قلها عنها الملقم فرأينا أن ننقله لقراء كتابنا هذا فان فيه فوائد جليلة وقواعد قيمة

قال «المقطع» في عدد ٨٣٨٩ الصادر في ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٦ ما يأتي :

« وقد طالعنا مقالة لأحد أطباء أوروبا يبين منها أن الذين اعتلوا أكل اللحم والبيض وما يدخل في حكمهما من الأطعمة يفرطون في الاكثار منها فيؤذون أنفسهم أنى كبرا من حيث لا يدرون . وهذه المقالة مفعمة بالفوائد فارتبنا اقتطاف أهم ماورد فيها ونشره عملا بما جرتنا عليه من نشر المقالات المفيدة في حفظ الصحة . استهل الطبيب الكاتب مقالته بهذا السؤال وهو : كم يحتاج الجسم البشري من البروتين (الالبومين) لكي يؤدي وظائفه حق الأداء ؟ والبروتين اسم جنس للأطعمة النتروجينية أو الالبومينية وهو المنصر الجوهري في اللحم والمبر والبيض واللبن والأجزاء الالبومينية في بعض البقول . والموضوع من أهم مواضيع حفظ الصحة فإن الأمراض الناشئة عن الإفراط في أكل البروتين كثيرة والوفيات بها تزيد على الوفيات بسواها فإن أمراض القلب والكيتين والسكبد ناشئة عن سوء تمثيل البروتين . فغرة مايجب أكله من اللحم والبيض واللبن ونحوها من الأمور التي تعد أساسا لحفظ الصحة وإطالة العمر . ثم إن أعظم الأطباء مجمون على أن بعض الأمراض الأخرى العنيفة كالسرطان ناشئة عن الخطأ في تعيين مقدار (البروتين) في الطعام وحسبنا هذا وذاك دليلا على وجوب إفراغ العناية في هذا البحث . وأول من بحث في هذا الموضوع الدكتور (هندهيد) الدنمركي فظهر له من أبحاثه أن (٢٥) غراما من البروتين في اليوم تكفي الشخص العادي وتحفظ صحته . وكان المظنون قبل أن المقدار اللازم يبلغ أربعة أضعاف هذا القدر . وقد قال هذا الطبيب : « إن زيادة هذا المقدار في الطعام مضر بالجسم »

ولا يخفى أن أطعمة البروتين كاللحم والبيض هي أغلى الأطعمة وأن الفقراء والمتوسلين يتبعون كثيرا في تدير أمتانها ولكن متى ثبت لنا أن الناس يدفعون الأثمان الغالية لشراء الضرر والأذى وقصر العمر غلب علينا الضحك لولا أن المسألة من المبكيات . وقد دقق الدكتور هندهيد في تجاربه توصلنا إلى النتيجة التي استنتجها فكان يختار رجالا من الذين يعملون الأعمال اليدوية النيفة ويكيل لهم الأطعمة ويوزنها ويدقق في وزن مفزات أجسامهم ويفحص قوتهم وأعضائهم . وبين التجارب التي جرت بها أنه جاء برجلين اقتصر في أطعمتهما عما كاملا على البطاطس والمروجين (الزبدة النباتية) وكان يجنس الطعام يوميا بحيث يكون أقل ما يصبب الواحد منهما كل يوم ما لا يقل عن (٢٠) غراما إلى (٢٥) غراما من الالبومين بدلا من (٨١) غراما وهو المقدار الذي عين من قبل بالتجارب العلمية . والمعلوم أن البروتين قليل جدا في البطاطس . فاستخلص المقدار المطاوب من الالبومين في البطاطس يقتضى ثلاثة أرطال منه فكان الطبيب الدنمركي يعلم كلا من هذين الرجلين هذا المقدار من البطاطس كل يوم مع ست أوراق (٥٤) درهما من المروجين ويمنعهما من أكل اللحم والبيض واللبن فكانت صحتهما في آخر العالم من أجود ما يكون وحاضر أحدهما مع العدائين قطع (٢٦٤) ميلا في (٩٩) ساعة أى في أقل من الوقت المفروض . وهذا بعض ما استنتجه الدكتور هندهيد من أبحاثه وتجاربه :

(١) إن الالبومين الموجود في الأطعمة النباتية يغني في الجسم عن الالبومين الموجود في الأطعمة الحيوانية كاللحم والبيض واللبن وأن مقدار الالبومين الذي يحتاج الجسم إليه أقل من المقدار الذي كان يظن لازما له

(٢) إن الأطعمة التي يقل الالبومين فيها تزيد قوة الجسم على احتمال المشقة والتعب فقد قال الطبيب المذكور : « لا أعرف واحدا من الذين يكثرون من أكل اللحم أحوز قصب السبق في محاضرة طويلة

(٣) إن عدد الوفيات بأمراض السكبد والكيتين والامعاء يبلغ بين سكان المدن المترفين نحو أربعة

أضاعف مايلفه بين الفلاحين الذين معظم طعامهم من الخبز والبطاطس والأدهان (الزيت) وقد « إن العرب الذين يأكلون الخبز والتمر فهم من صلبة العود وشدة الصبر على التعب ما يدعش الأوربيين وأن جراءة جنود السخ الهنود وهم من أشد جنود الدنيا عبارة عن كآسين من اللبن ٢٥ أوقية من الخبز وأوقيتين من الزبد وأربع أواق من الفاصوليا وخمس أواق ونصف أوقية من البطاطس وهم لا يأكلون اللحم إلا مرتين أو ثلاثة في الشهر وهم ما يعضلون »

ويخلص استنتاج الدكتور هندية بقولنا أن قيمة الألبومين الباقي أفضل من قيمة الألبومين الحيواني ولكن يجب الاعتدال جدا في استعماله وبكميات معينة وأنه يحجر بالناس أن يقاوا من أكل اللحم وأن لا يكون أكله مع القلة مستمرا بل أن يؤكل في فترات متباعدة

قال الطبيب الدكتور : « ولو كانت تجارب الدكتور هندية فريدة في بلها لما أعرونا هذا الاهتمام فقد اتفق غير مرة للعلماء أن أعطوا في البحث مدفوعين بعامل الحاسة الى استنتاج ما يتوقون الى تأييده . وأعظم التجارب ندقيا قد لا يخلو من الخطأ فيؤدي الى نتائج مغلوطة . ولكن التجارب المذكورة تطابق ما توصل اليه باحثون آخرون . فمن ذلك أن الأستاذ تشندن تعمق في مثل هذا البحث فاقنع هو وأتباعه بأن تنقيس البروتين في الطعام هو سبيل الصحة وأن السواد الأعظم من الناس يشكب عن هذا السبيل عمدا

وقد جرب الأستاذ تشندن هذه التجارب بنفسه وبجماعة من زملائه وتلاميذه وبينهم نفر من لاعبي الألعاب الرياضية فأثنى أن صحته تحسنت وقوته زادت باقصاص ما يأكل ولا سيما من أطعمة البروتين وواقفه على ذلك آخرون فكانوا يعون وتجود صحتهم اذا قصوا مقدار الطعام الذي يأكلونه

وبما يبعث على الاستغراب في هذه التجربة أن نتائجها كانت متماثلة في لاعبي الألعاب الرياضية وفي الذين يعيشون عيشة ساكنة هادئة فان قوتهم ازدادت باقصاص ما يأكلون من اللحم والبيض عما ألفوه قليلا على ما تطلبه قابليتهم . وقد تبين للأستاذ تشندن أن هذه القابلية التي نحسبها طبيعية وتعتمد عليها في الدلالة على مقدار ما يجب أن نأكله ليست دليلا مأمونا بل هي نتيجة عادات سيئة في الأكل حادت بالإنسان عن جادة الصواب فان القابلية اذا كانت طبيعية لا تسمح لرجل أن يأكل من الطعام إلا نصف المقدار الذي يأكله الناس عادة أولئك »

الى أن قال : « ولكن الأمر المهم في مسألة الطعام هي عدم الإفراط في شيء منه ولكن الخطر كل الخطر ناشئ عن الإفراط في أطعمة البروتين أي اللحم والبيض واللبن . ويجب ملاحظة الفرق بين الآكلين القادريين يعمل أعمالا بدنية عنيفة يجب أن يسطى من الطعام أكثر مما يلزم من كان قليل الحركة أو كان شغله من الأشغال العقلية . وختم الطبيب مقالته ببعض الوصايا العامة التي يجدر بالمرء مراعاتها في طعامه وهي :

- (١) الاعتدال في الأكل من جميع أنواع الطعام التي تقم على المائدة ولأنا كل من طعام واحد مرتين
- (٢) اترك المائدة وأنت شاعر بأنك تستطيع أن تأكل زيادة عما أكلت
- (٣) زن جسمك مرة بعد مرة وقابل بين أوزانه وعقل طعامك بحسب ما ترى من نقص الوزن أو زيادته فان لم تهتم هذا الاهتمام القليل وقمن هذه العناية اليسيرة بجسمك فلا يخطئ لك أن تشكو اذا اعتلت صحتك ولا ينتظر أن تكون من طولي العمر » انتهت النصيحة الأولى

➤ النصيحة الثانية ➤

(ضرورة الإفراط في الأكل)

(مترجمة من كتاب « صناعة إطالة الحياة » للعلامة الدكتور جاستون دورفيل)
قال الدكتور دورفيل : « الإفراط في الأكل جرح دام في جسم الانسانية . واني لأستطيع أن أؤكد

بأنه يقتل يومياً أكثر مما يقتله السلّ والسرطان مجتمعين وأنه غالباً سبب هذين الداءين . وقد قل المفكر الكبير تولوستوى وأصاب : أننا لنأكل ثلاثة أضعاف ما نطلبه أجسامنا فنصاب بأمراض لا عدد لها قطع الحياة قبل بلوغها أقصى حثها »

وقال الفيلسوف سنيك : « الحياة ليست بقصيرة ولكننا قصرها بأيدينا » وقد كان الدكتور المشهور (هيكيه) يمزج قائلاً لطعام مرضاة الأغنياء : « أنا مدين لكم بالشكر أيها الأجيال على ماؤدونه من الخدم الينا معاشراً الأطباء » وكان الفيلسوف سنيك المتقن ذكره يقول : « إنكم تشكون من كثرة الأمراض فاطردوا طهايتكم » وقد ذكر الدكتور كارتون في كتابه « الثلاثة الأغذية المميّة » المصارعين الذين تراههم ممثلين عضلاً ونمناً من كثرة ما ينعنون بالأكل . ثم قال : إن دولة قوة هؤلاء الأقوياء قصيرة الأمد وأن قوتهم المفرطة هذه ليست إلا كنار القش لأنهم كالفلتات الطبيعية أو النباتات المدفوعة للإفراط في النمو المعرضة لأن تحترق في يوم من الأيام بحمارة السباد الشديدة الذي هو سبب نموها غير الطبيعي »

قال الدكتور جاستون دورفيل بعد إيراد هذه الآراء : « بعض المفرطين في الأكل ليسوا ممثلين شحماً فخم من يكونون على العكس نحاف الأجسام ، ويستوى القسحان في الهلاك بسرعة وإن جهل كل منهما ما يؤديه إليه سم الأغذية من سوء المسير ، فترى الناس يحسدون الأولين (السمان) ويرجون الآخرين (النعاف) فيظنون أن بهم ضعفاً أو قرا دموياً ويزيد الأطباء حالتهم سوءاً باعطائهم المنبهات والمقويات ، فياحسرة على هؤلاء الضعاف الذين يصفطهم الأطباء اللعوم النبتة المهلكة وزيت كبدا الحوت الذي لا تستطيع أن تهضمه أشد الأمعاء ، فكأن من الزمن يجب علينا أن نقضي في الصباح ليعلم الناس أن الرجل الضعيف لا يفقد دمه كراهه الجراء إلا لأن سم الأغذية يبيدها ويستدها ، فاعطاه اللحم يزيد في تسممه الذي هو سبب هلاكه ويقربه من حفرة القبر ، من الناس من يفرط في الأكل ولا يصيبه أذى بل تظهر عليه علامات الصحة الكاملة ، فترى وجهه مورداً وحياء متلاً فيعيش السنين الطوال لا يشكى بأقل رجح ثم لا تلبث أن تسمع بأنه قد مات وهو في عصفوان القوة فتدهش لذلك ولا سوح للدهش فإن هذا الأكل لم يكن له في جسده مراقب عتيد يعاقبه على كل إفراط وتقريط فبادى في شأه فتراكت عليه السموم فقتله ولا كرامة ، ولكن من المفرطين في الأكل من لا ترايلهم الأعراض المرضية فنزكهم إلى عمل إلى نزف إلى مرض جلدي ، وما هذا كله إلا أدلة على أن جسمه يقاوم السموم فيصرفها كما تراكت فيه بهذه الأمراض المتواليّة وهو عندي أفضل من الأول الذي يبيش صبيحاً محسوداً سنيين معدودة ثم يصق جفأة ، وترى الأطباء يرون الضعيف المفرط في الأكل مصاباً بقتل أو يمرض جلدي أو ينزف أو يغير ذلك فلا يسألونه عن كيفية معيشته ولا مقداراً لسله ولا أنواع غذائه بل يسعون في مكافحة الأعراض المرضية فتزداد حالته سوءاً وربما هلك بين أيديهم » انتهت النصيحة الثانية

➤ النصيحة الثالثة ➤

➤ ضرر الأغذية المركزة ➤

يقول الدكتور جاستون دورفيل : « إذا كان الإفراط في الأكل من الأخطار الكبيرة فإن تناول الأغذية المركزة كالسكر واللحم بقصد التوتوي أو تحسين التحنّي أشدّ خطراً على الصحة ، نعم إن تلك الأغذية التي نعتبرها مقوية توجد لنا قوة فنحس بسعادة جسميّة ولكنها سعادة مؤقتة إذ تنقلب إلى ضعف وانحطاط ، فهذه الأغذية التي يجبل للناس أنها مقوية هي كضربة سوط تنزل على الحصان المهي فتجعلها يجرى قليلاً ثم ينحط انحطاطاً لا يقام له منه . فمن الناس فهال هذا القرن الذي يقال أنه قرن النور ؟ لم يتناول الأغذية المركزة من خلاصات اللحم ومستخرجات اللحم والبيتون والأنبغة والفوسفات والبقيق المشحون بالازوتات والبرشامات المملوءة

بالمهيجات والسكريات والشكولاتات الخ مما لا يمكن استيعابه ؟ قليل من علم الفسيولوجيا يفهمك نتيجة فعل الأغذية المركزة على خلايا أجسامنا . ذلك ان الأغذية التي تتعاطاها قسبان : قسم يعوض أنسجة أجسادنا وهي المواد الزلالية . وقسم أعد للاحتراق فباحتراقها يفعل الاوكسوجين القوي في الدم تعطينا قوة تسرى في عضلاتنا وأعضائنا وتحفظ حرارتنا

« للأغذية وظيفة ثالثة وهي تهييج خلايانا الجسمية . من هذا التهييج ينتج التبادل القوي يميز حياتنا . فإذا كان الغذاء الذي تتعاطاه ذاتيا كان تهييجه لطيفا بطيئا متوقفا ولكن إذا كان الغذاء محركا كان تهييجه قويا فجائيا . فلنغرض أن غذاءنا مكون من الخبز والبطاطس بمقادير مناسبة ومن النباتات الخضراء والفواكه فإن خلايانا بعد انهمض هذه الأغذية تأخذ منها الزلال بمقادير صغيرة ضرورية لتعويض مادتها الحيوية المستهلكة . وأما المواد الاحتراقية فتأخذ بكمية مناسبة أيضا وذاتية من البطاطس والخبز والفواكه فتأثر خلايانا بتهيج لطيف أي فسيولوجي . ولكن إذا كان الغذاء مؤلثا كما هي عادة معاصرنا من اللحوم والحلوات المشبعة بالسكر والشكولاتا والكحول مهما كان مقداره مضرا اتجهت هذه المواد الى خلايانا مجتمعة فأحدثت فيها اضطرابا غير فسيولوجي بتوهم انه قوة بدنية ولكنه في الحقيقة ليس إلا خطوة نحو الصدمة النهائية »

قال الدكتور (باسكوت) في كتابه « التهاب المغاغل والافراط في التضيي » ما يأتي : « التهييج اللطيف للخلايا يحفظ الحياة بتسهيله تمثيل الاصول الغذائية ، والتهيج القوي يختصر الحياة بعمها على الاسراع في عملها بحيث يعثرها التعب والاحلال قبل موعده الطبيعي »

وقال الدكتور (بول كارون) في كتابه « الثلاثة الأغذية المميتة » مانحه : « حين تصل الى خلايا الجسم أغذية شديدة المركز تسبب تلك الخلايا هجوما عنيفا يمتد مضادا لحياتها الطبيعية وهذا التهييج المضاد للفزيولوجيا يقتضي رد فعل فجائيا شديدا من الخلايا الجسمية يفرج به صاحبه في حينه ولكنه مع الايمان ينقلب مضعا هادما مولدا للمرض ، هذه المجموعات المفرطة التي يجب أن تعملها خلايانا لتساوي مع شدة التهييج الضدائي تخيلها دائما مظهرا كاملا من مظاهر الحياة والصحة ، فكما لفط الآلة وارتعدت تحت تأثير الحرارة المفرطة افتخر صاحبها وارتاح ، وكلما صار الأولاد أكثر تورا وسنا تحت تأثير اللحم والسكر ازداد أهلهم سرورا بهم ومع ذلك فلاشئ أكثر خدعا من هذه الظواهر الضخامة ولاشئ أكثر خطرا من هذه النتائج الجليظة التي يتعمسون لرؤيتها غاية التعمس لأن عقباها التي لا مناص منها الانحطاط والفساد والمرض والموت الباكركر جسم استنفدت جميع ذخائره الحيوية » انتهت النصيحة الثالثة

« النصيحة الرابعة »

(ضرر السكر الصناعي وفوائده الطبيعي)

يقول الدكتور جاستون دورفيل : « السكر أحد الأغذية المهلكة لأجسادنا فالتناول منه كمادة معاصرنا من أربعة الى ست قطع فوق الغذاء المفرط يكون بمثابة الحكم على الجسم بزيادة الحركة زيادة مرضية عمية ، لقد كان أبائنا منذ ثلاثة أجيال يجهلون السكر الصناعي وكانوا أبطأ منا انحطاطا في قواهم ، تقدم لنا الآن الأغذية السكرية فتتناول منها بافراط ونطفي منها لأولادنا ، وقد شوهد أن كثيرا من أحوال الأرق لاسبب لها غير الافراط في تعاطي السكر ، وذلك سهل التفسير فإن السكر أقوى الأغذية الاحتراقية يعطينا ميلا شديدا للعمل فكيف يمكن النوم مع هذا الميل ، ولقد علجت حالات أرق مستعص بجمع العصاين من تناول السكر مساء ، هل معنى هذا الامتناع عن تعاطي السكر بتاتا ؟ لا ولكن الواجب معرفته أن السكر الصناعي علاج كالعلاجات بضرر وينفع ، فهو نافع لأهل الأعمال الجسدية كالزراع والصناع ، وضار لتدوى الحياة الجلوسية

كلولفين والسياسين فلا يجوز لهم أن يتناولوا منه أكثر من قطعتين في اليوم ، ويجب عليهم الامتناع عنه وعن كل الأغذية الاحترافية مساء كالنشا والخبز أيضا ، ثم إن من الاضرار بالأطفال إعطاءهم السكريات فان السكر الطبيعي يكفي لجميع حاجتنا وهو موجود في القواكه حيا وعلى حالة ذوبان ، ولكن السكر الصناعي محروم من الحياة أى من قواه المغناطيسية فهو غذاء ميت . إننا لنعم الفائدة العظيمة لأجسامنا من تناول الأغذية المتمتعة بحركتها الحيوية ، وقد كان الناس يضحكون من أهل القرون الوسطى الذين كانوا يعتقدون في القوة الحيوية ولكنهم اضطروا اليوم لأن يرجعوا عن غيهم ، فقد دلتنا الفزبولجيا التجريبية على أنه من العبث إعطاء الضعفاء الحديد لتقويتهم لأن الحديد إذا لم يسط حياة لا يمتلئه الجسم بخلاف الحديد الحى المشدول في النباتات فانه مقو عظيم للكرات الحمراء للدم

وما قلته عن السكر أقوله عن الكحول فان المشروبات الروحية خطيرة جدا ، يقول لنا الدكتور كارنون في كتابه « الثلاثة الأغذية الميته » : « إن المقادير التي تستهلك من اللحم قد بلغت ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل ثلاثين سنة فلاتنس انه بجانب هذه الزيادة المضافة الى زيادة مقادير الكحول والسكر نشاهد أن السل الرئوى يحتاج سنويا أكثر من ١٠٠.٠٠٠ والسرطان أكثر من ٣٠.٠٠٠ نسمة الضرر لم يقف عند هذا الحد المذئذ بل تناول العقول أيضا ، وحسبي أن أقول بأن عدد المجانين كان سنة ١٨٦٥ نحو ١٤.٠٠٠ فبلغ ٧١٥٤٦ في سنة ١٩١٠ وزاد كذلك عدد المنصرين حتى بلغوا أكثر من ثمانية أضعاف ما كانوا عليه منذ بضع سنين » انتهت النصيحة الرابعة

﴿ النصيحة الخامسة ﴾

(متى وكيف وماذا يأكل الانسان ويشرب)

(مترجمة من كتاب « الطب الطبيعى » للأستاذ بلز)

قال الاستاذ (بلز) مامعناه تحت عنوان « متى وكيف وماذا نأكل ونشرب ؟ » في كتابه « الطب الطبيعى » ما يأتى :

« أريد أن أعطى نصائح فيما يخص هذه المسائل وهى : متى وكيف وماذا يأكل الانسان ؟

(١) - « متى نأكل »

العادة أن الناس يأكلون ثلاث مرات في اليوم حتى تستطيع المعدة أن تستريح في خلالها ، ولكن مما يجب ملاحظته هنا أن العشاء لايجوز أن يكون كثيرا ولا متأخرا لأن الأعصاب المعدة والمخية تزيد عمل المخ فينتج منها نوم غير هادئ ، ومثل هذا النوم لا يكفي في تعويض ما فقدته الانسان . وتنتج عين هذه النتيجة أيضا ان دخلت السرير عقب آتياك المخ بئى من الاشتغالات العقلية كالطاعة والتفكير والمجادلة والبحث في السياسة لأنك بذلك تكون وجهت التيار الدموى نحو المخ ويكون النوم أقلل تقوية للجسم لما يتخلله من الأحلام الكثيرة

(٢) - « كيف يجب أن يأكل الانسان ؟ »

الشرط الأولى في ذلك أن نتخ القلعة جيدا وفى مدة أطول ما نستطيع وذلك بالنسبة لجميع الأغذية على السواء ، وهذا لسببين : أولهما لأن إعادة للضمغ وإطالة أمدده هما العاملان الوحيدان في خايط اللعب بالمواد الغذائية واللعب ضرورى للضمغ بل هو العامل الأول فيه ، وثانيهما لأن عمل الأسنان يهيم عمل المعدة وبغير ذلك لاستطيع المعدة أن تستخرج من الأغذية كيماوسا كافيا ولكن لأجل أن يؤدى الاند ان هذا الواجب لجسمه يجب أن يكون لديه أسنان كفى للضمغ وهو الأمر النادر في جيلنا الحاضر ، فإذا أردت أن تحفظ أسنانك صميحة لحافظ على تنظيفها وابتعد عن الأشربة وعن الأغذية الساخنة فان في ذلك ضررا عظيما على الأسنان

وعلى الحلق وعلى المعدة أيضا ، ثم يجب على الانسان أن لا يداول في الأكل أو الشرب بين ساخن وبارد لأن ذلك يضر بالطلاء البراق الموجود على الأسنان فيتلفه ويكون من وراء تلفه تأكل الأسنان وتسقطها . ولا يجوز الاكثار من الشربة أو المرق . وينبغي أن يكون الخبز جافا رقيقا مغموسا في الماء فقد خلقت الأسنان للضمغ فيجب عليك أن تعملها فيما خلقت لأجله فقد ثبت أن الأسنان التي تؤدى وظيقها كما يجب تقع في المرض والاختلال . ويمكنني هنا أن أقول بأن الانسان في ظروف مساعدة يمكنه أن يحفظ أسنانه سليمة حتى يموت . نعم ان الفئ له أسنان ضعيفة بالوراثة لا يستطيع قويتها وارجاعها سليمة ولا يتم ذلك في نسله إلا بعد أجيال ولكن من المؤكد أن الناس لو نجحوا في تحسين حالة أسنانهم أتى عليهم وقت بطلت فيه شكواهم من مرض الأسنان . ألا ترى أننا قلنا أن تصادف في عالم الحيوانات أفرادا منها لها أسنان مريضة

يوجد مثل قديم يقول : « كل على قدر ما تشتهي » هذا المثل صحيح ويستحق الاعتبار نظرا للاحوال الحاضرة المضادة للطبيعة التي يعيش فيها الناس . فهو صحيح من الوجهة الطبيعية لأننا نرى أن الطبيعة تعطي للانسان شهية في الوقت الذي فيه معدته لا تستطيع القيام بوظيفتها ، ولكن مما يوجب الأسف أن صاحب الشهية اليوم يتناول من الأشربة والأغذية أكثر مما يلزم لجسمه ولا يتفق مع محته فيضطر نفسه ضررا بليغا فيجب أن ينظر الى هذا باعتباره حالة من الأحوال المضادة للطبيعة لا الموافقة لها ، ألا تنتظر للطيور وللحيوانات الأخرى فهل رأيت فيها ما يترتب عقب الأكل من الإفراط فيه

رغمما عما يقوله الناس اليوم من أنه لا ينبغي لمن أكل وملا معدته أن يملج ، أنصح بالاضطجاع عقب الأكل مدة من (٣٠) الى (٤٥) دقيقة فان الأعضاء الأخرى متى ارتاحت انصرفت دورة الدم كلها الى المعدة فتم هضمه على ما يرام ، وما يجب العناية به أن يقتصر الانسان تنفسا طويلا لجة صرات عقب كل أكل في الهواء الطلق ليخلط لقتل الكافي من أوكسجين الهواء بالدم ليم الهضم على أحسن حال

(٣) - ماذا ينبغي للانسان أن يشرب وبأكل ؟

يجب على الانسان أن لا يتناول إلا الأغذية السهلة الانهضام الخالية من الاصول الضارة ، وهذه الأوصاف تنطبق على جميع الفواكه والحبوب وخصوصا القمح ، فهو فضلا عن وفرة أصوله الغذائية يحتوي على جزء عظيم من الفوسفور وهو العنصر الضروري لحفظ سلامة المخ ، فقد قال مولوت : « اذا لم يكن فوسفور فلا فكر » ويجب أكل النباتات الخضراء والفواكه ، واذا كان الانسان اليوم لا يكتفي بها وحدها فقد كانت في الأزمان السالفة هي الغذاء الوحيد لكثير من الناس . ولقد كثر اليوم مبدأ الإفراط في العمل وهو أمر مضاد للطبيعة . وأنا لرى أن هذا الإفراط ليس ضروريا بل هو ناشئ من سوء النظام . وفي نظرنا أن نصف هذا العمل يكفي لامة أمر الحياة كما يجب واذا ذلك لا يحتاج الانسان أن يتناول الأغذية الثقيلة الدسمة كما هو حاله اليوم

فأنت لنت لنا الدكتور (باتار) و (سوكسى) بصياهما ويراضتهما أن الانسان يكفيه قليل من الغذاء والذي نراه انه لا يجوز أن نخول للمائدة من الفواكه يوما واحدا لأنها مرطبة ولها دخل عظيم في حفظ الصحة . أما اللحم فيجب أن يعتبر في الأطعمة من توابلها لا غذاء قائما بنفسه فان له تأثيرا مهيجا ضارا بالبدن وليأخذ الانسان دليلا على ضرره وتبعيته من اجاع الأطباء على تحريم قاطبة اللحم بالحي . والأغذية التي تضر المرضى تضر الأصحاء لا محالة وان يكن الأصحاء لا يحسون بضررها بسرعة على . أن القيمة الغذائية للحم ليست بالقدر الذي يظنه الناس عادة فان الرطل من الحنطة أو من الحبوب الأخرى أو من النباتات الخضراء الخ يزيد في القيمة الغذائية عن رطل من لحم البقر الجيد . وهنا ننبه على أن أكثر الناس يخطئون خطأ عظيما في اعتقادهم أن اللحم يزيد أجسادهم قوة ويعلوهم حياة وقوة . بل الأمر بالعكس فان الاكثار من أكل

اللحم صار للدرجة التصوي . وأما النباتات فهي الغذاء الجيد الصالح لحفظ قوة الانسان الجسدية والعقلية وتوفير سعادته البدنية ، فكما أن الطبيعة تميد في كل فصل شبابها وتستدعي بذلك إعجابنا ، كذلك تفعل النباتات في أجسادنا فانها تميد اليها قوتها وتملؤها حياة ونشاطا بخلاف سواها من الأشربة والأطعمة كالقهوة والشاي واليرة والاعم والتبغ . أما التوابل فانها تهيج المعدة وتفسدها حتى قد تبلغ بها ضغى قوتها ولكنها تنهى باضعافها فلا يعود الانسان قادرا على الهضم ، وكذا أنس الانسان بالأشياء المضادة للطبيعة بسد عن الموافقة لها ولا يسترد سيرته العقولة في موافقة الطبيعة إلا بالعود ، قد يتبرم الانسان من اخلاف عادته حينما من الزمان ولكن متى زال أثر العادة السببة حل محلها أثر العادة الطيبة بما يستتبعه من راحة وصحة وهناك وعليه فاني أنصح بعدم أكل التوابل والاكتفاء بتعاطي الأشياء مجردة فان كل صف تابل فيه . أما ما يشربه الانسان فلا ينتظر من مثل أن ينصح بتعاطي الأشياء الضارة ولو كان في الناس من يصر عليه أن يقطع عن عادته فيلصر عليها حتى الممات ولكني أخطب أولاده وأحاول أن أقنعهم بما يجب عليهم أن يتعدوا عنه . أما لا أستطيع أن أذن لأحد بتعاطي اليرة ولا العرق ولا التبيذ ولا القوة ولا الشاي . فإذا لم تكن تستطيع أن تقطع عنها نباتا فقلل منها ما استطعت . أما للمشروب الوحيد النافع للانسان الملامح لصحته فهو الماء الصافي العذب فاشرب منه ما دئت . والذين لا يستطيعون إساقع الماء القراح فهم مرضى ولا يزالون مرضى حتى يستطيعوا إساقعته دون سواه

أما لا أريد أن أرجع بالانسان الى دور الوحشية الأولى ولكني أريد أن يستفيد الناس من مزايا الاخشياب في الأكل وهي المزايا التي يتمتع بها دوننا المتوحشون . ولا أريد كذلك أن أتخذ من حال الهنود المتبرين مثلا يحتذي في حياتنا فانهم أيضا قد أصابهم عدوى مدنييتنا فأصبحوا عن الصراط ناكبين يظهر من حال طبيعتنا أننا لم نخلق إلا لأكل النباتات دون سواها . فإذا تأملنا في تركيب أجسادنا رأينا أنه ليس فيها ما لأكلة اللحوم من الحيوانات من اقبالية لتعاطي اللحم فليس لنا أنياب الوحوش ولا مناسر الكواسر الخ . وقد أحكم الله كل ما وضعه فلا يصح أن نقرضه غلط أوحاد عن جادة الإبداع وعليه فلا أدل للانسان في أمور عيشه وسعادته من القانون الطبيعي فهو لا يهدين إلا لما فيه المصلحة ولا يزعنا إلا عما في تعاطيه للمضرة . فإذا خرج الانسان عليه ولم يخضع لارشاداته عاد أمره عليه بالوبال . وذاق من جراء عصيائه أسوأ الأحوال

فإذا كان الله جل شأنه خلق لكل كائن استعدادا خاصا لأنواع الغذاء لا يجوز له أن يتعداه ساغ لنا أن نجزم هنا بأنه تعالى خلق الانسان نباتيا صرفا . وإذا كان الأمر كذلك فلا يعقل أن انسا ما يستعدهمته وينال سعادته إلا اذا عاد للأغذية النباتية وترك ما سواها سواء أكان ذلك طفرة أم تدريجا ، ولا عجب اذا كان الانسان وهو أكرم المخلوقات وأشرفها يقتصر من غذائه على أكرم الأطعمة وأطهرها وهي الفواكه الناضجة اليابسة ، وقد دلتنا الطبيعة أيضا أن الانسان اذا اقتصر من الأغذية على ما يناسب استعداده وهو الأطعمة النباتية دون سواها عاش عمرا طويلا مهنا في نفسه معافي في بدنه بخلاف ما لو تعاطى ما يخالف استعداده كالعرق واليرة والقهوة والتبغ الخ

ومما يؤسف له أن نحو من (٩٠) في المئة من الناس يعيشون في شروط معيشية تناقض الطبيعة ، وليس بعد ما قد علمناه حجة في أن هؤلاء متعزّضون بهذا السلوك السيئ لأنفس المصائب وأكبر الآلام الانسان يعيش اليوم مقودا لتقليد الجمهور عتملا في هذا السبيل الآلام المختلفة وصفوف الضعف والقبول فما أجدره بقرأة المؤلفات الموضوعة في الطب الطبيعي ليتشغل نفسه من هدة هذا السقوط . نعم إن من يريد أن ينجح ناصحي يجب أن تكون له ارادة من حديد . ومما آسف له أن هذه الارادة صارت اليوم أعز من

أثن أنواع الجواهر

إن الطبيعة لترينا ، وحال آدم في الجنة شاهد علينا ، بأن ليس الحيوان وحده هو الذى خص بوجدان غذائه حاضرا أبنا سار ، بل أتم الله على الانسان أيضا بهذه اللزى وكفاه مؤنة هذه المشاق التى يعملها نفسه في تحصيل الغذاء ، فضلا عن أن الانسان قضى على نفسه بنفسه أن يكون غذاؤه بعيد المال كثير التكاليف أوجب على جسده أيضا حاجات مصطنعة وهمة تمت جيش آلامه وترتد في ويلاته على غير جدوى . انتهت النصيحة الخامسة

﴿ النصيحة السادسة ﴾

(إراحة المعدة واعطائها زمتا كافيا للهضم)

(مترجم عن كتاب سر الصحة تأليف الأستاذ دو فورست)

« أولا ، يجب اعطاء المعدة زمتا قليلا ترتاح فيه بين ساعات عملها فان مضى خمس ساعات من بعد انتهاء الأكلة الى ابتداء مايبها فليس بالوقت الطويل فان الهضم المعدى يتطلب من (٤) الى (٥) ساعات في أغلب الأحوال

« ثانيا ، كل الأغذية يجب أن تكون خارج المعدة قبل ساعة النوم لأن النوم يضرم الهضم ضررا بليغا
« ثالثا ، اذا كانت الأكلات مستوفاة ومعوطة في الأوقات التى تكون قوى الجسم فيها على أتم ما يكون (أى في الساعة ٨ صباحا و ٢ ونصف بعد الظهر مثلا) فان أسكتين في اليوم تكفيان أكثر الناس وخصوصا من كانت حياتهم جلوسية فاذا كانت الساعات التى عيناها لانوافقهم فالأولى أخذ ثلاث أكلات في اليوم بشرط أن تكون الأخيرة خفيفة وتؤخذ بين الساعة (٦) و (٧) للصاين بالحى أو بأمراض أخرى عن يخضعون لنظام الأغذية السائلة وكذلك الأفراد الطاعنون في السن والضعاف والأطفال من دون السنة يستثنون من هذه القاعدة

﴿ الضلالات الغذائية ﴾

(عن الأستاذ دو فورست أيضا)

« أولا ، الأكل بين الأكلات : اذا استسلم الانسان لهذه العادة أفسد عليه نظام معدته فان الجهاز الهضمي معد للعمل بطريقة منتظمة ولايستطيع أن يعمل في كل وقت ، مثله في ذلك كمثل كل عضلة من العضلات الجسدية فيجب أن لايدخل شئ الى الفم بين أكلة وأكلة ولوكان قفاحة
« ثانيا ، الأكل بسرعة : اجنب هذه الضلالة بأخذ الأغذية الجامدة فان حفظ الحياة لا يكون بقدر الأغذية الزرددة بل بقدر الأغذية التى يمثلها الجسم ، ولأجل الحصول على تمثيل تام يجب أن تكون الأغذية التى تؤخذ جافة تستحيل الى عجينة بواسطة الأسنان واللحاه

« ثالثا ، الأغذية الحارة جدا تضعف المعدة وكذلك السوائل الحارة جدا
« رابعا ، الأغذية التى تدخل المعدة باردة تقتضى من جهة الجسم صرف قوة حيوية لايساها الى درجة الحرارة الجسمية قبل أن يتبدى هضمها

« خامسا ، الأغذية السامة (المقاولة على الخصوص) المركبة تهيج الشهوة ولكنها تصعب الانهضام جدا ولاتصلح لما جيد

«سادسا ، الفلفل والخل والقرنفل والقرقة وجميع التوابل ليست من الأغذية لأنها تهيج المعدة والمجموع المعصى وتحدث نزلات وأمراضا عصبية تمعدية (بكسر العين) وعلاا أخرى وتفسد الشهوة بتوجيه الطعم الطبيعى للأغذية

وسابعاً الحين والمحفوظات في الخلل من الأغذية أى المخلات واللحم وما يستعمل قلا من الأجسام السامة المركبة وخصوصاً اذا أدخل اليه من يكر بونات الصودا وقشدة التاوتر (وهي تتخذ بماء يوسب في براميل التبيد الخ) لايجوز بأى وجه من الوجوه أن تدخل الى المعدة الانسانية ولايجوز أن تكون جزءاً من غذاء انسان يريد أن يستعيد صحته أو يحفظها في حالة جيدة ، والنيهات من السوائل والمشهيات والخمر والشاى والقهوة والشكولاتا هي أكثر ضرراً أيضاً ، أما التبغ فلايجوز أن يذس جسم الانسان الذى يحب حياته وصحته . انتهى الكلام على النصائح الست والمجد لله رب العالمين

﴿ المقام الثانى ﴾

فيما ذكره أحد الأطباء في بعض المجلات العلمية تحت العنوان الآتى وهذا نصه :

﴿ الفيتامينات ﴾

(موارد الحياة)

تعددت أبحاث العلماء في الفيتامينات وأتواها فنشرت الصحف والمجلات في أوروبا عنها صفحات عدة فارت تلخيص أهم ما عرف عنها لقراء « مجلة النهضة » القراء وفي نشرها فائدة لا تخفى على حضراتهم إذ طبقوا هذه المعلومات على غذائهم

إن العلماء عرفوا الفيتامين كما يستدل من اسمها بمرور الحياة وقسموها لأقسام : (أ) و (ب) و (ج) و (د) وقد كشفوها في مواد الغذاء الطازج النقي وهو على حالته الطبيعية ، ومصدر الفيتامين في هذه الأطعمة هي أشعة الشمس التي لاحياة ولاغذاء بدونها وهذه الفيتامينات تفقد وتزول في الغذاء متى قدم بتأثير النار والتعفن الخ

إن هذا الاكتشاف يدلنا على منافع الغذاء الطيبى بدون تحضير كالتحضر النيئة والقواكه الطازجة التي لا تدخل النار واليك البيان : إن أنواع الفيتامينات لا توجد في صنف واحد من الغذاء بل هي في أنواع عديدة من المأكول فيجب على الانسان أن يتعد أصناف مأكله حتى يستفيد من موارد الحياة هذه لأنها ضرورية ولا يستغنى عنها وتقصاتها من الجسم أوقداتها منه تسبب أمراضاً عديدة خطيرة على الحياة كما ثبت ذلك من التجارب الآتية

حسب بعض العلماء بعضاً من الحيوانات في مكان مظلم ومنعوا عنها الغذاء الطازج المحتوى على الفيتامين وهي بعيدة عن نور الشمس فأصبحت هذه الحيوانات بالكساح كما أن صفارها أصبحت بوقوف الخ فتسلما وضعفت قوتها بصرها وهزلت وهذا تماماً ما يحصل للانسان ويعرف بهاء (أفيتمينوس)

ولما أعادوا هذه الحيوانات الى نور الشمس وأطعموها غذاء طازجاً يحوى على الفيتامين خلاف الغذاء الأول الذى أعطى لها مده وجودها بالظلمة استعادت قوتها وشفى صفارها من الكساح ، ثم عاد العلماء الى التجربة في الانسان فعمدوا الى ركاب البحار الذين يأكلون الأطعمة المحفوظة في العلب والتي فقدت الفيتامين فوجدوا أن هؤلاء جميعاً معرضين لمرض الاسقربوط وفساد الدم وللين العظام عند الاحداث فهاجمهم جميعاً بعادة الأغذية المشبعة بالفيتامين وبأشعة الشمس الطبيعية اذا وجدت أو الصناعية (فوق البنفسجية) فشفوا تماماً في مدة وجيزة ، وقد كانوا قبلما يعالجون السنين الاولاد دون أقل أمل في الشفاء ، مثال ذلك الاسقربوط الذى يشفى بصير الليمون المالح والبرتقال والتحضر النيئة ولا يشفى بملح الليمون أو شربات البرتقال أو الخضار المغلي على النار ، ثبت علمياً أن في المأكولات الطازجة النيئة فيتامين أوه وأردحيوه لاغنى للانسان عنها في غذائه كما ثبت أن لبعض الزيوت النيئة فائدة كبيرة في شفاء الكساح ولين العظام عند

الأطفال يجربوا استعمال هذه الزيوت نفسها بعد غليها على النار أو وهي قديمة فلم تأت بفائدة مطلقا ثبت
لديهم أن فيها مادة حيوية وهي الفيتامين ، ووجدوا أن الحبوب كالقمح والقمح والذرة إذا استعملت نيئة
وملازمة (كالفرريك) تعطى قوة عضلية عظيمة كما هي الحال في آكلها من الحيوانات كقوة الثور على
جر الأثقال الخ ومعنى طبخت أو خبزت فقد قوتها الحيوية بنسبة اتلاف النار للفيتامين فيها ، ولقد دلت
التجارب في الإنسان والحيوان معا حتى استعملوا أعضاء الحيوانات السليمة لشفاء الأمراض التي تصيب
مثل هذه الأعضاء في الإنسان فاستعملوها نيئة وأتت بفوائد جمة ، منها استعمال خلاصة المبيض والغدد
الكوبية والدرقية والمصبتين والثديين الخ

وأخيرا ظهر دليل قاطع حديث وهو : عالجوا فقر الدم الشديد الذي يصيب الاحداث من الناس عند بلوغهم
وعلى الأخص النبات بجميع أنواع العقاقير والعلاجات فلم يجد نفعاً حتى رفق العلم الحديث الى اكتشاف خطير
وبسيط جدا ، فقد عالجوا هذا الداء المسمى الكوروزا وفقر الدم الشديد بالكبد النيء الطازج المأخوذ من
حيوان سليم وعلى الأخص كبد الجبل يأتي بفائدة مذهشة عقوها في الدم بمجزة ، ولكن اذا عولج الكبد
بالنار فلا فائدة فيه لأن النار تفقد الفيتامين

وبعد كل هذه التجارب أذاع العلماء قرارهم هذا النهائي القاضى بتعديل طرق الغذاء عليها انتهى من
مجلة « النهضة النسائية » ١٩٦٠

ولقد جاء لتفرواف في الصحف ان حكما روسيا قضى (٢٠) سنة في التجارب أثبتت له أن الانسان
يمكنه أن يعيش (١٦٠) سنة اذا اقتصر على أكل النبات الذي لم يطبخ

فلما سمع صاحبي ذلك قال : إنك أثناء لقائك هذا الموضوع تبين لي في وجهك آثار آراء تختلج في
قلبك ؟ قلت نعم . فقال فاذا رأيت في هذا ؟ قلت : الفيتامين في العلم والدين كالفيتامين في الغذاء ، إن الذي جاش
بخطري في أثناء إلقاء هذا المقل هو أن الأمم الإسلامية التي ظهرت بعد القرون الثلاثة الأولى . فعلت في الدين ماضله
الناس في الطعام من التجافي عن الحقائق والتباعد عن الأصول والاستغراق في مباحات القشور وظواهر الأمور
الاهم إنك أت العليم بما جناه الناس على أنفسهم في طعامهم إذ أماتوا مواد الحياة بطبعه ونبد قشوره
وما يسمونه الدق في القمح ، وما يسمونه النخالة (وبعبارة أخرى) ان ما يستلذه الناس من ما كلهم التي
امطرحوا عليها هو المفسدة العظامي لصحتهم ، هكذا فعلوا في الدين ، ذلك انهم لما تبوءوا العلم والابحاث
أخذوا يفكرون في الدين ماضله في الطعام واللباس ، فكما أن حجب الجسم عن ضوء الشمس ولقه لفا وثيقا
يحب عنه الهواء والشمس وهكذا زج الطعام في النار كل ذلك مضف لصحته هكذا نهافت الناس
على كتب المتأخرين وتركهم نفس كتاب الله تعالى وابعادهم عقولهم عن المباحث الشريفة أضف أنهم
وأزلم في الحضيض ، وما الاتسكال على الكتب الموروثة التي كانت نتائج انصار العقول الكبيرة في الأمم
الإسلامية الغابرة وعدم تعرض عقولنا نحن الى نفس كتاب الله تعالى وكتاب رسوله ﷺ ومناظر المشاهد
الطبيعية إلا كالاتسكال على ما أوقدنا عليه النار وطبخناه من الطعام (كالعلوم المطبوخة بنار العقول الكبيرة
الإسلامية بعد القرون الأولى) وكالاتسكال بالملابس التي حجبت أجسامنا عن نور الشمس وهي لا تقنى عنه
فتيلا ، فليكن عمدة المسلمين من بعد الآن كتاب الله تعالى وكتاب الطبيعة ودراسة علوم الآفاق والأنفس
وهذه الطاقة هي التي تتولى قيادة الأمم الإسلامية بعدنا وهم هم الذين يفهمون كلام الله ، وكيف يفهم كلام
الله إلا بدراسة فعله . القرآن كلام الله والعالم فعله فلندرس دراسة تامة وبها نفهم كلامه . وغير هذا لا يفيد
فقال : لقد نطقت بحكمة وأفدت بعلم ولكن لازلت أحب أن تفيض في هذا الموضوع بعض الافاضة لتبيان
للموازنة ما بين آراء المذاهب والفرق المتشاكسة وما بين الطعام المطبوخ . قلت : لاجرم أن النار التي بها نطبخ
طعامنا ما هي إلا من آثار الشمس . ألا ترى رعاك الله أن الفحم الحجري المذكور المشروح في أول (سورة

سأ) وهكذا الخشب وغيره كلها قد خزن فيها ضوء الشمس تصلح لاقطاد النار فيه . والشمس هي المنضجة المعبود واللفواكه . فلما رأى الناس ذلك قديما ظنوا أن النار في الطعام آثارا كآثار الشمس من حيث الإصلاح فأوقدوا النار على طعامهم والنار ما هي إلا ائنة الشمس والفرع ينوب عن الأصل كما عبدوا الأصنام النابتة عندهم من الكواكب كما هو موضح في أول ﴿سورة البقرة﴾ عند آية - يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم - الخ هكذا فصلوا في الديات ، ففي كل أمة متدينة علماء لهم مذاهب مختلفة صهرتها عقولهم وأوقدوا عاينها نيران ذكهم كما أوقد الناس النار على طعامهم ، وهؤلاء العلماء إنما استمدوا آراءهم من دينهم مع إضافة تفكيرهم بعقولهم كما ان الخشب والفحم استمدتا الحرارة من الشمس وقد دخلت صناعة الناس فيهما وأوقدوها نارا بطبخ طعامهم ، وهل تريد لهذا يانا أكثرهما في كتاب « الفرق بين الفرق » وكيف ظهر أن هناك نحو (٧٣) فرقة كل فرقة ترى الحق معها وتدعي جهل جميع المسلمين ، وأولئك المذاهب الباطنية الموصفة في ﴿سورة الكهف﴾ عند آية - وما كنت متخذ للظلمين عضدا - وهكذا مذهب البهائية في الفرس والأحمية في الهند وغيرهم ، فهؤلاء جميعا أشبه بمن يأكلون الطعام الذي أذهبت النار قوته الحيوية إذن فليرجع الناس الى كتاب ربهم والى فعله في العوالم ، وهذا هو الأمر الواجب اليوم على المسلمين جميعا في أقطار الأرض

أيها المسلمون : لحياء لكم بعد الآن إلا بأن يكون القائلون بأمركم من علماء وحكام وأمرأء وملوك أحوص الناس على العلوم الرياضية والطبيعية والفنن منها ومن دراسة القرآن وأصح الأحاديث مع المحافظة على أركان الاسلام المعروفة ، فهناك حقا تتجلى لهم هذه المذاهب الاسلامية في الفروع وفي الامول وهناك يظهر للاسلام رونق فوق ما نحن عليه الآن

وكما أن مادة الحياة ضعيفة في المطبوع من الطعام كما قلنا بسبب إيقاد النار عليه وان كانت النار رينة الشمس وابنتها ، هكذا الحياة العلمية والدينية في بلاد الاسلام تبقى خامدة جامدة مادامت قاصرة على دراسة الآراء المستنبطة في المذاهب المختلفة والفرق المتشاكسة والافتقار على ذلك ، بل هذه المذاهب كلها يجب أن يضم اليها دراسة نفس القرآن وما صح من الحديث وجميع العلوم الطبيعية

إن المسموع اذا خلا من المنظور كان قصيرا على التقليد المحض وهو أنقص المعلومات ، هذا واتجهب أيها الذكي من أن هذا المقال كله يدخل في غوى قوة تعالى - وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فآ أغنى عنهم سمعهم ولا أبصرهم ولا أفئدتهم من شيء - الآية وهل - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا - فانظر الترتيب على وتيرة واحدة في الآيتين . فالسمع يسمع القرآن والتاريخ المنقشرين الأمم والعلوم الكثيرة . فاذا سمعها وقف عند سماعها فهو غني - فلذلك أعقبه بذكر البصر الذي يشاهد به العلوم الطبيعية وهي تجزء الى العلوم الرياضية ليدرس نظام الفلك وغيره . ولن يتم ذلك كله إلا بالاعتقل فاذلك أعقبه بذكر الأفئدة . فانظر ترتيب حكم في الآيتين . ثم انظر لامة الاسلام الحالية والسابقة كيف ناموا على مسمعوا واتسكوا على الشيوخ السابقين ودامهم مسموع من المسموعات فالقرآن مسموع وكلام العلماء مسموع فلماذا لا يفكر المسلم في المحسوسات التي حوله لتوضيح ماسمعه ؟ ويجمع هذا كله من وجه آخر ﴿ آياتن : الأولى ﴾ - أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها - ومثلها آية - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - ﴿ الآية الثانية ﴾ - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - . فالأولى تدبر المسموع والثانية تدبر المنظور والتدبر لا يكون إلا بالعتل

إذن المسلمون بعدنا سيتجلى الله عليهم براءة علوم السمع وعلوم البصر وعلوم العقل وهذه تجمع القسمين وهم هم الذين يقولون كلام الله تعالى وينهمونه أكثر من الأمم السابقة بعد الصدر الأول - والله

فلما سمع صاحبي ذلك قل : لقد شغيت صدري وشرحت بهذا البيان . فقلت الحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم والحكمة ﴾

(في قوله تعالى أيضا - قل فبِعزَّتِكَ لأغوينهم أجمعين * لإعبادك منهم المخلصين * قال فخلق والحق أقول لأملأن جهنم منك وعمن تبعك منهم أجمعين * قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين - الى آخر الآيات وتعلم السورة)

هذه القصة الآدمية الإبلسية جاء في أولها كبر إبليس وعظمته وتكبره على السجود لآدم وامتناعه عن التواضع كما امتنع الآساد والغور والسباع عن الخضوع للإنسان وتنازلت في البراري والقفار والأودية وتعالى بما أحسن في نفسه من القوة النارية التي خلق منها ، فاستوجب اللعنة وأخذ يضيئ كثيرا من بني آدم ليطعوه في أخلاقه فيتكبرون ويغلون المعاصي كالقتل والحرب والحسد والعداوات ، فكل هذه من آثار النيران المتأججة في القلوب التي تمت بصلة الى طبائع الشيطان ، ثم إن بني آدم زادوا معاصي أخرى على إبليس وهي المعاصي التي جاءت لهم من جبلتهم وظهرت على أيديهم بسبب أصل خلقتهم وهي الحرص والبخل والشح والطمع والاسراف في المأكل والمشرب وما أشبه ذلك ، فهذه النوع من المعاصي سببه ناجم من أصل خلقته وهي المادة الطينية ، إذن المعاصي كلها « قسيان » قسم جاء من طريق الغواية وهي آثار القوى الفضية مشاكسة لأخلاق الشياطين ، وقسم يرجع منشؤه الى جبلته الانسان وهي القوى الشهوية ، وهاتان القوتان مركوزتان في أنواع الحيوان ، فما كان منه من أنواع البهائم مثلا وبعض الطيور اللاتي لاتأكل اللحوم وإنما تقتذى بالثمار والحشائش وما أشبهها ، فهذه تغلب فيها القوة الشهوية ، وما كان منه من أنواع السباع والنسور وكل حيوان كسر فقد غلبت عليها القوة الفضية ، والانسان جمع القوتين وزاد عليهما قوة الحكمة والعلم والعقل وكان فيه الحكماء والعلماء ، والانسان الأول سارمع الفطرة قبل أن تفسد غريزته وتقتله بطلته وتذله شهرته وتستويه هاروته ويدوق العذاب الأليم ، وقصة آدم كبرت في القرآن لتذكيرا بما كان عليه أسلافنا القدماء من الهناء وراحة البال والسعادة الدنيوية قبل أن تنزل بنا الزايا والبلايا والمصائب وحلول الداء وذهاب الهناء ومن سار في كرتنا الأرضية يجد لهذه القصة الآدمية بعض الآثار من بعض الوجوه ، ألم تر الى أن بعض العوائد التي لاتزال عند بعض أهل السودان ، فقد جاء في بعض المجلات التي تصدر في دار الحلال بمصر في زماننا ما نصه :

﴿ ماذا في السودان من غرائب العادات ؟ ﴾

للسودانيين الأصليين عادات غريبة ولاسيا القاطنين منهم في أعلى النيل وماجاور خط الاستواء فانهم أقرب الى زنجافريقية منهم الى أهالي الخرطوم ، والساكنين في شاطئ النهر الذين يشبهون في كثير من عاداتهم وأخلاقهم أبناء الوجه القبلي من المصريين ويحبون أن ينسبوا اليهم ويكرموا النازلين منهم في ديارهم . ولكن مما يمتاز به السودانيون القاطنون في الجنوب عن اخوانهم أهل الشمال الجرداء والشجاعة الكبيرة التي يكاخفون بها الطبيعة والوحوش الكاسرة لقاطنة في بلادهم كالاسود والقهود والقردة الوحشية والهور العادية والعاين القاتلة ذات الحجم الهائل والشكل الخفيف وهذه الشجاعة تكاد تكون هي السلاح الوحيد الذي يستطيعون به مغالبة هذه الحيوانات الشديدة البأس حتى يتصرفوا عليها ويدفعوا شرها عنهم وعن أطفالهم على أن كثيرا منهم يخرج للعبيد في الصحراء فذا مالافي فيلا أو نصبا عظيميا أخذ يطارد حتى تغلب عليه

ويصلده ثم يقوده الى داره ليكون طعاما له ولبن عنده من زوجته وأولاده . وقد أخبرني أحد الضباط انه كان سائرا ذات مرة مع ضابط من السودانيين الأصليين وكان الليل قد نشر أجنته وانظلام غمما على الطريق وهما في وسط غابة مزدهجة بالأشجار والادغال ، وبينما هما كذلك اذا بهما يحسان تحت أقدامهما بلحيم طري فالتفت الضابط المصري الى زميله السوداني وسأله : ماهذا يا فلان ؟ فنظر الضابط السوداني الى الأرض وبعد أن تحقق منه قال له : هذا ديب ، والسودانيون يسمون الحية عندهم ديبا ثم أمره بالابتعاد وسل سيفه وضرب الحية ضربة قوية جعلتها تنز من مكانها فورا فالتحى بها تريد قتله والقضاء عليه ولكنه أسرع ففصرها ثانية وثالثة وهوثابت في مكانه لا يتزحج حتى قضى عليها وصارت جثة هامدة . وبعد أن تحقق من موتها قطع رأسها ثم حملها معه . ولما وصل خيمته قطعها قطعاً وشوهاا كلها وأخذ يلتمسها التهاما ومن عادة السودانيين أن يأكلوا القبل أيضا فيصطادونه ويحمله طعاما لذيذا لهم . وليس ذلك لقلة ما عندهم من الحيوانات المستأنسة كالغراف والبقر والجاموس والابل بل إن عندهم من هذه الأنواع كثيرا ولاسيما أن هناك قبائل ليس لهم من عمل غير رعاية الإبل والبقر وتربية الخراف . وقد سمعنا من بعض الذين زاروا تلك القبائل أن الخروف الواحد يمكن شراؤه هناك بتسعة قروش أو عشرة . ولبعضهم طريقة خاصة في شئ الخروف أوفره من الحيوان فانهم بعد أن يقطعوه قطعاً يدهنون تلك القطع قبل دخولها النار بالقلقل . وبعد تمام شيئا يأخذون في أكلها حارة ويضيفون فوقها أثناء الطعم بعض التوابل مما يزيد في حاريتها وحراقتها . ولا تطيب لهم لذة الطعام إلا اذا كلف مضافا اليه جانب من القلقل والتوابل ويعتقدون أن في ذلك صحة وعافية وقوة

وإذا تزوج شخص عمل له عملية « البخور » وهذه العملية خاصة بضعف البنية . ولكن بعض الأقوياء يعملونها عند ابتداء زواجهم بل وبعده . وطريقتهما أن ينام الرجل على سرير من ليف مصنوع على هيئة شبكة وهو عاري الجسم تماما ثم يوقد تحت السرير موقد تصنع فيه المرأة بخورا خاصا يتصاعد دخانه حتى يشمل جسم الرجل مدة من الزمن ثم يقوم فيلبس ثيابه ويتناول بعض الأطعمة المغذية كالقراخ أو الحام ويكث على ذلك بضعة أيام يكتسب بعدها قوة ونشاطا

وبمناسبة الزواج يقول إن بعض القبائل يهجرون الزواج عند شيخ القبيلة ويسمون في عرفهم (سلطان القبيلة) وتجري صيغة العقد بين الزوج والوالدة الزوجة بواسطة سؤال السلطان عن رغبة كل منهما في المصاهرة ثم يدفع الزوج قدرا من المال الى والد الزوجة فيأخذه ويشرى به حديدا يحفظه عنده حتى اذا حصل بين الزوج والزوجة مايجب الانفصال دفع والد الزوجة هذا الحديد الى الزوج وأخذ ابنته

وتعدد الزوجات منتشرة في قبائل السودان . ولكن لايجد الرجل في ذلك ماينقص عيشه بكثرة منازعات الزوجات فانهم كثيرا ما يمكن على وفاق وتمام . والرجل السوداني يحب أهل زوجته حيا يقرب من العبادة ولعل هذا في الأكثر هو السبب الذي ينتظم به شأنه وتزداد راحته خصوصا ان من طبائع السودانيين التعاون في الشدائد والقناعة التي تجعلهم يرضون بالكسرة اذا رأوا أن في غيرها مايجب النزاع . ومعظم أكلهم الفترة العريجة أو المخبون منه (المريسة) وهي طعام محبوب عندهم . وهناك يتعففون عن سرقة بعضهم بعضا وقليل ما تقع حوادث سرقة كبيرة بل إن الرجل منهم قد يترك متاعه في الطريق ويذهب لقضاء حاجته من مكان بعيد ثم يعود فيجد حاجته كاهي لم ينقص منها شئ . وفي المواسم الشهيرة كالمشجوراء ونصف شعبان يمتلئ طعامهم أمام منازلهم ويسمونه عشاء الميتين والغرض منه اطعام الفقراء وغيرهم بمناسبة هذه المواسم رجاء الرحمة من الله على موتاهم السابقين . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة والحمد لله رب العالمين اذا عرفت هذه القصة عجبت كيف كانت هناك القناعة والأخلاق الفضيلة المفقود أكثرها في الأمصار

العاصرة والمدن العظيمة في بعض بلاد الاسلام ومنها بعض بلادنا المصرية وهناك تفهم ما نسئمه من « اخوان الصفاء » في المحاورات بين الانسان وأنواع الحيوان وبه تفهم أن علماء الاسلام منذ ألف سنة كانوا قد بلغوا شأوا عظيما في العلم والحكمة وأدركوا بعض أسرار هذه القصة وأخذوا يذكرون النوع الانساني بمواقع فيه من الانهماك في الشهوات الذي كان هو السبب في ظلم ذل لا يختص بالحياة الأخرى في جهنم بل إن العذاب أخذ يحيط بالناس في هذه الحياة الدنيا وإن كان أكثرهم لا يفهمون اليوم انهم قد يحمل لهم العذاب الآن ، إذن هنا ذنوب لحقها العذاب في نفس هذه الحياة الدنيا وسيستمر إلى آتاء وآتاء بعد الموت وهذا نصه :

« قال الملك : يا معشر الانس قد علمتم وسمعتم ما قل وفهمتم ما أجب ، فهل عندكم شيء آخر ؟ فقام انسى آخر أعراي وقال نعم أيها الملك لنا خصال ومناقب تدل على أننا أرباب وهم عبيد لنا . قال الملك هات واذكر منها شيئا . قال نعم . قال وما هي ؟ قال طيب حياتنا ولقيد عيشنا وطيبات ما كولاتنا من ألوان الطعام والشراب واللذائ مما لا يحصى عددها إلا الله تعالى وما طولاها معنا شركة فيها بل هم بمزحل عنها وذلك ان طعامنا لب الخمار ولها قشورها ونواها وحطبها ، ولنا لباب الحبوب ولها تنبها وورقها ولنا شيرجها ودبسها ولها كنسها وخشبها ولنا بعد ذلك ألوان الخبز والرخفان والأقراص والجراذق من السميد والمتلون والكمك وغيرها ولنا ألوان الطيبخ من الكباج والاسفيداج والمضائر والهرائس والجواذيت وألوان الكواميخ وغيرها من الروامين وألوان الأشربة وألوان الشوى والحلى والخبيص والقطايق واللوز بيخ ، ولنا ألوان الأشربة من النج والبيذ الخالص الجيد والقارص والسكنجيين والحلاب والبقاق ، وألوان الألبان من الحليب والرائب والماسق والذوق والسمن والزبد والحلين والكشك والمصل وما يعدل منها من ألوان الطيبخ واللذائ والطيبات والمشتبهات ولا يحصى كثرة ذلك إلا الله تعالى وكل ذلك هم بمزحل عنه وخشونة طعامهم وظلها وجفافها وقلة الرائحة الطيبة منها وقلة دسومتها وحلاوتها دليل على قلة لقنتهم منها وهذه الخصال للعبيد وتلك حال أرباب النعم الأحرار الكرام ، وكل هذا دليل على أننا أرباب لهم وهم عبيد ومزحل لنا أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

فقطي عند ذلك زعيم الطيور وهو الهزارداستان وكان قاعدا على غصن شجرة يترنم مقام وقال الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، القديم الأبد ، العالم السرمد بلا شريك ولا ولد ، بل هو مبدع المبدعات وخالق المخلوقات وعلو الموجودات ومسبب الكائنات من الجادات والنباتات وبارئ المبرآت صرّك السموات ومولد الموليدات كيف شاء وأراد

واعلم أيها الملك الكريم أن هذا الانسى افتخر بطيب ما كولاتهم ولقيد مشروبهم ولا يدري أن ذلك كله عقوبات لهم وأسباب للشقاوة وعذاب أليم إذ في حوامها عذاب وفي حلالها حساب وهم فيما بينهما من الخوف والرجاء . قال الملك وكيف ذلك ؟ بين لنا ؟ قال نعم وذلك انهم يجمعون ذلك ويحصلونه بكثرة أبدانهم وتعب نفوسهم وجهد أرواحهم وعرق جبينهم وما يلقون في ذلك من الشقاوة والهوان مما لا يمد ولا يحصى من كد الحرث والزرع واثارة الأرض وحفر الأنهار وسد الشق وعمل البرديات وتعب الدواليب ويجذب الغروب والسقي والحفظ والثقافة والحصاد والحل والجمع والبيع والشراء والتثنية والكيل والقسمة والوزن والطمع والجهن والتجبر وبناء التنوير ونسب القدور وجمع الحطب والشوك والسرقة ووقود التبران ومقاساة الدخان وبناء الدركدان ومحاكاة النصاب ومحاكاة البقال والجهد والعناء في اكتساب الأموال والبراهم وتعلم الصنائع والمكاسب المتعبة للأبدان والأعمال الشاقة على النفوس والمحاسبات والتجارات والفتاه والجحى في الأسفار البعيدة في طلب الأمتعة والحواميج والجمع والأذخار والاحتكاك والاتفاق بالتقدير مع مقاساة البخل والشح فان كان جميعا من حلال وأنفقها في وجه الله فلا بد من الحساب وإن كان من غير حل وانفاقه في غير وجه

الله فالويل والحساب والعذاب اذ لابد من القوت والياب مثل ما لابد من الموت والحساب ونحن بمجزل من هذه كلها وذلك ان طعامنا وغذاءنا هو مما يخرج لنا من الارض من امطار سبأها من ألوان البقول الرطبة والخضرة النضرة اللينة والحشائش والعشب ومثل ألوان الحبوب اللطيفة المكنونة في غلفها وسبلها وقشرها ومن ألوان الثمار المختلفة الاشكال وأنواع الطعوم والروائح الذكية والاوراق الخضرة النضرة والأزهار والرياحين في الرياض تخرجها لنا الارض حالا بعد حال وسنة بعد سنة بلا كد ولا تعب من أبداننا ولا عناء من نفوسنا ولا نصب من أرواحنا ولا محتاج الى كدحواث ولا عناء ولا سقي متعب لأرواحنا ولا محتاج الى بئر ولا حصاد ولا دباس ولا طحن ولا خبز ولا طبخ ولا شواء وهذه كلها علامات الكرام الأحرار وأيضا اذا أكلنا قوتنا يوما بيوم تركنا ما يفضل عنامكانها لا محتاج الى حفظه ولا محتاج الى خازن ولا ناطور ولا حارس ولا احتكار الى دقت آخر بلا خوف لص ولا فاعط طريق تنام في أمكاننا وأوطاننا وأكلنا بلا باب ولا غلق ولا حصن آتئين معلمتين مودعين مستريحين وهذه علامات الأحرار وأنهم مجزول وأيضا فن لكم بكل لغة ذكرهم من فنون ما كولاتكم وألوان مشروبكم فنوا من العقوبات وألوانا من العذاب مما نحن بمجزل عنها من الأمراض المختلفة والاعلال المزمنة والاسقام للمهلكة والحيات المحرقة من القب والربع والثانية والثالثة والرابعة والتخم والجشأ الحامض والهضة والقولنج والتقرس والبرسام والسرصام والطحعون والبرقان والديلان والسلس والجذام وذات الجنب والبرص والسكتة والصداع والسكره والزمل وعسر البول والجرب والجفري والناثا ليل والدمامل والخنزير والحبسة والخراجات وأصناف الاورام مما يحتاجون فيها الى أنواع عذاب المعالجات من السكى والبط والحقنة والسعوط والجلجمة والنصد وشرب الأدوية المشهية الكريمة الرائحة ومقاساة الجية وترك الشهوات المركوزة في الجلبة وماشا كل هذه من ألوان العذاب والعقوبات المؤلمة للأنفس والأرواح والاجساد كل ذلك أصابكم لما عصيتم ربكم وتركتم طاعتكم ونسيتم وصيته فان أول الناس أول ناس - وهى آثم ربه فغوى - ان الانسان كان ظاهرا جهولا - ونحن بمجزل عن هذه كلها فن أين زعمتم أنكم أرباب ونحن بعيد لولا الوقاية والمكابرة وقلة الحياء وأنتم مادمتم في الحياة مهيحي البدن في قف وكذا لتحصيل الانفاسات والفتنات وما دتم مرضى في عقوبة وحسرة وبدا الموت في العتاب والعذاب والخطب ووقوف الحساب ونحن فارغون من هذه الجلبة فن الموالى ومن العبيد منا ومنكم قل الانسى قد يصيبكم يا معشر الحيوان من الامراض مثل ما يصيبنا ليس هو شئ بخسنا دونكم . قال زعيم الطيور انما يصيب ذلك من يخاطبكم منا من الحمام والديك والبجاج والبهائم والأنعام أو من هو أسير في أيديكم ممنوع عن التصرف برأيه في أمر مصاحبه فاما من كان منا مخلى برأيه وتديره لصالحه وسياسه ورياضته لنفسه فقل " مات مرض له الامراض والاوراج وذلك انها لا تأكل ولا تشرب الاوقت الحاجة بقدر ما يفتنى من أجل ما يفتنى من لون واحد قعر ما يسكن ألم الجوع ثم تستريح وتنام وتروض وتنع من الافراط في الحركة والسكون في الشمس الحارة أوفى الظلال الباردة أو السكون في البلدان الغير الموافقة لطباعها أو أكل لما كولات غير ملائمة لمزاجها لما التى يخاطبكم من السكاب والسانير ومن هو أسير في أيديكم من البهائم والأنعام فهى ممنوعة من التصرف برأيه في مصاحبه في أوقات مائدعوها لطباعها المركوزة في جبلتها وطعم وتنفى في غير وقته أو غير ما تشهى أو من شدة الجوع والعطش تأكل أكثر من مقدار الحاجة ولا تترك أن تروض نفسها كما يجب بل تستخدم وتتعب أبدانها تعرض لها بعض الامراض من نحو ما تعرض لكم وهذا حكم أمراض أضفالكم وأوجاعهم وذلك ان الحوامل من نساءكم وجواركم المرضعات يأكلن ويشربن بشراهة وحزم أكثر ما يفتنى من ألوان الطعام والشراب التى ذكرت واشتدت بها فتولد في أبدانهم من ذلك اخلاط غليظة متضادة للطباع فيؤثر ذلك في أبدان الاجنة التى في بطنهن وفي أبدان أطفالهن من ذلك الابن الردى ويصير سببا للأمراض والاعلال والاوراج من الصلع والاثوة والبرص والامراض

البنية وتشويه الخلق وسباجة الصورة وما ذكرت من اختلاف الارباع والامراض مما أتم مرتنون بهامعرضون
 طلوما يقبها من موت القعدة وشدة الزعم وما يعرض لكم من ذلك من التهم والحزن والتوج والبكاء والصراخ
 والمصاب وكل ذلك عقوبة لكم وعذاب لأنفسكم من سوء أهالكم ورادة اختياركم ونحن بمجزل من
 هذه كلها وشئ آخر ذهب عليكم أيها الانسى تأمله وانظريه قال ماهو قال ان أليب مائا تكون وانما تشر يون
 وأنفع ماتتدايون به هو العسل وهو لعاب النحل وليس منكم بل من الحشرات فبأى شئ تفخخرون علينا
 وأما اللبوسات الحيدة التي لكم أيضا فهي من لعاب أضف حيوان وأما كل لب الثمار ولب الحبوب فنحن
 مشاركون لكم فيها عند ادراكها رطبة ويابة فبأى شئ تفخخرون به علينا وقد كان أباقا مشاركين فيها لأبائكم
 بالسوية أيضا أيام كانوا في ذلك البستان الذي بالشرق على رأس ذلك الجبل كما يأكلان من تلك الثمار
 والحب بلا كد ولا تعب ولا عناء ولا عداوة بينهم ولا حسد ولا استتار ولا جنى ولا ادخار ولا حرص ولا نيل ولا خوف
 ولا هم ولا غم ولا حزن حتى تركا وصية ربهما واشتقا بقول عنفوها وعصا ربهما واستجبا من هنالك هريانين
 مطرودين ورميا من رأس ذلك الجبل الى أسفله فوقها في رية قفر لاهاه فيها ولا شجر ولا كن فيبقيا فيها قاعين
 عريانين يبيكان على ما فاتها من التهم التي كانا فيها هناك ثم ان رحمة الله تداركتهما فتاب عليهما وأرسل اليهما
 من هناك ملكا يعلمهما الحرت وزرع والحصاد واللباس والطحن والخبز واتخاذ اللبس من حبشيش الارض
 والقطن والكتان واقصب بعناء وتعب وجهد وشقاء لا يحصى عددها الا الله عما قد ذكرنا طرفا منها قبل
 فلما توالفت وكثرت اولادها واشتروا في الارض بررا وبحرا وسهلا وجبالا وضيقوا على سكان الارض من
 أصناف هذه الحيوانات اما كنها وغلبوها على اوطانها واخفوا منها ما اخفوا واسروا منها ما أسروا وهرب منها ما هرب
 وطلبوها أشد الطلب وبقيتم وطغيت عليها حتى بلغ الأمر الى هذه الغاية التي أتم عليها الآن من الاقتحار والمناظرة
 والمنازعة والمخاصمة وأما القدي كرت بأن لكم مجالس الهوى واللعب والفرح والسرور وما ليس لتأمن الأعراس
 والولائم والرقص والحكايات والمضحكات والضحكات والتهنئات والمدح والثناء والحلى والتيجان والاسورة
 والخللاخل وما شابهها ما نحن بمجزل عنها فلن لكم أيضا بكل خصلة منها ضروبا من العقوبات وفنونا من
 المصائب وهذا أليها مما نحن بمجزل عنها فن ذلك ان لكم بإزاء الأعراس المآتم وبدل التهنئة التعزية وبدل
 الاغان والغناء التوج والصراخ وبدل الضحك البكاء وبدل الفرح والسرور التهم والحزن وبدل المجالس
 والابوانات العالية القبور المظلمة والتوايت الضيقة المظلمة وبدل الحصون الواسعة الجبوس والمطامر
 الضيقة المظلمة وبدل الرقص الدسندان والسياط والعذاب والضرب والعقاب وبدل الحلى والتيجان والخللاخل
 والاسورة القيود والاغلال والسوامير والمقاطر والشكال وما شاكل ذلك وبدل المدح والثناء الهجو والشتم وسوء
 الثناء وبدل كل حسنة سيئة وبدل كل لذة ألم وبدل كل نعمة يؤس وبدل كل فرح غم وهم وحزن ومصيبة
 مما نحن بمجزل عنه وهذه كلها من علامات الاشقا وان لنا بدلا من مجالسكم ومهناتكم وابواناتكم ومناديتكم
 هذا القضاء القبيح وهذا الجو الواسع والرياض الخضرة على شطوط الأنهار وسواحل البحار والطيران على
 رؤس البساتين والاشجار والتعلق على رؤس الجبال نسرح ونروح حيث نشأ من بلاد الله الواسعة ونأكل
 من رزق الله الحلال من غير تعب وكد وألوان الحبوب والثمار نجدها من غير أذية أحد ونشرب من مياه
 العدران والأنهار بلا مانع ولا دافع ولا محتاج الى حبل ولا الى دلو ولا الى كوز ولا قربة مما أتم بتلون بها من
 حلها واصلاحها وبها وشراها وجع أثمانها بكماء ونصب وتعب ومشفقة من الابدان وعناء النفوس وغموم
 الصباب وغموم الأرواح وكل ذلك من علامات العبيد الاشقياء فن أين ثبت لكم انكم أرباب ونحن عبيد لكم
 انتهى من احوان !

﴿ تذكرة ﴾

عما يناسب هذا المقام أن أذكر ما اتفق لي في أول شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ م عند طبع هذه السورة ذلك أتى أصابي زكام وإسالك وسعال في آن واحد ، وقد قرأت في الكتب الطبية القديمة أن الزكام ينفعه أن يترك الإنسان الطعام والشراب يوما وليسته ويصب الماء الحار الذي يلقه على رأسه ويسرع بلعها في كساء حالا ، فتركت الطعام والشراب يوما وليته ولكني سمعت قبيل القيام من النوم قائلا يقول : « لكن ذلك ٣٩ ساعة » فأخوت الطعام والشراب كما سمعت ، ثم شربت ماء دافئا مع عصير الليمون ، ثم تعاطيت الطعام وأخذت أستمتع بلقاء المسخن كل يوم ثم أتبعه بلقاء البارد فذهبت الأمراض الثلاثة متتابعة ولم يظهر لها أثر ولا أعراض ، وقد كنت لأجل السعال أشرب كل يوم قنجحلا واحدا علوا بالرب الحار البقم صباحا قبل الأكل ، فلا أجد الله على صحة هذه التجربة ، وهأنذا أعيش على الخضرة والفاكهة مدة ستين قد أحسست فيها بصحة جيدة والحمد لله رب العالمين ؟

﴿ حكاية عصرية تناسب هذا المقام ﴾

جاء في مجلة « الدنيا المصورة » ماض

﴿ رجل وامرأة في جزيرة مقفرة ﴾

من أنباء برلين إن الدكتور بول ريت كان يحيى نفسه مثل الكثيرين من أرباب الخيال الواسع بأن يطلع مظاهر المدينة ويتجرد من أسبائها ويعيش عيشة الفطرة الأولى في مكان قفر لم تطأه أقدام بني الإنسان . ولكن ما لبث أن حقق هذه الأمنية وراح يعيش في جزيرة مقفرة وهي جزيرة شارلز داروين إحدى جزر أرخبيل جالاباجوس على بعد سبعة كيلومتر من سواحل إكوادور في أميركا الجنوبية ولم يصطحب معه في منفاه الاختيارى إلا امرأة واحدة من صديقاته . ومرت الأيام بآدم وحواء الجديدين وهما بعيدان عن العالم لا يعرفان عنه شيئا ولا يعرف العالم عنهما خبرا حتى « اكتشفهما » المستر أوجين ماكسويل رئيس إحدى البعثات الأميركية في جزائر المحيط الباسيفيكي . وكان الدكتور ريت ورفيقته الفروا هندا كروين قد غادرا هامبورج في شهر يونيو الماضي ووصلا إلى ميناء جواياكيل في جمهورية إكوادور في أكتوبر الماضي ومن هناك اشترى أزورق شراعيًا وأقلعا فيه إلى تلك الجزيرة النائية حتى وصلها فعاشا فيها كما كان يعيش آدم وحواء في جنة الفردوس . وقد نفذا مشروعهما بدقة . وكان الدكتور ريت قد عود نفسه على الحياة البسيطة من قبل . فكان في أيامه السابقة عند إقامته في برلين يعيش في منزله عاريا مجردا من ثيابه وإذا خرج من منزله خرج في ثوب خشن مكون من قطع من القماش أوصلها بنفسه في بعضها البعض . وراض نفسه على أن يعيش على الفاكهة وغلال القمح والخضروات . وكانت زوجته لا تستطيع هذه الحياة فلم يستطع أن يقنعها بأن تترك نعيم المدينة وأطيابها بل هجرته وراحت تعيش في فيلا منعزلة في باذن حيث أقامت مع أهل زوجها . وإذا ذاك اتصل الدكتور ريت بامرأة أخرى وهي الفروا هندا كروين وكانت تشكو من اضطرابات عصبية وقامت إلى الدكتور ليعالجها فتعارف بها وشفاها من مرضها بأن جعلها تعيش عيشة الطبيعة والفطرة الأولى . وكانت هذه السيدة متزوجة وسعيدة في زواجها . ولكن الدكتور ما لبث أن فتتها بآرائه ومذهبه واستولى على لها بحديثه الخلاب وأغراها على أن تطلق كتب ينقشها الفيلسوف الألماني ولقنها تعليقات البوذية وما لبثت أن أصبحت مرعوبته مشتتة بجمحة طليعة طاعة عياء . ولما أخبر زوجته بأنه راحل عن أوروبا وعن العالم المتمدين في محبة

امراة اخرى لم تقارضه فذلك بل طلبت له التوفيق في رحلته . وكان قد قرأ في بعض قصص الاسفار شيئا عن
سوزة شارلز داروين فقرر أن يعيش فيها وقضى بضعة أسابيع فيها يجمع الجملونات والادوات العلمية التي تازمه
في رحلته حتى صرف كل ما يمكنه في شراء هذه الاشياء واقترض مبلغا من المال على حساب الميراث الذي يثاله
بعد وفاة أبيه . ولم يكن يخشى الاشياء واحدا وهو مرض الاسنان ولذلك اقتلع كل أسنانه ووضع بدلها طبقا
مصناعيا . وسافر الاثنان بعد أن أخبرا أصدقاءهما أنهما سيعيشان عرايا مثل آدم وحواء في هذه الجزيرة التي
ستصبح لهما جنة عدن . ثم اختفت أخبارهما الى أن اكتشفهما أخيرا رئيس البعثة الاميركية عائشين في سعادة
وغبطة وهناك . انتهى ملجاء في المجلة المذكورة

اللهم إلى أجدك جدا كثيرا على نعمة العلم والحكمة ، وعلى انك علمتنا ما لم نكن نعلم وشرحت صدورنا
الى تفاتيح آي القرآن على الحوادث الانسانية والحيوانية ، وكررت قصة آدم وابلوس في سور كثيرة لتذكرونا
بما اتتبه هذا الانسان من الضعف والوهن والأمراض بسبب مجاوزته لقطرته التي فطرته أنت عليها
فياهيها : كيف يرى هذا الانسان يفرح ويفتخر بما هو مهلك له ، وكيف أصبحت لفته منوطة بذلته .
اللهم إن هذه الحال لها بعض الشبه بحال المسيح السجال الذي من دخل جنته فهو في النار ومن دخل ناره
فهو في الجنة ، الناس جميعا مغرمون بكل ماله وطاب ، وهم جميعهم لإقليلا منهم يرون ذلك هو عين السعادة
مع انهم يرون بأعينهم العقاب العاجل لكل بلية ولكل شهوة . اللهم إن هذه الحياة كلها على سنن واحد
لا اختلاف فيه . الناس جميعا مستلنون بما العذاب نتيجة ، فإذا استلذ الشرهون بكثرة الماء كل فالعذاب
واقع ماله من دافع في هذه الحياة ، وإذا كثرت الاسراف في الملابس وحفلات الزواج أعقبته الخراب العاجل أو
الآجل ، وإذا جاءت الأم المستعمرة وقالت للناس : « هاتين أولاد جنتا لفرقيكم ونسعدكم » كانت نتيجة
ذلك إكثار الجمل وإذا دأبت الفسوق والفساد وشرب الخمر ، لافرق في ذلك بين أهل الهند ومصر وغيرها
من البلدان . ألم تر الى ما حدث في زماننا أيام كتابة هذا الموضوع من أن المتطوعين المتبعين لفندين زعيمهم
يقفون على أبواب الحانات ومعهم زوجة ذلك الزعيم لمنع الشاربين من الشرب وعلى أبواب حوانيت البزازين
ليمنعوا الناس من شراء الملابس الأجنبية ، فيرى هؤلاء المتطوعون الجند أمامهم شاكى السلاح ليجنحهم
ويأخذهم إلى السجون . إذن المستعمرون يظهرون لهم انهم نافعون لهم ولكنهم يريدون لهم الشر والعذاب
فما دخل المستعمرة قوية إلا عجمها سائر المعاصي والمعاصي محبوبة للنفس ، إذن هي في ظاهرها جنة وفي
باطنها نار ، فالمسيح السجال وإن لم يظهر لنا بهيئته فقد ظهرت لنا آثاره بل آثاره ملازمات لهذا الانسان ،
فلا نفداس في الذات سواء أكانت ما كل أو مشارب أو ملابس أو وعدودا برفقة بالرقى من الأمم المستعمرة ،
كل ذلك نتيجة الهلاك والفساد والعذاب

اللهم أنت حبستنا في هذه الأرض لنقص نفوسنا ، وأزلت في القرآن قصة آدم وابلوس لتذكرونا بفطرتنا
وهاتين أولاد نطق أنفسنا اتنا أرقى من للتوحشين في نظرتنا مع انهم هم على الفطرة ونحن عاصون بعوائدنا
وأحوالنا وجهنا . اللهم ألهم المسلمين أن يذكروا في نظام أرقى من هذا النظام الحالي فيكون الناس ألفة
واحدة نظيفة من الفس - والفساد والبطانة والسرقة وما أشبه ذلك فتحسن العقول والمذنيات ويقل المرض
والطب والقتضا والقتضا - إنك سمح عليم - انتهى صباح يوم الأحد ٢٢ يونيو سنة ١٩٣٠

﴿ نور النبوة في هذا الزمان ﴾

(في القيتامين والطيارات)

وفي قوله تعالى أيضا - قال فبعرّتك لأغوينهم أجمعين -

جاء في الحديث الشريف : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » أخرجه الشيخان . وقال عليه السلام « والذى قضى يده لا تداعوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام بينكم » أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى ، وهذا الحديث والذى قبله من كتاب « تيسير الوصول » للثقة ذكره وجاء في الجزء الثالث من ذلك الكتاب ما نصه : « انتهى مثل المثل لا يدري آخره خير أم أوله » أخرجه الترمذى وصححه . وإنما ذكرت هذه الأحاديث في هذا المقام ليتفكر فيها المسلم

أيها المسلمون : إن انتشار الطيارات في الأمم يوجب على المسلمين تعلمها والارتقاء فيها حتى ينتظم البريد الجوى بين مسلمي مصر وبلاد شمال أفريقيا ومسلمي الهند والصين والغرب وهذا آت قريباً ، ومضى توأماوا ظهرت عجائب النبوة . ألا ترى أنهم في الأزمان المتأخرة لم يكن هناك ذلك التواد بينهم ولذا ذلك التألم . ألم تر أن المسيحيين لما هجموا على بلاد الاسلام أيام الحروب الصليبية كانوا متحدين ، أما المسلمون فإن الذين جاهدوا وصبروا هم أهل الشام ومصر ومن حولهم من بلاد الاسلام ، أما المسلمون في شمال أفريقيا فانهم أبوا أن يمينوا اخوانهم ، ألم تر أن المسيحيين في اسبانيا اجتاحتهم بلاد الأندلس ولم يحرك المسلمون الآخرون ساكناً ، أين الاسلام إذ ذاك ؟ أفلم ترى أن هذا الزمان أى زمان الطيارات التى ستم بلاد الاسلام هو المراد بالحديث الشريف وأن المراد بالمؤمنين هم الكاملون ، أما المؤمنون الذين ليس عندهم هذا الشعور فهم ناقصون . ولا جرم أن المسلمين في المستقبل أولئك الذين يعرف بعضهم أخبار بعض ويعينهم على ذلك الطيارات بلرحلات والجولات في الأقطار وأنواع البرق والتلغراف ذى السلك والذى لاسلك له ، فهؤلاء هم المرادون بهذا الحديث إذ يتأثر المسلم في الصين بما يصيب أخاه في السودان عند سماع أخباره ، وهذه الطيارات كما تكون هي وغيرها سبب معرفة الأخبار الاسلامية في الأقطار النائية تكون أيضاً سبب تبادل المنافع بين الأمم الاسلامية خاصة والأمم كلها عامة ويصبح أهل الأرض كلهم كأنهم أمة واحدة ويعمرون الأرض ويستخرجون كنوزها ويكون الناس إذن أشبه بالطير من وجوه ﴿ أولاً ﴾ أن كل طير يأخذ رزقه الخاص به مما تتج من الأرض بفير طبع ولا خبز لا كما يفعل الانسان ﴿ ثانياً ﴾ ان الانسان صار طيراً كما يطير الطير ﴿ ثالثاً ﴾ اذا استخرجت منافع الأرض سهل على كل امرئ أن يأخذ منها رزقه فهو ليس في حاجة الى مدّ يده لقبه ، فكثرة المعاونة جعلت الرزق موفراً للجميع ، وأوليس هذا هو معنى قوله عليه السلام « لو نزلتكم على الله حق نوكه لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خالصاً وتروح بطاناً »

ولا جرم أن هذا هو الذى يظهر من أسرار القيتامين ، فالطيور تقاتل بالحلب الذى لا ضرر فيه والانسان بكثرة الصناعة فيه قتل مادة الحياة فابتلى بالأمراض فاحتاج زيدا الى عمرو ففرحت الصدقات ، فأما هذه الحال العالية للآلئ الاسلامية فهى التى أشار لها حديث الصدقة إذ قال عليه السلام كما في الجزء الثانى من كتاب « تيسير الوصول » ، لجامع الأصول « في الفصل الثانى في الحديث على الصدقة إذ قال عليه السلام « صدّقوا فيؤشرك الرجل أن يمشى بصدقة فيقول الذى يطلها لوجئتنا بها بالأمس قبلتها أما الآن فلا حاجة لى فيها فلا يجيد من قبلها منه » أخرجه الشيخان والنسائى

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا تأتبن على الناس زمان يطوف الرجل فيه

بالصدقة من الذهب فلا يجد أحدا يأخذها منه » أخرجه الشيخان

فيأيت شمري . أيها الأمم الإسلامية : لم تزلت هذه الأحاديث ؟ أنها زلت لشيء في المسلمين الجلية جية الاسلام فتجعل هذه الحوادث نصب أعيننا ونسعى ونجد بلوغ هذه الميزة الرفيعة . نحن المسلمين قد فزقنا في بقاع الأرض ، فنحن في كل قطر من أقطارها . فنحن في أمريكا وآسيا وأفريقيا وأوروبا وأستراليا . فلنعمم الطيارات بيننا مصداقا لحديث التواذ والقراحم . ولنعمر أرض الله مع الأمم حتى تم البركات والسلام ومتى عم ذلك لم يكن للصدقة معنى وهناك يظهر سر التوكل وتصح الأجسام بالمحافظة على الفيتامين . وبالجملة فأمام أم الاسلام ما يأتي :

- (١) تعميم الطيران كالطير والبرق والسلك والذى لاسلك له
- (٢) وهذا يترتب عليه أن يكونوا كأعضاء الجسد الواحد من حيث سرعة وصول الأخبار في الجسد بالأعصاب وفي الأمم الإسلامية بطرق المواصلات
- (٣) فإذا همروا أرض الله مع الأمم بذلك السبب كثر الرزق فأخذ كل امرئ قوته من غير ادخال كالطير
- (٤) هنالك تزد الصدقة ولا تقبل
- (٥) ولما كان الطير لا يمس الطعام بنار كان الفيتامين فيه موفرا فهكذا ستكون الأمم المستقبلية . أيها الأمم الإسلامية : هذا هو الذى فهمته في حديث التوكل ومن حديث الصدقة
- (٦) اذا فهمنا هذا عرفنا سر حديث الترمذى المتقدم الذى شبهت الأمة فيه بالطير لا يدري آخره خبر أم أوله ، فهناك فهم سر هذا الحديث لأن الأمم الإسلامية التى ستظهر بعد اقشار هذا التفسير وأمثاله ستعرف نعم الله وتقيم هذه الدنيا ، ومتى إتصفوا بالصفات الخمس المتقدمة كانوا خير أمة أخرجت للناس . فهم يكونون كالصدرا الأول من الصحابة والتابعين الذين ملؤا الأرض نورا وعلماء وهؤلاء سيكونون رسل السلام بين الأمم . فهناك معجزات نبوية أقبلت عليها الأمم الإسلامية وهذا التفسير جعل مقدمة لهذه الحال الشريفة
- (٧) وهناك معجزة سابعة وهى ان المسلمين متى شاركوا الأمم في بحث الفيتامين وصاروا موقنين بسبب البحث العلمى أن الماء كل الذى تؤكل على فطرتها كما يأكلها الطير أصح من الذى دخلتها الصنعة وأكثر قوة لأجسامهم والطفة لأعمارهم فلهم حينئذ تحصل عندهم القناعة فلا يحتاجون الى التغالى في طهى الطعام للموجب الازدحام . واذا كانوا يتوكلون أخذ الصدقة لاسيا اذا صارت الكرة الأرضية كلها على قيمة واحدة في استخراج الخيرات وكان لكل امرئ عمله الخاص به كالطير
- (٨) ولست في حاجة أن أذكرك أيها الدكي بما تقدم كثيرا في هذا التفسير من أن هذه الحال هى التى ستأتى في قوله تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - وهى الحال العيسوية التى فيها تكون الأمم كلها في حال سلام كما قاله المفسرون
- (٩) فهذا هو التوصل الذى أشارت له النبوة . وهذه هى الإنسانية الصادقة فى هذه الأرض . ولما كان الصحابة رضى الله عنهم قد همروا أن ينشروا الدين وكاف الأمم الأرضية إذ ذاك غير صالحة للسلام العام أنزل الله آيات الجهاد وأباح الغنائم للجهاديين . ولاجزم أن الغنائم قد أعاتهم على اصلاح الأمم على مقدار الطاقة فى زمانهم ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وبعثوا تلك الغنائم موقوفة على الشهوات فانحطت تلك الأمم وظهر سر حديث « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا الخ » وتراه فى تفسير « سورة الأأنال » وغيرها . إذن الأمم الإسلامية التى جعلت الغنائم مقصدها والشهوات رائدها وأخذوا يتقاتلون

بالسيف بعد الصور الثلاثة الأولى على الامارة والملك ليسوا متوكلين على الله حق توكله وسكون
الأم التي تهم ما ذكرنا هنا من بعدنا خيرا منهم وأحسن أملا وأشرف مقلا وأعلى كفا في
الاسلام ومن يمشي به

(١٠) إن الأم التي ستصف بهذه الأوصاف التسعة تكون سببا فيا يشبه حث إبليس في حلقه في هذه
الآية إذ يقول - قال فعزتك لأغوينهم أجمعين - إذ يكثر فيها عدد المستثنى ويقل عدد المستثنى
منه . إن الجهالة المحيطة بآمرتنا الأرضية كلها (أ) يعبر عنها بلغواء إبليس - الشيطان يهدكم
الفقر ويأمركم بالقبحاء - وعدته الناس بالفقر تحملهم على الحرص والطمع والجمع والادخار والحسد
وهذا يفتح باب العداوات والشروخ والحروب (ب) ويمر عنها بتزيين الشيطان - وزين لهم
الشيطان أعمالهم فصّتهم عن السبيل - (ج) وبالأزلال - فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما
مما كانا فيه - وههنا خرج الناس في مطاعهم ومشاربهم وملابسهم عن السنن الطيبة فأتت بهم
الأمراض والفقر والحيوانات قد برئت من هذه الأوصاف . أما هؤلاء فأنهم أرغوا أن يعيشوا
عيشة كلبائس وضيق بسبب العادات الموروثة في طعامهم الذي يتأقون فيه ومساكنهم وملابسهم
وعاداتهم وهم جيما يريدون أن يخرجوا من نار هذه الأحوال وماهم بخارجين منها ولهم عذاب
القلل المقيم بها في الحياة وبتأكلها بعد الموت ولكنهم سيخرجون فرحين بعد اقتدار هذا التفسير
وأما الله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . انتهى تفسير سورة ص والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة الزمر

(هي مكية)

(إلا قوله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم - الى قوله تعالى - من قبل أن يأتكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون - غفدية)

(آياتها ٧٥ - زلت بعد سبأ)

(هذه السورة ثلاثة أقسام)

« القسم الأول » في تفسير البسملة

« القسم الثاني » من أول السورة الى قوله - تقوم يؤمنون - وفيه التوحيد والاستدلال بمجائب السموات وخلق الأنعام والانس والنبات والينابيع الأرضية وزول المطر واختلاف الزروع ومجائها وهكذا
« القسم الثالث » من قوله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم - الى آخر السورة . فيه هيئة النفخ والحساب ووصف الفريقين : أهل الجنة . وأهل النار وما أشبه ذلك

« القسم الأول في تفسير البسملة »

بالرحمة قامت السموات والأرض واتقظ العالم وبهر الوجود ، فهي كضوء الشمس ، وكما أن ضوء الشمس يأخذ منه كل حيوان ونبات ما يليق له ويروى طبعه ويرافق هيكله وهو من الرحمة العاتية أيضا ، هكذا جيع الرجات تنال المخلوقات منها على حسب استعدادها . وكما أن علماء الطب في زماننا كما تقدم مرارا في هذا التفسير ، يقولون انهم قتموا للغيران طعام الارز وأبقوها في الظلمات أليما فضعفت أجسامها وأخذت تقترب من الموت سراعا ، ولما قتموا نفس الغيران البرتقال فأكلته وهي في الظلام لا تقابل ضوء الشمس قويت واتعشت وصارت ترتم وتلعب . فاستنجوا من ذلك أن الأرز لم يأخذ من ضوء الشمس إلا قليلا . فاما البرتقال فانه أخذ منها كثيرا واستخرجوا هذه القاعدة الغدائية فقالوا : « إن الارز أكله غير محي . أما كل البرتقال فهو مفوق جدا » والأول لم يستند من ضوء الشمس إلا قليلا والثاني استفاد كثيرا . ففيه خزن الله قوة حيوية عظيمة منه تنتقل الى الانسان . وقد قالوا إن ذلك في الارز المشهور . أما الذي بقرشه الملاصق للجب فهو مفيد كما يفيد القمح اذا لم ينخل وأكل بحاله . وعلى هذه القاعدة كانت جميع قشور الفواكه التي يمكن أكلها مع الفاكهة نافعة مهمة للانسان

كل ذلك لاستفادتها من ضوء الشمس . إذن مادة الحياة جعلها الله في ضوء الشمس وضوء الشمس يخزن في الأغذية وعلى قدر ما خزن فيه من ضوئها تكون نتائجها في حياتنا وقلبك يقولون : « إن الأجسام المكشوفة للشمس المعرّضة لضوئها أصح وأقوى من المغطاة المحجوبة عن الشمس لأن سر الحياة يتمسه الجسم من ذلك الضوء . ولا ريب أن استمداد القوة من نفس الضوء مباشرة بمسام الجلد أبلغ قوة وأنفذ وأتم من أخذها من الطعام

أقول : كما ان علماء الطب قالوا ذلك ووضع في غير هذا المكان وهذا في رحمة خاصة . فهكذا نقول في الرحمة العمة فهي تتفاوت مقاديرها بتفاوت القوايل لها من المخلوقات

فاحجب (أعطك الله الرشده وأتم عليك بنعمة العلم وهداك الصراط المستقيم) من طعل لا يشعر إلا بما حواه جالده من عواطف ومطالب ويرى أن جميع من - وله له مستخرون . فلا يرى في أمه إلا أن ترضعه

ولاقى آبيه إلا أن يداعبه ويلعبه ولاقى اخوته وأخواته إلا أن يضاحكوه . فهو لا يهتم بغير شؤون نفسه . فلذا تزعزع وكبر وصارت له زوجة وولد اتسعت رحلته ، فبعد أن كانت لاتتعدى محيط دائرة جسمه أخذت تسع أسرته وبنيه ، وقد يسبح النعمة على الأهل والجيران بل البلدة بل الأمة إن كان ملكا بل الأمم كلها إن كان عالما عالم النفع . إذن كما أننا رأينا البرتقال امتص من الشمس (القيتاين) قوة الحياة أكثر من حب الأرض وكانت تتأججهما على مقدار ما استفدنا منهما ، هكذا استمتت نفس الصبي واستمتت نفس الرجل من الرحمة العاتية (التي أحاطت بطواهر العوالم وبواطنها كما أحاط النور بطواهرها) رحمة خاصة فكانت عند الصبي لاتعدو دائرة جسمه وعند الرجل أعظم فتتسع الفائدة شيئا فشيئا حتى ربما بلغت للشرقيين وماهى الاستمداد من تلك الرحمة العاتية كاستمداد الغذاء مادة الحياة سواء بسواء

وكما ان من الناس من يعيشون ويموتون ولا يتقنون من الحياة إلا ما يقبله الصبي في مثالي ولا يهتمون بالإبداءة أجسامهم ، حكوماتهم ومعالجهم وتعليمهم . كل ذلك يدور على محور واحد وهو المنفعة الخاصة ولا يبالون بالمنفعة العامة وإنما تأتى عفوا من حيث لا يقصدون ، هكذا فى نوع الانسان قوم آخرون هم فى الثروة العليا ، علموا من العلم ماركهم مهمهم الى المنافع العامة ، فنفسهم أشبه بالشموس وعالمهم وأشبه بأضوائها وتتأججهم أشبه بنتائج ضوء الشمس ، وهؤلاء هم عماد أهل هذه الأرض ، انظر فى الشرق والغرب لاتجد إلا هذه القاعدة ، نعم إن الأمم اليوم أقرب الى المادة ولكن لم يرفع رأس الانسانية إلا لأناس وجلسوا فى أنفسهم ميلا الى العلم والكشف فلهما به هياما واقطعوا له اقطعا وجلسوا نفوسهم وصبروا على البؤاء لرقابنا بما هم قائمون به ، ومنهم من قتل ، ومنهم من سجن . ذلك كله فى العصور المتأخرة وذلك فى الامور الجزئية من كشف امر طبيى أو كيمائى أو فلسفى . وفوق هؤلاء وهؤلاء الحكماء المحققون . وفوقهم جميعا الأنبياء والمرسلون

فالرحمة عندهم بلغت منتهاها واتته الى الثروة صاروا هم الشموس المشرقة على الناس أجمعين . لا يريدون بالتعليم والتبليغ جزءا من القوم الذين أرساوا اليهم ولا شكورا . كلا . ولقد ضرب الله لهم مثلا فيما نشاهده فى منازلنا . فأننا نرى الأم ترضع ولدها وإذا سئلت عن ذلك قالت لا أريد إلا حياته ولا مطلب لى وراء ذلك فهذا منها إخلاص وهذا الاخلاص جعل فيها غريزة لاتقدر على دفعها . هكذا الأنبياء ويليهم المصلحون من المؤمنين . قش فى نفسك أيها التكى فان رأيت نفسك فيها هذا المعنى فاعلم انها قد اقتبست هذه الرحمة من الرحمة العاتية واعلم انك نافذ الكلمة وان رأيت قصانا فسيكون نفعك وأثارك على مقدار ما وصلت اليه من الاخلاص

إذا فهمت هذا فافهم بعض سر البسملة فى أول سورة الزمر . انها مسبوقة بذكر الاخلاص وما أشبهه مرتين فى (سورة ص)

(١) - إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى البار * وأنهم عندما لمن المصطفين الأخيار -

(٢) - إلا عبادك منهم المخلصين -

(٣) وقد ذكر بعدها فى سورة الزمر - فاعبد الله مخلصا له الدين -

(٤) - آلا الله الدين الخالص -

(٥) - قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين -

(٦) - قل الله أعبد مخلصا له دينى -

ومن هذه الست انه أمر أن يعبد مخلصا الدين لله . وأن يعلن انه أمر بذلك وأن يعلن نفس هذه العبادة مع الاخلاص . فهذه الثلاثة من الست المقدمة

إذا علمت هذا فما أسهل أن تفهم الآية المذكورة قبيل هذه البسلة في آخر ﴿سورة ص﴾ - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكفين - وإذا كنا نرى المرأة لا تتكف في أرضها طفلها ونعرف الفرق بين إخلاصها في أرضها وبين تكفها في أرضها زوجها الذي تكرهه مثلا ، فهكذا نحن نعرف الفرق بين الأنبياء في إخلاصهم في تعليمهم الأمم وبين أولئك الذين يعيشون في جلودهم ويحسبون الناس كأنهم خلقوا لفائدتهم . المخلصون لا يتفقون أجرا على عملهم . فنفس العمل مسرتهم وإقتنهم وسعادتهم وإن كانوا في السجون أو في النفي كما ترضى المرأة بالسجن والنفي ولا ترضى بالامتناع عن أرضها وأهلها ، فهذا مثل تقريري لآية - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكفين -

هذه الآية نزلت لتعبر نحن بها ، فليداوم المرء على الطاعة والبحث والجد في العلم حتى يحسن في نفسه بهذه العاطفة والحب العام ، ولن يكون في القلب الحب العام إلا بمعاودة النظر في هذه العوالم مرة بعد أخرى فهناك تربي عاطفة الحب ، فالحب لا يكون إلا بعد العلم ولا إخلاص إلا مع الحب ، فليكن تعليم المسلمين هكذا

(١) إعداد العقل للفكر

(٢) وإعداد العواطف للحب

(٣) وإعداد الدين للعمل

إذا علمت ذلك فانظري آيات هذه السورة تجدنا قد أحاطت بما يعمل المخلصون من المسلمين ﴿أولاً﴾ لهم لوحان يقرؤنهما وهما لوح السموات ولوح الأرض وتكرر ليلهما ونهارهما وهذا في آية - خلق السموات والأرض بالحق - إلى - ألا هو العزيز الغفار -

فإذا قرؤن فيها ؟ يجدون في هذين اللوحين عوالم وأنباء ، ضوء يعجز الظلام عن ظلم يعقب الضوء إذن هنا لوحان فيها عوالم وأنباء كألواح الصبيان في المكاتب ويرون فوق الأرض هذا العمل نفسه فيجب الإنسان مالا وولدا وفنائه جيلة فيجد المال في القرية يترى المرض أول الموت والمعشوقة تحمل جسمها أو ساء سلوكها أو كبرت سنها ويس جلدتها ، أو يجد نفسه أصيب بأمراض منعت هذه الذات كلها مع وجودها إذن لافرق بين الظلمات والأضواء وبين الصور المتتاليات فيما تحب على الأرض ، فلاجيل إلا قبح ولا شاب إلا كبر ولا صحيح إلا مرض ولا غنى إلا افتقر ولا حق إلا مات ولا حبيب إلا أعرض ، وكل غدر الأحباب وأساء الأبناء وأدبر المقلوبون وأذى المحسنون

هناك يقولون : إن هذه الألواح قد استفادت هذه الصور الجلية من عوالم ورأها كما استمدت البرقعات قوة الحياة الأرضية من ضوء الشمس فيما تقدم وكما استمدت نفوسنا رجاءاتها من رجة عاتية . فلننظر إذن ولنفس ما لم نعلم بما نعلم . نحن علمنا أن ضوء الشمس فيه قوة الحياة وعلى مقدار إمداده للغذاء تكون قوتنا إذن الغذاء لم تكن فيه هذه القوة من نفسه بل من ضوء الشمس . إذن هذه القوة لم تكن كاملة فيه بل هي اكتسبت من الشمس . إذن فليكن هكذا نفس . فإذا كانت طبيعة الأرض عجزت عن أن تعطي البرقعات مثلاً وبقية النار الفيتلين واحتاجت تلك النار إلى عالم فوق أرضنا وهي الشمس فاستمدت منها قوتها هكذا نفوسنا المتلوقات في أجسامنا لم تكن فيها الرجة من نفس المادة الأرضية هذه التي عجزت أن تعطي الفاكهة بالقيتين بل رجتها استمدت من رجة تم ظواهر المادة وبواطنها ونسبتها إلى نفوسنا كنسبة ضوء الشمس إلى أغذيتنا وفواكهنا . فإذا احتاجت مادة الأرض إلى ضياء الشمس لقد البرقعات بمادة الحياة فلتكون رجة الأم ولولها مستمدة من رجة عاتية عجزت عنها المادة الأرضية وذلك من باب أولى لأن عواطف الأرواح أرق وأعز من قوى الأغذية

وإذا صح هذا القياس وإن كان اقناعياً فليصح القياس الآتي وهو أن هذين اللوحين الأرضي والسماوي

وما صور بينهما من عذابات نرى لمن جلا بديها في الأنوار وفي الصور الجميلة والوجوه الحسنة والأزهار والزروع
فنفرح بعضها ونفشتها ونعيم بها غاما ، ثم نرى ذلك كله أصبح كأمس الدابر فيقولون إذن لا لا إن هذه العوالم
وراءها من يرسمها وينقشها ويرقصها ويحندرها ويحسن صورها ويعلمها بالروعة والجمال يعطينا دروس
الجمال ويطلعنا العواطف ويصلنا الحب ، ثم لا يبقى جيلا أمانا بل هو بهم الأرض والسموات وما فيها .
إذن لماذا هذا ؟ يقول لنا : « أتم عرفتم أن مادة الفيتامين في الغذاء لم تكن من المادة بل من ضوء
الشمس وعرفتم أن الرحمة فيكم لم تكن من عندكم بالبرهان فما أسهل أن تعلموا أن المادة لم ترسم هذه
الرسوم والأشكال ولم تدع هذا الجمال ، إذن الجمال عندي أنا فليكن حكمي حيا راجعا الى جبال فوق
ما رؤيت ، لقد رأيتم آثار الرحمة وأغرمت بالجمال والنقوش والعلم والأزهار والصور الحسان . هذه كلها
آثار الجمال لا تفسد الجمال ، فارتقوا في الأسباب وافرحوا بما سترون من جمالي ، هناك تروى جبالا لاحد
له ونحبون حبا لانهاية له « رب الدار أحب الى الزائر من قس الدار » وهذه العوالم المنقوشة المرصوفة
المجندرة المزوقة المرقشة البهجة المحكمة الصنع رسل أرسلت اليكم لتعريفكم بأن تروا من نقشها وصورها
فأحسن صورها ، فإذا سمعتم قولي - الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وأنا اليه راجعون - فاعلموا أنني
أنا الذي أصبتكم بهذه المصائب لأن أربابكم أن يعيشوا في هذه العوالم التي ليس لها عندي منزلة أكثر
من منزلة الأنواع للصبيان فأنا أرسلتكم الى الأرض لتدوسوها وأرسلت عليكم النكبات لتتركوها ، وبعد أن
أرسلتكم الجبال حرمتكم منه وحرمتكم من كل ما يحبون لأن وظيفة المادة تعليمكم ولا بد من قلمكم الى عالم
آخر يكون أجدر بنفوسكم وأحق بها - فوق كل جبل أجل منه - وفوق كل ذى علم عليم -

ليس على الأرض محبوب إلا للحكمة من خصال خمس : أن يكون جيلا أو طيلا أو شجاعا أو محسنا أو يئنه
وبين الحب له سر مجهول غير ظاهر ، ولا جرم أن الجمال والعلم والشجاعة الخ لا بقاء لها في الأرض فمن
أين أقبلت والى أين ذهبت ؟ ان كل هذه إلا آثار أنا خلقها والى ترجع . فكل الجمال والعلم والقدرة والحكمة
منى ظهرت والى ترجع لتوجهوا حكم الى منبع الجمال والعلم والحكمة والقوة - وإن الى ربك المنتهى -
« من ذا الذي يرى عنايتنا التامة بالحشرات فأعطينا النملة (٤٠٠) عين كل واحدة مستقلة عن أخذها
وهكذا الذبابة أربعة آلاف عين والمها من كل ما يعتجن اليه في الحياة : من ذا الذي يرى هذا ولا يزداد
لنا حبا وبسدرتنا وعلمنا وإحساننا ونعمتي لقاءنا » والى هنا هم الكلام على اللوحين : لوح الأرض ، ولوح
السماء في آية خلق السموات والأرض (ثانيا) هذه الطاقة درسان : درس خلق الحيوان والانسان .
ودرس خلق النبات وإزالة الماء في قوله تعالى - خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها - وهنا
ذكر الأنعام ومجائب الملق والاحكام والرحمة الخ وفي قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - الى قوله
- إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب - فهنا أظهر الحسن الباطنة والأنوار الروحية في ابداع الخلق الذي
لا يعرف إلا بالعلم والحكمة وما تقدم أكثره في الجمال الظاهر (ثالثا) هذه الطاقة ليلها قيام وصلاة وفكر
وعلم حبا لله وشوقا اليه - أتم هوقات آناه الليل ساجدا وقائما - الخ (رابعا) هم صابرون ولهم مسرات
في الدنيا كما لهم في الآخرة - قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أسنوا - الخ (خامسا) من
أخلاقهم التعقل والحكمة فلا يضلون قولاً إلا بعد نقده واستخلاص الحقيقة منه - الذين يستمعون القول -
الآية (سادسا) هم خلفاء الله قوامون على عبادته يشيرونهم بالرحمة ويخوفونهم بالنقمة - قل يا عبادي
الذين أسرفوا - الى قوله - ثم لا تتصرون - (سابعا) هذه الطاقة تنال الرضا والعلم وانسراح الصدر
والهدى وأن الله يكفيهم وذلك في آية - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ وآية - وإن تشكروا يرضه
لكم - وآية - أفن شرح الله صدره للإسلام - الخ وآية - الله نزل أحسن الحديث - الى قوله - ذلك

هدى الله يهدى به من يشاء - وآية - أليس الله بكاف عبده - الخ ﴿ثامنا﴾ يكون جزاؤهم أن يكونوا في غرف من فوقها غرف مبنية الخ وأن تشرق لهم الأرض بنور ربهم ، وأن تسلم عليهم الملائكة وتحيمهم وهناك يرون ماهو أطي وأجل - وهونهاية النهايت إذ يرون الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم فتكون لذتهم أعلى اللذات ويقولون الحمد لله رب العالمين ، وهذه اللذة العقلية تقسمتها اللذة الحسية في الغرف التي فوقها غرف مبنية ، وهل هذه اللذة إلا بالعلوم والمعارف ، وهل التسبيح والتحميد اللفظيان إلا مقتدبان للتسبيح والتحميد العقليين ، وما ذلك إلا ادراك نظام هذه العوالم ، ولن تكون هذه اللذة في الآخرة إلا بعتقدات في الدنيا بل من لم يدرك بعضها في الحياة فكيف يستكملها بعد الموت . إن الفكر اللفظي يراد به أن يكون وسيلة للتقل - ألم تركب يقول الله تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - الخ فالذكر اللفظي مقتدة للتفكير والتفكير هو المقصود ومقصوده هو جمال النظام العام ، والعاقبة يستكنون بالحمد والتسبيح اللفظيين وينتظرون الثواب في الآخرة بالجنة ، وهذه المرتبة هي التي يدخل فيها أكثر الناس فتكون العبادة لها مقابل وهو ثواب الآخرة وهؤلاء يقل حظهم العقلي ، أما أولئك المفكرون المعارفون الواقفون على الحقائق فينالون فوق الجنة الحسية سعادة اللقاء والنظر لوجه ربهم ومقدمات هذا دراسة هذه الدنيا ، واعلم أن ما في هذا التفسير أو أكثره من الجباب كافي لإيجاد هذه الطبقة الشريفة ، فهم هم الذين يسعدون في نفس هذه الحياة بجمال العلم ويكون مبدأ الجزاء حاصل في الدنيا وهو الابتهاج بنفس هذه الحقائق ويكونون نورا للأئمة وهم خلفاء الله في أرضه عليهم يقول الناس في دينهم وفي طريق آخرتهم والانسانية المستقبلة مدارها على أمثال هذه الطائفة

وإذا شئت زيادة البيان فقرأ ما تقدم عن « اخوان الصفاء » في جزاء المحسنين إذ جعل ثواب المحسنين في هذه الحياة الدنيا لنهم يفرحون بالوقوف على الحقائق في مجامع المعادن والنبات والحيوان والسماء والأرض وهكذا نقلت جملة عن الانام الغزالي هناك في نحو هذا وهكذا تنظر ماجاء في ﴿سورة السجدة﴾ من الكلام على جسم الانسان وموازيته بالعوالم وما جاء في ﴿سورة فاطر﴾ عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - من أن معرفة الجباب هي نهاية اللذات لهذا النوع الانساني ، وما هذه الجباب إلا آثار الرحمة المذكورة في البسملة في أول السورة ، وتلك الآثار بمخرجها يكون الحب والحمد المذكور في آخرها ، فالرحمة أول العالم والحب والحمد آخرها وهذا من عجائب القرآن

أنت بهذا أيها النبي تفهم سر النبوة إذ روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لقيت ليلة أسرى في ابراهيم عليه السلام فقال لي : يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » ولأجزم أن العلوم والمعارف المطوية في التسبيح والتحميد هي أعلى الجنة وهذا من عجائب النبوة . إذا عرفت هذا فاسمع ماجاء في كتاب « تيسر الوصول لجامع الأصول » تحت العنوان الآتي مانصه :

﴿ فصل في الاستغفار والتسبيح والتلهيل والتكبير والتحميد والحلوة ﴾

عن ابن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « خصلتان أودخلتان لأصحابهما رجل لا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل : يسبح الله دبر كل صلاة عشرا ، ويحمده عشرا ، ويكبره عشرا فلقد رأيت رسول الله ﷺ بمقداهيده . قال : فذلك خسون ومائة باللسان وألف وخمسة في الميزان وإذا أخذت مضجعتك تسبعه وتكبره وتحمده مائة مرة فذلك مائة باللسان وألف في الميزان فأبكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسة مائة قلوا كيف لأصحابهما يا رسول الله ؟ قال يأتي أحدكم الشيطان وهو في صلاته فيقول : اذكر كذا وكذا حتى ينضل فله أن لا ينضل ويأتيه في مضجعه فلا يزال ينؤمه حتى ينام »

وعن ابن أبي أوفى رضى الله عنهما قال : « جاء رجل فقال يا رسول الله لأستطيع أن آخذ من القرآن شيئا فلعنني ما يجزي ؟ قال : قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال يا رسول الله هذا لله فإذالى ؟ قال : قل اللهم ارزقني وعافني واهدني وارزقني . قال : هكذا يديه قبيحهما قال ﷺ أما هذا فقد ملا يديه من الخير » أخرجه أبو داود وبنامه والسائي الى قوله « ولا قوة إلا بالله » وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل موته سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه . فقلت له في ذلك ؟ فقال أخبرني ربي انى سأرى علامة فى أمي فإذا رأيتها أكرمت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها - اذا جاء نصر الله والفتح - السورة » أخرجه الشيخان

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب الي مما طلعت عليه الشمس » أخرجه مسلم والترمذي وعن بسيرة مولدة لأبي بكر الصديق رضى الله عنهما وكانت من المهاجرات الاول . قالت : قال لنا رسول الله ﷺ عليكم بالتسبيح والتهلل والتكبير واعتقدن بالأنامل فانهم مسؤولات مستطقات ولا تغفلن فتنبين الرحمة » أخرجه أبو داود والترمذي واللفظه له وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ما أصرت من استغفر ولوعاد في اليوم سبعين مرة » أخرجه أبو داود والترمذي

وعن أغرم مزينة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم مائة مرة » أخرجه مسلم وأبو داود ، وفي رواية لمسلم « توبوا الى ربكم فوالله إني لأتوب الى ربي تبارك وتعالى في اليوم مائة مرة » والبخاري والترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « والله انى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة » قوله (ليغان) أى يضل ويغشى ولتراد به السهو

وعن أسماء بن الحكم الفزارى قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول : « كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله ﷺ فنعني الله تعالى بما شاء أن ينفعني منه ، واذا حدثني رجل عنه استعلفتة فإذا حلف لي صدقته ، وأنه حدثني أبو بكر الصديق رضى الله عنه وصدق أبو بكر . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فينظرو ويصلى ركعتين ثم يستغفر الله تعالى إلا غفر له ثم قرأ - والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - الآية » أخرجه أبو داود والترمذي

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من مال لاله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه ، ومن مال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطيئاه وإن كانت مثل زبد البحر » أخرجه الثلاثة والترمذي

وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة » وفي رواية عوض الثالثة « وبني له بيتا في الجنة » أخرجه الترمذي

وعن جورية زوج النبي ﷺ رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أحمى وهي جالسة فقال : ما زلت على الحال التي فارقتك عليها قالت نعم ، قال : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزفت بما قلت منذ اليوم لوزنتن سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، أخرجه الترمذى ، وقوله زنة عرشه أى يوزن عرشه في عظم قهره ، ومداد كلماته أى مثلهما وعددها ، وقيل للمداد مصدر كالتة

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « كتمان خفيقتان على اللسان ، قيتان في الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده . سبحان الله العظيم » أخرجه الشيخان والترمذى وعنه أيضا رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فانها كنز من كنوز الجنة » قال مكحول : فمن قالها قال « لا منجى من الله إلا إليه » كشف الله عنه سبعين بابا من الضر أدناها التفر . أخرجه الترمذى . وبهذا تم الكلام على القسم الأول في تفسير البسملة والحمد لله رب العالمين

﴿ القسم الثاني ﴾

سُبْحَانَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ • إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ • أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ • إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ • نُوَرِّدُ أَفْئِدَتَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا رَبَّنَا وَلَقَدْ لَا مَصْطَلَىٰ عَمَّا يُخْلِقُوا مَا يَشَاءُ سَخَطَاءَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ • خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ الظُّلُمَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الظُّلُمِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْفَعَّارُ • خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْثَاهُم تَمَائِيَةً أَزْوَاجًا يُخَلِّقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ فَلَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْإِلَهُ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُصْرَفُونَ • إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَسِيمٌ وَلَا يَرْضَىٰ لِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ • وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نَفَسًا مِنْهُ نَدَىٰ مَا سَكُنَ يَدْعُوهُ إِلَىٰ مِنْ قَبْلُ وَجَّهًا لِلَّهِ أَنَّكَ تَبْجِلُ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ • آمَنَ هُوَ فَأَنَّىٰ تُكْفِرُ بِالْإِلَهِ سَاحِدًا وَقَدْ تَمَّ يَحْتَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ

إِنَّمَا يَنْتَظِرُ أَوْلَا الْأَلْبَابِ • قُلْ يَٰ عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّ كُمْ لِلَّذِينَ احْتَسَبُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
 حَسَنَةً وَأَنْزَهُ اللَّهُ وَاسْمُهُ إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ • قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ
 اللَّهَ خُلَاصَةً لِلدِّينِ • وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ • قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
 عَظِيمٍ • قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْهُ خُلَاصَةً لَهُ دِينِي • فاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَالِيسِينَ لِلَّذِينَ حَبِصُوا
 أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْبَاطِنُ • لَهُمْ مَنْ فَوْقَهُمْ ظِلٌّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ
 تَحْتِهِمْ ظِلٌّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا عِبَادَةَ عَادٍ قَاتُونَ • وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا
 وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمْ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ • الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أَوْلَا الْأَلْبَابِ • أَفَنُحَقِّقُ عَلَيْهِ عَذَابَ الْأَمَدِ أَفَإَنْتَ تَنْقُذُ مِنْ النَّارِ •
 لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ
 لَا يَخْلِفُ اللَّهُ عَهْدَهُ • أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ
 زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُغْفَرًا ثُمَّ يُجْمَلُ خُطْمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ •
 أَفَنُشْرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ
 فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَتَابِيًا تَقْرَأُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَفْشُونَ
 رَبَّهُمْ ثُمَّ نَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ
 فَالَهُ مِنْ هَادٍ • أَفَنُحَقِّقُ يَوْجُودَ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَقِيلُ لِلظَّالِمِينَ دُونُوا مَا كُنْتُمْ
 تَكْسِبُونَ • كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ • فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ • وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِهَٰؤُلَاءِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ
 كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ • قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ • ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِمُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا لِمَنْ هَلْ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ • إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ • ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ • قُلْ
 أَظْهَرُ مِنْ كَذَبِ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبِ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثَلٌ لِمَنْ كَفَرَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ فَبَاءَ
 بِالصِّدْقِ وَمَصَدَّقٍ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ • لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ •
 يُكْفَرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ • أَلَيْسَ اللَّهُ
 بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّتُونَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَالَهُ مِنْ هَادٍ • وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَالَهُ مِنْ
 مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ • وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّي أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلِبُوا عَلَى مَسْكَانِكُمْ إِلَى اللَّهِ فُتُوهُ فَتُكْفَرُ عَنْهُ * مَنْ يَأْتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثِيمٌ * إِنَّا أُنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَخِمْ لِنِاسٍ بِالْحَقِّ فَمَنِ امْتَدَّى فَلَنِفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَنْبَغِي عَلَيْهِ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ * اللَّهُ يَتَوَكَّلُ عَلَى الْآتَمِّ حِينَ مَوْتِهَا وَآلَتِي لَمْ يَمُتْ فِي مَنَازِلِهَا فَيَمْسِكُ أَلْفِي قَسِي عَلَيْهِ الْوَتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَقْدِرُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَدَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَفْهِرُونَ * قُلْ أَهْلُ الْقُلُوبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ هَالِكٌ عَلَيْهِ السَّيِّئَاتِ وَالنَّهَادَةُ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فَيَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَلَى الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَّاهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا نَمُ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَّاهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَهَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا فِي يَدَيْهِمْ يَتَزَيَّرُونَ * فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ شُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَلَائِفُهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ رَحِمْنَاهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ هَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَبَاءَهُمْ بِمَعْزِرَتِهِمْ * أَوَلَمْ يَسْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْشُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(تنزيل الكتاب) وهو القرآن كائن (من الله العزيز الحكيم) أي لامن غيره (إما أنزلنا إليك الكتاب) ملتبساً (بالحق) فاعبد الله محضاً له الدين) من الشرك والرياء (ألا الله الدين الخالص) أي هو الذي يجب اختصاصه بأن تحصل له الطاعة من كل شائبة (والذين اتخذوا من دونه) أي من دون الله (أولياء) أي الأصنام هلوا (مانعاً بهم) إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أي قرباً فانهم كانوا إذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والأرض فيقولون الله فيقال لهم فما معنى عبادتكم الأوثان فكانوا يجيبون بما تفتهم (إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) من أمر الدين (إن الله لا يهدي) أي يرشد لدينه (من هو كاذب) فيقول أن الأصنام تشفع (كفار) باتخاذهم الآلهة (لو أراد الله أن ينحذ ولداً لاصطفى) اختار (مما يخلق ما يشاء) يعني الملائكة ثم نزّه نفسه فقال (سبحانه هو الله الواحد القهار) فيملكه الذي لا شريك له فيه ، فقهره مطلق

في المخلوقات فكيف يجوز عليه أن يقهره غيره فيموت فيحتاج إلى الولد . كلا . قهره عام في العالم العلوي والسفلي ، أما في العالم العلوي فهو قوله (خلق السموات والأرض بالحق يكفور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) والتكوير الف والي . يقال كالأعمال على رأسه وكورها ، ولا جرم أن كل واحد من الليل والنهار في تناسلها أشبه بتتابع أكوار العمارة بعضها على بعض . ألا ترى إلى الأرض وقد دارت حول نفسها وهي مكورة فأخذ النهار الناشئ من مقابلتها للشمس يسير من الشرق إلى الغرب بانف - ولها طلوع الليل ، والليل من الجهة الأخرى يلتف حولها طلوع النهار ، فالأرض كالرأس والظلام والضياء يتتابعان بتتابع أكوار العمارة وبتلفان متتابعين حولها ، وهذا التعبير من أعجب ما يعلم به أن القرآن يرشدنا إلى كروية الأرض أولا ويرمز إلى دورانها حول نفسها ثانيا ، ذلك لأن الليل والنهار ليسا من خواص الشمس فلا ليل ولا نهار هناك وإنما هما في الأرض فتكوير الأرض ظاهر الآية ودورانها أتى تابعا بالرمز والاشارة وقوله (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) أي إلى منتهى دوره أو منقطع حركته (ألا هو العزيز) الغالب على كل شيء ومنه الشمس والقمر (الفجر) حيث لم يحال بالقوية . وأما العالم السفلي فقوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجهما) أي خلق الله نفس آدم وجعل منها حواء وجعل منهما ساكنات الناس ولم يخلقهم بلاعناية بل أنزل الماء من السماء وأنبث الزرع والشجر وخلق الليل والنهار والغيم والمطر من كل نوع منها زوجين اثنين ذكرًا وأنثى فتكون كلهما ثمانية أزواج وتلك الأزواج الثمانية تنفد في الثبات والشجر النابت بالماء النازل من السماء فكانها كلها زلت من السماء . وقيل إن هذه الأزواج الثمانية زلت من السماء وهذا يوافق قول بعض علماء العصر الحاضر على سبيل الجنس والتخمين أن أصول المخلوقات زلت من عالم آخر غير الأرض والأمم في هذا غير معلوم فشكله إلى الله تعالى . فالقول البشرية لا تطبق هذه الحقائق العالية وهذا قوله تعالى (وأزل لكم الأنعام ثمانية أزواج) ثم أخذ يصف عجائب خلق الإنسان والأنعام في الأرحام ويظهر العجائب في أبدانها فقال (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) نقطة ثم علقه ثم مضى وهكذا إلى تمام الخلق (في ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة (ذلكم) التي هذه أحواله (الله ربكم) هو المستحق لعبادته (فأتى تصرفون) فكيف يصل بكم من عبادته إلى عبادة غيره على أن الله لم يخلق الناس بالعبادة إلا لرفق قوسهم فأما هو فغنى عن عبادتهم وهذا قوله (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) لأنه خلق النفوس الإنسانية والعالم كله لأرقائه ونشوه فلذلك قل - ولا يرضى لعباده الكفر - التي هو مانع من ارتقاء النفوس وإن كان بإرادته مانع قام بنفس حقائق تلك النفوس فعلق الإرادة به على ما هو عليه (وإن تشكروا يرضه لكم) لأنه على مقتضى سنة القويم العادل وصراطه المستقيم (ولترزقوا وزرا أخرى) أي لا يؤخذ أحد بذنوب الآخر (ثم إلى ربكم مرجعكم فينبشكم بما كنتم تعملون) بالمحاسبة والمجازاة (إله عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه خافية من أعمالكم (وإذا من الإنسان ضرر دعا ربه منيا إليه) راجعا إليه بالله لا يدعو غيره (ثم إذا خوله) أي أعطاه (نعمته) من الله (نسى ما كان يدعو إليه) أي نسى الضرر الذي كان يدعو الله إلى كشفه (من قبل وجعل لله أندادا) وهي الأصنام (ليضل عن سبيله) أي ليرد من دين الله تعالى (قل) لهذا الكافر (تتم بكفره قليلا) في الدنيا إلى احتضار أجله (إنكم من أصحاب النار) وهي عاقبة في الكفار (أمن هو فانت آناه الليل ساجدا وأما) أي بل آمن هو مطيع كمن هو عاص ، وقوله - آناه - أي ساعاته ، وقوله - ساجدا وقائما - حالان من ضمير هنا ، وقوله (يعجز الآخرة ويرجو رحمة ربه) حالان أيضا ، والقنوت القيام على الطاعة كقراءة القرآن وطول القيام ، وبالجملة كل من قام بعمل يحب عليه (قل هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون) بعد أن ذكر الله تعالى العمل الطيب على العاصي بذلك في القوة العملية أخذ يوازن بينهما من حيث القوة العلمية ففي المساواة بين العالم وغير العالم ولم يبين نوع

العلم اشارة الى أن وجه الموازنة بين الناس ليس مختصا بعلم واحد بل جميع العلوم ، ولاجرم أن العلوم ثلاثة أقسام علوم لا تتوقف على عمل كالعلم بالله وملائكته الخ وكالعلوم الحكيمة وعلوم يستتبعها عمل كعلم الفقه وعلم قوامه العمل بجميع الصناعات ، وهذه الأقسام الثلاثة كلها فيها علم ولولـ " . فالتجارب والمخاطبات والناسج كل هؤلاء صانع والعمل في صناعتهم أكثر من العلم بل لانسبة بين علومهم وأعمالهم والمهندسين وعالم الفلك علمهم أغلب من أعمالهم . فكل طائفة من هؤلاء أفضل من الجاهل من حيث ما عرف . وعليه تكون الأم العالة بهذه العلوم أفضل من الجاهلة بها . فالفضل تابع للعلم . وعلى مقدار معارف الانسان يكون فضله . ولاجرم أن المسلمين اليوم اكتفوا بلفظة تداولت على ألسنتهم وهي لنهم مؤمنون . ومتى قال الانسان أنت أنت وأسلفت فانه اذا ترك نفسه مهملا عاطلا حق له الفضل وهذا خطأ فاضح فان الله فاضل بين النفوس بالعلوم . فالنفس العالة بما هو من طابعها وما قدر عليه بحسب استعدادها أفضل من النفس الأخرى التي قدرت على علم وتركته جهالة بقدرها وانكالا على صفة الايمان . فمن كان أهلا لعلم الهندسة أو الفقه وتركه ندالة وجهالة وكسلا وكان هناك آخر مستعد بطبعه وبعاله التزلة الى حرفة الحداثة أو البرادة فقام الثاني وأتقن حرفته وقام بها خير قيام فان هذا الثاني أفضل من الأول لأنه قام بما قدر عليه ولو كان أقل فضلا عما قدر عليه الآخر الذي لم يتم بما هو في إمكانه تحصيله كما ان الانسان اذا ترك التحق والتفكر ودخل في عدد الجمادات بذلك الاهمال صار ادنى منها منزلة لأنها قامت بما في طاقتها وهو قصر وقلة قال تعالى - أولئك كالأنعام بل هم أضل - أولئك هم الغافلون - أى عما أودع فيهم . وعلى هذا التفسير يكون المسلمون اليوم قد تركوا مواهبهم وعطاولها وأناموها وهذا نزول من المقصرين منهم عن بعض خصائص الانسانية لأن الحيوان لاقدرة له على الصناعات والعلوم وقد سهل الله له الزرق ولم يحشمه للمشاق فوق طاقته . أما الانسان فانه جعل رزقه غير ميسور كرزق الحيوان وبسط له المواهب ليستعملها فإذا قصر فيها فقد تنزل الى الحيوانية . وقد اعتاد المسلم أن يقصر ذلك على الايمان وحده ولكن هذه الآية تهم وتدعو الى درس سائر العلوم والصناعات بحيث يخص كل فيما خلق له - لا يكف الله نفسا إلا وسعها - فليقم كل فرد من الأمة بما يواى طبعه . فخرام على رجال الحل والعقد في مصر والشام وجزيرة العرب وبلاد الترك والروس والفرس وبلاد المغرب أن يبقوا مكتوفى الأيدي بل عليهم أن يعمموا التعليم لم يختاروا على حسب درجات الامتحان لكل علم ولكل حرفة من هم أهل لها ويرامى في ذلك القوة البدنية والاستعداد والأحوال العارضة . وحيث يتخرج في كل قطر من أقطار الاسلام طوائف للعلوم وللصناعات جميعها ويتم النظام كما يتم النظام في تزواج الذكور والاناث إذ جاء العدد متساويا في الزوجين تقريبا في كل زمان ومكان . هكذا خلقت الفرائز - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - . إن الفرائز خلقت في الناس على قدر الحاجة قل الأذكىاء للحكمة مثلا وكثيرا محاب الأعمال الجسمية ليم نظام المدن (لغما يتذكروا ولوا الألباب) فيقومون بأمر العلم ويرقون نفوسهم وقوس غيرهم وسيأتى في القاطب مزيد لهذا (قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم) بلزوم طاعته (الذين أحسنوا نواقي هذه الدنيا حسنة) أى للذين أحسنوا حسنة في الدنيا كالصحة والعافية ، فجعل الله الحسنة في مقابلة الاحسان ، فإذا سار على طريق علم الصحة فذلك احسان ، وإذا استقام وترك القنوب وإذا فعل البر والمعرف وإذا قام بالطاعات ، كل ذلك إحسان ، ونتيجة هذا الاحسان من الانسان الحسنات في الدنيا من العافية والصحة وحب الناس وفي الآخرة الجنة (وأرض الله واسعة) فمن قصر عليه الاستقامة في بلد فليرحل الى غيرها ، فليهاجر الانسان من البلد الى فيها معصية الى بلد لا معصية فيها (لغما يوفى الصابرون) على مشاق الطاعات واحتال البلاء ومهاجرة الأوطان (أجرهم بغير حساب) أجرا لا يمتدى اليه حساب الحاسب . وعن على رضى الله عنه : " كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرون فانه يحصى لهم حثيا " ويروى " ان أهل العافية في الدنيا يتخون لو أن أجسادهم تقرض بالمقراض لما يذهب

به أهل البلاء من الفضل ، وقوله (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أى أمرت باخلاص الدين (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) أى وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أى مقدمهم وسابقتهم في الدنيا والآخرة . فقد أمر أولا بالاخلاص في الدين وثانيا بأن يكون سابقا ليقنتدى به غيره (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) لما دعاه قومه الى اتباع ملة آباءه وأجداده أمر أن يقول ذلك وليكون ذلك إناقة لأتمته اذا حادوا عن الصراط لأى داع (قل الله أعبد مخلصا له ديني) أى لا أعبد سواه وهذا الحصر لا يستفاد من قوله - قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين - وأيضا ذكر هذا ليرتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) وهذا تهديد وخذلان لهم (قل إن الخاسرين) الكاملين في الخسران (الذين خسروا أنفسهم) بالفساد (وأهلهم) بالاضلال (يوم القيامة) حين يدخلون النار (الأذلك هو الخسران المين) مبالغة في خسراتهم (لهم من فوقهم ظلل من النار) شرح لخسراتهم (ومن تحتهم ظلل) أى لهم أظباق وسراقات من فوقهم وفراش ومهاد من تحتهم وهي من جهة أخرى ظلل لمن هم تحتهم في النار فهي ظلل بالنسبة لمن تحتهم فراش ومهاد بالنسبة لهم (ذلك) العذاب (يخوف الله به عباده) ليجتنبوا ما يورثهم فيه (يا عباد فاتقون) ولا تترسوا لما يوجب سخطي (والذين اجتنبوا الطاغوت) الأوثان (أن يعبدوها) بدل اشتغال (وأنابوا الى الله) ورجعوا الى عبادته بالكيفية وتركوا ما سواه (لهم البشري) في الدنيا بالثناء عليهم بصالح الأعمال . وعند نزول القبر . وعند الخروج من القبر . وعند الوقوف للحساب . وعند جواز الصراط . وعند دخول الجنة . وفي الجنة . في هذه المواطن السبعة يشيرون بالسعادة والرضوان ويسعدون سعادة بالروح والريحان (فبشر عباد) وهم الذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا يريد أن يكونوا مع الاجتناب والالتابة على هذه الصفة وهي أنهم (يستمعون القول) في الدين وغيره (فيستمعون أحسنه) بحيث يكونون قاذبين فيما ينزل بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل فيقتدمون الواجب على المنسوب في الدين والمنسوب على المباح . واذا جنى عليهم وقنبروا على العفو قنبروه على القصاص . واذا رأوا طريقين في أمور الحياة قنبروا ما هو أنفع للأمة كاستعمال الآلات الحديثة في الزراعة والصناعة كاستعمال الطيارات في النقل في الحرب والغزوات البحرية وكاختراق باطن الأرض لاستخراج المعادن وهكذا من كل مابه يرتقي نوع الانسان . فهؤلاء يشيرون النبي ﷺ بأمر ربه أن يسودوا في الدنيا وتنتى عليهم الأم والأجيال المقبلة . واذا ماتوا بشرتهم الملائكة في المواعظ كلها فتتمثل البشارة لهم في سائر المواطن (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) أى المنتفعون بقولهم ، فانظر في هذا التصير وكيف يقول إن الذين يسمعون القول فيجيبون أحسنه هم الذين هداهم الله وهم أولوا الألباب . مدحهم بالهداية وبالقول الكاملة . لماذا ؟ لأنهم يختارون خيرا للأميرين في دينهم ودنياهم . أقول : ولولم يكن في القرآن إلا هذه الآية لكفت في ارتقاء المسلمين في هذه الحياة الدنيا . ألايت شعري كيف نام الناس وتركوا عقولهم كأنها لم تخلق فيهم . يرى المسلمون الأم قد ارتقت صناعاتها وتجاراتها وأعمالها وعلومها وهم نائمون . أليس هذا كلام الله ! وسيقوم قريبا في هذا العصر من يرقون هذه الأمة من أبنائها - ولتعلن نبأ بعد حين - . ولما كان الاستعداد الانساني هو الذي اليه المرجع في رقي الانسان واعطاطه وهوتايع للقضاء والقدر ، فلذا سبق بعذاب على امرئ لم يكن للهداية قدرة على اصلاحه أعقبه بقوله (أفن حق) عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار) أى أفأنت مالك أمرهم فمن حق) عليه كلمة العذاب لعدم أهليته للكمال أفأنت تنقذه . كلا . فليس لك أمرهم . قد كررت الهزيمة في الجزاء لتأكيد الانكار ووضع - من في النار - موضع الضمير ليعلم الى أن دعاهم الى الايمان سبي في اتقاذهم من النار المحققة (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) يقول الله : لكفار ظلل من النار وللتقين علالي بعنفها فوق بعض (تجري من تحتها الأنهار) من تحت تلك الغرف وعدمه الله ذلك (وعد

﴿ الكلام على أعظم أسباب دخول الجنات ﴾

(والارتقاء الى أعلى الدرجات)

اعلم أن الله تعالى لما ذكر الجنة وغرفها وأنهارها وأن وعده فيها لاشك فيه أردفه بذكر انزال الماء من السماء وادخله ينابيع في الأرض وسقى الزرع به ، ثم أعقبه بالكلام على شرح الله لصدر المؤمن للإسلام وخم الذين قست قلوبهم ، وفتح القرآن وأنه أحسن الحديث يشبه بعضه بعضا في الحسن ولا تملّ تلاوته ، تضرب منه جلود الذين يحشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المفقرة . ذكر أنهار الجنة وغرفها فتناسب أن يذكرهم الأرض ، كأن الله يقول لنا : « هل شاقكم نعيم الجنان ، هل أحييتم الغرف التي فوقها غرف مبنية ، هل تفرحون بأنهار الجنة وأشجارها ؟ إذا كان كذلك وهو حق ما فطرهم عليه فافطروا أنهار في أرضكم وقبضوا من المطر النازل من السماء والمسالك والمجاري والعروق التي تخطت أرضكم وقد تنوعت تلك الينابيع وتنوعت خواصها وأنبئت الزرع والكلأ والخشب وقعت ففعا كثيرا ، إذا فكرتم في ذلك فإن قلوبكم تفسر للحكمة والعلم وتستبين بشاركم بالأخبار البانية ، فاقروا القرآن فهو أحسن الحديث لنقلا ومعنى ، ذلك هو السبيل المستقيم لدخول الجنة والفتح بغرفها وأنهارها وأشجارها ، فالأنهار والزروع كما تبقى بها الأجسام ترقى بها العقول ، فالعقل بالتفكير والجسم بالغذاء والسواء » فانظرو كيف جعل الله جنات الدنيا وحدائقها أسبابا لجنات الآخرة وغرفها . انظرو كيف كان التفكير في جنات الأرض سعادة نفسية كما أن الانتفاع بها سعادة جسمية ونتيجة ذلك دخول الجنة . فبالت شعري كيف أعرض المسلمون وغفلوا . جنات في الدنيا أسروا بالتفكير فيها ولا تفكر فيها إلا بوجودها . اللهم أزل الجهالة من بلاد الاسلام وأذقهم نعيمك كما ذاقوا مرارة النقرة والاذلال - إنك أنت السميع العليم -

ذلك قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) أى المطر (فأسلكه) فادخله (ينابيع في الأرض) عيون ومسالك ومجاري كما يرى للانسان عروق ومسالك في جسده أى حال كونه ينابيع (ثم يخرج به) بالماء (زرعاً مختلفاً ألوانه) هيئاته من خضرة وحرة وصفرة وبياض وكونه برا وشعبا وسمسا ودواء وفخاء الى ما لا حصر له (ثم يهيج) يهيج (فتراها مضرا) بعد فضاوته وحسنه (ثم يجعله حطاما) فتاتا متكسرا فالخطام كل ما فتت من نبات وغيره (إن في ذلك لذكرى) لتذكيرا بحكمة الصانع (لأولى الألباب) الذين تقدم القول فيهم انهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأن الله هداهم ومن هدايته لم انهم يتفكرون في هذه الجباب

﴿ لطيفة في المياه والينابيع ﴾

(الماء الصالح للشرب)

اعلم أن الله عز وجل جعل الماء الصالح للشرب محتويا على ما ينفع الجسم من المواد الغريبة عنه مثال ذلك :

(١) أملاح قليلة مركبة من الكربون والكالسيوم

(٢) وأخرى مركبة من الكربون أيضا والمغنسيوم

(٣) وقليل من الفلور

(٤) والكلور كل منهما مركب مع مادة أخرى

(٥) والسليس

وعما يلزم في الماء الصالح للشرب :

(١) أن يكون باردا

(٢) وطعمه خفيف

(٣) ومذيب لقذار من الهواء

(٤) ومذيب للصابون

(٥) ومنضج للبقول

ويجب أن لا تزيد الأملاح في الماء عن (٥٠) سني جواما في اللتر الواحد . وهذه المواد الداخلة في الماء قد جعلها الله فيه لأن البنية تحتاج إليها والأغذية لا تحتوي على مقدار كاف منها . فانظر كيف جعل الله الكالسيوم المركب مع الكربون والمنفسيوم المركب أيضا ومركبات من الكلور ومن الفلور ومن السليس انظر كيف جعلها في الماء التي نشربه ونحن لاعلم لنا بها . وجعل احتواء الماء على هذه مشروطا لا تتفادنا بالماء . فإذا قصت هذه المواد قلّ انتفاعنا بالماء . وإذا زادت كانت المياه ضارة بنا ولم تصلح لشربنا

﴿ المياه المعدنية ﴾

انظر الى الينابيع في الأرض كيف جعلها الله لتتوزع المياه . فبينما الماء ينزل من السماء مطرا اذا هو في الأنهر جاريا ساقيا للزراع اذا هو في مجار تحت الأرض يجري والناس من فوقها لا يعلمون وانما بحفرون الآبار فتخرج مياه من تلك المجارى فيجودونها مختلفة الصفات وبها يتداوون ومنها يشربون . وكثيرا ما يستخرجون من تلك المياه أملا نافعة في الصنائع

(١) — ﴿ المياه الحارة : مثل ماء فيشي ﴾

ومن المياه ما تكون حاررتها مرتفعة عن درجة الحرارة الاعتيادية لكونها آتية من أغوار الأرض أو لكونها بالقرب من البراكين . فهذه المياه تسمى بالمياه المعدنية الحارة وذلك كماء فيشي التي درجة حرارتها (٤٥) واعلم أن الأسماء المعدنية تختلف تسميتها بحسب المعادن التي فيها

(٢) — ﴿ المياه الغازية والمياه الحسنة التي تغور بعرصها للهواء ﴾

تلك مياه فيها جف الكربونيك ذائبا ومركبات كربونية قلوية أيضا وملح الطعام والحديد المركب مع الكربون ومثل هذه تغور متى قهرضت للهواء . وذلك مثل ماء سلس

(٣) — ﴿ المياه القلوية : ماء فيشي ﴾

يكون فيها مركبات الصوديوم وبعض مركبات الكربون

(٤) — ﴿ المياه الكلورية ﴾

يكون فيها ملح الطعام ومركب الكلور مع البوتاسيوم والكالسيوم والمنفسيوم وهكذا

(٥) — ﴿ المياه الكبريتية ﴾

مثل مياه مدينة حلوان . ففيها مركبات الكبريت المختلفة

(٦) — ﴿ المياه الحديدية ﴾

كماء (أورتزا) فيها حديد متعدد بالكربون

فتجب من هذه المياه المختلفة الآتية من الينابيع وانظر قوله تعالى - فسلكه ينابيع في الأرض - وتجب كيف كان في تلك الينابيع حديد أو كبريت أو كلور أو الكلور قد علمت فيها مضى انه أحد الضررين المركب منهما ملح الطعام . أو كربون وهو المادة الفعمية أو غيرها من المعادن

انظر كيف تسمع الناس في مصر وغير مصر يقولون : تعال لنستشفى بماء فيشي أو بماء حلوان أو بالمياه الكلورية وهم غافلون . لقد صرف الله الماء للناس ليتذكروا . انظر كيف قزع الماء لنستشفى به ! ينظر

الإنسان يرى الماء قد تظلم باطن الأرض وجرى في عروقها وجار بها وصر على مركبات حديدية وكبريتية وأخرى مغنيسية وأخرى كلورية . فيظن لأول وهلة أن ذلك رمية من غير رام حتى إذا نظر تتابعها من أنواع الأودية عرف أن ذلك كان لحكمة مقصودة . هذا معنى قوله تعالى - فليكن بنايع في الأرض - أي أن تلك المنافع التي تروى في ماء حلوان وفي ماء فيشي وفي ماء كرلسا المحتوى على مركب من الكبريت والصوديوم وأمثالها لم تكن مصادفة بل أنا الذي أدخلتها في الأرض وأصمدها على تلك العناصر وجعلت ذلك لبدواة من الأمراض المختلفة . وأما فعلت ذلك لتفكروا لتأهلوا لعالم أرقى من عالمكم الأرضي فهذا هو معنى قوله تعالى - إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب - فأولوا الألباب هم الذين يعقلون ذلك من وجهين : من وجه المنفعة المادية . ومن وجه المنفعة العقلية . فالسالمون اليوم عالة على أوروبا في هذه المياه وغيرها . فلام درسوها وعقلوها . ولهم استخراجوها وانتفعوا بها . والألمان متلزمان وأما يقدلون النتيجة فيها وهم غافلون وحسبنا الله ونعم الوكيل

لقد غفل أكثر العلماء ففسح السالمون على منولهم وناموا . فليين قارىء هذا التفسير للناس بهجاب الدنيا حتى يدرسوها ويتفحصوا بها ويرتقوا إلى الله بالتأمل في محاسنها . أما الاتكال على النتيجة فانه عار وأي عار . فأين أولوا الألباب إذن في الاسلام وأين تذكروهم ؟

لا بد أنك أبها الفكي انشرح صدرك لما رأيت في الماء من الهجاب ولما أدركت من الحكم الجيبية ، لذلك أردفه سبحانه وتعالى بقوله (أفن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) أي بيان وبسيرة أي أفن دخل النور قلبه فأنشرح واضمح للإسلام لما يرى من تلك البدائع والهجاب المهيئة للحكمة فاهتدى بها كمن طبع على قلبه لفنك وجهاته * وورد أن علامة ذلك الانشراح الانابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الفور والاستعداد للوت قبل نزول الموت ، وقوله (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) دليل على المحذوف الذي قدرته في الجملة السابقة . وقوله - من ذكر الله - أي من تذكرك ذكر الله (أولئك في ضلال مبين) غواية ظاهرة (الله تزل أحسن الحديث) حال كونه (ككتاباً متشابها) يشبه بعضه بعضاً في الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاهجاز وما أشبه ذلك كما تشابه أجزاء الماء والهواء وأجزاء النبات والزهر وأبنية الحيوان (مثاني) تثني وتردد قصه وأنبأوه وأحكمه وأوامره ونواهي ووعده ووعيده ومواعظه وهذا أيضاً لكونه متشابهاً ، فكما أنك تجد في جميع أجزاء الهواء والماء والنبات والحيوان للمواد التي تركب منها بلا خطأ ولاخل فلهواء ولألامه ولانبات إلا وأنت وأجد في كل جزء منه الأجزاء التي تركب منها وذلك دليل على الاتفاق وعدم الخلط والخطأ ، هكذا الكلام الصادق لغرض واحد تراه أبنا حالته يرجع إلى الأمور التي إذا ركبت وأدرجت فيه فتنتج الغرض الذي سبق له الكلام

﴿ حكمة الألمانية ﴾

قال لي أحد الأصدقاء يوماً وقد كان في بلاد ألمانيا : أنا قرأت حكمة باللغة الألمانية وهي : « يجب على المؤلف أن يظهر في كتابه كما ظهر الله في مصنوعاته » فما معنى هذا ؟ قلت معناه أن يكون المؤلف له غرض يرى إليه وقد مزج الفكرة بنفسه بحيث يتصرف في القول والشيء تصرف الله في المادة حتى أنك لترى مقدماتها ترى لغايات معلومة ، هكذا الكتاب يجب أن يكون مؤلفه أشبه بناسج الثوب ينسج على منواله وأن يفعل فيه فعل الجسم الإنساني في التصرف في الطعام وفعل النحلة حوّل رحيق الأزهار إلى عسل بهيمة منظمة بحيث يحول ما يقرؤه ويفكر فيه إلى دورة ترسمها نفسه كما يحول النبات صور العناصر الأرضية إلى الهيئة النباتية فتضيق سائر صفات العناصر وتحلّت صفات جديدة . فهذا معنى التشابه المذكور في الآية ولذلك قال

تعالى - ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا - وقد عرفت الاختلاف فانك اذا ألقت كتابا ووضعت فيه أنواعا من السبر والأحكام ولكنك لم تصل ذلك بمقتضى ما أنت كانت تلك القصص والأحكام غير منسقة ولا منظمة وفقرت منها النفوس ولم تؤد إلى الفرض المطلوب كما اذا بقيت المولدة الأرضية والهوائية مفرقة غير متحدة في الصورة الثابتة فانها لا تؤدى المقصود من الثبات بل هي تراب وطين مثلا تستعمل لما له التراب والطين ، وقوله (تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم) أى تقطرب وتشرذم وتأخذهم قشعريرة وهي تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وكذلك القلوب ، وقوله (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أى بالرحمة وعموم المغفرة ، فاذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت الجلود ووجلّت القلوب ، واذا ذكرت آيات الرحمة والوعد لانت الجلود وسكنت القلوب ، ومن أين يكون هذا لو لم يكن القرآن متشابها بالمعنى الذى عرفته ولو لم يكن متشابها مثنائى على تيرة واحدة لم يحدث تلك الآثار في القلوب كما يحدث النبات آثاره المغذية مثلا إلا بذلك التشابه ، وعلى المؤلفين في أمة الاسلام أن ينحسروا نحو القرآن بحيث تكون نفوسهم متأثرة بما يكتبون عاقلة لها فلها لعلامة تحدث أثرا في نفس السامعين وهذا هو قوله تعالى - وما أنا من المتكفين - فان المتكفي في القول لا يؤثر في سامعه ولا يحدث في النفوس خوفا ولا رجاء لأن القول مصحوب بآثار نفس القائل ، وليس معنى هذا أن تكون بليغا كالقرآن بل أن تتخلق بأخلاق الله ورسوله ويكون تأليفك بناء على شوق ووجدان في تنسك والا فلا يفيد (ذلك) الكتاب أو الكائن من الخشية والرجاء (هدى الله يهدي به من يشاء) هدايته (ومن يضل الله) ومن يضل الله (غاله من هاد) يخرج من الضلالة إلى الحق

﴿ ذكر عذاب الظالمين في الدنيا والآخرة ﴾

قال تعالى (أفمن ينفي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) كمن هو آمن أى ان الانسان يتقى المخاوف بيديه صيانه لوجهه ، فاذا كان هؤلاء الظالمون في النار وغلت أيديهم إلى أعناقهم فانهم لا يتقون النار إلا بوجوههم (وقيل للظالمين) أى قيل لهم فوضع الظاهر موضع الضمير (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى وبالله (كذب الذين من قبلهم فانهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى من الجهة التي لا يخطر ببالهم أن الشر يأتي من جهتها (فاذا هم الله الخزي) الدل والصغار كالسلخ والحسف والقتل في الحياة الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر) من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) لآمنوا ، أو لو كانوا من أهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) بينا للناس فيه من كل وجه (لعلهم يتذكرون) أى لكي يتعظوا (قرآنا عربيا) منصوب على الملح مستقبيا (نيرذى عوج) بريئا من التناقض (لعلهم يتقون) الكفر والمعاصي

﴿ ضرب مثل لحال المشركين والمؤمنين ﴾

قال تعالى (ضرب الله مثلا رجلا) بدل و (فيه شركاء مقتا كسون) متنازعون مختلفون (ورجلا سلما لرجل) أى ذا خلوص له من الشركة سالما (هل يستويان مثلا) أى صفة أى هل تستوى صفاتها وحالهما (الجد لله) الذى لا إله إلا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره ، هذا مثل ضربه الله للعابد والمعبودين له بعد اشتراكه فيه شركاء فتنازعوه واختلقوا وكل واحد يدعى الله عبده ويستخلمونه في مهن شتى وهو متعجب لا يدرى أيهم يرضى بخدمته ، وعلى أيهم يعتمد في حاجاته ، ومن منهم يرزقه ، ومن منهم يدأويه ، فهو أبدا في حيرة ، وشبه المؤمن بعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع لا مفرق

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن هذا المثل وان ورد في الكفر والإيمان يعلمنا كيف يكون الانسان سعيدا في الدنيا ، وذلك انه

للمساعدة لإلجماع الملم على أمر واحد ، ذلك ان حاجات الانسان لاتتكد تحصر وخطيئاته وسبائكه وما يستوره من مصائب المهركل صلب وكل مساء ، فلذا تفرق هم على تلك الوجوه كلها تقطع وعاش في غاية الشقاء وانما يسعد الانسان اذا عمل كل مالى طاقته ثم هو بكل نتائج الأعمال الى الله وما ناله من مصيبة يحتملها ويصبر عليها ويجزم بأنها أجنبته يطير بها الى العلا ، وما نال من نعمة يحمد الله عليها ويتخذها ذريعة لارتقاء نفسه بالعمل الصالح فيكون شكره على النعمة وصبره على العقوبة موجبين لغرض واحد ، فحق نال الانسان هذه المرتبة أصبح سعيدا ، بل حتى أدرك أن هذه الدنيا والآخرة وهذه العوالم كلها كأنها جسم واحد بنظام واحد وهو واثق أن ذلك النظام في غاية الكمال وأن كل دابة أو انسان اذا لم يكن على ما هو عليه كان النظم خطأ ، فلذا يقن الانسان بذلك لكثرة المراساة الطولية والتفكير أصبح لا يحزن على فاته ولا ينتظر غائبا ولا يبالى بمستقبل ولا ماض ، ويصبح وهو راض بكل ما يكون سعيد بهذا الرضا ، واعلم أن هذه المرتبة قلما ينالها الانسان في هذه الحياة ، بل تمر غالبا بكبرق خاطف أو كفواق ناقة أو جلسة خطيب ، ثم يضل الطبع على الانسان فيحزن ويفرح ويألم ويرجو ويخاف كسائر الناس ، ويندر من تصير هذه له ملكة راسخة ، ويقل من تلازمه في أغلب الأوقات ، ثم قال تعالى (إنك ميت وإهم ميتون) أى بصد الموت أوفى عداد الموتى (ثم إنكم) أى إنكم وإياهم (يوم القيمة عند ربكم تختصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا ويمتنعون هم بما لا طائل تحت ، ويقول التابعون للرؤساء أطعناكم فأضللونا ، ويقول السادة أغواونا الشياطين وأبأونا الأولون ، ويحتج بعض الأصحاب بأنهم مع ابن عم رسول الله ﷺ وقتلوا أعداءهم على هذا التأويل ، ويحتج أصحاب معاوية بأنهم يأخذون بدم عثمان ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يرون أن هذه الآية نزلت في المسلمين وأهل الكتاب فلما كان يوم صفين ويوم عثمان عرفوا أنها في المسلمين أيضا . وفي حديث البخارى أن النبی ﷺ قال : « من كان عنده مظنة لأخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظنته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » وفي مسلم انه ﷺ قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فیتنا من لادرهم له ولا متاع . قال إن المفلس من أتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هنا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان قُبِحت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار »

﴿ ذكر الصادقين والكاذبين ﴾

قال تعالى (فن أظلم من كذب على الله) بإضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) وهو ما جاء به محمد ﷺ (إذ جاءه) من غير توقف وتسكر في أمره (أليس في جهنم مثوى للكافرين) المثوى المنة والمقام أى يكفئهم ذلك مجازاة لأعمالهم (والذى جاء بالصدق وصدق به) الذى جاء بالصدق الأنبياء والذى صدق به المؤمنون وكذلك ملائكة الوحي والأنبياء (أولئك هم المتقون) الذين اتقوا الشرك (لم يمشاؤون عند ربهم) من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) فى أقوالهم وأفعالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) أى يستره عليهم بالمغفرة (ويجزىهم أجورهم بأحسن الذى كانوا يعملون) أى يجزىهم بمحاسن أعمالهم ولا يجزىهم بمساوئها ، وأجعل لهم محاسن أعمالهم مثل أحدا في زيادة الأجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها (أليس الله بكاف عبده) استفهام انكسارى للتقرير أى جنس العبد فيشملة ﷺ والأنبياء والمؤمنين وهذا كقوله تعالى - إنا كفيناك المستهزئين - وقوله (ويخوفونك بالذين من دونه) يعنى قريشا فلهم قالوا له إنا نخاف أن تحبلك آهتنا نعيبك إيلها . وأيضا بعث ﷺ خالدا ليكسر الخزى فقال له سادنها أحذر كما

إن لما شدة فساد اليها خالف فهمهم أنها . فكأنهم لما خرفوا خالدا خرفوا من أرسله وهو النبي ﷺ (ومن يضل الله) حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه عما لا ينفذ ولا يضر (فاله من هاد) يهديه إلى الرشاد (ومن يهد الله فاله من مضل) إذ لا راد لفعله كما قل تعالى (أليس الله بعزيز) غالب منيع (ذي انتقام) ينتقم من أعدائه

﴿ تقرير الآية السابقة باللاحقة ﴾

وهي قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) لوضح ذلك بالبرهان (قل) أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضرره) أي أرايتم بعد ما تدعون لكم أن الله هو خالق العوالم كلها . ان أخلصكم إن أراد الله أن يصيبني بضر هل هن يكشفن (أو أرادني برحمة) بغاية (هل هن سمكات رحمته) مانعاتني حتى تأمروني بعبادتها (قل) يا محمد (حسي الله) أي هو قتي وعليه اعتادي (عليه يتوكل المتوكلون) لعلمهم بأن الشكل منه تعالى (قل) يا قوم أعمالكم على مكاتكم حالكم أي اجتهدوا في أنواع مكرم وكيدكم وهذا تهديد لهم (إني عذل) فما أصرت به من إقامة الدين (فسوف تعلمون * من يأتيه عذاب يخزيه) أنا أم أتم (ويحل) عليه عذاب مقيم دائم وهذا تهديد وتخويف (إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس) لأجلهم ملتبسا (بالخلق فن اهتدي فلنفسه) إذ نفع به نفسه (ومن ضل فاما يضل عليها) أي فان وباله لا يخطأها (وما أنت عليهم بوكيل) أي وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما أصرت بالبلاغ وقد بلغت

﴿ ذكر النوم والموت ﴾

قال تعالى (الله يتوفى الأنفس) الأرواح (حين موتها) أي يقبضها عند انقضاء أجلها وهو موت الأجساد (والتي لم تمت في منامها) ومعنى ذلك أنه يقبضها عن الأبدان ويقطع صلتها بها ظاهرا وباطنا عند الموت ، وظاهرا فقط عند النوم (فيمسك التي قضى عليها الموت) فلا يردها إلى البدن (ويرسل الأخرى) وهي النائمة إلى البدن عند اليقظة (إلى أجل مسمى) هو وقت الموت * روى عن ابن عباس أنه قال : « إن في ابن آدم نفسا وبروحا بينهما مثل شعاع الشمس ، فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والحياة فتتوفيان عند الموت وتوفى النفس وحدها عند النوم (إن في ذلك) التوفى والامساك والارسل (آيات) على كمال الحكمة والاتقان وشمول الرحمة وعمومها (قوم يتفكرون) في كيفية تعلقها بالأبدان وتوفيقها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لاتفنى بفناء الأجساد وما يعترها من السعادة والتقاوة ، وكيف تتوفى ظاهرا حينما بعد حين إلى انقضاء الأجل * وعن علي - كرم الله وجهه قال : « تخرج الروح عند النوم ويقي شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا انقضى من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة » * وعن سعيد بن جبير : « ان أرواح الأحياء والأرواح الأموات تلتقي في المنام فيتعرف منها ما شاء الله أن يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها »

﴿ لطيفة في معجزات القرآن في هذا الزمان بمناسبة هذه الآية ﴾

أذكر لك بمناسبة هذه الأحاديث والآية ما قيل عن الأرواح في هذا الزمان لتعجب كل العجب من قول سعيد بن جبير : « ان أرواح الأحياء والأموات تلتقي في حال النوم » ومن موافقته لعلم الحديث ، فهناك مقالة لروح مستحضرة في المجمع النفية . قالت ما ملئني : « اذا نام الانسان اطلقت روحه من البدن وازدادت قواها عما في اليقظة فتذكر شيئا من ماضيها وتكشف بعض المستقبل وتتأجج الأرواح الأخرى في هذا العالم وفي سواه ، ألا ترى إلى الأحلام البعيدة التصديق انها ذكرى أما كن وأشياء كان رآها الانسان

أوسوف يراها في عالم البرزخ بعد هذه الأرض ، والروح غالباً وقت النوم يبحث عن ماضيه ومستقبله . ثم قالت : ما أشد جهلكم يا بني آدم ، تجهلون أسهل الأمور ، يسألكم بنوكم : ماذا نستفيد من النوم ؟ وماهى أحلامنا ؟ فترتبكون مع انكم تتعون انكم تعرفون كل شئ ، إن النوم يحمل النفس قليلاً من البدن فيكون الانسان وقت النوم أشبه به بعد الموت من بعض الوجوه . وكل من كان أكثر استحضاراً واستدراكاً لما رأى في المنام يكون أسهل انحلالاً عند الموت والعكس ، فأمثال هؤلاء ينضمون وقت النوم الى جماعة الأرواح العالوية وينتقمون بأحاديثهم وتعاليمهم ، وهذا ينزع عنكم خوف الموت لأنكم تموتون كل ليلة على حسب قول أحد الأبرار (يريد سيدنا محمداً ﷺ في القرآن) . قال : وكلامى هذا عن الأرواح العالوية ، وأما عاقبة الناس الذين تبقى أرواحهم بعد الموت ساعات وأياماً على حالة الاضطراب المعالمة لكم في الاستحضار للبين حديثاً ف هؤلاء قلما ينتبهون لما يعملون وقت الرقاد . وكمن من امرئ يقابل امراً في النهار فيرى في قلبه اقتباساً . لماذا ؟ لأنه قد يكون اطلع على أحداثه وقت النوم فوجدته يبعثه . ويرى آخر فيقابل به لطف وشوق نهاراً . لماذا ؟ لأنه قضى معه وقت الرقاد ساعات في صفاء وسرور . ثم قال : وبالاختصار إن للنوم أثراً في حياتكم اليومية وأتم لانتحرون . ثم قال : فالنوم للأرواح العالوية التى فى الأجساد باب للناموس والمنهاج المؤدى الى السماء حتى يوافيها الأجل وتعود الى مقرها السعيد . ثم قال الروح : والحلم تذكر الانسان مآرأه وقت الرقاد . فلمن تحلمون دائماً لأنكم لاتنذكرون دائماً مآرجوه وانما تذكرون ما يعرض لكم فى حال الاضطراب الملازمة لمبارحة الروح وعودتها الى الجسد . ويضاف الى ذلك أمور أخرى مما تصنعونه وقت اليقظة ومشغل الأفكار وذلك هو الباعث لتلك الأحلام التى يراها الجاهل والعالم على حد سواء بلا فائدة . وربما كانت تلك الأحلام كرواية حنف منها جل متعددة فباقى منه أصبح لاسياق له . وتستخدم الأرواح الشريرة أحياناً الأحلام لتكيد الأنفس الضعيفة ، انتهى ملخصاً

فعلى هذا تكون الأحلام إما أفكار أو مشاغل ازدجت وإما مسائل منتظمة ولكن حذف منها كثير فصارت لامعنى لها وإما مقاض شيطانية لإخافة النفوس الضعيفة . فأما الأرواح الشريفة فانها تنفع وإن لم تعلم شيئاً عن ذلك بالنهار . إن رواية سعيد بن جبير من مقابلة أرواح الأحياء للأموات هى عينها ما قرأه عن نفس الأرواح . أليس هذا من العجب . أليس ظهور هذا منسوباً للأرواح مجزئة للنبي ﷺ . إن عقولنا لا يمكنها أن تفهم أن أرواحنا تحدث أرواح الأموات . عقولنا لا دليل عندها على ذلك وقرأنا الأحاديث فوجدناها تقول ذلك . وهانحن أولاء نرى مطابقة العلم الحديث ومصادفة الأرواح لهذا المنقول . إن هذا هو المجزئة وهذا معنى قوله تعالى - ولتعلمن نبأه بعد حين -

ثم قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) هى الأصنام (قل) يا محمد لهم اتخذونيهم شفعاء (أولو كانوا) أى الآلهة (لا يمكنون شيئاً) من الشفاعة (ولا يعقلون) انكم تعبديهم (قل لله الشفاعة جميعاً) أى لا يسمع أحد إلا بأذنه فلتسكن العبادة له لأنه هو التقيح فى الحقيقة لأنه هو الأذن فى الشفاعة لمن يشاء من عباده (له ملك السموات والأرض) لملك لسواه (ثم اليه ترجعون) فى الآخرة (واذا ذكر الله وحده انشأزت) نفرت وأهبطت عن التوحيد وأستكبرت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) وإذا ذكر الذين من دونه) يعنى الأصنام (إذا هم يستشيرون) يفرحون والاستبشار أن يعنى القلب سروراً - حتى يظهر على الوجه فيتهلل (قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة) فهو موصوف بكمال العلم والقدره (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين * عن ابن المسيب : « لا أعرف آية قرئت فدمى بعدها إلا أعجب سواها » وعن الربيع بن حليم وكان قليل الكلام انه أحبر بقتل الحسين رضى الله عنه وقالو الآن يتكلم غارزاد أن قال : آه أوقد ضلوا وقرأ هذه الآية . وفى حديث مسلم انه ﷺ يفتح صلاته

إذا قام من الليل فيقول : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم اهـ

ثم قال تعالى (ولو أن للذين ظلموا مني الأرض جيوعاً وموتاً بما لافتقدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) هذا إقناط لهم من الخلاص (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وهذا في مقابلة - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين - (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) أي سيئات أعمالهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي وأحاط بهم جزاؤه ، ثم اعلم أن قوله تعالى - وإذا ذكر الله وحده اشمأزت - الخ جاءت الآيات بعدها اعتراضية وعطف عليها بالفاء قوله (فإذا مس الإنسان ضرراً دعانا ثم إذا حوّلناه نعمة منا) أي أعطيناه إياها تفضلاً فإن التخويل غنّيت به (قال إنما أوتيته على علم) أي على علم مني بوجوه كسبه أولاًني أستحقه ، مثل هؤلاء القوم إذا ذكر الله وحده اشمأزوا وإذا ذكر سواه استبشروا مع انهم إذا مسهم الضرّ ذكروا من اشمأزوا من ذكره ، وإذا آتاهم نعمة ادّعوا أنها باستحقاقهم ومن كسبهم (بل هي فتنة) أي امتحان له أيشكر أم يكفر فكيف يدعي أنه أوتيه على علم (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك (قد ظالموا الذين من قبلهم) أي قال إنما أوتيته على علم كقارون ومن معه فاته ظالموا ورضى بقوله من حوله فكأنهم قالوه وهكذا يدور هذا المعنى في ذهن كل متكبر جبار من الماضين (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا وما يجمعون منها (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أي جزاء سيئات كسبهم (والذين ظلموا) كفروا (من هؤلاء) سيصيبهم سيئات ما كسبوا) أي سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم بيد رحب من الرزق فمحقطوا سبع سنين (وما هم بمحزيين) فأتين من عذاب الله ، ثم بسط لهم الرزق سبعا ففيل لهم (ولم يعلموا أن الله ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر) حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بأن الحوادث كلها من الله وأنه القابض الباسط ، انتهى التفسير اللفظي

﴿ لطائف القسم الثاني من السورة ﴾

- (١) في قوله تعالى - يكثر الليل على النهار ويكثر النهار على الليل - الخ
- (٢) وفي قوله - خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها - الخ قوله - في ظلمات ثلاث -
- (٣) وفي قوله - قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب - مع قوله - فبشر عباد الذين يستمعون القول فينبعون أحسنه - ومع قوله - للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب -
- (٤) وفي قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه نبات - الخ
- (٥) وفي قوله تعالى - ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون -

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(في قوله تعالى - يكثر الليل على النهار ويكثر النهار على الليل -)

إن هذا المقام قد سبق شرحه في هذا التفسير في ﴿ سورة البقرة ﴾ وفي سور كثيرة بعدها فارجع إليه
تره سهلاً مبسوطاً على قدر ما يحتمله هذا الكتاب

﴿ الطيفة الثانية ﴾

(في قوله تعالى - خلقكم من نفس واحدة - جعل منها زوجها -)

هذا المقام مشروح مبسوط في أول ﴿ سورة النساء ﴾ فارجع إليه وفي سور بعد ذلك ، ولكن لابد من ذكر ما يناسب المقام في مسألة خلق الجنين في بطن أمه التي هوى ظلمات ثلاث فأقول : لأذكرك في خلق الانسان خمسين حكمة :

- (١) جعل أعضائه قطعاً لا قطعة واحدة ليسهل له الاعمال بها لجعلها على مقدار الحاجة من قصير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق
- (٢) جعل بينها مفاصل فقدر شكل كل واحد منها على قدر وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتاد أثبتتها بأحد طرفي العظم وألصق الطرف الآخر بها كالرباط
- (٣) ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منها ومن الآخر ثغراً غائصة فيها أشكال الزوائد لتدخل فيها وتنطبق
- (٤) فهذا صار للانسان يقدر على تحريك شيء من جسده دون غيره فلو لا حكمة تلك المفاصل لتعذر عليه ذلك
- (٥) الرأس مركب من عظام مختلفة الأشكال والصور وقد أتب بعضها الى بعض بحيث استوت كرة الرأس فيها ستة تخصص بالتحفظ والباقي في الأسنان وهي ٣٢ وفي الاحى الأسفل والأعلى
- (٦) وجعل الرقبة مركبة من سبع خيزات مجوفات مستديرات منطبقات على بعضها متمسكة بالظهر وعظم الحجز والعصص ، ووصل عظام الظهر بنظام الصدر وعظام الكتف واليدن وعظام العانة وعظام الحجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين ، هذه كلها اقترنت ببعضها وهي ٢٤٨ عظماً سوى العظام الصغيرة التي جعلت ليحشى بها خلل المفاصل
- (٧) وخلق العين لها أشعار بمنزلة باب يفتح وقت الحاجة ويغلق في غير وقتها
- (٨) الأشعار جبال للعين
- (٩) شعرها لا يزيد ولا ينقص ، فلو زاد لأضرّ بالعين وكذلك لو نقص
- (١٠) في ماؤها ملوحة لتتطبع ما يقع فيها
- (١١) الحاجبان جبال للوجه أيضا
- (١٢) وستر للعين
- (١٣) شعرها كشر الأهداب لا يزيد لئلا يكون تشويها وإن نقص ذهب الجبال وقلت الفائدة للعين لأنه يحجب الضوء ويقله
- (١٤) ولما كانت اللحية وشعر الرأس زيادتهما وتقصهما يوكلان للانسان حتى اذا كان الجبال في طولها أروى قصرهما فصل الانسان ما يراه مناسبا للوسط الذي عاش فيه . لما كان كذلك جعلنا قلابين للزيادة وللتقص . فاذن جبال الأهداب والحواجب ثابت عند جميع نوع الانسان . وجبال الرأس واللحية يركل للانسان أمره فيتركه ليطول أو يقصره
- (١٥) الشفتان ستر للحم وهما كجاب يفتح وقت ارتفاع الحاجة الى فتحه
- (١٦) وهذا الباب ستر على اللثة والأسنان
- (١٧) هما قتيبان الجبال ولولا ذلك لشوه الخلق

- (١٨) هما تعينان على الكلام
 (١٩) اللسان للتعلق والتعبير عما في الضمير
 (٢٠) وتقلب الطعام ولا تقاته تحت الأضراس حتى يستعكم مضغه ويسهل ابتلاعه
 (٢١) الأسنان مفرقة وليست عظما واحدا فان تلف بعضها صلح الباقي
 (٢٢) جمع فيها بين النفع والجمال
 (٢٣) جعلت صلبة
 (٢٤) جعل في الأضراس كبر وفيها ما يشبه الزوائد لأجل درس الغذاء فان المضغ هو الهضم الأول
 (٢٥) الثنايا والأنياب لتقطع الطعام مع الجبال
 (٢٦) يبيض لونها مع حمرة ملحها
 (٢٧) تسلت رءوسها كأنها ألتر المنظوم
 (٢٨) في الفم ندوة محسوسة لا تظهر إلا في وقت الحاجة فلما هنا ظهرت وسالت لكان تشويها للإنسان فجعلت ليل بها الطعام حتى يسهل تسويغه من غير عنت ولا ألم
 (٢٩) فإذا لم يكن أكل ذهب من الرقي ما كان زائدا وبقي ما هو للترطيب
 (٣٠) الذي بقي للترطيب يبل الهوات والخلق لأجل الكلام ولئلا يجف ولوجف هلك الانسان
 (٣١) اللقوق جعل في اللسان ليعرف ما يوافقه ويلامه فافقه قبله واجتنب ما لا يوافق ، ولولا ذلك لم يفرق الانسان بين الملام وغير الملام فيموت ، فاللقوق تحفيرا للنحل الذي يجعل عند باب الخلية ليمنع الأجنبي عن السخول
 (٣٢) يعرف مقدار الحرارة والبرودة
 (٣٣) شق السمع وجعل فيه رطوبة مرة لتحفظه من الجفاف ، ويقتل أكثر الحوام التي تريد أن تلج الى السمع
 (٣٤) حفظ الأذن بصدقة تجمع الصوت فترده الى صاحبها
 (٣٥) وفيه زيادة حسن لتعصن بما يصل اليها بما يؤذيها من هوام وغيرها
 (٣٦) وجعل فيها تمازج لترديد الصوت وتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فينتبه صاحبها من النوم . وهناك معان عجبية في الأذن ترقوها في ﴿سورة آل عمران﴾ فارجع اليها تجد هناك شرح العين وشرح الأذن شرحا وافيا . أما هنا فأنما هي ظواهر
 (٣٧) جعل الخنجرة مهية لخروج الأصوات ودور اللسان في الحركات والتقطيعات فيقطع الصوت في جوار مختلفة تختلف بها الحروف لتسع طرق التلق
 (٣٨) جعل الخنجرة مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوة والطول والقصر حتى اختلفت بسبب ذلك الأصوات فلم يشابه صوتان
 (٣٩) هكذا خلق بين كل صورتين اختلاف فلم تشابه صورتان بل يظهر بين كل صورتين فرقان : فبالأول يميز السامع بين كل صوتين . وبالثاني يميز بين كل صورتين
 (٤٠) خلق اليدين لأمرين : جلب المقاصد . ودفع المضار . وجعل الكف عريضا . وقسم الأصابع الخمس . وقسم الأصابع بأنايل . وجعل الأربعة في جانب والابهام في جانب فيمور الابهام على الجميع . فالابهام يدور على الأربعة والأربعة مختلفات طولا وقصرا فصلحت للقبض والاعطاء
 (٤١) إن بسطها كانت طبقة يضع فيه ما يريد

- (٤٢) إن جمعها كانت آلة يضرب بها
 (٤٣) إن ضمها ضا غير تام كانت مغرفة له
 (٤٤) وإن بسطها وضم أصابعه كانت مجرفة
 (٤٥) خلق الأنظار على رؤسها زينة للأُنمل وعمادا لها من ورائها حتى لا تضف
 (٤٦) يلتقط بها الأشياء الحقيقية التي لا تتناولها الأُنمل لولاها
 (٤٧) يحك بها جسمه عند الحاجة إلى ذلك فلو علمها وظهرت به حكمة لجز عن دفع ما يؤلمه ولا يقوم
 غير الظفر مقامه في حك جسده ، إنه لاصلب كصلابة العظام ، ولا رخو كرخاوة الجلد ، فلذلك
 صلح للحك

- (٤٨) والانسان يبتدى يظفره الى موضع الحاجة في الحك ، أما غيره فلا يبتدى لذلك إلا بشئ الأنفس
 (٤٩) يطول الظفر ويتصمكا قدام في شعر الرأس واللحية ليبقى منه ما يحتاج إليه الحاجة ويقص الباقي
 وهذه يفتريها الانسان باختياره وهو الذي يراعى الحاجة في ذلك
 (٥٠) كل ذلك قتره الله للإنسان وأبتدأ خلقه في بطن أمه ويولد فاقد التمييز ولو ولد عاقلا ففهي لحار
 من هذا الوجود الذي لم يعرفه ولم يمهده مثله وهو مع ذلك يجد فضاضة أن يرى نفسه محمولا
 وموضوعا مصبا بالطرق ومسجي في المهد وهو في أشد الحاجة إلى ذلك لضفه فلا تنهأ له حياة
 ولا تحسن تريته ، فلما خلق غير يميز سهل الأمر وأعطي التمييز شيا فشيا حتى يكون رجلا كبيرا
 فهذه نبذة من آلائه من الحكم التي أودعها الله في خلق الانسان ذكرناها لتكون تذكرة لك في هذا
 المقام وليشرح صدرك بالعلم وليطيك صورة من الملاحظات الدقيقة وتري انا مضمورون في حكم وعالم
 وهجائب وطول الأُس بها واعطائنا لنا دفعة واحدة هو الذي أذهلنا عن تفعلها ، فما أجل العلم وما أبهج
 الحكمة - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب -

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - الخ وقوله - فيشر عباد
 الذين يستمعون القول فيتعون أحسنه - وقوله - للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة -)
 تبين من هذه الآيات أن العالم أفضل من غير العالم ولم يخص العلم بل ذكره مجردا من المفعول وجعل
 البشرى للذين يستمعون القول فيتعون أحسنه ، وجعل للحسين حسنة في هذه الدنيا والمحسون هم الذين
 يستمعون القول فيتعون أحسنه
 تبين من هذه الآيات أن العلم بجميع العلوم والصناعات مطاوب وأن المتصفين بذلك أفضل من غيرهم
 والعلم لا يكون مفيدا إلا اذا تولاه التقاد وبحوثا فيه ، والا فكيف يتبعون أحسنه أي كيف يتبعون أحسن
 القول الذي سمعوه إلا ببصيرة نقادة . اذا تم ذلك فان هؤلاء محسون أحسنوا الاختيار . والمحسون لم
 في هذه الدنيا حسنة

يا أمة الاسلام : هذا كلام الله وهو الذي أنزله على نبيه ﷺ :

(١) فعلى المسلمين أن يكون لهم بلات تبحث في الفنون والعلوم والصناعات بحيث يكون هؤلاء
 أخصائيين في العلوم المختلفة

(٢) وهذه اللجان تستعرض جميع العلوم والفنون والصناعات التي عرفها الأمم وجميع ما يكشفه المسلمون
 في المستقبل ثم يميزون به قولهم النيرة وبساتيرهم النقادة ما هو أكثر نقا لامة فيأمرون بإتاقه

واستعماله وما ليس كذلك فيتركه

(٣) يعرض على هذه اللجان علوم مافوق هذه القبراء وما تحت الترى من علوم الطبقات الأرضية وما

فوق السموات العلى من أوضاع فلكية وكواكب درية وما بين ذلك مما كان وما يكون

(٤) متى حصل ذلك كان للمسلمين في هذه الدنيا حسنة وهذه الحسنة ليست عند المسلمين الآن ولكنهم

في زمن قريب سيكون عندهم ذلك المجد الباذخ إذ ينظرون ويقروءون ، ونعمة ربهم يتقبلون

فيشكرون ، انظر تفسير قوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - في سورة البقرة ، فهناك بسط

للقام أوفى ، ولاكتف بهذه الجوهرة :

﴿ جوهرة في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ﴾

إن هذه الآية تنفتح باب الموازنات بين الأمم ، فالأمة التي ارتقت بالعلم والحكمة والصناعات أقوى من

الأمة الكثيرة العدد القليلة العلم والصناعة ، خلقك مثلا : هذه دولة اليابان منسحين غلبت روسيا وكانت

الأولى لاتبلغ في العدد مقدار ثلث الثانية ، وهذه الأمم الأسبوية التي تعد بمئات الملايين أقل علما وصناعة

من أوروبا والكثرة العددية لا تقضي عنها شيئا ، هذه بلاد جاوه وسومطرة ومالوفا من جزائر الهند الشرقية

قد احتلتها هولندة التي تعد على أصابع اليدين أعداد الملايين وتلك الأمم تعد بعشرات الملايين ولكن القليل

غلب الكثير وهذا مصداق الآية هنا ومصداق قوله تعالى - قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أهبك كثرة

الخبيث - وليس معنى هذا أن هؤلاء خبيثاء وهؤلاء صالحون وانما ضربنا الآية هنا مثلا لاننا فيها الاختلاف

بالقوة والضعف وهما ناشآن من العلم والجهل وهذا قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين

لا يعلمون - . إذن ليست الكثرة بمنفعة فيلأ أمام العلم ، فهاهوذا الانسان قليل العدد أنضع الحيوان مع

كثرته ، ومن عجب أن نسل الحيوانات للقرصة قليل والحيوانات التي خلقت لغذائها كثيرة الثرية . فإذن

قول الشاعر :

ولست بالأكثر منهم حصي * إنما العزة الكاثر

لا يصح إلا اذا اتفق الحصان سلاحا وعداء ، أما اذا فلق أحدهما في علمه وصناعته فهناك يختل الميزان

ويصدق عليهما قول الله تعالى هنا - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون -

اللهم أنت العلم ولوأردت تعليم المسلمين لقيضت لهم عقولا فاحمة تقول لهم إن الفعل هنا لم يذكر معمولا

فأشعر بالعموم ، ونحن المسلمين أقرب الى أهل أوروبا (الذين أرسلهم الله لايقاتلنا بالحرب والاحتلال) من

أمة اليابان الذين قلدوهم وارثوا مثلهم ، فها كان فينا رجل رشيد يعلمنا أن نعمل بهذه الآية ؟ أفليس

من الخجل المريب أن الجهل اليوم لا ينطبق إلا على أمة أنزل الله في كتابها هذه الآية ، يسمعونها وكأنهم

لا يسمعون ، ويقروءونها وكأنهم لا يقرؤن ، هذه الآية تليت علينا في كتابنا المقدس فلم نعمل بها ولكن اليابان

استخرجت معناها من عقول علمائها وعملت به فارتقت ، أما المسلمون فهم الذين ضرب المثل بجهلهم بين

الأمم وقد آن وأوان مجدهم وريقهم والحمد لله رب العالمين

مم اعلم أيديكم الله أن الأمم الاسلامية أمرها عجب ، قد نامت نوما عميقا ، فان لم يقم كاتب بنصعهم لم

يجاروا الأمم في رقيها . أولا يعلم المسلمون أن أمة اليابان استيقظت في عشرات السنين ولحقت بأوروبا وكانت

نهضتها مصاحبة نهضة مصر فقد دخلت الطل في تعاليمها فوقفت أمدا وها هو ذا تريد ارجاع سنة رقي كورة

أخرى . وقد جاء في جريدة الاهرام هذه السنة ماضه :

﴿ المحصول الأدبي في ألمانيا ﴾

دلّ الاحصاء في ألمانيا على أنه يوجد في كل ٢٥٠٠ نفس شخص يستطيع أن يؤلف كتابا . وقد كان

عدد الكتب الجديدة في ألمانيا (٢٤٨٦٠) كتاباً في سنة ١٩٢٧ فقل هذا المقدار في سنة ١٩٢٨ الى (٢٧٩٥١) كتاباً ومع ذلك فإن ألمانيا لاتزال أكثر الأمم إنتاجاً للكتب . ويوجد من ذلك (٤٥٠٠) مؤلف جديد في الأدب و ٣٣٠٠ في الفنون و ٢١٠٠ في الدين و ٢١٠٠ في كل من السياسة والفنم والاقتصاد الخ ٥١

وإذا أردت أن أكتب في معنى هذه الآية وجب أن استعصر كل ما تقدم في التفسير . إذن كل ما تقدم وما سأتى تفسير لها ، قضية العلم والجهل قضية الحياة والموت وبينها ولكن لابد من ذكر نبذة في الطب ، وأخرى في الاقتصاد ، وأخرى في التعليم لإضاء لبعض الحقوق التي تهتفبها الآية ، فهنا ثلاثة فصول :

﴿ الفصل الأول في نبذة في الطب ﴾

جاء في جريدة الاهرام في يوم (٩) ابريل سنة ١٩٢٩ تحت العنوان التالي مانسه :

﴿ خطر جهد الصعة ﴾

(٣٩ مصاباً من طعام واحد)

كثيراً ماقرأ في الكتب والصحف ونسمع من أفواه رجال الصحة وغيرهم أن الوقاية خير من العلاج ! إذن كيف تكون الوقاية في موضوعنا هذا والفقراء عديون والجهلاء أكثر ؟ مساكين الناس وخصوصاً الفقراء منهم ولا سيما الجهاد والأطفال الذين يضطرونهم الجوع والحالة الى تناول المأكولات المعروضة للبيع في الطرقات والحوانيت المعروضة للأتربة والميكروبات وهي التي جهزت وطويت وعرضت للبيع بدون مراعاة للنظافة فتكون غالباً سماً زعافاً يودي بحياة الكثير أحياناً أو على الأقل يجعلهم تحت العلاج أيلماً

نعم مساكين هؤلاء الناس فانهم يكونون ضحية هذا الإهمال ، نعم مساكين هؤلاء الباعة أيضاً لأنهم لم يعرفوا النظافة معنى ولم يقدروا لإهمالهم نتيجة لجهلهم وقبولتهم وخصوصاً إذا تركوا وشأنهم فهم أحوار فيا يعملون كأن أرواح الناس وسماتهم ليست بشئ في نظرهم ماداموا يرجعون حتى ولو كانوا يعرفون الحقيقة فإذا طفت في شوارع المدينة ومنها الشوارع الهامة العظيمة أوسرت في حاراتها فانك لاتقدم رؤية هذا بيع البقلاوة أو البسبوسة قد سترها الثباب ، وذلك يعرض الكسكى أو الكشرى قد غطى ببطقة من الأتربة والأوساخ . ولست في حاجة الى التعرض لنظافة هذا البائع الشخصية وكذا الأدوات التي يستعملها وكيف جهزت وحفظت هذه المأكولات . وحسبى في ذلك أن يستعيد القارئ صورة من هذه الصور التي يراها أحياناً ولا سيما في الأحياء الوطنية الفقيرة

بجوارنا رجل يبيع مثل هذه المأكولات وغيره كثير ، ولولا شدة حرصنا على سلامة التلاميذ والمحافظة على صحتهم ومنعهم ابتلاع وتناول تلك المأكولات المضرّة لأحوا ضحية هذه السموم إذ أن معظم التلاميذ يخرجون من منازلهم في الصباح ويتناولون طعام الإفطار في الخارج ، ولكن هذا البائع لم يعدم أناساً كثيرين يعرض لهم مأكولاته . وكان يوم أمس يوماً تجلت فيه صورة مهيبة من هذا الضرر الذي يهدد صحة الناس ويجعلها في خطر إذ كان يبيع كشرى كما هي عادته فل يلبث من تناول قليلاً من الطعام حتى ظهرت عليه أعراض التسمم فكنت ترى هذا يقع مضياً عليه وآخراً يملك نفسه من القى . وثالثاً يتأذى من اللعص وهكذا فدعوت رجال الاسعاف الذين كانوا يشرون على المصابين في مختلف الشوارع المجاورة فحملوا بعضهم الى الجمعية والأخرى مستشفى قصر العيني . ولقد كانت عربات اليد تستعمل في نقل المصابين الى الجمعية بواسطة الأهالي وبعضهم استدعى الطبيب الى منزله . وقد بلغ عا دهم جميعاً تسعة وثلاثين رجلاً وأطفالاً وأكثرهم تحت العلاج الآن في مستشفى قصر العيني وجمعية الاسعاف

ومن الغريب أن الناس لما حضروا الى هذا البائع ليسأوه عن معروضاته عقب الحادث قال لهم : إن حاجتي نظيفة وهما انظروا الى وأنا آكل منها ، وهنا تناول هذا البائع من طهيه فلم يكد يستقر في جوفه حتى ظهرت عليه أعراض القسم ولحق باخوانه ، والبولس ينتظر شفاؤه لاعمال التحقيق معه ، ولعله لو سئل بعد ذلك لقرر أن حاجته نظيفة جدا

ولقد ذكرني هذا الحادث بمحدث يضارعه في الاسكندرية إلا ان البائع كان مغريا اختفى قبل القبض عليه ولم يظهر له أثر ، فهل هناك علاج لهذه الحالة ؟ وهل لحضرات أصحاب الصحف الذين كرسوا حياتهم لخدمة الأمة أن يعللوا هذا الموضوع شأنهم في كل موضوع هام إذ الصحة أغلى شئ في الحياة اه
فيا ليت شعري : أليس الأمر راجعا للعلم ، فالعلم بالضرر يمنع من تناوله . ثم انظر ما جاء أيضا في مجلة طبيب العائلة ، تحت العنوان التالي ماضه :

﴿ مضار الحلوى على الأطفال ﴾

من الأسف أن أحدنا اذا مر بمدرسة في الصباح قبل موعد الدخول أو عصره عند انصراف التلاميذ الصغار بصريهم مجتمعين حول بائع الحلوى يتنافسون في الشراء منه غافلين عن ملايين الميكروبات التي تحيط مع القباب على الحلوى الممرضة للفتار ولما هو أشد فتكا من القبار . وليس الأمر قصرا على هذه الجرائم وحدها وإنما هذه الحلوى في ذاتها تضر بالأطفال أبلغ الضرر ولو كانت من أجود الأصناف ومن أكبر المحال ويرجع ذلك الى أن المادة السكرية المصنوعة منها الحلوى تهدم صحة الطفل وتسبب الى نمو الطيبى وتفسد عمل الأجهزة التكوينية ﴿ وبصورة أخرى ﴾ انه يجب أن نمنع السكر بأنواعه عن الأطفال . وطبنا أن نحثهم على تناول الفواكه فهي تحتوي للمادة السكرية الصحية فضلا عما فيها من عناصر مفيدة للجسم كالفيتامين والحديد والكالسيوم وكذلك لا بأس من تناول العسل بنوعيه الأبيض والأسوديين فترقى دون الاكثار منهما ومن الملاحظ أن الأطفال يحبون الفاكهة يفرأزهم ويفضلونها على الحلوى عادة فخرى بنا أن نشجع فيهم هذا الميل لمنفعة الصحة فضلا عن ملاءمة لأمزجتهم

وهناك اعتقاد سائد بين الناس يقول إن الشاي يضر بالأطفال وهذا صحيح من جهة واحدة وذلك اذا كان الشاي من صنف رديء لأنه يحتوي في هذه الحالة على حامض التنيك الذي يفسد الأنسجة . أما اذا كان الشاي جيد النوع فلا بأس من شرب الأطفال منه مع مراعاة عدم الاسراف فيه يقول المؤلف . كلا . بل الأصح تركه كله
﴿ قائمة الأكل في المستقبل ﴾

يعرف الناس ما شتمل عليه قائمة الأكل التي تقدم في الفنادق . ويقول العلماء : « إن رجل المستقبل سيرى قائمة أخرى تختلف عن هذه كل الاختلاف في ألوان الطعام . وقد ذهب الدكتور برنار الكياوى الانكليزي الشهير الى أن فظوره سيكون شعاع الشمس وغداه كمية من الهواء وعشاءه قسما من ماء البحر . وعلى ذلك لن يخشى أهل المستقبل أن يعوزهم مائى الأرض من غذاء مهما كثر عددهم بل سيصبحون في غير حاجة اليه . ويسنسون مذاق الخبز واللحم . وسيكون للإنسان ثلاث معدات ليضم غذاء الذى تقدم ذكره وان يكن يرى لأول وهلة أنه بسيط وليس يحتوي على مادة جافة أو صلبة ولكن الإنسان لن يلجأ الى التغذية بالعليل الكياوى إلا بعد عهد مديد فإن البراز بل وحدها اذا أصلمحت أراضيها الزراعية أمكن أن تكفي حاصلاتها فنى سكان الكرة الأرضية . ويوجد في أفريقيا من الأراضي ما يمكن لأكثر من سكان الأرض الحاليين بعدة ملايين . فإذا ازداد السكان في الكرة الأرضية بحيث لم نلجأ بحاجياتهم الحاصلات الزراعية أمكن إلا اجاء الى التغذية الكياوية . ويوجد في الأرض المواد التي تصلح للتغذية بهذه الطريقة . انتهى - جاء في المجلة المذكورة والحمد لله رب العالمين . تم النص الاول

ومن أراد قراءة الطب لحفظ صحته فليرجع الى ما تقدم في ﴿سورة البقرة﴾ عند آية - أنسبدلون الذي هو أدنى - الخ وآية ﴿الأعراف﴾ - وكلاوا واشربوا - الخ وفي ﴿سورة الحجر﴾ عند التلميح بقصة آدم وفي ﴿سورة طه﴾ عند قصة آدم أيضا وفي ﴿سورة الشعراء﴾ عند آية - ولذا مرضت فهو يشفين - ولم أذكر هذه النبذة الصغيرة إلا لأذكر كبر ما يكفيك في تلك المواضع فارجع اليها إن شئت

﴿ الفصل الثاني في الاقتصاد وفي جمع الثروة ﴾

ولاسبيل لذلك إلا بالعلم ، ولقد مضى في هذا التفسير كثير من هذا الموضوع فقرأه في ﴿سورة إبراهيم﴾ فانك تجد تقصير المسلمين في أرضهم وجبالهم وأنهارهم للجهل ، ويجد هناك مسألة البحر الميت الذي فيه ثروة تزيد على ما عند المسلمين في الكرة الأرضية ، والجهل ينظر اليه نظره الى بركة ماء منقطة حقيرة ولكن العلم هو الذي أفهمنا ذلك ، فالعالم يرى البحر الميت سعادة والجاهل لا يقل ذلك . إذن لا يستوى الرجلان والمسلمون اليوم هم الأمة التي بقيت وحدها في الجهل ولكنها اليوم استيقظت فلا بد من تعميم التعليم وذلك هو الفصل الثالث الآتي قريبا

فلأذكر لك أولا التعليم في جامعات أوروبا حتى نعرف كيف ترقى المعاهد الدينية فتشمل العلوم كلها ، ثم أتبعه بما كتبه الكتاب في فوائد التعليم الاجباري ، ثم ما كتبوه في توزيع العلوم على أفراد المتعلمين :

﴿ الفصل الثالث في التعليم ﴾

﴿ في الجامعات الأوروبية ﴾

﴿ حديث مع مدير جامعة لوزان ﴾

جاء في جريدة الاهرام في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٩ - ٩ رجب سنة ١٣٤٨ مافيه رأيت أثناء رحلي الصيفية أن أعرف شيئا عن أحوال الطلبة المصريين في أوروبا فلقد زاد عددهم ، وهو ماض في الزيادة عاما بعد عام ، بما ترسله الحكومة من البعثات العلمية سنويا وأحيانا شهريا من خريجي المدارس العليا والخصومية ومن موظفيها وهمل ورشها ، وبالرغبة المتزايدة التي بدت من الطلبة ومن ولاية أمورهم لاشباع استعذابهم من علوم أوروبا وآدابها ولغاتها وامتدائها ، ومن الاتصال برجالها والوقوف على عاداتها ونظامها . وقد زرت فيما زرت جامعة لوزان والسربرون وكلية الحقوق بباريس وقابلت بعض الطلبة وبعض المشرفين على أحوالهم في أوروبا من معلم ومسكن ومعيشة وأخلاق وارسال التقارير لوزارة المعارف وأولولة أمورهم . يزيد عدد الطلبة المصريين في أوروبا الآن عن الالف طالب . وأكثرهم يتعلمون الطب والصيدلة ، ويتلوهم من يتعلمون القانون ، ثم يجيء بعدهم من يتعلمون الهندسة والعلوم الطبيعية والآداب والكيمياء . ويلاحظ ان عددا قليلا من الطلبة يذهبون الى أوروبا أو يطردهم أولياء أمورهم من مصر اليها لالعلم . ولكن لامشاه الوقت في اللهو والتنقل . ويهمل هؤلاء التعلم احمالا يبلغ من بعضهم انه يعيش في باريس سنوات دون أن يحسن النطق والتخاطب والتفاهم باللغة الفرنسية . ولا يعرف الا بعض ألفاظ يتعلمها أي شخص في شهر أو شهرين ! ومن الأسف ان هذا النفر القليل ، على قلته . يفرسمة مصر . لأنه النفر الذي يقضي الأدبية والمجتمعات والملاهي . أما الأكتيرة المسكية الى التعليم فهي لا تختلط عادة بغير كتبها ومحاضرات أسانذتها . فلا يعرف الجمهور الاوروبي الناضج منهم شيئا . ولذلك لاستفيد مصر من اجتهاد هؤلاء من حيث تسمرف سمعة مصر واكبار نبوغ أبنائها . ويلاحظ ان بعض الطلبة ، مع شديد رغبتهم في التعليم لا يكونون معهم المال الكافي للدخول في الجامعات والاستمرار . أولا يكون معهم التحصيل العلمي اللازم

للدخول في الجامعات . فيضطر هؤلاء وأولئك الى البقاء مدة غير استفادة ، مع أتعاب ادارات البعثات المصرية والقروضات واقتضيات في اعاتهم وضيحتهم وكتابة الخطابات عنهم الروزرة المعارف للتصرف في شأنهم . كما أن الطلبة القراء يشغلون أنفسهم برسائل خطابات للامراء ووزارة الاوقاف وكبار الاغنياء يستجدون معونتهم ونادر جدا جدا أن يجلب ملتسمهم . ويلاحظ أيضا ان طلبة مرضى يطل بلطنية أو وقتية يأثون الى أوروبا فيزدادون ضعفا وبعضهم يموت أو يمرض ضعفا هزلا . لهذا تلفت نظر الطلبة وأولياء أمورهم الى عدم الذهاب الى الخارج من غير مال كاف ومحة وافية والا كان الذهاب مضيقا لآخلاقهم ومستقبلهم . لأنه ليس للاجنبي في أوروبا كرامة أو فائدة الا اذا كان معه المال وليس الحال هناك كالخلة في مصر اذ يستطيع الاجنبي المعتمد أن يشتغل ويعيش بسهولة لا يجدها المصري نفسه . وذلك لأسباب معروفة ليس هنا محل لبيانها

زرت جامعة لوزان وهي في قلب مدينة لوزان نفسها بسويسرة . وقد فتحت هذه الجامعة سنة ١٥٣٧ وكانت تدرس علم اللاهوت فقط . ويلاحظ ان جامعات أوروبا قديمة في انشائها وانها كانت معاهد دينية ثم تطورت الى أن صارت جامعات مدنية . ولأن الازهر دارج النهضة الفكرية في مصر لكان هو اليوم الجامعة المصرية نفسها ولما احتجنا الآن لانشاء جامعة للعلوم المدنية ولما احتجنا لمشروعات اصلاحية للازهر تارة فاعتبر متطرفة وطورا تعتبر محففة بالدين . حتى صار الازهر في حالة تذبذب فلا يعرف أهو صاعد أم هابط بينا كل شئ يتطور الى الخير أو الى الشر . في سنة ١٥٤٩ عرفت جامعة لوزان باسم «الاكاديمية» الى سنة ١٥٨٧ وكانت في البناء المخصص الآن لكليتي الآداب والحقوق . واستمرت الأكاديمية الى عام ١٧٣٨ وفي المدة التي سبقت ذلك جرت تعديلات كبيرة في نظامها ليس المقام مقصدا لبيانها . بعد ذلك قسمت الاكاديمية الى ثلاث كليات : كلية اللاهوت . وثانية للحقوق . وثالثة للآداب والعلوم . ووسعت دراسة التاريخ وأضيفت أساتذة جدد لتعليم الجغرافيا والآداب الالمانية والنبات والفسولوجيا والهندسة الوصفية . وفتحت فصول حرة للخارجين أما جامعة لوزان كما هي اليوم فقد أنشئت بأمر عال في ١٠ مايو سنة ١٨٩٠ عند بقانون في ١٥ مايو سنة ١٩١٦ . وقد ترك هذا القانون للجامعة تحديد عدد كراسي الأساتذة وأنواع الدراسات . على أن الجامعة تشمل ١ - كلية اللاهوت البرونستاتي ٢ - كلية الحقوق ٣ - كلية الطب ٤ كلية الآداب ٥ - كلية العلوم . وقد أضيف الى كلية الحقوق مدرسة العلوم الاجتماعية والسياسية . ومدرسة الدراسات التجارية العليا . ومعهد البوليس العلمي .

وتنقسم كلية العلوم الى قسم العلوم الحسية والطبيعية ومدرسة الصيلة ومدرسة المهندسين ويبلغ عدد أساتذة الجامعة الآن ١٢٩ وقد أنشئت كلية الآداب في سنة ١٨٩٥ وقد جعل بها فصول صيفية للطلبة الأجانب وهي على الأخص لاتقان اللغة الفرنسية وتستمر الفصول ستة أسابيع في يوليو وأغسطس . ونعطي شهادة للطلبة المستمعين المواطنين

والجامعة جمعية عمومية من جميع الأساتذة . وهي تعين رئيسها الذي يكون مديرا للجامعة مدة سنتين ويختار عادة المدير بالمرور بين عميدي الكليات . ولكل كلية مجلس مؤلف من الأساتذة الذين يختارون العميد لمدة سنتين . وللمدارس الملحقة بالكليات رئيس يسمى مدير كبير مدرسة الهندسة ومدرسة العلوم السياسية والجامعة شخص معنوي ومديرها يمثلها أمام جميع الهيئات والمحاكم

زرت مدير جامعة لوزان مسيو موريس باشو . وهو عالم رياضي كبير متواضع في مستهل العقد الخامس من حياته قائلني في الجامعة خبيصا مع أنه كان في أجازة . وسألته أسئلة كثيرة . منها سؤال عن شروط دخول الطلبة الأجانب

فأجاب : أن شروط السخول في جامعة لوزان بالنسبة للطلبة الأجانب هي نفس الشروط الالزامي توفرها في الطلبة السويسريين . انما الطلبة الاجانب الذين لم يتلقوا تعليما جامعيًا منظمًا مثل تعليم جامعتنا يجب أن يحضروا امتحان دخول خاص

س : كيف يختار المدرسون لنصب الإستاذية ؟

ج : اذا خلا كرسي استاذ بالجامعة فان مجلس الدولة (هنا مجلس المقاطعة) يختار استاذًا خلفاه من الاشخاص المعروفين بمؤلفات ممتازة . أو تلقوا تعليمًا فائقًا في المادة التي كان يدرسها الإستاذ السابق

س : من الذي يتولى الاتفاق على الجامعة ؟

ج : تقوم الحكومة بالاتفاق على الجامعة . على أن للجامعة ابرادها الذي يبلغ حوالي مائة ألف فرنك في السنة

س : ما درجة اقبال اقبال المصريين على جامعتكم وماهي المواد التي يضافونها وما أحوالهم ؟

ج : منذ سنين مضت والطلبة المصريون يدخلون جامعتنا . وهم على الخصوص يدرسون الطب والقانون أو يدخلون مدرسة الهندسة . وقد كونوا من بينهم جمعة منهم . وهم على العموم من خيار الطلبة . ويميل عددهم الى الازدياد عاما بعد عام . ويبلغون الآن نحو الثلاثين طالبا انتهى

﴿ فوائد التعليم الاجباري ﴾

جاء بجزيرة الاهرام في يوم الأحد ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٩ ما نصه

(١) كان توماس جفرسون ، من أشهر رؤساء جمهورية ولايات أميركا المتحدة السابقين ولما بالتعليم العالي حتى انه كتب على قبره بعد وفاته انه أبو جامعة فرجينيا . وقد أراد أن يتحداه يوما كبار رجال التعليم فسأله عن التعليم الأولي ، فأجاب :

لوجبرنا على أن نختار أهون الشرين ، الفناء التعليم الأولي . أو ابطال التعليم العالي في الكليات والجامعات لتعبرنا الثاني بغير تردد . نظرننا أن يكون مجموع افراد الأمة . رجالها ونساؤها ملين بالقراءة والكتابة . مستعيرين قليلا . من أن نحصر الصالح العالي في فئة قليلة . ونخلق من خرابجي الجامعات أقلية من افراد أرسطراطيين . ومن أشد الأحوال خطورة أن تترك سواد الأمة جاهلا كالمداب وتثقف طبقة غنية تثقفا عاليا ، كما هي الحال في بعض بلدان أوروبا (في ذلك الحين) ان كل أمة تنشد الديموقراطية والنجاح قبل الفناء الأمية . تعرض ذاتها للمساك عظيمة وتبطل بلادها مهزلة بين الدول

(٢) ولما وضع التعليم الأولي على بساط البحث والمناقشة . في مؤتمر التعليم العالي الذي عقد في فندق كارلتون بارك في جنيف هذا العام (عقب مفادرة جلالة الملك فؤاد للفندق ببضعة أيام) ، نهض رئيس المؤتمر دكتور مزر . من فطاحل رجال التعليم . ومنظم مدارس الصين واليابان وجزائر القليلين . وقال ان بلدان الشرق جميعها أشد اهتماما بالتعليم الثانوي والعالي منها بالاولي . وقد أدى هذا الخطأ البين الى نشوة طبقة من المعلمين الذين تولوا الزعامة في تلك البلاد . بين شعب أغليته الساحقة تفرغ في جاة الجهالة وأكثرت قتله الأمية . ولا يشك أحد في أن استغلال هذه الفئة الصغيرة للأكثرية . واتخاذها اياها طعنة . من أكبر الاسباب في تأخر الشرق وانحطاطه . والآن لنسمع الانسة النابغة كلمة قائمتها آنسة فاضلة . ولعل أقوال النساء أشد وقعًا في نفسها من أقوال الرجال . في مؤتمر الاتحاد العالمي للتربية الذي عقد أيضا في جنيف عقب المؤتمر . سابق الذكر . ألفت الدكتور مزر علينا كلبس الاسبانيولية . خطابا ضافيا عن الأمية والحفاظة على القوانين ادلت فيه بارقام ناطقة عن البلدان التي يزداد فيها ارتكاب الجرائم بنسبة الأمية . وأشارت الى هولندا

والساميرك والسويد والزويج التي انضمت فيها الامية منذ عهد بعيد . وما تبع ذلك من القضاء على الجرائم
المرجة أن في كثير من ولاياتها لم تنعقد محاكم الجنابات فيها منذ خمس وعشرين سنة فضلا عن استيلاء
السلام والهدوء والسكينة . مما يحثو بالزائر أن يعتقد أن سكان تلك للممالك أقرب الى الملائكة منهم الى
بنى الانسان

(٣) وخطب في الاجتماع عينه دكتور هومن ليو المنسوب الصيني عن الامية والتفاهم بين الأمم . وتلاه
دكتور ريان الاميركي فبحث في موضوع الامية وتأثيرها في السكساد الاقتصادي واثان أن تعليم الجمهور اقراءة
والكتابة أتمج الوسائل لتحسين الحياة الاقتصادية . وبرهن على أن كثرة الاميين في الامة تؤثر في المتعلمين
من افرادها . لأن وجود طائفة صغيرة من أهل الثقافة بين طغمة من الجهال يحط من قيمتهم ويقتل معاونهم
ولا يهوى فهم الدفاع للنشاط والعمل

(٤) وقال خطيب آخر ان المدرسة القروية ينبغي أن تكون مركز الحياة الاجتماعية والادبية في القرية .
كما ينبغي أن يكون معلموها زعماء القرية يرشدون الاحالي الى تحسين معيشتهم من جميع الوجوه . كرفع مستوى
الصحة والاخلاق . والزراعة والصناعة . وجعل المدرسة في غير أوقات الدراسة قاعة كبيرة لاجتماع أهالي القرية
للمبحث في شؤونهم الاجتماعية والصحية وسماع النصائح والارشادات . والمحاضرات أحيانا

(٥) وقد شاعلت بين مندوبي المؤتمر التي أقيمت فيه هذه الكلمات دكتور منصور فهمي . وكان بين
الحضور أيضا الأنسة سنيه هزيمى طالمة مدرسة المعلمات الراقية ببولاق . والاستاذ مرسى قنديل ناظر مدرسة
سوهاج الثانوية . مندوبين عن مصر . وياحبذا لو ذكروا لقراء شيئا عما فاتني تدوينه من هذه الاقوال
وقد فاتني أن أذكر أن مندوبا هنديا أراد أن يدافع عن بني جنسه الذين تغلب فيهم الامية . فأغرق في الدفاع
واسترسل فيمالي حدا أنه خيل الى الاذعان انه يحبذ الامية ولا يرحب بالتعليم الاجباري فاحتد عليه الرئيس وحنق
السامعون . وقد مثل الدور عينه في مؤتمر ثالث واسع النطاق لم يكن لي حظ حضوره في الدانمارك . كما علمت
من أحد الاساتذة المندوبين عن وزارة المعارف بمصر . تقول الأنسة من اني أريد نشر التعليم بلا قيد ولا شرط
(تقصد التعليم الاجباري طبعا) فذكرني قولها بكلام وزير معارف روسيا الذي أصدر سنة ١٨٧٤ منشورا
يقول فيه . والعلم نافع فقط اذا كان كملح الطعام . يؤخذ منه كيات قليلة جدا . فلما زاد التعليم وكثر
التنوير انقلب الى ضده . لأن تعليم القراءة والكتابة للجميع خطر على السولة

(٦) وقد فات الوزير المحترم أن الاستعارة تموزها الحقبة والضبط . لأن الملح في الطعام ينبغي أن يؤخذ
حقيقة بمقادير صغيرة . ولكن هذا لا يهضم منه أن عشرة في المائة من الناس يستعملون الملح وتسعين في المائة
لا يتنوقونه أبدا . فيفسد طعامهم . ولكن المرحوم الوزير كان يعيش في أوائل القرن التاسع عشر فهو
معذور . اما نحن فقد أوشكنا أن نبدأ الثلث الثاني من القرن العشرين . فاعذرنا ؟ (اقرأ التعليم في روسيا
قد يما المؤلف دار لنجوتون)

(٧) كان غليوم الثاني امبراطور المانيا السابق يكره التعليم الاولى رغم انتشاره في بلاده . وكان من
أقواله المأثورة وان الديمقراطية في التعليم مخالفة لأوامر الله ومناقضة لبادئ الدين والمسيحية . واليوم أصبحت
المايا بعده ديموقراطية في السياسة والاجتماع . في التعليم والعمل والحياة بجميع مناحيا اتهمى
وهنا لابد من إتمام هذا المقام ببيان أن كل امرئ يوضع فيما استعد له فأقول : لا ريب أن الله
عز وجل مخلق أمة إلا وهما نظام خاص سواء أجهلوه أم علموه وهذا النظام لأشك انه يكفل سعادتهم في
الدارين . ألا ترى أن عدد النساء والرجال يكاد يكون متساويا فقص عليه جميع ما يحتاجه الناس في حكمتهم
وصناعاتهم فان بحثوا وجدوا في ذريتهم كل ما ينفعهم كما وجد كل رجل امرأة . وقد سهل الله الذكورة والانوثة

فعرها الناس ولكنه ستر الفرائز والأخلاق الكامنة لتبعث عنها بأفئتنا . ولعل الناس قاطبة مسلمين وغير مسلمين ان نظام أهل الأرض الآن ناقص قصا فاحشا فان جميع الأمم لم تستكمل استخراج المواهب العقلية والامتناع المادية فيجب البحث في استعداد التلاميذ مع تعميم التعليم ولتتبع كل تنفيذ امتحانا خاصا وليوضع فيها خلق له حتى ينفع أمة . ويجب أن لا يراعى إلا الاستعداد فابن التجار والحجار ربما يصلح لإدارة المجموع أو لفلسفة أو للطب . وابن الفنى والأمير ربما لا يصلح إلا للأمور الصناعية . فليوضع كل في مركزه ثم لنخصص كل أمة فيما استعنت له . وهذا المقام قد استوفاه كتابي ﴿ ابن الانسان ﴾ الذى ألفته ونشرته منذ عشرين سنة . انتهى الكلام على الطيفه الثالثة والحمد لله رب العالمين

﴿ الطيفه الرابعة ﴾

(فى قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض -)

قد تقدم فى التفسير القلبي بعض محجبات الينابيع :

- (١) أعلم أن فى جوف الأرض مياهها دلت عليها الينابيع العذبة التى تخرج من قعر البحر فى كثير من محال مشهورة بذلك
- (٢) وأيضاً تنفذ مياه من جبال التيران عند ثوراتها
- (٣) كذلك الحفر المعدنية تفيض المياه من داخلها
- (٤) إن بعض الأنهار تفيض ولا ترجع بعد ذلك أصلاً فأين ذهب ماؤها ؟ لاشك أنه حبس فى باطن الأرض
- (٥) الأرض قد تتلع بجبال وقطهر بحيرة عظيمة فى محل ذلك الجبل فأين كان الماء إذن ؟ إنه كان فى باطن الأرض
- (٦) الأبارالارتوازية التى حول (مودين) وغيرها من البلاد

﴿ الماء معلق فوق رموسا أيضاً ﴾

فنه السحب والغياب ويكون نبعاً لا يتحرك فيتوق رموس الجبال الشاخطة ويضئ جوانبها وأكنافها المنحدرة ويشكلها بأشكال لازوردية شفافة . هذه جعلت مخازن لاتنفد فتكون دائماً مدداً للينابيع والعيون والبهيرات والأنهار

﴿ أسباب الينابيع ﴾

(١) الآثار الجوفية المائية

(٢) ذوبان الجليد والثلج

(٣) رشح المياه

(٤) فعل القنوات الشعرية الأرضية

(٥) جوى المياه جهة الأجزاء المنخفضة من الأرض

ويوجد فى معظم الحال أحواض صغيرة متفرقة متعزلة عن بعضها تأتى إليها من جوانبها مياه الأرض القريبة لها فى قنوات صغيرة تحت الأرض . فإذا فاضت عليها تلك المياه أرسلتها فى قناة واحدة متصلة بحافة من حوافها تذهب بها الى ماشاء الله . وربما لا يكون هناك حوض وإنما يخرج من الصخرة تيار يختلف حجمه بدون أن يعرف أصله . وهذان التياران يسميان بالينابيع والعيون . وهذه الينابيع اختلافها عظيم

جدا ولذلك تسمى بحسب ما يحدث فيها يقال ينابيع حارة أو باردة وطبيعية ومعدنية ومحللة وماسية ومحجرة ومقطعة ودورية وحلقة وقابضة وغير ذلك . وقد اشتغل الكيماويون والطبيعيون والأطباء بدراساتها ومشاهدتها وتحليلها واستنبطوا منها وسائل نقيصة لشفاء الأمراض المختلفة والمسلمون ثامنون . انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

(في قوله تعالى - ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون -)

قال ابن جرير رضي الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكتنا نرى أن هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين - ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - قلنا كيف تختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بضنا يضرب وجوه بعض بالسيف ففرقت بأنها فينا نزلت . وروى مثله عن أبي سعيد الخدري - ولكنه ذكر يوم حنين . وقال إبراهيم مثل ذلك في مقتل عثمان

هذا ماورد عن الصحابة . ومعنى هذا أن الصحابة رضوان الله عليهم ما كانوا يظنون أن المسلمين تنطق عليهم هذه الخصومة فلما رأوا ما نزل بهم عرفوا أنهم يختصمون أى كما يختصم أهل البيانات المختلفة . فكما يختصم المسلمون وأهل الكتاب يختصم الحزبان المشاجران من المسلمين . هذا هو الذى قالوه . وانظر كيف حالنا اليوم

حكم الصحابة الذين هم أهل كتاب الله منا بأن المسلمين يختصمون عند ربهم يوم القيامة . لماذا يختصمون ؟ لأنهم اقتتلوا . ولعمري إن هذا شيء يسير بالنسبة لما وقعنا فيه . اقتتل المسلمون ومات بعضهم ونولى الحكم بنو أمية فإذا حصل ؟ ارتقى الاسلام ولم يسلط على المسلمين غيرهم وملكوا الأمم شرقا وغربا وانما هو نزاع قام باجتهاد فيما بينهم وكل له حجة والله هو الذى يفصل بينهم . أما نحن فواحسرتنا غلبنا الفرنجة فبالت الأمر كان قاصرا على عدواة بعضنا لبعض بل الأمر أعظم من ذلك جدا . اتنا اقتتلنا حتى خضعنا جميعا لغيرنا ، فإذا اختصم الصدر الأول عند الله فكيف تكون حالنا نحن والفرنجة يمجوسون خلالنا ويمنون العلم عنا ويعيثون في بلادنا الفساد والضللال والخلاعة والنسوق ويهلكون الحرث والنسل ، أتدري لم ذلك ؟ ومن المسؤول ؟ المسؤول هم العلماء والملوك والأذكىاء ، سيقب العلماء بين يدي الجبار والعامة والملوك وسائر الرؤساء فيقول لهم : « أعطيتكم أرض مصر واليمن والشام وبلاد الأناضول وبعض بلاد الهند والصين وبعض الجزائر وبعض أفريقية وقلت لكم إن أرضي واسعة فأبى فاعبدون . أيها المسلمون : فإذا صنعتكم تركتم جبالى فلم تدرسوا ما فيها ، وبحارى فلم تعرفوا عجائبها ، وأرضي فلم تستوعبوا منافعها . فيقول العامة : يا ربنا ان علمانا فلما لنا هذه علوم الدنيا لا علوم الدين وقولوا لنا كفاكم أن تعرفوا ما بيني عليه الاسلام واكتفوا بعلم الفقه ، فيسأل العلماء فيقولون هكذا قال من قبلنا ، ويسأل الملوك فيقولون هكذا علمنا العلماء فيقول الله لهم : لقد أهنتكم في الدنيا بدخول الأجانب في بلادكم وسأعاقبكم على قريظكم . أنتخبون بعلم الفقه وقد نص فقهاؤكم أن العلوم كلها فروض كفايات والمقاب على تركها شامل للأفراد والجماعات . ألم يكن لكم عقول تفقهون بها ؟ ألم يكن لكم أعين وسماع وأبصار ؟ أظنتم أني أقول - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض - لاكتفى منكم في ذلك برؤية النظر . وإذا كان النظر البصرى كافيا فأى فرق بين الانسان والحیوان وبين العالم والجاهل . إذن يكون نظر الخليل في ملكوت السموات والأرض كنظر العامة وهذا غير معقول »

« أيها المسلمون : أعطيتكم أرضي وأتروا لكم سمائي فلم تدبروا ولم تفكروا وقلتم بل نابع موجوده عليه آباءنا . كم أقل - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم

من دة من وان -

هذا ما يقال لمن مضى من بعض الملوك والعلماء . فأما في المستقبل القريب فلا - لام شأن غريب وأمر عجيب وسعادة وأمر سعادة - ولتعلن نبأه بعد حين - وبهذا - كلام على القسم الثاني من السورة

﴿ تذكرة ﴾

اعلم أن هذه اللطائف الخمس كنت كتبتها أيام الكتابة لعلمة لهذا التفسير . ولكن أثناء طبع هذه السورة قد فتح الله عز وجل بجماب وبدائع وحكم جيلة في هذه الآيات وما بعدها . ولما كنت معتادا أن أكتب ما يستجد من الفتح رأيت أن أكتب لطائف أخرى أجل وأبعد لهذه الآيات السابقة وما بعدها بعد تمام تفسير السورة قريبا فتدبره اه

﴿ القسم الثالث ﴾

قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ • وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْقَرُونَ • وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ • أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِنَفْسٍ السَّاعِيَةِ • أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ • أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ • عَلَى قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ • وَتَوَمَّنْ يُفَكِّمُ اللَّهُ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ • وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثَالِ تِلْكَ الْأَمْثَالِ لَأُولِي الْأَلْبَابِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ • لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِئِكَ هُمُ الْخَالِسُونَ • قُلْ أَقْسَمُ بِاللَّهِ تَارُونَ أَنِّي أَنبِئُكُمْ بِمَا الْجَاهِلُونَ • وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَالِسِينَ • بَلَى اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ • وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ • وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصُيِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ نَبْطِرُونَ • وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ • وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ • وَبِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا قُضِعَتِ

أَيُّهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا نَحْنُ وَلَكِن حَقَّ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَمَنْ مَتَى التَّكْبِيرُ * وَسَيُقَرَّبُ الَّذِينَ آمَنُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُرَّاحًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَأَوْدَيْنَا الْأَرْضَ نَقْبُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الثَّرَى سُبْحُونَ يَحْمَدُ رَبَّهُمْ وَفَعَى بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

دعا رسول الله ﷺ الناس إلى دين الإسلام فقال بعض المشركين قد زيننا وقتلنا واتهكنا الحرمات فإذا أسلنا فكيف يفر الله لنا ومن هؤلاء وحشي فإنه قال إن من قتل أوزى أو أشرك بلى أنما يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله . وأيضاً عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وقرمن المشركين أسلعوا ثم فتنوا وعذبوا فافتنوا . وأيضاً قال ابن عمر كنا نقول : « ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة » فلما نزل ولا تبطلوا أعمالكم وقد فسرت المبطل بالكبائر والفواحش فمن أصاب شيئاً من ذلك كنا نقول هلك فلما نزلت هذه الآية استبشر بها الجميع فأسلم وحشي وعياش بن أبي ربيعة ومن معه وكف الصحابة رضي الله عنهم عن اليأس من صاحب الكبيرة بل استبدلوا اليأس بالخوف عليه . والآية هي (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) أي تجاوزوا الحد بارتكاب الكبائر (لا تهطلوا من رحمة الله) لا تأسوا من مغفرته أولاً وتفضل ثانياً (إن الله يغفر الذنوب جميعاً) بالتوبة فإن لم تكن فبالعذاب في الآخرة وذلك للسلم ويغفرها بمجرد الإسلام لمن أسلم من الكفار (إنه هو الغفور الرحيم) ولما كان خيراً للأميرين : وهما التوبة والعذاب في الآخرة : أولها أردفه بقوله (وأنبيوا إلى ربكم) أي توبوا إليه (وأسلموا له) أخلصوا له العمل (من قبل أن يأتكم العذاب) لا تنصرون (إن لم تتوبوا ، ولما كان ظاهر الآية المنتقم ربما يجعل بعض النفوس تغتر بظاها وأردفه بما يوجب الاحتراس في مثل هذا المقام وعدم الاتكـال ، فلهـذا وإن كان واسعاً قد حدد الله فيه لكل امرئ درجة ، فإذا أبلغ لنا أن نأكل ما نشتهي من أنواع اللذات فليس معنى هذا أن يساوى المنفس في الحلال المرتطم في لذاته للمباحة ومن هو منفق لئال منه تدق به خادم للجميع بل الأول أشبه بالحيوان وأقرب للأطعم وكوبه مسلاً لا يمنع من هوس درجته ، إن الأول لا يذكر بجانب الثاني ومع ذلك فهو في رحمة الله الذي روع في ملكه السكاب والخزير والنمل والنحل وما أشبهها مع الإنسان في الأرض بل ذلك يعد كمالاً في ملكه لأن الملك الذي خلا من الناقص ناقص ، فمما مثل المسلمين يوم القيامة إلا أكمل تلاميذ المدرسة فيهم السابق واللاحق والضعيف ، وليس انتساب الضعيف البليد إلى المدرسة بمافع من رسوبه في الامتحان واعتباره . تأخراً . كلا . بل قال الله تعالى - وللآخره أكبر درجات وأكبر تفضيلاً - فأى نسبة بين درجات التلاميذ بالمدرسة ودرجات المؤمنين يوم القيامة . وكذلك هذا المثال أيضاً لحل الرجل المتصر في المسلمين ولذلك حض الله على الأخذ بالأحسن فقال : لا تتكلموا على المغفرة وتعدوا أكسين بل اجتهدوا

وسابقوا الى الخيرات (واتبعوا احسن ما اوتل اليكم من ربكم) فاذا سمعتم الغفوة فلا تجعلكم ذلك على الاتكال لأن هذا يقعد بهمكم ويترككم أسفل الدرجات وغيركم يطير الى المعالي . فقد يكون المسلم في أسفل الجنة وبعض عبيده أو خدمه أو الساكنين من قريته قد طاروا الى العلى أو فطروا وجه ربهم . فلاتهولوا في حمل الصالحات فضلا عن التوبة والاخلاص (من قبل أن يأتيكم العذاب بفتة وأنتم لاتشعرون) بمجيئه فتتداركون بادروا الى العمل واحذروا (أن تقول نفس) أى بعض الأنفس وهى نفس الكافر (ياحسرى على ما فرطت في جنب الله) أى قصرت في جانبه أى في حقه وطلعت فاجاب كناية فيه مبالغة * قال الشاعر

أما تتقن الله في جنب وامق * له كبد حوى عليك قطع

(وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين بدين الله وبكتابه ورسوله وبالمؤمنين فلم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر بأهلها (أوتقول لوأن الله هداك) أرشدك الى دينه وطاعته (لكنت من المتقين) الشرك والمعاصي (أوتقول حين ترى العذاب لوأن لى كرة فأكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل فرد الله عليه قائلا (بلى) قد جاءك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) أى قلت ليست من الله وتكبرت عن الإيمان بها الخ (ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله) زعموا أن له ولها أو شريكا أو قالوا الأشياء لنا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل (وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى) منزل (للكافرين * وينجي الله الذين اتقوا) الشرك والمعاصي (بمخازنهم) بفلاحهم وبالطرق التى تؤدىهم الى الفوز والنجاة . ثم بين المفارقة فقال (لايسمى السوء ولاهم يحزنون * الله خالق كل شئ) من خير وشر وإيمان وكفر (وهو على كل شئ وكيل) يتولى التصرف فيه (له مقاليد السموات والأرض) أى مقاييس خزائنها واحدها مقلد أو مقلد ومن ملك مقاليد الخزان تصرف فيها كما يشاء فهو كناية (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) مقابل قوله - وينجي الله الذين اتقوا - (قل) لمن دعاك الى دين آياتك (أفغير الله تأمرونى أعبد) أى أجهلت فغير الله أعبد بأمركم بعد هذا البيان . فتأمرونى جلة اعتراضية . (أيا الجاهلون) بالتوحيد ثم هدد الله المشركين موجها الخطاب لرسوله ﷺ فقال (ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) الذى علمته قبل الشرك أى أوحينا اليك لئن أشركت ليحبطن عملك وإلى الذين من قبلك لئن أشركوا ليحبطن عملهم . وقوله (ولتكونن من الخاسرين) معطوف على جواب القسم الساذ مسد جواب الشرط (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به (وكن من الشاكرين) إضامه عليك (وماقدروا الله حق قدره) وقرئ بالتشديد أى ماقدروا عظمتهم فى أنفسهم حق تعظيمه حيث جعلا له شريكا وصفوه بما لا يليق به (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) أى والأرضون حال كونهن مجتمعات مع عظمتن لا يلبغن الإقبضة واحدة من قبضاته يوم القيامة كأنها قبضتها قبضة بكف واحد والسموات مطويات بقدرته ، والقصد التنبيه على عظمتهم وكمال قدرته وسفارة كل فعل عظيم بالنسبة الى قدرته والدلالة على أن تخريب العالم أهون شئ عليه (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم (وتفخ فى الصور) المرة الأولى (فصعق من فى السموات ومن فى الأرض) خروا مغشيا عليهم (إلا من شاء الله) كجبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت ، وحلة العرش أو نحوهم (ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام) قائمون من قبورهم (ينظرون) يقبلون أنصارهم كلبهوتين (وأشرقت الأرض بنور ربها) بما أقام فيها من العدل وذلك حين يتجلى الرب لتصل القضاء بين خلقه فما يضارون فى نوره كما لا يضارون فى الشمس فى اليوم الصحو (ووضع الكتاب) أى كتاب الأعمال أو اللوح المحفوظ الذى فيه جميع أعمال الخلق (وجىء بالبينين والشهداء) الذين يشهدون للأمر وعليهم من الملائكة والمؤمنين (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق وهم لا يظلمون) بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ما وعدوا به (ووفيت كل نفس

ما عملت جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) فلا يفوته شيء من أفعالهم . ثم أخذ بفصل ذلك فقال (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً) أفواجاً متفرقة بعضها في أثر بعض (حتى إذا جاؤوا فتحت أبوابها) ليدخلوها (وقال لهم خزنتها) توبيخاً (ألم يأتكم رسل منكم) من نوعكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أى كلمة الله بالعذاب علينا وهي الحكم عليهم بالشقاوة (فيلادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبقس مشوى للكافرين) والمخصوص بالقس جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً) أى سيقت مرافقهم كالوفود إلى الملوك (حتى إذا جاؤوا وفتمت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم) فزعم ونجوتهم وطهرهم وصلحتهم (فادخلوها خالدين) وجواب إذا قدره دخلوها (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالبعث والثواب (وأورثنا الأرض) مكتناً بما استقررتنا عليه (تصرف فيه تصرف الوارثين فيما ورثوه) (نقبوا من الجنة حيث نشاء) أى ينزل كل منا فى أى مقام أراد من جنة الواسعة (فقم أجمع العالمين) الجنة (وترى الملائكة خافين) محذقين (من حول العرش) أى حوله (يسبحون) حال من الضمير فى خافين (يحمد ربهم) ملتبسين بحمده أى ذاكرين له بوصف الجلال والاکرام تلذذا به ، ذلك للدلالة على أن أقصى درجات السعادات الاستغراق فى صفات الحق (وقضى بينهم بالحق) أى بين الخلق فبعضهم بدخل النار وبعضهم الجنة وبين الملائكة بأقانتهم فى منازلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون والملائكة . انتهى التفسير اللفظي

﴿ لطائف القسم الثالث من السورة ﴾

- (١) فى قوله تعالى - إن الله يفر الذنوب جميعاً - الخ
- (٢) فى قوله تعالى - وماقدروا الله حق قدره - الخ
- (٣) فى قوله تعالى - وأشرق الأرض بنور ربها - الخ
- (٤) فى قوله تعالى - وترى الملائكة خافين من حول العرش يسبحون بحمدهم وقضى بينهم بالحق -

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

(فى قوله تعالى - إن الله يفر الذنوب جميعاً -)

هذه الآية للتنبيه على أنه لا يجوز للعاصي أن يظن أنه لا غلص له من العذاب فإن ذلك قنوط من رحمة الله وهو من الكبار ، وكذلك من أمن مكر الله ، فكل من تاب غفر الله له ومن لم يقب فأمره لله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(فى قوله تعالى - وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه -)
فى حديث رواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله يضع السماء على أصبع والأرض على أصبع والجبال على أصبع والشجر والأنهار على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك وقال - وماقدروا الله حق قدره - الآية . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - وأشرقَت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون -)

فيه ذكر النور والكتاب والقضاء بالقسط والشهداء ، وجاء في الحديث أنه يتجلى الرب على خلقه فما يضارون في نوره كما لا يضارون في الشمس في اليوم الصحو

كل ذلك راجع الى ظهور الحقائق وتبيان كل شيء والعدل التام بالميزان العدل ، ولعمري إن ما ذكر من ذلك في عالم الآخرة هو الذي يشاهده العقلاء والحكماء في الدنيا ، وهل هناك فرق بين عالم وعالم أو بين الدنيا والآخرة من حيث النظام والاشراق ، الأرض تشرق بنور ربها يوم القيامة وأرضنا اليوم وسماواتنا مشرقة بنور الرب ولكن ذلك النور وذلك العدل اليوم محجوب بحجاب غليظ عن أعين أكثر الناس ، إن أكثر الناس اليوم ممنوعون عن الوقوف على الحقائق لأن هذا هو نظام هذه الدنيا ونظامها أن من فيها يكونون ضعاف البصائر فإذا تجلى الله لهم في عالم بعد هذا أدركوا أن كل أقصاه موزونة ، وهل لك أيها الذكي أن أذكر لك قلام من كل من ذلك الاشراق الذي تجلى به الله في هذه الدنيا على المفكرين وحجبه عن أكثر الغافلين لما يرون من موت وحياة ، ومرض وصحة ، وغنى وفقير ، وظلم وعدل ، وتفاوت في الأرزاق والأعمال والآجال والأخلاق والأجسام ، والرفعة والضعف ، والعز والذل ، وما أشبه ذلك ، فإذا أشرقَت البصائر أدركت الحقائق فظهرت للبصيرين ، وفي هذا المقام جواهر :

(١) - ﴿ الجوهرة الأولى : عدل الله في عالم النبات والحيوان من حيث التغذية ﴾

انظر الى عالم الحيوان والنبات ، قد هتم أن النبات يحتاج الى مقدار كبير من الكربون لغذائه وتقوية أعضائه فلذلك يأخذ من الهواء حامض الكربونيك وهو مركب من الكربون والاكسوجين فيحمله في بنيه تحليل تاما ويأخذ الكربون أى المذبة الفصحية لنفسه ويخرج الاكسوجين الى الهواء ، ثم ان الهواء يأخذ ذلك الاكسوجين فيوصله الى الحيوان فيستنشق ويدور في الدورة الدموية فيصلحها ويخرج الحامض الكربونيك الى الهواء ، فالحيوان يركب في جسمه الحامض الكربونيك ويدفعه الى الهواء والنبات يتقبله فيحمله ويرجع الى الهواء الاكسوجين ، ويطلق العالم (بروفير) أن مقدار ما يخرج من النبات من الاكسوجين يسد ما يحتاج اليه الحيوان تماما ، فانظر للعدل ، وانظر للنظام ، ألا ترى أن نظام النبات والحيوان قد قام بالعدل أوليس هذا هو نور الله المشرق ؟ يراه المفكرون ويحجب عنه الغافلون

يقرأ الناس - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وإذا امتحنوا طالباً أعطوه مسائل من العلوم فحي أجاب فيها عرفوا انه عالم بتلك العلوم ، ويجالس الرجل عالماً فيعرف من حديثه مقدار علمه ونحن وإن كنا لم نطلع من العلوم إلا على مقدار صغير مما تحتمله عقولنا في الأرض ندرك من هذا المثال ومن أمثاله مقدار العدل والنظام التام الذي نعيش فيه ، نعيش في الدنيا فترى اننا لانحيا إلا مع النبات والحيوان وننظر فنجد اننا لو كنا نحن والحيوان في الأرض وليس معنا نبات وكان لنا رزق آخر غير النبات لم يستقم العيش على الأرض ، لماذا ؟ لأنه لانبات يحلل الكربون الذي يخرج من تنفسنا ويتركب جيلا بعد جيل فيفسد الهواء ويموت الأحياء ، فبالعدل والنظام وجود النبات وتحليله لتلك الكربون وارسله ما كان مركبا معه من الاكسوجين الى الهواء أمكن أن نعيش فوق الأرض

أيها الذكي : كم من متعلم علم الطبيعة وهو يمر على هذا صرير النسيم على الحصباء أو الصرصر على القضاء . يقرأ أكثر من الناس العلوم ولا ينظرون نظرة عامة . فالعلوم في عقولهم أشبه بالأدوات المستحضرة لبناء البيت

من لبن وطين وخشب وحجر ثم لا يجمع بينها ولا يرى لها صورة جيلة في نفسه منقوشة على صفحات قلبه
يزدان بها فؤاده . ذلك مثل أكثر المتعلمين

(٢) - (الجمهرة الثانية : العدل بين البر والبحر في النبات والحيوان)

يرى الناس فوق الأرض حدائق وأعشابا وبساتين وأعشابا وجنات أنفاها وزهرا بإهرا وبجبالا ظاهرها
وعجبا عجبا . ينظرون البحر فلا يرون إلا ماء أجاجا وأموجا قال لا نبات فيه ولا شجر ولا حدائق ذات ثمر .
لكن بعد التأمل والبحث يرى في البحر كما في البر حقول ومزارع فترات وأشجار باسقات عجيبات .
ولأذكر لك منها الجزائر المرجانية لتري العدل دائما بين الماء والتراب والبحر والبر

لوانك ذهبت الى المحيط الهندي والى المحيط الهادى (الباسفيكى) رأيت هناك شعيرات المرجان الحية
ذات الأغصان والقروم مضجرة أو مصفرة تسرى الناظرين أوجها كالقزقل أو زرقاء كالزمرد تتلاعب بها الأمواج
وهي لطيفة المزاج لهذه الأصناف لم تلتفت بعد حين أن تبرز من اجتماعها جزائر مستديرة الشكل كأنها
شكل الخنم أو شكل الحلقة وهي مكونة من تلك الأشجار البينة الأعطاف التي تراكت وصليت وصارت
صغورا مرجانية يبلغ محيطها فراسخ كثيرة . وترى ماء المحيط ينكسر على جوانبها البيضاء البهجة المناظر
السارة للناظرين . منظرها عجيب وأمرها غريب تجذب قلوب الشعراء وتغلب لب الحكماء . وترى هناك
أميرين بديعين : أمر ماء البحر المتلاطم الأمواج المتكسرة على شواطئ جزيرة المرجان وهي زرقاء سوداء لغرط
عمقها وأمر الحوض الذي هو وسط الجزيرة الذي يضرب ماؤه الصافي الى الصفرة والخضرة معا . ماء المحيط
متقلب يرتفع وينخفض . وماء تلك الجزيرة راكد في وسطها ساكن . وهذه الجزر يقل ارتفاعها عن الماء
وسواحلها مكسوة بنخيل الكوكو (الشكولاته) والمرجان الذي تبني منه الشواطئ المرجانية لا يعيش على أعماق
من (٢٥) قامه . وما أكثر هذه الجزائر . فبحا مجموع جزائر تبلغ (١٠٠.٠٠٠) مائة ألف جزيرة مرجانية
ومنها مجموعة تبلغ (١٠٠٠) ألف جزيرة . وهي جزائر متناسبة الارتفاع . فالأولى هي السماء (بل كاديف)
والثانية هي السماء (ملاديف)

فانظر كيف اعتدل الأمر بين البر والبحر فكان نبات في البر ونبات في البحر ولكن لا تظن من قولنا
نبات اتنا قول ان المرجان نبات . كلا . انه حيوانات كثيرة صغيرة منتظمة في حال واحدة معا تكون على
هيئة الأغصان والأوراق والأزهار وهي حيوانات باجتماعها أشبهت هيئة النبات

(٣) - (الجمهرة الثالثة : العدل في خلقه العيون وعصمها وهومن نورالله في أرضنا)

معلوم أن العين خلقت لمنفعة الحيوان ، ولا حيوان إلا وهو محتاج الى العيون ، ولكن ظهرت من
الحيوان ما تكون العين بالنسبة له حلا قليلا ولا ثمرة لها عنده ، ذلك أنواع من السمك تعيش على عمق
(٢٧٥٠) قامة والقامة مقياس مقداره ستة أقدام . وتسمى هذه بالحيوانات القارارية . فضاء الشمس معلوم
عندها لأنه لا يصل إلا الى عمق (٢٠٠) مائتي قامة وما تحت ذلك فهو ظلام حالك . ولذلك لا يرى أثر للعيون
في كثير من فصائلها . ومن السرطان نوع يكون له عيون وهو عاشق قرب سطح الماء . فإذا عمق مسكنه
وصار ما بين (١٠٠) قامة و (٤٠٠) قامة من السطح فقد عينيه . وقد يبقى له منهما موضع الأثر . وما يعيش
منه على بعد (٥٠٠) قامة الى سبع مائة قامة يعلم الآلة البصرية

فانظر الى العيون كيف عذمت عند عدم الحاجة اليها إذ لا ضوء تبصر به وكيف ظهرت في الحيوان عند
اقتربه من ضوء الشمس وعذمت عند عدم الضوء - إن ربك حكيم عليم -

(٤) - (الجمهرة الرابعة : السمك ذو المصباح)

وهل أتاك أيها التقي نأ السمك الذي يعيش في قرار البحار في الظلام الحالك الذي لا تصله الشمس

وهو مع ذلك ذوعين كلمتين عجبتين تلتين . فانظر كيف يبصرهما ولاضوء هناك . وقد قلنا إن الضوء لا يمدو مائتي قامة فكيف وهو في أبعد الأغوار ولاضياء هناك . فانظر كيف أبلغ الله لذلك الحيوان ما يبعده لنا على هذه الأرض . ألم تر أننا في غلطة الليل نوقد المصابيح الكهربائية والشمعية وما أشبه ذلك أعطانا الله ذلك لتستضيء اذا احتجنا الى الضياء ونكشف عن الاستغلة اذا أردنا النوم والسكون فيكون الضوء تحت أقدامنا بأفئتنا . أما في النهار فالضوء عام بغير أقدامنا . فانظر ماذا فعل الله مع ذلك الحيوان ! أعطاه عضوا يشع سراجا وهاجا بحيث يكون أمام عينيه ليكشف به الفريسة . ويظهر ذلك النور أمام عدوه المفاجئ له ليهره بالنور ثم يطفئه أسرع من البرق . فهذا السمك يستعمل النور بحكمة يكشف به الفريسة ويطفئه اذا هاجه العدو وقد جعل له أمام عينيه ما يعكس الضوء بمقياس خاص . فانظر كيف أعطى الله السمك المقتص العيون والضوء الذي تحت أقدامه ليكشف اقنصه ولولا ذلك لم يقدر أن يعيش إذ حياته بالصيد ولاصيد مع العمى والظلام . وكيف منع العيون عن غير هذا النوع لأنه ليس في حاجة لذلك لأن رزقه متوافر لديه حاضر عنده والا لأعطى العيون والضياء . والضوء هناك والعيون يشبهان بما أعطى السبع من البرائن والأنياب المتمددة والقوة العظيمة حتى يقدر على الصيد . وقد علمت في هذا التفسير أن الحيوانات للمفترسة في البر والبحر رجة لحفظ البر والبحر من التعفن بالزهر التي تموت فيكون الوباء العام كما أوتحناه مرارا في هذا التفسير

بهذا فلنفهم قوله تعالى - وأشرق الأرض بنور ربها - فهذا نوع من اشراق الأرض بنور الله ولا يدرك هذا النور وهو العدل والنظام في هذه الدنيا إلا قليل وأكثر الناس عن هذا الجدل معرضون فبالت شعري كيف يكون كتابنا هذا مقتضاة وزي المسلم لاقرأ علم التوحيد إلا على خطمهم غامض . ألا ترى كيف يجعل بحثه قاصرا على نحو « ان العالم حادث وكل حادث لابد له من محدث » وهكذا وهو مغمض العين عن هذا الجدل بعيد عن هذا المال . يقول الله - وأشرق الأرض بنور ربها - ويقول - إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح - والمسلمون وحدهم أكثرهم يغمضون العيون عن هذا المنظار الجليل البهيج فهذا هو الاشراق النوري في الأرض وهو نظير الاشراق يوم القيامة في عالم الأرواح . وإذا أشرق الدنيا على هذا الخط وقد أدرك هذا الاشراق حكماء الانسان . ومعلوم أن عالم الأرواح أسمى وأبهج وأعدل فهناك فليكن العدل والعلم . وكلما كانت الأرواح أسمى وأبقى بالعلم والتهديب والأخلاق كانت الى الوقوف على الحقائق أقرب وبالعلم تعرج الى العالَم والمعارج . ولا معنى للعروج إلا زيادة انكشاف الحقائق . وكل من كان في الدنيا أكثر علما وشوقا له كن في الآخرة أسرع وصولا وتحقيقا وعروجيا . وهذا هو :

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

(في قوله تعالى - وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين -)

في هذه الآية ذكر الملائكة وانهم حافون حول العرش وانهم يسبحون وأن التسبيح ملتبس بحمد الله وانهم في مراتبهم التي يستحقونها هم والمؤمنون وغيرهم ، وأن المؤمنين والملائكة يقولون الحمد لله رب العالمين وسيأتي في سورة حم المؤمن وهي ﴿ سورة غافر ﴾ أي في أولها أن الذين يحملون العرش والحافين حوله وهم الكروبيون يسبحون مع جدرهم وأن أرجلهم في الأرض السفلى وروسهم قد خرفت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وجميع الملائكة يثنون ويروحون بالسلام عليهم الى آخر ما سيأتي ، فذكر في هذا المقام هؤلاء الذين هم سادات للملائكة وهم المدبرون لهذا العالم من عرشه لقرشه ، ذلك لأن معنى اختراقهم

للعرش ووصول أركانهم للعرش الاحاطة بالعوالم كلها علما وتقديرا بأمر ربهم ، ومعنى كون الملائكة تسلم عليهم أنهم يتلقون الأوامر عنهم فخرج الأمر كله الى العلم والعمل . وهذا هو القى أوجب ذكرهم هنا للنسبة ، الأخرى أن ما قبلها فيه أن الأرض أشرقت بنور ربها وأن القضاء عدل وأن أهل الجنة سيقوا اليها وفتحت أبوابها لهم وسلم الملائكة عليهم وجدوا الله إذ أودعهم أرض الجنة ، فهنا جحان : جحد المؤمنين لما دخلوا الجنة فقالوا - الحمد لله القى صدقنا وعده وأورثنا الأرض - الخ فهذا جحد على شيئين : صدق الوعد . وميراث أرض الجنة . وجد الملائكة بمحمدون الله جحدا ليس خاصا بأمر يرجع الى أنفسهم أو صدق الوعد معهم . كلا . بل هو جحد على تربية العالم كله علوه وسفليه . وهذا الجحد أعلى . ولذلك ترى أهل الجنة الذين جحدتهم مقيد ينظرون الى الملائكة الحافين حول العرش وقد أنزلوا مراتبهم وجدوا محامدا عالية شرفة يجلس أهل الجنة في الجنة ويرون الملائكة حافين من حول العرش الخ . حال الملائكة أرقى من حال أهل الجنة لأنهم مدبرون للعالم وأهل الجنة في ركن منه وهي الجنة ، والعالم الروسى أرقى من العالم الجنائى وأجل فلذلك عبر بلفظ ترى إشارة الى رفعة شأنهم وكأن الناس ينظرون اليهم نظر الاحترام إن درجة الملائكة قبل درجة أولى العلم في قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - . فأهل الجنة من العاتية والعلاء بعد الملائكة فلذلك كان جحدهم راجعا لتنظيم العام . وكلما كان الانسان في الدنيا أغزر علما بجمال هذا العالم كان أسرع رقيا في درجات الآخرة وأقرب الى الملائكة . فلأقرب لله لإلّا من حيث ازداد العلم والانكشاف والحمد لله رب العالمين . انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ انكشاف الحقائق من أسرار القرآن ﴾

(في آخر سورة ص وأول سورة الزمر)

من قوله تعالى - ما كان لى من علم بالألأ الأعلى - الى قوله - فأنى تصرفون - سبحانهك اللهم وبمحمدك . تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك . أنت الذى أنعمت بنعمة العلم والعرفان وشرحت صدورنا ويسرت لنا ظهور بعض الحقائق العلمية التى أغفلت عنها أم وأم تبين لى أن أم الاسلام المستقبلة قد أنذ لنا أن تعرف من العلم ما لا يعرفه كثير من سبقها بعد العصور الثلاثة الأولى . إلت حقائق العوالم والأسرار الكامنة فى القرآن كانت تكشف لأفراد فيكتمونها وجوبا ويموتون وإذا كتبوا عنها فإن ذلك كان تحت ستر . أما اليوم فالى أن الحقائق سنجد لى للأم المستقبلية الاسلامية الذين سيكونون خير أمة أخرجت للناس كما كان الصحابة والتابعون وتابعوهم - خير أمة أخرجت للناس - ونظرة فى المحاوراة الآتية تبين مغزى ما قلته الآن

فى يوم السبت (٦) أغسطس سنة ١٩٣٠ حضراتى صديق القى يباحثى فى هذا التفسير فقل : إن آخر سورة ص وأول سورة الزمر فيها مشكلات حيرت عقلى وأدهشت لى ! إن هذا التفسير قد تجلّت فيه حقائق كثيرة ولكن أكثر الحيرة والشك ترجع الى ما يأتى :

- (١) الله عظم الانسان إذ أمر الملائكة الأرضية بالسجود له - فقموا له ساجدين -
 - (٢) وإذ خلق السموات والأرض ، وكوّر الليل والنهار ، وسخر الشمس والقمر
 - (٣) أنزل له من الأنعام ثمانية أزواج الخ
- ولكنه أذله بما يأتى :

- (١) ألبح لآء ليس أن بقوى أكثر ذرية
- (٢) وحكم على ذرية آدم أن يكونوا مع إبليس وذريته فى جهنم ويموتها من أغريتين

(٣) ثم إنّه في الرحم يكون في ظلمات ثلاث

فهو في الرحم في ظلمات ، وإذا خرج إلى الأرض يكون تحت سلطة الشياطين ، وإذا مات دخل أكثر بني آدم جهنم . إذن هذه ظلمات متواليات : في الرحم ، وفي الحياة ، وبعد الموت . فالظلمات متتابعات على هذا الإنسان . ظلمات جسمية في الرحم ، وظلمات عقلية بالوسوسة فوق الأرض ، وظلمات جهنمية بعد الموت فهذه أمور مشكلات وإذا قرأنا ما تخلف هذه الظلمات وجدنا رحمة واسعة إذ جاء فيها بين السورتين « بسم الله الرحمن الرحيم » وهي آية من السورة ، فذكر الرحمة هنا مشكلة . وكيف نذكر الرحمة هنا والمقام فيه الرحمة والغضب فهل تسليط إبليس على ذرية آدم وادخالهم جهنم يناسب الرحمة المذكورة في أول السورة ؟ هذه مشا كل علية لم تحلها العقول قديما إلا رمزا وما السبيل لحلها ؟ فقلت الحمد لله . إن يانك الذي أردت به إيضاح الاشكال أفدنى حقيقة الجواب . فقال وكيف ذلك ؟ فقلت لأوضح لك المقام إيضاحا تاما . أنت ذكرت أن هذه الآيات فيها أن بني آدم في ظلمات الرحم . وانهم تحت سلطان الشياطين في الدنيا وهم معهم في جهنم وأن هذا كله ينافي الرحمة . هذا ملخص إشكالك . فقال نعم . فقلت : وماذا تقول إذا علمت أن الله لو لم يفعل ذلك لم يكن رحيمًا بنا وأن تسليط إبليس وظلمات الرحم الثلاث كلها نعمة لاقمة وما نظنه في بادئ الرأي قسمة هوى حقيقة نعمة لكن بعد السرس والعلم والله جلّ أن يعطى النعمة لمن لا يستحقها وهل يستحق إدراك الحقائق إلا الممارسون . أنا سأسمعك الحقيقة اليوم واحدة واضحة وهل يفهمها إلا العارفون أو يدركها إلا المفكرون الذين درسوا من كل فنّ طرفا . فقال : لقد شوقني إلى الجواب وإدراك حقيقة هذه الأسرار . فقلت : انظر رعاك الله إلى الطفل في بطن أمه كما ذكرته أنت . انه وضع في الحجب الثلاث : في الرحم محافظة عليه كما هو معلوم للناس قاطبة فلوانه تعرّض للشمس لم يشرب بل لو ظهر للهواء مجردا من ضوئها لم يشرب . فأنه عز وجل لم يمنعه من نعيم الهواء وضوء الشمس ضنا بالنعمة وإذلالا وإنما منعه ذلك رحمة ورفقة ونحننا فلاحه لهذه الرحمة ولولا هذا لم يقرب في بطن أمه . وأنا موقن أنك ماذا ذكرت هذا في الاعتراض إلا لأنك جعلته ضرب مثل للظلمات العقلية التي سببها إغواء الشياطين للإنسان والا فأنت تعلم وجيع العقلاء يصلون أن هذه الظلمات في الرحم نعمة . فالتى دعاك لتذكرها انما هو التنبه على أن هذه الحجب تذكرنا بالحجب العقلية التي تعتربه بعد خروجه إلى الأرض وهو يشرب مع الناس . قل حقا هو كذلك . فقلت : وماذا تقول إذا قلت لك ان ما جعلته أنت ضرب مثل للإذلال رأيته أنا ضرب مثل للأفهام . فقال : أنا لم أفهم ما قصد فأرجو إيضاحه . فقلت : إن الله حجب الجنين في الرحم في ظلمات ثلاث . وقد اتفق العقلاء أن هذا رحمة لاقمة ، ذلك لأن الجنين لا يقدر أن يقابل ضوء الشمس ولا الهواء طبعا لضعفه فأنت انتهزت هذه الفرصة وجعلتها أشبه بضرب مثل لما سيلحقه من الظلمات ، وأنا أوضح لك الآن أن هذه ضرب مثل لما سيلحقه من النعم . إن هذا الجنين المحجوب بالظلمات الثلاث رحمة به إذا خرج إلى الأرض حجب بنحو (١٦) ظلمة جسمية محافظة على حياته ورحمة به ، وما يقرب من مائة ظلمة عقلية محافظة على عقله والا لاختل نظام تفكيره ، فإذا رأينا الجنين حفظ بهذه الظلمات الثلاث في الرحم فالرجل يحفظ من الهلاك الجسمي بظلمات تبلغ (١٦) ومن الهلاك العقلي بظلمات تبلغ نحو المائة ، وكما أن الجنين لو تعرّض للجو لمات ، هكذا الطفل والمرأى والبالغ والشيخ إن كان جوا الأرض ليس فيه طبقات من الغبار والقررات التي تحجب ضوء الشمس وتطفئه وتخففه ثم تكون سببا انتشاره لكائنات الحياة لا تطاق ، فأنواع الغبار والدخان الخارجات من الأرض الضمات لهذا الجو ما هي إلا حجب لأبصارنا وهذه الحجب لولاها لم نطعم الحياة على الأرض ولم ينظم ضوء الشمس حين وقوعه على الأرض ولم يكن عندنا فجر ولا صبح ولا وقت فيه شفق بل تطلع الشمس وتقرب فجأة ويكون ضوءها شديدا دائما فلا تطلق العيون رؤية قرص الشمس صباحا ولا مساء ويكون الضوء فجائيا

والظلم جانياً . فهذه الحجب والظلمات في الجوّ نسبها الى حياتنا على الأرض كنسبة الظلمات الثلاث للجنتين ومثل ما قلنا في ظلمات الجوّ التافعات في انتشار الضوء الموزّعة له على الكرة الأرضية للصلحات لحال أهل الأرض يقول في وساوس الشيطان . وما وساوس الشيطان إلا أمثال ما نراه من تهاوت القباب على معالمنا وشربنا مع اننا نأكل الصل الذي نشأ من خلايا التحل . ففسدة وسوسة الشياطين الى عقولنا من حيث انها تصدنا عن الاطلاع على الحقائق بجأة ونحن لانطيقها كنسبة ظلمات الجوّ البالغة (١٩) غلظة من حيث انها تخفف ضوء الشمس الواصل الى عيوننا بحيث يقلّ في أكثر النهار عما يمكن أن يصل إلينا فوق ألف مرة . إذن ضوء الشمس لا بد أن يخفّف بحجب حين يصل لنا والعالم والمعارف التي يتجلى الله بها على عقولنا اذا لم تحجبها الوساوس الشيطانية التي استعدت لها نفوسنا وشهواتنا وأخلاقنا الأرضية فانها تكون سببا في إهلاك أرواحنا لأنها لا تقدر أن تتحمل جميع الحقائق دفعة واحدة كما لا تتحمل عبودتنا ضوء الشمس من غير أن يطفئ بظلمات الجوّ وكما لا يتحمل الجنين أن يعيش إلا في ظلمات تقيه

أنا أقول هذا وأنا أصبحت موقنا به وإقنا تاما . وهذا هو اليقين الذي أعطه لأهل الأرض قاطبة ولك أنت أولا . قل لهم جميعا إن الله أذن بظهور الحقائق

إن مافي الأرض من الأخلاق الفاسدة واغواء الشياطين الأرضية . كل ذلك رجة لأنه لولاه لم تتحمل العقول شمس المعارف العلمية التي تستعد لها النفوس الأرضية بفطرتها . وكما أن الطعام الذي كثرت مادة الغذاء فيه كاللبن واللحم والبيض اذا دأوم امرؤ عليه فان عاقبته تكون هلاكا له غالبا لأن هذه المواد الممتلئة أغذية اذا وردت على الجسم أخفت تهجم على الحويصلات هجوما شديدا فتظهر القوة وحسن الشكل وحرارة الخلد وروقي الجسم ثم لا يلبث الجسم أن يصل لاحدى نتيجتين : إما أن يكون قويا فتخرج له بشور وتظهر أمراض بها تخرج تلك العلل . ولما أن يكون ضعيفا فلا يقدر على ذلك التصريف بالأمراض فيفاجئه الموت بكرة أو عشيا

هذا ما قمت في هذا التفسير مرارا وتكرارا عن علماء الطب في العصر الحاضر . أقول : كما ان الطعام هذا شأنه هكذا العلوم والمطرف فهي أغذية الروح والروح استعداد خاص كاللحم . فكما أن الأغذية اللينة والحمة والبيضة قد يكون فيها خطر على الأجسام كما تقدم هكذا العلوم التي تصل للعقل بجأة تهلك الروح . وكما أن الأغذية النباتية ونحوها (وفيها أغذية غير مركزة بل هي داخلية في ضمن مودة أخرى) تدخل على الحور يصلات الجسمية لطيف فلا تزججها هكذا المعارف والعلوم اذا وصلت الى الأرواح والعقول شيئا فشيئا تدريجيا تكون مقبولة ولا تضرها ، وكما أن الشمس يظهر نورها على جميع الأرض وتبسط بالقباب في الجوّ هكذا الأنوار الإلهية التي يرسلها الى عقولنا لا بد من تخفيفها حتى تتحملها عقولنا ، وأول حجبنا أجسامنا فهي ظلمانية ثم شهواتنا وأنواع شرونا التي تحيط بنا احاطة القبار والنيران في جونا بعبودتنا ، وكما أن القبار والنيران ظاهرها عذاب وباطنها رجة ، هكذا وسوسة الشياطين التي لا تكون إلا اتباعا لشهواتنا هي نعمة باطنها قمة ظاهرا ، وأضر بك مثلا : قد ظهر في أمريكا غلام منذ نحو (٢٠) سنة فأكثر دخل المدرسة وأخذ يتعلم الحساب فما مضت نصف سنة وهو لم يبلغ سبع سنين حتى فاق أباه في العلوم الرياضية كلها وأتى بحساب يجعلونه فقههم كلما قالوا له : اجمع الطرح الضرب القسمة اللوغارتم المعادلات الجبرية يقول لهم أنا أعرفه وكان أبوه رئيس الكلية فطلبوا علماء الطب من أنظار الأرض فبحثوه وقالوا جميعا إن هذا الغلام قصير الأجل لأن عقله أكبر من جسمه وهذا الجسم لا يتحمل هذا العقل وقد مات وسنه (١٣) سنة ، وقد ظهر كثير أمثاله على هذا الخط ، فهؤلاء جاؤا الى الأرض ليوقظونا الى أمثال هذه الحكم ولنعرف أن حياتنا كما أن فيها ذبا وحيات وعقارب لا بد أن فيها نحمل ودود قز وأنعام لاسعادتنا ، وأن التقيض لا بد منها ، وأن النعم التي

لاهم معها مجهولة مكفورة بها والشد يكون سببا في ظهور ضده . وأنا أيها الصديق أرى اني قد استوفيت هذا المقام وأنا أجد الله جدا كثيرا ولعلك قد اكتفيت بما سمعت . فقال : أما هذا البيان فلم أسمعه في حياتي منك ولا من سواك ولكني لا أترك القول يمر بلا فهم بعض ما تقدم . ما هي الظلمات التي في جوتنا ؟ وكيف تقول إن الغبار والنخان تصنعان حجابا في الجوت تبلغ (١٦) حجابا ؟ وكيف تقول إن ضوء الشمس يكون أقل فوق ألف مرة ، كل هذه أفاض لا لعل إلا بالإيضاح . فقلت يا صاح وهل يوضح هذا إلا العلوم . فقال أي علوم ؟ فقلت علوم الطبيعة والفلك . فقال أحب أن تشرح المقام شرحا وافيا لتفرح بالعلم ونسعد بالحكمة فقلت : اعلم أن الجاهل يعيش ويموت ولا حظه من هذا الوجود ، أما الحكيم وأما العالم فانه هو يرى أن هذه الباري أشبه بالقصور المسحورة فان مشاهدته أشد غرابة من مشاهد دور الصور المتحركة التي تمثل فيها الواقع الخيرية والطبيعية وغيرها فمشاهد الدنيا مملوءة بالأحوال الغريبة

(١) فانظر الى الكواكب ليلا والشمس في وسط السماء فانك تراها قريبة منا ، ثم انظر الى الشمس عند الشروق وعند الغروب فانك تبعدا بعيدا عنا وهذا يجب كيف تبعد الشمس في الشروق والغروب وتقرب وقت الزوال ؟ أليست الأرض تدور حول الشمس في دائرة منتظمة ويصدها من جميع الجهات متحد في اليوم الواحد فهل تبعد عند الصبح وتقرب وقت الظهر ؟ إذن ليست تجرى في دائرة بل في خطوط منكسرة ولا تأكل به

(٢) ثم انظر الى الشمس صباحا فاننا نقرر أن ننظرها بأبصارنا مع بعدها ، وانظر اليها وقت الظهر فاننا لانستطيع النظر اليها مع قربها منا في رأي العين وكثرة الضوء

(٣) ثم إن النجوم الثوابت تراها قريبة منا والشمس تراها بعيدة صباحا ومساء كما تقدم مع ان الشمس يبتنا وبينها بسر النور (٨) دقائق و (١٨) ثانية ، وبيننا وبين الكواكب آلاف وملايين السنين بسر الضوء ، فكيف كانت هذه المشاهد ساهرة لقولنا غريبة الأطوار محجبة الأحوال

هذه هي الغرائب الساحرة المحيطة بنا وهذا لا فهم إلا بالنظر في علم انكسار الضوء من علم الطبيعة أولا وبالنظر في علم الفلك من حيث ضوء الشمس وانشاره على الأرض ثانيا ، وقبل ذلك نشرح علم الهواء . إذن هنا « ثلاثة فصول : الفصل الأول ، في شرح الهواء » الفصل الثاني ، في انكسار الضوء في علم الطبيعة « الفصل الثالث » في آثار ذلك الانكسار في علم الفلك . فقد جاء في كتب الاصول الوافية في علم القسموغرافيا لأستاذنا المرحوم حسني بك

﴿ الفصل الأول في علم الهواء ﴾

نحاط الأرض من جميع الجهات بغاز ضروري لوجودنا وعلى أي ارتفاع يرتقي اليه يوجد الهواء دائما لكن من المحقق أن هذا الهواء لا يمتد الى غير نهاية في الفراغ بل يكون حولنا طبقة تسمى جوا . ويتكون من الجوز والكرة الأرضية جسم واحد لأنها تجذبها اليها ويشترك معها في جميع حركاتها ويظهر أن تركيب الجو ثابت في جميع الأقطار وفي جميع الارتفاعات وهو مخلوط من الأكسجين والازوت بنسبة ٨٠ و ٢٠ حجم من الأكسجين الى ٢٠ و ٧٩ من الازوت وبنسبة تقل قدره ٢٣ جزءا من الأكسجين الى ٧٧ من الازوت . ويحتوى خلاف ذلك على بخار الماء وأثر من حمض الكربونيك

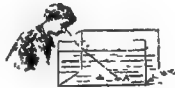
وللجو جميع خواص الغازات . وحرارته وكثافته يتناقصان كلما ارتفع الانسان وذلك لأن الهواء جسم قليل كثبات الغازات وعليه يجب أن تكون الطبقات السفلى أكثر وأكثف اضعافا من الطبقات العليا التي تحمل ثقلها وبالقرب من نهاية الجو يجب مقابلة طبقات خفيفة للغاية وقليلة المرونة جدا وحرارة الطبقات الجوية تنقص بقدر ١° في كل ١٥٠ مترا أو ٢٠٠ مترا من الارتفاع لغاية ٢٠٠٠ مترا

- (١) فالارتفاع قرب من (٤٨) كيلومترا
 - (٢) والتركيب من الاوزوت والاكسوجين : الأول (٧٧) جزأ والثاني (٢٣) وقلة (٥٨٥) ألف مكعب من النحاس كل مكعب ضلعه كيلومتر
 - (٣) وحرارته تنقص درجة في كل (١٥٠) مترا أو (٢٠٠) وهذا يستمر الى (٧٠٠٠) مترا وبهذا تصبح الحرارة (٦٠) درجة
 - (٤) وطبقة الهواء فوق الأرض اكتف من الطبقة البعيدة عنها (١٦) مرة
 - (٥) وضوء الشمس في الأفق أقل منه في السميت (١٣٥) مرة
 - (٦) والضوء الآتي من الكواكب القريبة من الأفق أضعف جسدا من الضوء الآتي من الكواكب التي تقرب من سمت الرأس فتكون الأولى أبعد عنا من الثانية
 - (٧) وعليه تظهر قبة السماء منحنية
 - (٨) والهواء الجوى هو السبب في انتشار الأضواء صلبا ومساء
 - (٩) ولولا الهواء لم تكن السماء إلا سوداء نهارا وعرى النجوم ظهرا
 - (١٠) ولولاها لاتقل الناس بغاء من الظلام الى النور وبالعكس
- فخلص هذا الفصل عشر مسائل ، ولكن الكلام على انتشار الضوء هو الذي نحتاج الى الكلام عليه في الفصل الثاني

➤ الفصل الثاني في الكلام على انتشار الضوء من علم الطبيعة ➤

هنا قال صاحبي أريد شرح انكسار الضوء شرحا سهلا بسيطاً يفهمه الجاهل والعالم . فقلت : اهل أن الامور البسيطة هي أصول الامور العظيمة ، ضع عصا في إناء فيه ماء وانظر أليس تراه أشبه بالمنكسر . فقال أي ور في . فقلت : هذا هو الانكسار ، فهذه المسألة البسيطة هي أصل الانكسار المذكور في علم الفلك وأصل للمصباح والمساء وانتشار النور على الأرض . فقال هذه أمور لاتزال تحتاج الى البيان . فقلت : إذن أريك ذلك عملاً فأسمعك ما جاء في كتاب « العلوم الطبيعية » للعلامة (بول برت) الاستاذ في السربون وزير المعارف العاتية بفرنسا التي ترجمته الى الانجليزية زوجته ، وقد ترجمت هذا الفصل من ذلك الكتاب فقد جاء تحت هذا العنوان « انتشار الضوء » ما يأتي :

« انظر . أنا الآن معي زجاجة مملوءة ماء وقد وضعت في الماء عوداً من القش (انظر شكل ٦)



(شكل ٦)

- | | |
|--|--|
| <p>تجربة (ا)</p> <p>(عود مسجور من القش يظهر للعين انه مكسور في الماء وهذا هو انكسار الضوء)</p> | <p>تجربة (ب)</p> <p>(إن الشماع الضوئي في الماء انكسر وصار سبياً في أن قطعة النقد أخذت تظهر عند القطعة (ا))</p> |
|--|--|

إن العود يظهر في تجربة (ا) كأنه مكسور وهو يقرب في نظر العين من الأفق عند دخوله في الماء . ولا جرم أنك عالم علما

ليس بالظن أن العود لم ينكسر ولكنك قلما تقدر أن تحافظ على إحساسك من اغتداعه بهذا الانكسار وهذه هي التجربة الأولى (التجربة الثانية) (ب) رعو صندوق من التصدير وقد وضعت في أسفله قطعة من النقود وهي (البين) . فمال بإجماس وقف حتى تنظر أبعد طرف من قطعة من النقود أمامك . وهأنذا الآن أخذت في صب الماء في الصندوق قليلا قليلا بملق خيفة أن تنتقل قطعة النقد من مكانها . أخبرني ما الذي شاهدته ؟ فأجاب أنا أشاهد قطعة النقد بحسب الظاهر ترتفع وتتحرك إلى جهة (أ) وإنما حصل ذلك لأن أشعة الضوء من قطعة النقد تنعطف وتنتفي كما اثنت وانعطفت قطعة العود من القش قليلا فيما سبق هذا معنى انكسار الضوء . وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني الذي أنيت به من علم الطبيعة مع إيضاحه والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث في آثار ذلك الانكسار في علم الفلك

أنت أيها القارئ لاحظت العود وهو في الماء وشاهدت أنه في رأي العين قد انكسر والحقيقة أن الانكسار إنما هو في الضوء لأنه متى دخل من جسم ألقف إلى جسم أكثر كثافة حصل له هذا الانكسار وهذه الظاهرة أصبحت مفهومة ، ولكن هل يدور بخلد الأطفال إذ يضعون الأعواد في الماء ويرونها قد انكسرت ويضعون من ذلك ويعجبون ، إن هذه المسألة هي أعظم رجة أزلها الله إلى الأرض كما سأوضح لك وما هذا العود في الماء المتقدم وانكسار الضوء فيه بالنسبة لانكسار ضوء الشمس في الجو عند ملاقاته الطبقات العتمة لإكثسية الهواء المطلق في المنزل بحيث يربح عند إقادة التارفيه فيرتفع الهواء فيجعل عمله هواء آخر من خارج الباب ، فهذه الظاهرة الصغيرة الهوائية في المنزل هي بينها التي تحصل في خط الاستواء وغاية الأمر أن الشمس تسبيل بالتار هنا ، فالشمس تلح بحرارتها على الهواء فيخف فيرتفع فتأتي الرياح من الشمال والجنوب فتعمل عمل الهواء الذي ارتفع فهكذا قول هنا ، فإذا رأينا العود لما وضعناه في الماء انعكس في الاناء وظهرنا أنه مكسور فهذا عينه هو المسمى انكسار الضوء .

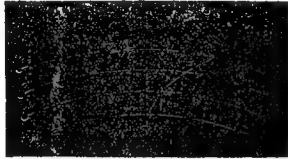
فإذا رأيت الأرض قد زانها ضوء الصبح قبل طلوع الشمس وزانها الضوء بعد غروب الشمس . وإذا رأيت البلاد الشمالية بعد درجة (٩٩) حين يكون الليل أسبوعا أو شهرا أو شهرين فانك ترى البلاد هناك مستقيمة ضوا بديما جيلا يفوق في ساء كل جبال وهذا الضوء يبق بعض أيام أو أسابيع لأن الشمس اذا غربت هناك فانها لا تزال تحت الأفق قريبا من سطح الأرض وهي بدور دورة رحويه . فاسعد هؤلاء بذلك الضوء الجليل الذي يريهم الطرق الثلجية الجيلة وتكون إذ ذاك حوكة البيع والشراء متسعة وتكون بحارهم جامدة يمزجون على ماثلها بأنفسهم ودوابهم

فبالت شرى من أن جاءت لهم هذه المكلها ! جاءت بسبب انكسار الضوء اذا جاء من الجو اللطيف إلى الجو الكثيف على وجه الأرض . والكثافة في الجو كانت أعظم نعمة على الإنسان والحيوان وبسببها كان انكسار الضوء فانتشر في الآفاق ، وهالك إيضاح هذا المقام مما جاء في كتاب « الاصول الوافية » في علم التسموغرافيا المتقدم تحت الآتي وهذا منه :

(انكسار الضوء)

يمتد الضوء على خط مستقيم في وسط متجانس لكن عند ما قابل شعاع صوتي السطح الفاصل بين وسطين في اتجاه مائل فانه يزوغ ويسمى هذا الزوغان انكسارا ، وإذا مد عمود على السطح الفاصل بين وسطين من النقطه التي ينكسر فيها الشعاع الساقط فان هذا العمود والشعاع يمينان مستويا يسمى مستوى السقوط ، وعوضا عن أن يستمر الضوء في طريقه على خط مستقيم يزوغ ويقرب الشعاع الضوئي المكسر أو يبعد عن العمود بدون أن يخرج عن مستوى السقوط فيقرب من العمود اذا حصل المرور من لطيفة هوائية إلى أخرى

أكتف منها ويبعد في الحالة العكسية
إذا تقرر هذا يمكن قبول أن الجو مركب من طبقات متعددة المركز كثافتها تأخذ في النقص كلما بعلت
عن سطح الأرض ولكن (س وس) السطوح الفاصلة بين هذه الطبقات المختلفة (انظر شكل ٧)



(شكل ٧)

فلشعاع الضوئي الآتي في الاتجاه (ل م) يقرب من العمود بدخوله في الطبقة (س س) وينبع الاتجاه من
مثلا في (ن) يتغير زوغان جديد وينبع الاتجاه (ن ق) في الطبقة (س س) وأخيرا يزيغ في (ق)
وينبع الاتجاه (ق د) داخل الطبقة (س س) بحيث إن الراصد الموجود في (و) يرى الشيء في الاتجاه
(و ل) وفي الحقيقة لا يقع الضوء خطأ منكسرا بل خطأ منحنيًا لأن كثافة طبقات الهواء تأخذ في الازدياد
بدرجة غير محسوسة ، والراصد يرى الشيء المنحني (ل) في اتجاه المماس في (و) خطأ السير المنحني وصورة
الكوكب أو وضعه الظاهري لا يدل حيثئذ على وضعه الحقيقي وبالنسبة للراصد يكون الارتفاع الظاهري
للكوكب فوق الأفق أكبر من الارتفاع الحقيقي وتلك هي الظاهرة المسماة بانكسار الضوء وجميع الكواكب
توجد بهذه المثابة في غير مواضعها . وحيث أن الخطأ يكون أعظم كلما كانت الطبقات المقطوعة أكثر كثافة
وأكثر ميلا بالنسبة للأشعة الضوئية فلا يكون الانكسار واحدا للارتفاعات المختلفة . انتهى الكلام على
الفصل الثالث والحمد لله رب العالمين

﴿ نتيجة هذه الفصول الثلاثة ﴾

إن الانسان في الظلمات الثلاث وهو جنين : في بطن الأم وفي الرحم وفي المشيمة قد جعلت هذه راحة
وصيانة له كما أنعم عليه وصن بما ملئ به جوفًا من الغبار والسنن الذين كانا سببا في انكسار الضوء فأمكننا
أن ننظر نور الشمس وقرصها بأعيننا صباحا ومساء واقتصر نور الصباح والمساء وأشرف الضوء نهرا على أقطار
المسكونة . كل ذلك بسبب ذلك الغبار المتخلل طبقات الهواء التي أصبحت أشبه بزجاجة ننسجها على أعيننا
فتتحمل رؤية الضوء وبها نرى الشمس وقت الصبح أكبر منها وقت الظهر لأن الغبار فوق سطح الأرض
أكثر منه في أعلى الجو ، وكل ذلك بسبب انكسار الضوء ، وما هذا الانكسار الضوئي إلا نتيجة الطبقات
المتممة التي ظاهرها انها قبة وباطنها نعمة إذ بدون ذلك لاتمت لنا الحياة إذ لا انتشار للضوء فلانتمت في الحياة
ومثل هذا يقال في وساوس الشيطان التي لاتكون إلا في قلوب أشربت حب الشهوات وأنواع الشرور
فتكون مأوى للنفوس الشريرة التي فازرت الدنيا أو التي من الجن ، فهذه الوساوس إنما تجول في قلوب
استمتت لها كما استمتت عين الأرمدة القنبرولوج القباب بها سواء بسواء

فإذا ساعدت الملائكة الانسان بأعماله الخير وحفظ العوالم ، فهذه من نتائج سجودها لآدم المذكور في
آخر ﴿ سورة ص ﴾ كما نرى دود القز والنحل والخليل والبغال والحمير والطيور آكلات الحبوب كلها مساعدات

لنا على هذه الحياة ، وإذا رأينا الشياطين يوسوسون للناس فلم يفعلوا شيئاً أكثر مما فعلت فينا الأسود والفخور والحيوانات القوية المحدتات للعوالم في الأرض . فكما نحارب حيوانات الطاعون بعلوانا وأعمالنا هكذا نحارب وساوس الشيطان بما عرفنا من العلوم والجد.

إن حياتنا على الأرض نفسها نعمة كبرى لولاها لم نقل هذه العوالم المحيطة بنا وقد عرفناها بحواسنا الخس التي اقتصت المعارف المحسوسة قسمة عذلة كما في فن المقولات المشروح في هذا التفسير ممرها وأكل هذه المعارف تنبثق الى النفس فتكون صورها علوماً ولن يكون ذلك إلا بهذه الصور الانسانية المحبوسة في ظلمات ثلاث في الجنين وفي (١٦) ظلمة في الجنين إذا صار رجلاً وظلمات كثيرة في النفس من حيث الأخلاق فهذه الظلمات طبقات يترشح منها ويتخللها بعض للمعلومات فترفع النفس شيئاً فشيئاً في أثناء الحياة حتى إذا مات الانسان وجد انه أصبح أرقى مما كان عليه في الحياة . وهذا هو الذي غاب عن ملائكة الأرض إذ قالوا - أنجيل فيها من غضب فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك - قال لهم إلى أين ذلك ولكني ربيتم في تلك الشرور وأعطيتم تجارب وعوالم في أثناء ذلك فأنا أعلم بالماضين . الآخرون انهم يعرفون أسماء الأشياء الجزئية في الأرض وأنهم لا تعلمونها . إذن هذا العمل لحكمة عظيمة . فأنا وإن فهمتهم ومغرتهم في الظلمات لم أقبل ذلك احتقاراً لشأنهم بل جعلته أشبه بالنظر يوضع على العين لأنهم لا يطبقون جميع العلوم مرة واحدة . فأنا ما خلقت هذا بطلا . وهذا قوله تعالى - قال يا آدم أبائهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون -

اللهم إني أجدك قد كشفت لنا حجاب هذه المسائل العويصة وسهلت السبل بطبعها ونشرها . وهذا آخر القول في هذا المقام والحمد لله رب العالمين . كتب في نصف ليلة الاثنين (٨) من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠

وهنا سألتني ذلك العالم صديقي قائلا : أنا إلى الآن لم أفهم العجب الستة عشر ولا العجب التي تبلغ نحو مائة وأما فهمتها فهما إجابيا . نعم عرفت الظلمات الثلاث وهي البطن والرحم والنشيمة ، ولكن تلك الست عشرة ظلمة وما بعدها لم تتضح لي . قلت : إن ما تقدم واضح ولكنك أنت تريد ما هو أوضح . فقال : هو ذلك . قلت : ألم أذكر لك فيما تقدم هنا عن علماء الفلك أن الجوز الذي هو أقرب إلى الأرض يقل ضوء الشمس (١٦) مرة . قال بلى . قلت : فهذه هي (١٦) حجاباً أو ظلمة وأريد عليه فأقول اقرأ ما تقدم في (سورة فاطر) . ألم تر إلى (شكل ١٦) من الأشكال التي رسمت هناك لا يضاعف آية - والله خلقكم من تراب ثم من نطفة - الخ وكيف ترى فيه النسيج الهدبي البطن للقصبة الهوائية قد جعل أشبه بالكناسين والزبالين لأن تلك الأهداب تتحرك ليلاً ونهاراً من الداخل إلى الخارج لتخرج الغبار الداخل مع النفس لتلا تصد الملكة الزنوبية الخادمة للملكة السوية . قال نعم أذكر ذلك وقراءه وماذا يفيدنا ؟ قلت : ثم انظر إلى (سورة ص) وقد جاء في آخرها - فبعرنتك لأغوينهم أجمعين - وتأمل ما كتبه هناك عن (هيج) الانجليزى و (كاتاني التلياني) و (كوهن الألماني) وطبيب نطاسى فرنسى . ألم أذكر لك في الكلام المنقول عن أحد هؤلاء أن الغبار والسمان الداخلين في الرئة يكونان سبباً في فساد صحة البدن وبذلك تحدث الأمراض ، وهذا الغبار والسمان الداخلان في الرئة يغطيان ما تغطيه جميع الماء كل القوة للتغذية كاللحم والبيض وتغلان فعل المواد الأخرى المركبة من أنواع الحامض والتوابل ، فهذه كلها هي التي تجعل في العروق سدوداً وحواجز وتلك السدود والحواجز تفصل في الجسم ما تغطيه السدود في المساق فيحصل الملاك للزرع تارة بالفرق وتارة بقلع الماء وتكون هالك الأمراض المختلفة المفضية من الدمامل والقروح والسرطان والجذام والبرص والصداع وما أشبهها مما لاحصر له . فقال نعم تقدم هذا . قلت : حينئذ غبار الجوز وحده ضار إن بنا

ولأجل هذا الضرر جعل الله في باطن القبة الهوائية أهداباً لتطرد ذلك الضار وخلق أطباء يوقظوننا لأجل هذه المهلكات ويقولون : « تباعدوا عن غبار الطرقات وعن الدخان وعن كل ما فيه روائح ضارة » . قال نم . قلت : إذن هذه المواد الغريبة في الهواء ضارة . إذن هي حجب بيننا وبين الصحة وبيننا وبين السعادة وظلمات تفتي على ضوء الشمس فيكون ضوءها سلباً أقل منه وقت الظهيرة لأن الغبار والدخان وأمثالهما يكونا أقرب إلى وجه الأرض ويضلان بين عيوننا وبين الشمس فتصل عيوننا الضوء ويحصل هنا منافع لأحد لها . فهنا ضرر محقق ومنافع محققة . فللنافع هي أن الشمس يظهر نورها رويداً بالتدريج كما تقدم ويكون صبح وشفق إلى آخر ما تقدم ، ولولا هذا الضار وهي الحجب لم تنهنا لنا الحياة على الأرض لأن الضوء لا ينظم توزيعه على الأرض . فأرواحنا في أجسامنا لا تقدر على مواجهة ضوء الشمس بدون تدريج وهذا وضع وضوحاتنا كما تقدم ، إذن لا فرق بين الظلمات الثلاث للجنين وبين الظلمات الست عشرة للرجال والنساء ، فهذه وتلك جئ بها لأن المصلحة قضت بذلك

بقيت مسألة الظلمات والحجب الآتية من الوسوسة الشيطانية وهي كاللثمة سواء بسواء . إن الإنسان غارق غريب جداً فهو من جهة ملك ومن جهة بهيمة ومن جهة شيطان . وهذه الأصول الثلاثة فترعت عنها أخلاق فاضلة وأخرى ناقصة قد تقدم أكثرها في (سورة البقرة) عند قصة آدم فارجع إليها هناك وهذه مشروحة في الريع الثالث والرابع من الإحياء فالتك لا أخلاق الناقصة والشرور والرابع للأخلاق الفاضلة . والأخلاق الفاضلة تكون لثمة القوة الملكية على القوتين الآخرين والإنسان من حيث أنه ماسك إلى ما يكون حكمها ذكياً جبيل الخلق . ومن حيث أنه بهيم يكون ضيلاً طماعاً جباناً خائفاً كاذباً . ومن حيث أنه شيطان يكون معانداً حقوداً حسوداً ظالمياً متهوراً . فهذه أخلاق الشياطين . وما قبلها أخلاق البهائم . والأولى أخلاق للملائكة . وقد فصل الأخلاق الشريرة في العدد إلى نحو المائة وإليها الإشارة في بعض الآثار إلى التئين الذي له (٩٩) رأساً بها ينشأ ابن آدم . فهذا التئين الآن موجود ويتبدى بنهشه للإنسان في هذه الحياة من حقد ودغل وطمع وغش وكذب وزور وبهتان وغيبة ونجاسة ، فهذه كلها طباع شريرة تؤذي صاحبها في الحياة وتظهر نتائجها بعد الموت ، فهذه كلها حجب تحجب الإنسان عن معرفة الحقائق ، ولولا هذه الموانع لاطلعت أرواحنا للملكية العالية في أصلها على المعارف مرة واحدة فهلكت كما يموت من اطلع على كنز مرة واحدة وكان ضعيف النفس وهكذا ، فهذه حجب خلقت فينا لمصلحتنا فإله كما خلق الظلمات في الرحم لمنافع الجنين وخلق الغبار والدخان في الجو القريب من الأرض وهو ضار بنا ليحول بين أعيننا وبين الشمس ثلاثاً تستضر بها ولمنافع أخرى تقدمت ، هكذا نراه خلق فينا شهوات البهائم ورذائل الشياطين لتكون بمثابة مانع وحاجب يحجب عنا الحقائق حتى لانهاك

فما سمع صاحبي ذلك قال : اللهم إني أعوذ بك جداً يوافي نعمك وضرب كفا على كفتي وقال والله لقد انحلت بهذا مشكلات الدين والدنيا ، أكثر الناس يعيشون ويموتون وهم جاهلون ، ويظهران هذا التفسير قد فتح ما كان مغلقاً على أكثر الناس ، وهنا عرفنا الدين والدنيا وعرفنا الحقائق وبامتزاج العلوم الطبيعية بالعلوم الدينية أدركنا حقائق جهلناها أم وأمم ، إذن أصبحت الوسوسة والذنوب كلها لحكمة ، وإذا قيس بالظلمات الثلاث في الرحم والظلمات الست عشرة في الجو فقد انحلت المشكلة ، إذن الناس يوم القيامة وفي البرزخ يوضعون في أماكن استحقاقها بحسب استعدادهم ، وما جهنم إذن إلا مكان تعيش فيه نفوس ناقصة لا تقدر أن تعيش في غيرها كما يعيش السمك في البحر . وهذا سر عظيم لم يتضح إلا في هذا التفسير . بل هذا الشيء به نفهم « بسم الله الرحمن الرحيم » وقهم - ورجعني وسعت كل شيء - ومن عجيب أن الظلمات الثلاث بضررها في (٥) نصير (١٥) وهي تقرب من (١٦) و (١٦) بضررها في (٥) نصير (٨٠)

و (٨٠) تقرب من الأخلاق الرديئة التي قلمت لها تقرب من مائة وبهذا تجلت الحقائق . فقلت : الحمد لله رب العالمين . انتهت الطائفة التي جعل كل طائفة منها خاسما بقسم من أقسام السورة

﴿ الطائفة العامة لأقسام السورة كلها ﴾

﴿ الطائفة الأولى ﴾

(في قوله تعالى - خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار - الخ مع قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع - والكلام على السنة الشمسية والبروج والمنزل وسير القمر) جاء في كتاب « صبح الأعشى » ما فيه :

اعلم أن الشمس حركتين : سريعة و بطيئة . أما السريعة فحركة تلك الكلّ بهما في اليوم والليلة من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق ، وتسمى الحركة اليومية . وأما الحركة البطيئة فقطعها تلك البروج في سنة شمسية من الجنوب إلى الشمال ومن الشمال إلى الجنوب . ولتعلم أن جهة المشرق وجهة المغرب لاتغيران في أنفسهما بل جهة المشرق واحدة وكذلك جهة المغرب . وإن اختلفت مطالعتهما . قال تعالى - ربّ المشرق والمغرب - أي جهة المشرق وجهة الغروب في الليلة . إلا أن الشمس لها غاية ترتفع إليها في الشمال وتلك الغاية مشرق ومغرب وهو مشرق الصيف ومغرب . ومطلعها حيثئذ بالقرب من مطلع الشتاء والريح . ولها غاية تنحط إليها في الجنوب . وتلك الغاية أيضا مشرق ومغرب . وهو مشرق الشتاء ومغرب . ومطلعها حيثئذ بالقرب من مطلع بطن القرب . وهذان المشرقان والمغربان هما المراد بقوله تعالى - ربّ المشرقين وربّ المغربين - وبين هاتين الغابتين مائة وثمانون شرقا ويقابلها مائة وثمانون مغربا . ففي كل يوم تطلع من مطلع من المشرق غير الذي تطلع فيه بالأمس . وتقرب في مغرب غير الذي تقرب فيه بالأمس . وذلك قوله تعالى - ربّ المشرق والمغرب - وقطة الوسط بين هاتين الغابتين . وهي التي يعتدل فيها الليل والنهار يسمى مطلع الشمس فيها مشرق الاستواء . ومغرب الاستواء . ومطلعها حيثئذ بالقرب من مطلع السماء الأعزل . وقد قسم علماء الهيئة ما بين غاية الارتفاع وغاية الهبوط اثني عشر قسما . وتلك والمعنى في ذلك أن الشمس في البسدر الأول لما سارت مسيرها الذي جعله الله خاصا بها قطعت دور الفلك لتتسع في ثلثائة وستين يوما . وسببت جملة هذه الأيام سنة شمسية ورسمت بحركتها هذه في هذا الفلك دائرة عظمى على ما توهمه أصحاب الهيئة . وقسمت هذه الدائرة الى ثلثائة وستين جزءا وسموا كل جزء درجة . ثم قسمت هذه السرج الى اثني عشر قسما على عدد شهور السنة . وسموا كل قسم منها برجاً . وبعادوا ابتداء الأقسام من نقطة الاعتدال الربيعي . لاعتدال الليل والنهار عند مرور الشمس بهذه النقطة . ووجدوا في كل قسم من هذه الأقسام نجوما تنشكل منها صورة من الصور فسموا كل قسم باسم الصورة التي وجدوها عليه . وكان القسم الأول الذي ابتدؤا به نجوما إذا جمع متفرقا تشكلت صورة رجل . فسموها بالرجل وكذلك البواقي . قال صاحب مناهج الفكر : وذلك في أول ما رصدوا . وقد انتقلت الصور عن أمكنتها على ما زعموا فصار مكان الجبل التور . وهي تقتل على رأى بطليموس في ثلاثة آلاف سنة وعلى رأى المتأخرين في ألفي سنة . إذا علمت ذلك فاعلم أن الصورة الفلكية في العروض الشمالية تنقسم إلى ثلثائة وستين درجة . كما تهدمت الإشارة إليه . والسنة ثلثائة وستون يوما منقسمة على الاثني عشر برجاً المتتم ذكرها . لكل برج منها ثلاثون يوما . وتوزع عليها الخمسة أيام والربع يوم . والليل والنهار يتعاقبان بالزيادة والتقصان بحسب سير الشمس في تلك البروج فاقص من أحدهما زيد في الآخر . وذلك أنها انحلت في رأس الجبل وهي آخذة في الارتفاع الى جهة الشمال . وذلك في السابع عشر من

برمات من شهور القبط . وبرافقه الحداى والعشرون من آذار من شهور السريان . وهو مارس من شهور
الروم . والرابع والعشرون من حردادماه من شهور الفرس . اعتدل الليل والنهار . فكان كل واحد منها
مائة وثمانين درجة . وهو أحد الاعتدالين في السنة . ويسمى الاعتدال الربيعي . لوقوعه أول زمن الربيع
فيزيد النهار فيه في كل يوم نصف درجة . وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما
خمس عشرة درجة . ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بأخوه على مائة وخمس وتسعين درجة . والليل
على مائة وخمس وستين درجة . ثم تنقل إلى الثور فيزيد النهار فيه كل يوم ثلث درجة . وينقص الليل كذلك
فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بأخوه على مائتين
وخمس درجات . والليل على مائة وخمس وخسين درجة . ثم تنقل إلى الجوزاء فيزيد النهار فيها كل يوم
سدس درجة . وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيها لمدة ثلاثين يوما خمس درجات . ونقص الليل
كذلك . ويصير النهار أخرا على مائتين وعشر درجات والليل على مائة وخسين درجة . وذلك غاية ارتفاعها
في جهة الشمال . وهذا أطول يوم في السنة وأقصر ليلة في السنة . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة
شاليا صاعدا : لصعودها في جهة الشمال ثم تنقل الشمس إلى السرطان وتكبر راجعة إلى جهة الجنوب .
ويسمى ذلك المنقلب الصيفي . وذلك في العشرين من بؤنة من شهور القبط . ويبقى من حيران من شهور
السريان . ويونيه من شهور الروم خمسة أيام . وحينئذ يأخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان . فينقص النهار
فيه كل يوم سدس درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ،
وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بأخوه على مائتين وخمس درجات . والليل على مائة وخمس وخسين
درجة . ثم تنقل إلى الأسد فينقص النهار فيه كل يوم ثلث درجة . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما
عشر درجات . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بأخوه على مائة وخمس وتسعين درجة . والليل على
مائة وخمس وستين درجة . ثم تنقل إلى السنبلة فينقص النهار فيها كل يوم نصف درجة . ويزيد الليل كذلك
فيكون نقص النهار فيها لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بأخوها
على مائة وثمانين درجة والليل كذلك . فيستوى الليل والنهار . ويسمى الاعتدال الخريفي . : لوقوعه أول
الخريف . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة شالياهابطا . لهبوطها في الجهة الشمالية . ثم تنقل إلى
الميزان في الثامن عشر من ثوت من شهور القبط . وهي آخذة في الهبوط والنهار في النقص والليل في الزيادة
فينقص النهار فيه كل يوم نصف درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس
عشرة درجة . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بأخوه على مائة وخمس وستين درجة والليل على مائة
وخمس وتسعين درجة ، ثم تنقل إلى العقرب . فينقص النهار في كل يوم ثلث درجة . ويزيد الليل كذلك
فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات . وزيادة الليل كذلك . ويصير النهار بأخوه على مائة
وخمس وخسين درجة ، والليل على مائتين وخمس درجات . ثم تنقل إلى القوس . فينقص النهار فيه كل يوم
سدس درجة . ويزيد الليل كذلك . فيكون نقص النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ، وزيادة الليل
كذلك . ويصير النهار بأخوه على مائة وخسين درجة . والليل على مائتين وعشر درجات . وهو أقصر يوم
في السنة وأطول ليلة في السنة . وذلك غاية هبوطها في الجهة الجنوبية . ويسمى سير الشمس في هذه البروج
جنوباهابطا . لهبوطها في الجهة الجنوبية . ثم تنقل إلى الجدي في السابع عشر من كيهك وتكبر راجعة فتأخذ
في الارتفاع وتأخذ النهار في الزيادة والليل في النقصان . فيزيد النهار فيه كل يوم سدس درجة . وينقص
الليل كذلك فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار
بأخوه على مائة وخمس وخسين درجة . والليل على مائتين وخمس درجات . ثم تنقل إلى العلو . فيزيد

النهار فيه كل يوم ثلث درجة . وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما عشر درجات ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بأخوه على مائة وخمس وستين درجة والليل على مائة وخمس وتسعين درجة . ثم تنقل إلى الحوت فيزيد النهار فيه كل يوم نصف درجة وينقص الليل كذلك . فتكون زيادة النهار فيه لمدة ثلاثين يوما خمس عشرة درجة ونقص الليل كذلك . ويصير النهار بأخوه على مائة وثمانين درجة والليل كذلك . فيستوى الليل والنهار وهو رأس الحمل وقد تقدم . ويسمى سير الشمس في هذه البروج الثلاثة جنوبيا صاعدا : لعودها في الجهة الجنوبية . وهذا شأنها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وهذا العمل إنما هو في مصر وأعمالها . فإذا اختلفت العروض كان الأمر في الزيادة والنقصان بخلاف ذلك والله أعلم

وقد تقدم بعض هذا ولكن ما ذكرناه هنا أضيظ وأوضح وهو من صريح الأعشى . ما أعجب هذا النظام والاتقان . فانظر كيف انتظم الحساب لانتظام السيرة على مقتضاه رتب الناس شهورهم . فلقبها شهور ولسريان شهور بخلافهم وهكذا الروم وهاك بينها (انظر هذا الجدول)

شهور الروم	شهور السريان	شهور القبط
منسوبة لأفطس ملك الروم	منسوبة للإسكندر	منسوبة لبطليموس الملك
أفطس	وافق أوله ٢٠ آب الموافق لشهر	توت
سبتمبر	» ٢٧ أيلول »	بابه
أكتوبر	» ٢٧ تشرين الأول »	هاثور
نوفمبر	» ٢٦ تشرين الثاني »	كهك
ديسمبر	» ٢٦ كانون الأول »	طوبه
يناير	» ٢٥ كانون الثاني »	أمشير
فبراير	» ٢٤ شباط »	برمهات
مارس	» ٢٦ آذار »	برموده
أبريل	» ٢٥ نيسان »	بشنس
مايو	» ٢٥ أيار »	بؤته
يونيو	» ٢٤ حزيران »	أبيب
يوليو	» ٢٤ تموز »	مسرى

وقد نظم الشيخ إبراهيم المشهورى شهور السرياني فقال :

وَأَبْدَأُ بِأَيُّوْلُوْلٍ مِنَ السَّرْيَانِي * تَشْرِينَ الْأَوَّلِ يَتِمُّعُهُ الثَّانِي
كَانُونُ كَانَوْنُ شَبَاطُ يَطْلَعُ * آذَارُ تَيْسَكُنْ إِيَّازُ يَكْبَحُ
ثُمَّ حَزْرَانُ وَتَمُوزُ وَأَبُ * تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ يَهْدِي مِنْ أَحَبُ

وقد نظم أيضاً الشيخ للذكور شهور الروم فقال :

يَنْسِيرُ فَبْرِيرُ مَارْسُ لِرُومِ * إِبْرَيْلُ مَايُهُ خَمْسٌ لِلْمُوسِمِ

يُنْبِئُهُ وَيُنْذِرُهُ نُمُ أَغْشَتْ شَتْمِير * أَكْتُوبِرْ نَوْفِرْ دَجْسَبِرْ

وقد نظم الشيخ أبو عبد الله الكيرزاني أياتا ذكر فيها الأشهر التي تكون ثلاثين يوما والناتجة عنها ولم يتعرض لقائمة عنها قال :

شهور الروم ألوان * زيادات وهضام

فتسرينهم الثاني * وأهلول وتيسان

تلاؤوت تلاؤون * سواها وخيزان

شباط خض بالنص * وقدر للنصر رومان

قد ساءها شهور الروم لموافقتها لها ولا فهمي للسر إن اه

(الكلام على المنازل)

جاء في كتاب مسيح الأعشى مائة

ان النهار الطيبى أوله طلوع الشمس وآخره غروبها . والنهار الشرعى أوله طلوع الفجر الثاني وآخره غروب الشمس . فيخالفه في الاستداء وبواقته في الانتهاء . وطلوع الشمس وغروبها ظاهر يعرفه الخاص والعام ، أما الفجر فان أمره خفى لا يعرفه كل أحد . وقد تقدم انقسامه الى كاذب . وهو الأول ، ومصدق . وهو الثاني . وعليه التعويل في الشرعيات . فيحتاج الى موضع يوضحه ، يظهره للبيان وقد جعل المنجمون وعلماء الميقاته نحو ما نزل عليه بالطلوع والغروب والتوسط . وهي منازل القمر ، وعدتها ثمان وعشرون منزلة . وهي الشرطان (١) والبطيخ (٢) والنريا ، والديبران (٣) والمهقة (٤) والمهقة (٥) والقراع ، والنثرة (٦) والطرف . والجببة والخمرتان (٧) والصرقه (٨) والعواء (٩) والسالك (١٠) والغفر (١١) والبانان (١٢) والاكيل . والقلب . والشولة (١٣) والنعام . والبلدة (١٤) وسعد الناج . وسعد بلح (١٥) وسعد السعود . وسعد الاخيه . والفرغ المقدم . والفرغ المؤخر . وبلن الحوت . والمعنى في ذلك ان الشمس إذا قربت من كوكب من الكواكب الثابتة أولت حركته ستره وأخفته عن الصيون . فصار يظهر (١٦) نهارا ويختفي ليلا ويكون خفاؤه غيبته . ولا يزال كذلك خافيا الى أن تبعد عنه الشمس بعدا يمكن أن يظهر معه للأبصار وهو عند أول طلوع الفجر فان ضوء الشمس يكون ضعيفا حينئذ فلا يظلم نور الكوكب فيرى الكوكب في الأفق للشرق ظاهرا . وحصة كل منزلة من هذه المنازل من السنة ثلاثة عشر يوما وربع سبع يوم ونصف يوم على التقريب كما سيأتى (١٧) على المنازل الثمانية والعشرين خص كل منزلة ما ذكر من العدد والكسور ولما كان الأمر كذلك جعل لكل منزلة ثلاثة عشر يوما : وهي ثلاث عشرة درجة من درج الفلك وجع ما فضل من الكسور على كل ثلاثة عشر يوما بعد انتضاء أيام المنازل الثمانية والعشرين فكان يوما وربعما فجعل يوما في المنزل التي توافق آخر السنة وهي الجببة فكان حسنا أربعة عشر يوما . وبقى ربع يوم ونسيء أربع سنين حتى صار يوما فزيد على الجببة أيضا . فكانت كواكب المنازل (١٨) للذكورة تطلع مع الفجر منها أربعة عشر يوما ثلاث سنين وفي السنة الرابعة تطلع بالفجر خمسة عشر يوما وهالك ملخص ما ذكره في صاحبها

(١ و ٣ و ٧) شتحتين (٢) مصفر (٤) وه و ٦ و ٨ و ١١ و ١٣ و ١٤) بفتح فسكون (١٢) بضم أوله (١٥)

بضم ففتح (٩) بفتح فسنة (١٠) مثل كتاب

(١٦) له يختفي نهارا ويظهر ليلا . ومع ذلك بقية العبارة غير واضحة .

(١٧) كذا في الأصل وله فان أيام السنة اذا قسمت على الخ .

(١٨) كذا في الأصل وله (الثلاثة) انتهى مؤلفه

شهور الزود	شهور السريان	شهور القبط	المنازل
ابريل	١٨ نيسان	٢٣ برمودة	الشرطان أول طلوعها بالفجر
مايه	أول ايار	٦ بشنس	الطين أول طلوعها بالفجر
»	١٤ ايار	١٩ بشنس	التريا أول طلوعها بالفجر
»	٢٦ ايار	٢ بؤته	الديران أول طلوعها بالفجر
يونيه	٩ حيران	١٥ بؤته	الحقعه أول طلوعها بالفجر
»	٢٢ »	٢٨ بؤته	الحنعه أول طلوعها بالفجر
يوليه	٥ تموز	١١ أيب	القراع أول طلوعها بالفجر
»	١٨ »	٢٤ أيب	النثرة أول طلوعها بالفجر
»	آخر تموز	٧ مسرى	الطرف أول طلوعها بالفجر
أغسطس	١٣ آب	٢٠ مسرى	الحببة أول طلوعها بالفجر
»	٢٧ آب	٤ من أيام النسيء وفي السنة الكبيسة في ٥ منه	الحرقان أول طلوعها بالفجر
سبتمبر	٩ ايلول	١٢ توت	الصرفه أول طلوعها بالفجر
»	٢٢ ايلول	٢٥ توت	العواء أول طلوعها بالفجر
اكتوبر	٥ تشرين الأول	٨ بابه	السماء أول طلوعها بالفجر
»	١٨ تشرين الأول	٢١ بابه	الفجر أول طلوعها بالفجر
»	آخر يوم من تشرين الأول	٤ هاتور	الزبانان أول طلوعها بالفجر
نوفمبر	١٣ من تشرين الثاني	١٧ هاتور	الأكليل أول طلوعها بالفجر
»	٢٦ تشرين الثاني	آخر يوم من هاتور	التلب أول طلوعها بالفجر
ديسمبر	٩ كانون الأول	١٣ كيهك	الشوالة أول طلوعها بالفجر
»	٢٢ كانون الأول	٢٦ كيهك	النعام أول طلوعها بالفجر
يناير	٤ كانون الثاني	٩ طوبه	البلده أول طلوعها بالفجر
»	١٧ كانون الثاني	٢٢ طوبه	سعد الناصح أول طلوعها بالفجر
»	٣٠ كانون الثاني	٥ أمشير	سعد بلع أول طلوعها بالفجر
فبراير	١٢ شباط	١٨ أمشير	سعد السعد أول طلوعها بالفجر
»	٢٥ شباط	أول برمها	سعد الأخيه أول طلوعها بالفجر
مارس	٧ آذار	١٤ برمها	الفرخ المتقدم أول طلوعها بالفجر
»	٢٢ آذار	٢٧ برمها	الفرخ المؤخر أول طلوعها بالفجر
ابريل	٥ نيسان	١٠ برمودة	بطن الحوت أول طلوعها بالفجر

هذه هي المنازل من حيث تزول الشمس فيها . فما أجل صاحبها السهل ونظامها الجيب . فاذا أردنا أن نعرف أين تكون الشمس في أي منزلة فالأمر ظاهر واضح فلنعرف الشهر واليوم يحصل المطلوب

(الكلام على القمر والمنازل بالنسبة له)

جاء في كتاب صبح الأعشى ما نصه

وأما حركته البطيئة . فحركته من جهة الشمال إلى جهة الجنوب ، ومن جهة الجنوب إلى جهة الشمال وتظهر في المنازل الثمانية وعشرين في ثمانية وعشرين يوما بلياليها كالشمس في البروج قل تعالى . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . فما قطعه الشمس من الشمال إلى الجنوب وبالعكس في جميع السنة يقطعه القمر في ثمانية وعشرين يوما . والمنازل للقمر كالبروج للشمس . وذلك أنه لما اتصل إلى العرب ما حققه القدماء برصدهم من الكواكب الثابتة . وكان لاغنى لهم عن معرفة كواكب ترشدهم إلى العلم بفضول السنة وأزمتها برصدوا كواكب وأمتحنوها . ولم يستعملوا صور البروج على حقيقتها : لأنهم قسموا تلك الكواكب على مقدار الأيام التي يقطعه القمر فيها ، وهي ثمانية وعشرون يوما ، وطلبوا في كل قسم منها علامة تكون أبدا ما بيننا وبين العلامة الأخرى مقدار سير القمر في يوم وليلة . وسموها منزلة إلى أن تحقق لهم ثمانية وعشرون على ما تقدم ذكره في الكلام على طلوعها بالفجر : لأن القمر إذا سار سيره الوسيط انتهى في اليوم التاسع والعشرين إلى المحاق الذي بدأ منه . فحذفت المتكرر . فبقي ثمانية وعشرين ويزاد بالشرطين : لأن كواكب من جملة كواكب الحمل : الذي هو أول البروج . ثم هذه المنازل على قحيل . شمالي وجنوبي كان البروج ، وكل قسم منها أربع عشرة منزلة . فالشمالي منها ما كان طلوعه من ناحية الشام . وتسمى الشمالية ، وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال . التي هي رأس الحمل والميزان صاعدا إلى جهة الشمال ، وهي الشرطان ، والبطين والثرى . والهربان . والحقعة . والمنعة . والنراع . والثرثرة . والطرف . والجيبة . والخرتان . والصرقة . والعواء . والسمك . وطلوعها يطول الليل ويقتصر النهار . والجنوبي منها ما كان طلوعه من ناحية الجنب وتسمى الجنوبية . وهو ما كان منها من نقطة الاعتدال المذكور هابطا إلى جهة الجنوب . وهي الفجر . والزبانان . والاكيل . والقلب . والشولة . والنعام . والبلدة . وسعد الناج . وسعد بلع . وسعد السعود . وسعد الأخبية . والفرغ المقدم . والفرغ المؤخر . وبلن الحوت . وطلوعها يقصر الليل ويطول النهار .

ثم المنزلة عند المحققين قطعة من الفلك مقدارها ربع سبع الدور . وهو جزء من ثمانية وعشرين جزءا من الفلك عبارة عن (١) لاعتن الكواكب . وإنما الكواكب حدود تفرق بين كل منزلة وأخرى . فعدل بالنسبة إليها وغلبت عليها .

وتزول القمر في هذه المنازل على ثلاثة أحوال إما في المنزلة نفسها وإما فيها وبينها وبين التي تليها وإما محاذيا لها خارجا عن سمت شمالا أو جنوبا . وقد قسم الكلام على عدول القمر عن بعض المنازل وزوله في غيرها . ولتطمأن المنازل مقسومة على البروج الاثني عشر موزعة عليها : فالشرطان والبطين وثلاث الثرى للحمل . وثلاث الثرى والهربان وثلاث الحقعة للثور . وثلاث الحقعة والمنعة والنراع للجوزاء . والنقرة والطرف وثلاث الجيبة للشرطان . وثلاث الجيبة والخرتان . وثلاث الصرقة للأسد . وثلاث الصرقة والعواء والسمك للسنبلة . والفجر والزبانان . وثلاث الاكيل لميزان . وثلاث الاكيل والقلب . وثلاث الشولة للعقرب . وثلاث الشولة والنعام والبلدة للقوس . وسعد الناج وسعد بلع . وثلاث سعد السعود للجدي (٢) . وثلاث الفرغ المقدم والفرغ المؤخر وبلن الحوت للحيوت . إذا علمت ذلك فاذا أردت أن تعرف القمر في أي منزلة هو أو كم مضى له فيها من الأيام . فقلنا مضى من سنة

(١) يبايض بالأصل .

(٢) يظهر أن فيه سقطا هو . وثلاث سعد السعود وسعد الأخبية . وثلاث الفرغ المقدم للدلو .

القبط شهورا كانت أو أياما أو شهورا وأياما وأبسطها أياما . وأضف إلى ما حصل من ذلك يومين . ثم اطرح المجموع ثلاثة عشر ثلاثة عشر . وهو عدد ليل القمر في كل منزلة من الأيام . واجعل أول كل منزلة من العدد الخرتان . فباقي من الأيام دون الثلاثة عشر فهو عدد ماضى من المنزلة التي انتهى العدد إليها .

مثال ذلك أن بعض من سنة القبط شهر توت وأربعة أيام من يله تقسطنها أياما تكون أربعة وثلاثين يوما فتضيف إليها يومين تصير ستة وثلاثين يوما فأطرح منها ثلاثة عشر مرتين ستة وعشرين للخرتان منها ثلاثة عشر وللصرفة ثلاثة عشر تبقى عشرة . وهي ماضى من المنزلة الثالثة وهي القواء .

وإن أردت أن تعرف في أى برج هو فأحسبكم ماضى من الشهر العربى يوما وزد عليه مثله ثم زد على الجلة خمسة وأعط لكل برج خمسة وأبدأ من البرج الذى فيه الشمس فأعط لكل برج خمسة فأنتها فتد صوابك فالقمر في ذلك البرج . والاعتماد في ذلك على كم ماضى من الشهر العربى بالحساب دون الرؤية والله أعلم

(الكلام على أحوال الأهل التي عليها مدار الشهور في ابتدائها وانتهائها)

واعلم أن سير القمر مقتدر بحرفة الشهور والسنين قال تعالى - فغفونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب - والشمس تقطع في كل ليلة ما يستضيء به نصف سبع قرصه حتى يكمل ثم تسلب من الليلة الخامسة عشرة كل ليلة نصف سبع قرصه حتى لا يبقى فيه نور فيستمر . ويزوى عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه سئل عن القمر فقال : يحق كل ليلة وبولده جديدة ، ويعد مثل هذا عن جعفر الصادق . إذا علمت ذلك فالقمر حركتان : سريعة وبطيئة كما تقدم في الشمس . أما الحركة السريعة فحركة تلك الكلبة من المشرق إلى المغرب . ومن المغرب إلى المشرق في اليوم واليلة . واعلم أن الاطلال إذا طلع مع غروب الشمس كان مغيبا على ماضى ستة أسابيع ساعة من الليل . ولا يزال مغيبا يتأخر عن مغيبه في كل ليلة ماضية هذا المقدار حتى يكون مغيبه في الليلة السابعة نصف الليل . وفي الليلة الرابعة عشرة طلوع الشمس ثم يكون طلوعه في الليلة الخامسة عشرة على ماضى ستة أسابيع ساعة منها . ولا يزال طلوعه يتأخر عن طلوعه في كل ليلة ماضية بهذا المقدار حتى يكون طلوعه ليلة إحدى وعشرين نصف الليل . وطلوعه ليلة ثمان وعشرين مع الغداة . وإذا أردت أن تعلم على ماضى كم من الساعات يغيب أو يطلع من الليل . فإن أردت المغيب وكان قد مضى من الشهر خمس ليال تقديرا فاضربها في ستة تكون ثلاثين فأسقطها سبعة سبعة يبقى اثنتان فيكون مغيبه على ماضى أربع ساعات (١) أسابيع ساعة وكذلك العمل في أى ليلة شئت . وإن أردت الطلوع وكان قد مضى من الابدار ست ليال مثلا فاضرب ستة في ستة يكون ستة وثلاثين فأسقطها سبعة سبعة يبقى واحد . فيكون طلوعه على خمس ساعات وسبع . وكذلك العمل في أى ليلة شئت

ثم قال « للناس في إخراج أول الشهر العربى طرق أسهلها أن تعرف أول يوم من المحرم ثم تعد كم ماضى من السنة من الشهور بالشهر الذى تريد أن تعرف أوله وتسمها نصفين . فإن كان النصف جميعا أضفت على الجلة مثل نصفه . وإن كان مكسورا كتته وأضفته على الجلة . ثم تبندى من أول يوم من السنة وتعد منه أياما على توالى أسماء الأيام بعد ما حصل معك من الأصل والمضاف حيث انتهى عدوك فذلك اليوم هو أول شهر مثال ذلك في الصحيح النصف . إن أردت أن تعرف أول يوم من شعبان وكان أول المحرم يوم الأحد مثلا فتعد من أول المحرم إلى شعبان وتدخل شعبان في العدد فيكون ثمانية أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة فتضيف الأربعة إلى الثمانية تكون اثني عشر . ثم تبندى من يوم الأحد الذى هو أول المحرم فتعد الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت . ثم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس فيكون انتهاء الاثني عشر في يوم الخميس فيكون أول شعبان يوم الخميس . ومثاله في المكسور النصف إذا أردت

أن تعرف أول رمضان أيضا وكان أول الحرم الأحد كاتمت فتعد ماضى من شهور السنة وتعد منها رمضان يكون تسعة أشهر فتقسمها نصفين يكون نصفها أربعة ونصف فتكملها بنصف تصبح تسعة فتضيفها الى الأصل المحفوظ وهو تسعة يكون المجموع أربعة عشر . ثم يتبدى عدد الأيام من أول الحرم . وهو الأحد كاتمت فيكون انتهاء الرابع عشر في يوم السبت فيكون أول رمضان يوم السبت

ومن الطرق المعتبرة في ذلك أن تنظر في الثالث من أيام النسيء من شهور القبط كم يوما مضى من الشهر العربى فما كان جعلته أصلا لتلك السنة . فإذا أردت أن تعرف أول شهر من الشهور العربية أو كم مضى من الشهر الذى أنت فيه . فخذ الأصل المحفوظ معك لتلك السنة . وانظر كم مضى من السنة القبطية شهرانفلد لكل شهرين يوما . فان انكسرت الأشهر وجاءت فردا فاجبرها بيوم زيادة حتى تصير زوجا . وزد على ذلك يومين أصلا أبدا . ثم انظر كم يوما من الشهر القبطى الذى أنت فيه فأضفه على ما اجتمع معك . وأسقط ذلك ثلاثين ثلاثين فباقى فهو عدد ماضى من الشهر العربى . ومنه يعرف أوله

ومثال ذلك نظرت في الثالث من أيام النسيء فوجدت الماضى من الشهر العربى ثلاثة أيام فكانت أصلا لتلك السنة ثم نظرت في الشهور القبطية فوجدت الشهر الذى أنت فيه أشهر مثلا فتعد من أول شهور السنة القبطية (وهو توت) إن أشهر يكون ستة أشهر فتأخذ لكل شهرين يوما تكون ثلاثة أيام فتضيفها على الأصل الذى معك من أيام النسيء . وهو ثلاثة تصير ستة فرد عليها اثنين يصير المجموع ثمانية . ثم تنظر في الشهر القبطى الذى أنت فيه (وهو أسير) تجده قد مضى منه يومان فتضيفهما على المجموع يكون عشرة . وهو الماضى من الشهر العربى الذى أنت فيه ومنه يعرف أوله « انتهى من كتاب صبح الأعشى

هذا هو نهاية الكلام على المنازل والبروج وسير القمر والشمس فيها راعى الشهور القمرية والشمسية كل ذلك تفسير للآية التى نحن بصدد الكلام عليها - يتكرر الليل على النهار ويتكرر النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى - انتهى

أيها الفنى ها هي ذا أفنينا أمامك ظاهرة واضحة حتى عرفت يومك في شهرك استخرج منه منزلة الشمس وبرجها وسير القمر فهما . والسنة التالية تتبع السابقة ، فالنظام تام والحساب بديع ، أفلا تعجب لهذا الحساب الذى لا يخلل فيه وعلى مقتضاه كانت أسوالنا المعاشية

يا سبحان الله : شمس وحر منظم سبر سماء . ناول زبروج . نظمات وعلى مقتضاها كانت حياة الانسان والحيران ، فاولا النظام هناك لا يخلل النظام هنا ، فها هو ذا شهر توت أول يوم منه يسمى النيروز وهو رأس سنة القبط ، وفي (٧) منه يتبدى لفظ الزنون ، وفي (١٧) منه تفتح أكثر الربع بمصر ، وفي ١٨ منه أول صل الحاريف ، وفي ١٩ منه يهيج السوداء في البدن ، وفي ٢١ منه يتبدى يبض النعام ، وفي ٢٨ منه يذهب الحر ، وفي ٢٩ منه أول رمى الكراكي ، وفي ٣٠ منه يزرع الحليون

(شهر بابه) فيه يبنر كل ما لا تشق له الأرض كالبرسيم ونحوه وفي آخره تشق الأرض بالصعيد ويحصد الارز ويطيب الزمان وتصح الضأن والعرو والبقر الحسية ويستخرج دهن الآس والينوفر ويدرك الخمر والرب وبعض المحمضات ، وفي ثلثة رأس سنة السريان ، وفي رابعة أول تسرين الأول من شهر رهم ، وفي سادسه عرس النيل ، وفي سادسه يطيب شرب الهواء ، وفي سابعه نهاية زيادة النيل ، وفي ثامنه يكره خروج الدم ، وفي حادى عشره يتبدى النيل في النقص . وفي ثالث عشره بداية الوخم ، وفي رابع عشره يكثر الناموس وفي خامس عشره يتبدى زرع القمح . وفي سادس عشره يتبدى كثرة السعال . وفي سابع عشره يتبدى زرع السلجم . وفي الثانی والعشرين منه يتبدى صلاح المواشى . وفي الثالث والعشرين منه يتبدى كثرة العيوم . وفي الرابع والعشرين منه يتبدى أهل مصر الزرع . وفي السابع والعشرين منه يتبدى سمن الحيتان

وفي الثامن والعشرين منه أول المد . وفي التاسع والعشرين منه أول الليالي البلي
(شهر هاتور) فيه يزرع القمح ويطلع البنفسج ^(١) والنشور . وأكثر البقول . ويجمع ما بقي من
 الباذنجان وما يجري بحراه . ويحمل العنب من قوص . وفي ثانيه يبتدئ حصاد الأرز . وفي خامسه أول تسرين
 الثاني من شهور السريان وفيه يبتدئ برد المياه . وفي سادسه أول المطر الواسي ، وفي سابعه يبتدئ أهل الشام
 الزرع . وفي ثامنه يبتدئ هبوب الرياح الجنوبية . وفي تاسعه يبتدئ زرع الخشخاش ^(٢) . وفي حادى عشره يبتدئ
 اختفاء الهوام . وفي ثالث عشره يبتدئ غليان البحر ، وفي رابع عشره تعمى الحيات . وفي سادس عشره يجمع
 الزعفران . وفي ثامن عشره تسكت الوحوش . وفي الثامن والعشرين منه يطفى البحر الملح وتفتح السفن من
 السفر فيه لشدة الرياح . وفي الثالث والعشرين منه تبتدئ سخونة بطن الأرض . وفي الرابع والعشرين منه
 أول اسفندار ماه من شهور الفرس

(شهر كيهك) فيه تدرك الباقلاء وتزرع الحلبة وأكثر الحبوب . ويدرك الفرجس والبنفسج . وتتلحق
 الحمضاب . وفي أوله ابتداء أربيعيات مصر . وفي ثالثه يبتدئ موب الباب . وفي خامسه أول كانون الأول من
 شهور السريان . وفي سابعه آخر الليالي البلي وأول الليالي السود . وفي حادى عشره يبتدئ الشجر فى رمى
 أوراقه . وفي ثاني عشره تظهر البراشيث . وفي سابع عشره أول فصل الشتاء ، وهو أول أربيعيات الشام . وفي
 ثامن عشره يتنفس النهار . وفي الحادى والعشرين منه يكثر الطير الغرب بمصر . وفي الثالث والعشرين منه أول
 مردماه ^(٣) من شهور الفرس . وهو نوروزهم وأول سنتهم . وفي الخامس والعشرين منه يسج البائم . وفي
 السادس والعشرين منه تلقح الابل . وفي السابع والعشرين منه يكثر شرب الماء فى الليل . وفي الثلاثين منه
 يبتدئ تقيم الكروم

(شهر طوبه) فى زرع القمح فيه تفرير . وفيه تنقى الأرض للتعب والقفاس . ويتكامل الفرجس
 وفي أوله تبت الرياح الشديدة . وفي ثانيه يدرك القرط . وفي سادسه أول كانون الثاني من شهور السريان .
 وفي عاشره آخر أربيعيات مصر . وفي حادى عشره أول نصاب الكروم . وفي ثاني عشره يشتد البرد . وفي ثالث عشره
 يبتدئ زرع الحيات . وفي سابع عشره يبتدئ غرس الأشجار . وفي ثامن عشره تبتدئ كثرة الندى . وهو
 آخر الليالي السود . وفي تاسع عشره يبتدئ وقوع الثلج بالشام وغيره . وفي الرابع والعشرين منه يبتدئ مغو
 ماء النيل . وفي التاسع والعشرين منه يبتدئ اختلاف الرياح

(شهر أمشير) فيه تفرس الأشجار . وتقيم الكروم . ويدرك النبق واللوز الأخضر . ويكثر البسج
 والنشور . وفي رابعه يبتدئ إفراخ النمل وفي سادسه أول شياط من شهور السريان . وفي حادى عشره يبتدئ
 إنتاج الطيور وزرع بقول الصيف . وفي ثاني عشره يبتدئ تحرك دواب البحر . وفي الثاني والعشرين منه ثانى
 جرة فارة . ويبتدئ مرض الأطفال . ويبتدئ خروج ورق الشجر . وفي الثالث والعشرين منه يبتدئ خروج
 السواب لجرى . وفي الرابع والعشرين منه أول حردامه من شهور الفرس . وفي الخامس والعشرين منه يبتدئ
 هيجان الرياح . وفي السابع والعشرين منه تبتدئ ثالث جرة حامة . وفي الثامن والعشرين منه أول القرمط
 وفي التاسع والعشرين منه آخر نهى ابقراط

(شهر رمهات) فيه تزهو الأشجار ويعقد أكثر الغار . ويزرع أوائل السمس . ويقطع الكتان .
 ويدرك القبول والعنس . وفي ثانيه يحمى دخوج الدم . وهو أول الأنجاز . وفي ثالث عشره تفتح الحيات أعينها .
 وفي خامس عشره تقيم الأبان . وفي سادس عشره يبتدئ خروج دود القز . وفي ثامن عشره يسج الدم .

(١) بسكون الفاء وفتح بقية الحروف (٢) بفتح أوله

(٣) سياتى قريبا أن يروز الفرس وأول سنتهم أفرودين ماه ونظنه الصواب لأنه الذى ورد فى مردج
 الذهب وغيره ومع ذلك لم يذكر هذا الشهر فى أسماء الشهور الآتية

وفي ناسع عشره ظهور الهوام . وفي العشرين منه يزعم السمسم . وفي الرابع والعشرين منه أول تيرماه من شهر القرس . وفي السادس والعشرين منه يتبدى شرب السهل . وفي السابع والعشرين منه خروج القباب الأزرق (شهر برمودة) فيه تقطف أوائل عسل النحل . وفيه تكثر الباقلاء . وينفص جوز الكتان ، ويكثر الورد الأحمر ، والبطن الأول من الجيز ، ويقلع بعض الشعير ، ويدرك الخيل شرب . وفي أوله يؤكل الفريك . وفي رابعه يصعد من اللسان . وفي خامسه يتبدى كثرة الزهور . وفي سادسه أول نيسان من شهر السريان . وفي ثاني عشره يخاف على بعض الزرع . وفي ثامن عشره آخر قلع الكتان . وفي العشرين منه ينهي عن أكل البقول . وفي الثاني والعشرين منه ظهور الكماء ، وفي الثالث والعشرين منه الختام الكبير للزرع . وفي الرابع والعشرين منه أول ترماده من شهر القرس . وفي الخامس والعشرين منه نهاية مدافرات . وفي الثامن والعشرين منه يبض النعام (شهر بشنس) فيه يكثر التفاح القاسي . ويتبدى التفاح المسكي . والبطيخ العبدلي والحوفي ، والشمش والخلوخ الزهري . والورد الأبيض . وفي نصفه ينفخ الأرز . ويصعد (١) القمح . وفي سادسه أول ايار من شهر السريان . وفي رابع عشره يجمع الخنثاس . وفي ثامن عشره يجمع العصف . وفي الحادي والعشرين منه يتبدى بروحة الأرض . وفي الرابع والعشرين منه أول شهر برماده من شهر القرس

(شهر بونه) فيه يكثر الحصرم ويطيب بعض العنب والتين البوني وهو الهيفور . والخلوخ الزهري والمشم . والكشمري البوهي . والقراصيا . والتوت . ويطلع البلح . وتقطف جهور الصل . وفي ثلثه يتبدى توحم النيل . وفي سادسه يكمل الفرياق . وفي سابعه أول حيران من شهر السريان . وفي ثلثه يتبدى مهب الريح الشمالية . وفي عاشره يتبدى تنفس النيل . وفي خامس عشره تتحرك شهوة الجماع . وفي ثاني عشره عيد ميكايل . في ليلته يوزن من الطين ثمة ستة عشر درهما عند غروب الشمس ويرفع في مكان ويوزن عند طواف الشمس غازاد كان بكل خربة زادت على الستة عشر ذراع . وفي ثالث عشره يتبدى قص القزات . وفي رابع عشره تهب الريح السام . وفي ناسع عشره تنهب البواقيث . وفي العشرين منه تهيج العفراء . وفي الثاني والعشرين منه يقد الجوز . ويقوى اندفاع النيل وفي الرابع والعشرين منه يشور وجع العين وهو أول مهرماه من شهر العرس . وفي السابع والعشرين منه يؤخذ قاع النيل . وفي الثامن والعشرين منه يتأدى عليه . وفي التاسع والعشرين منه يدرك البطيخ

(شهر أيب) فيه يكثر العنب والتين ويقل البطيخ العبدلي ويطيب البلح وتقطف بقايا الصل وتقوى زيادة النيل . وفي رابعه أول نهى أبرطاف وفيه يموت الجراد . وفي سابعه أول تموز من شهر السريان . وفي عاشره يتبدى وقع الطاعون . وفي ثاني عشره يتبدى قوة السام . وفي ثالث عشره تدرك الفاكهة . وفي سابع عشره تغور العيون . وفي ثامن عشره يجمع السباق (٢) وفي الثاني والعشرين منه يدرك القسقي (٣) وفي الرابع والعشرين منه أول أبان ماه من شهر القرس . وفي السادس والعشرين منه طلوع الشعرى الجمانية . وفي التاسع والعشرين منه يدرك نخل الحجاز

(شهر مسرى) فيه يعمل النخل ويدرك البسر (٤) والموز وتغير طعم الفاكهة لغلبة الماء على الأرض . ويدرك الليمون القاسي . ويتبدى إدراك الرمان . وفي رابعه تقصن البقلة . وفي خامسه أول العصور . وفي ثامنه أول آب من شهر السريان . وفي ثاني عشره ضال المواشي . وفي رابع عشره قتل الألبان . وفي خامس عشره تسخن المياه . وفي سابع عشره تختلج الرباع . وفي ثامن عشره يحذر لسع الهوام وفي الثامن والعشرين منه آخر العصور . وفي الرابع والعشرين منه يهيج النعام . وفي الخامس والعشرين منه تكثر القيوم . وفي الثامن

(١) يكون الميم (٢) بضم السين وفتح الميم للمستدتين (٣) بكون السين وضم بقية الحروف (٤) بضم أوله وسكون ثانيه

والعشرين منه آخر السَّامِ . وفي التاسع والعشرين منه أول آخره من شهور القوس .
 ﴿ أيام القوس ﴾ ودخلها في الثامن والعشرين من آب من شهور السريان ومختلف آخرها باختلاف
 السنة الكيسية وغيرها . انتهى الكلام على المنازل والبروج وسير القمر والشمس فيمولوجي الشهور القمرية
 والشمسية وذلك من كتاب ﴿ صبح الأعشى ﴾ والحمد لله رب العالمين
 هذما أدت قله هاتين كتاب « صبح الأعشى » لتفهم أيها القارئ لماذا ذكر الله الأرض مع الشمس
 والقمر إذ ذكرنا أحيائها وأخرج منها جنتا وجعل فيها جنانا وعبودا ونارا نأكلها . ثم أعقب هذا بالشمس والقمر
 فبدأ بالسبب ثم أتبعه بسببه . فالسبب هي هذه الزروع والحبوب والقواكه التي تضمنها ذكر الأرض أجمالا وقد
 فصلت بعد آيات . وأسبابها الأضواء السماوية فلما انتظم حساب الأسباب وأوقاتها انتظمت أوقات المسببات وحسابها
 فيأتيها المسلمون على هذا النمط فلتسكن عالم الاسلام ودين الاسلام . فلما أن المسلمين يعرفون هذه
 العلوم والأفهم مقصرون في معرفة كتاب الله والله هو الولي الحيد والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
 لولا أن هدانا الله . انتهت من كتابة هذا المقام الساعة الثانية بعد نصف ليلة الجمعة ٢٧ يونيو سنة ١٩٣٠
 وبهذا تمت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

(في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون -)
 إن العلم من خواص القرآن . فكيف حصل على العلم وأمر بالتعلم والتفكير والتدبر . إن أول سورة
 زلت بنيت على العلم - اقرأ باسم ربك الذي خلق « خلق الإنسان من علق » اقرأ وربك الأكرم الذي
 علم بالقلم « علم الإنسان ما لم يعلم -
 فإذا كانت أول سورة زلت قد أسست على هذا الأسلوب فهذا الدين سيظهر له أثره التام في أم عرف
 قيمة العلم وإذا لم يجعل الله نسبة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون فقد فصل بينهما فصلا تاما وجعل الجهال
 كأنهم من طينة غير طينة أهل العلم مبالغة في التفرقة وتفاوت المنازل . وإذا كان العلم هذه صفته فمن حقنا أن
 نسب في شرحه على ما يقتضيه المقام . فلنجعل الكلام عليه في مقامين : المقام الأول في شرف العلم وطرق
 التعليم وجدد الأم في تحصيله . للمقام الثاني في شغرات من العلوم العلة تذكره للأهم الإسلامية
 ﴿ المقام الأول في شرف العلم وطرق التعليم وجدد الأم في تحصيله . وفي هذا المقام ثلاثة فصول
 « الفصل الأول » في تمثيل العلم بمعدن الراديوم « الفصل الثاني » فيا قلة الفيلسوف كنت الألمانية
 في كتاب الترية « الفصل الثالث » فيمن ترك الملك من الملوك والوزراء جبا في علم الحكمة وفيمن
 خلع لباس الحكمة واشتغل بالملك ﴾

﴿ الفصل الأول في المقام الأول في تمثيل العلم بمعدن الراديوم ﴾

يقول ﷺ « الناس معدن كعادن الذهب والفضة فخيرهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام » إن
 المعادن جاءت في الوجود مرتبة على مقتضى الحاجة . فكما كان المعدن كثير التناول وكانت الحاجة الى
 عمومها داعية كثر وجوده كالتصدير والنحاس والحديد . وكما كان الاحتياج اليه أقل كأن كانت له مزية بها
 يحكم الناس في مبايعاتهم كالذهب والفضة كان وجوده أقل على مقتضى الحاجة فلو كثيرا لنهبت تلك المزية
 لأن كثرتهما يتاوهما وخصهما ويستدعي فصب الناس وقصهم في حل الكثير منهما لأجل البيع والشراء
 إذن الحكمة تقف في وضع هذا الوجود . عم الهواء ويلي الماء ثم الأقوات للحيوان والإنسان لأن الحاجة
 تدعو لذلك ولكن الفراء أقل لأن الحاجة اليه في وقت دون وقت . وكما أن الحكام والملوك أفراد في النوع

الانسان هكذا القهب والقضه أشبه بأولئك الأفراد في المعادن . وهما ظهر معدن آخر أنشأ من الذهب والقضه بل أنشأ رجدا وهو الراديوم ذلك المعدن الذى خلق ليكون له السلطان الأعظم فى عوالم الأرضية . ذلك المعدن الذى يملك من اقترابا منه من غير احتراس ويشع فى الظلام . ذلك المعدن الضار النافع فهو شديد الضرر كثير النفع ولا سبيل لاستعماله إلا مع العلم ومعرفته خواصه . فلذلك حبسه الله ولم يظهره للناس إلا عند ماصارت عندهم بعض المعرفة بخواص المادة لينفعوا به ويحتسروا من ضرره ، فهذا المعدن الجيب أشبه بالحكيم فى الأرض فكما أن هذا المعدن قل وجوده وكثر نفعه هكذا أولوا الأبواب الذين خلقوا لرقى النوع الانسان عاشقون المغمون بمنافعه يملون ويندرون كندرة ذلك المعدن وآثارهم تتناول أعمار كثيرة كما أن الراديوم يتناول أعمارا كثيرة مع قلته فى المعادن ، ولعل هذا الوصف شاقك أيها القارىء أن تعرف خواص الراديوم الذى ضربه الله مثلا لحكام الأمم الذين يخلقون فى الأرض لينصوا الأمم مع قلة عددهم فيها ، فهناك ما جاء فى « البلاغ الأسبوعى » يوم الأربعاء ٢٠ يونيه سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

(الراديوم وخواصه للجيبية)

الراديوم مسحوق أبيض يشبه فى شكله ملح الطعام والرطل منه يساوى فى ثمنه ألف رطل من القهب وذلك لندرته وإذا تبسّر لشخص أن يحوز القليل منه فقل أنه قد حاز مالا وفيرا وثروات طائلة ومع ذلك هو شديد الخطورة على الانسان فلو وضعنا رطلا أورطلين فى مكان معين واقرب منه أى عدد من الاشخاص لما توارى كلهم ولما بقي منهم أحد ، والغريب أن الانسان يمكنه أن يضع فى يده القليل من مسحوقه بدون أن يشعر بألم ما ولكنه يراها تتشرو وتفتت طبقات بعد مضي أسبوع ولربما عصى من أسكس بذلك المسحوق واتابه الموت السريع بعد ذلك ، والقليل من الراديوم الذى يملكه العالم اليوم طالما أودى بحياة من أرادوا إجراء التجارب عليه . ولقد حدث أن عالما أراد أن يلقى محاضرة علمية على الراديوم فأخذ القليل منه ووضعه فى أنبوبة أحكم غطاءها ثم وضع تلك الأنبوبة فى جيب صدره ولكنه لشدة ما كانت دهشة الجميع عند ما رأوا أن الجلد الواقع تحت جيب الصدرى عمرا وأخذ يتساقط وسرعان ما تكون خرج مؤلم شبع النظر لم ينملم إلا بعد أسابيع طويلة . والراديوم يلمع فى الظلام كوهج النيران تماما ، والجيب فى أمره أنه يشع باستمرار ضوا وسحارة ومع ذلك لا يفتقد شىء من وزنه وهكذا فهو كشمعة من الشمع تنقد على عو الأيلام ولا تطفى ولا تزول ويمكننا إذا حصلنا على رطل من الراديوم أن نذيب بواسطته فى كل ساعة رطلا من الثلج بدون توقف أبدا وهو بذلك القوة المستمرة التى كدت علماء الماضى فى البحث عنها . وإذا وضعنا كمية كافية من الراديوم فى قرن فاطرة أمكننا أن نسير القاطرة بلا توقف وبدون بذل أى مجهود فى تنظيف القاطرة أو إعطائها كمية أخرى من الوقود . وقد حدث أن عالما وضع كمية من الراديوم فى صندوق من الورق القوي لمدة من الزمن وعند ما انكسر الصندوق وزرع منه أنابيب الراديوم ورعى الصندوق فى ناحية من نواحي منزله شاهد أن ضوا ينبعث من الصندوق بعد إطفاء أنوار المنزل وذلك لأن الصندوق قد امتص بعضا من شعاع الراديوم وبالقل كل مادة تلاصق الراديوم لابد أن تتأثر بالراديوم وتأخذ منه بعض خواصه وأهمها الاشعاع . وهناك نوع من أصباغ الراديوم قد من به مفتاح الخطوط الكهربائية وذلك لأن المفتح يولد كهربائية لا بأس بها كلما أدناه كذلك تستعمل تلك الصبغة المنيرة فى تقطية مينات الساعات أو بدول الساعات الكبيرة أو توضع فوق أوراق تلمص بزجاجات السم تنبها للقرب حتى يتبعد عن الخطر

لا شك أنك تجب كيف ان الراديوم ذلك المعدن النفيس يوضع فوق ميناء ساعة رخيصة الفئ لا تساوى فى قيمتها أكثر من خبث قرشا . والحقيقة أن ميناء الساعات تغطى بطبقة من سلفات الزنك مضاف اليها

قليل جدا من الراديوم . إن قطعة بسيطة من الراديوم لا تزيد في حجمها عن رأس الببوس . وإذا خلطت بكمية كبيرة من سلفات الزنك تكفي لتغطية أوجه مئات الآلاف من الساعات . وإذا خُص الإنسان ميناء الساعة من خلال مجهر وجد جلة فرقات صغيرة تمثلت بالاستمراريين الفترات وهذه الفترات تحدث بسرعة (٢٠٠٠٠٠) مرة في الثانية . فوظيفة الراديوم هي توليد حركة فرقات متوالية تشعل الزنك وتجعله ينبعث ويبقى الراديوم الذي في وجه الساعة باقيا بينما الزنك يلبى بعد سنوات ، وللراديوم منافع جليلة لبني البشر . فيه الشفاء من أمراض شتى كالسرطان وكذلك يشفي الأورام والخراجات ، وفي كل بلد كبير من بلدان العالم مستشفى به القليل جدا من (الراديوم) ، وربما لا يستعمل الطبيب في عمله قطعة تزيد في حجمها عن رأس الببوس ومع ذلك فمنها مئات من الجنيات

أما تاريخ اكتشاف الراديوم فكله سلسلة طويلة من القصص المتتالية : ففي سنة ١٨٩٦ م بينما كان العالم الفرنسي باكريل يجري بعض تجاربه في بعض المعادن التي تضيء دون ارتفاع درجات حرارتها عرض لضوء الشمس معدنا يقال له بيشلند وهو أحد أكاسيد الأورنيوم غير النقية حتى اشتعلت من تلقاء نفسها وبعد ذلك درس أثر ذلك المعدن في الأواح الفوتوغرافية ، ولما كان اليوم الذي يجري فيه تجاربه مطبرا لتلك وضع اللوح الفوتوغرافي ووراءه اللوح الحساس وعليه المعدن في مكان خفي حتى تصحو الشمس ولكنه دهش عند ملاحظه اللوح وشاهد تكون صورة أحسن من صورة الشمس وهكذا تمكن من اكتشاف مادة لها خواص الراديوم وبينما كان الأستاذ كوري وزوجته يجريان التجارب العلمية شاهدا أن معدن البيشلند الذي كانا يستعملانه أقوى في تأثيره من الأورنيوم ، وعند ذلك أيضا شاهدا هناك مادة أقوى أخرى غير الأورنيوم هي التي يجريان عليها تجاربهما ، وعندئذ أخذت مدام كوري تبحث حتى تمكنت من فصل المادة الأخرى الغريبة التي يجريان عليها تجاربهما ، وذلك لهما كانا يشتريان فضلات مناجم الأورنيوم وبيليانها حتى رأيا المعدن الجديد الذي سمته كوري بالبولونيوم نسبة إلى بولندا بلادها وموطنها

وبعد إجراء عمليات أخرى أخذت تزيد في غلي الفضلات حتى تمكنت من استخلاص معدن الراديوم ، واستخلاص الراديوم لابد لنا من الحصول على معدن البيشلند القليل الوجود وهو لا يوجد إلا في القرويج ومصر وكارولينا الشمالية وكولورادو ومنطقة يوتا ، ويمكن استخلاصه من عروق الذهب . وإذا أردنا الحصول على رطلين من الراديوم فلا بد لنا من تكرير خمسة آلاف طن من البيشلند ، وإذا أردنا الحصول على قليل من الراديوم يعادل ملغم من أفاع الخيطة (كسبان) فلا بد لنا من تكرير ما يعادل جال قاطرة من البيشلند وأن نعمل خمسة آلاف عملية مختلفة تستغرق ستة أشهر . ولقد عرض العلماء أنواعا من الحيوانات لشعاع الراديوم فنفتض شعراها وبصرها ثم ماتت بعد ذلك . وإذا زاد العلماء جزأ من الراديوم على قروعة العلم الحاضرة فهم يزيدون بذلك ثروة جديدة على ثروات العالم لأن الراديوم يستمر في إشعاع حرارته وضوئه مدة سئاة سنة ثم تصبح قوته نصف ما كانت وبعد سئاة سنة أخرى تصبح الحرارة والنور ربع ما كانت وهكذا حتى بعد مضي عشرين ألف سنة يتحول كله إلى رصاص

وبالراديوم يمكننا تحويل بعض المعادن إلى الأخرى كما يؤمل بعض العلماء ذلك وكما يرجونه في القريب العاجل . ولو أمكنهم الحصول على كل القوة الكامنة في الفترات لأمكنهم تحويل ما يريدون ولا تقب العلم رأسا على عقب

وقد أدى اكتشاف الراديوم ودراسته إلى نظرية غريبة هي أن كل الفترات الموجودة الآن كانت أجراما صغيرة جدا تسبح في المجموعة الشمسية حول القطب ولن يمكن فناؤها فقط تتغير من حالة لأخرى وبخاصة التغير هذه من حالة لأخرى يوالى العلماء أبحاثهم حتى يضيروا ما بالأرض ويكشفوا أسرار الكون . انتهى

مجاها في مجلة « البلاغ الاسبوعي » والحمد لله رب العالمين

هالكونا الرايوم وهذه خواصه ومجائبه . ياسبحان الله وياسعداته . أليس من العجب أن أرواحنا جاءت الى هذه الأرض وهي أشبه بالفرسية عنها . أرواح أرسلت الى الأرض وهي لا تزال تتخبط بمدى السهور والأعوام فيها لا تهتدي فيها سبيلا ولا تجد لها طريقا إلا بما أعطيت من موهبة العقل . جاءت أرواحنا الى الأرض ولبست هذه الأجسام ، نظرت فرأت في الأرض نباتا وحيوانا ونظما جيلا ، ورأت أن للحيوان غرائز قد كتبت له فهي يعيش بقوانين لا عوج فيها ولا خلل بل هو يسير منتظما محفوزا سعيدا موفر الرزق ، أما نحن معاشربني آدم فانا أخذنا تتخبط في هذه الدنيا وطفقنا نشعر بالحاجة الى التعلم والاهتداء بنور بصائرنا فرجنا الى الكتاب الذي أماننا قرآنا كتابا جيلا مكتوبا بخط مجسم واضح فأخذنا نقرؤه ، وما هذا الكتاب إلا هذا الوجود ، قرأنا سطورا وسطورا تعلمنا منها إضاد النار والغزل والنسج والسفرى والبحار فى السفن وهكذا من كل ما تقدم يحد بالمشترات فى (سورة طه) عند آية - قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - فهناك نجد أن علوم بنى آدم أولا أخفوها عن الحيوانات ولكن نحن أشرف منها وأعظم والاهتداء بالحيوان وسعدنا نقص لنا

هناك قبض الله من الناس قوما منزلتهم فىهم منزلة للماس والياقوت والاسرب من المادان . فهذه المادان الثلاثة مسطرة على المادان بل هذه الثلاثة بعضها مسطرة على بعض فان الأسرب الحقيق هو ذو السلطان على أخويه المسلطين على البقية . أفلا ترى إذن أن أقص عليك ديانات الانسان لتعلم منزلة دين الاسلام من ديانات الأمم . انظر تران دين البوذية الذى له السلطان على نحو ثلث أهل الأرض اليوم المنتشر فى الهند الذى هو أقدم الديانات لم ينتشر إلا فى البقعة التى جاء فيها وليس له سلطان على أفريقيا ولا على أوروبا ولا على غربى آسيا . ونجد دين كونفسيوس الذى انتشر فى الصين قبل المسيح بمئات السنين لم يمتد دائرة الصين واليابان وهو يحزل عن الأنظار الأخرى . ونجد دين اليهودية قد حصره اليهود بين ظهرانيهم

أفلا ترى أن هذه الديانات كلها أشبه بالمعادن المذكورة المسطرة على بقية المادان بالقطع . فياسبحان الله وياسعداته . انظر الى دين الاسلام الذى زل فى جزيرة العرب التى اختارها الله لنزوله لأنه يعلم أن أم العرب أقرب للإخلاص لله . فهم مخلصون صادقون متى عرفوا الحقائق واقتنعوا بها . فهملنازل دين الاسلام وعلوا انه راحة للعالمين كلها طاروا فى الأرض شرقا وغربا فدخل هذا الدين على البوذية فى ديارهم وعلى أتباع كونفسيوس فى عقدا رهم وعلى أمة اليهود فأسلم بعضهم وعلى أم النصارى أولئك الذين اتبعوا المسيح عليه السلام وساروا الى دين بوذا والى دين خريستا قبله فى الهند فالصقوه بهذا الدين وجاءوا بالأب والابن والروح القدس وجعلوا للثلاث المنقول عن دين الهنود قيمة دينية وجعلوا لهم مبهتين متبعين البوذية التى ظهرت قبل المسيح بنحو خمسمائة سنة ودين خريستا المنتشر قبل المسيح بما يقرب من خمسة آلاف سنة . انظر هذا المقام فى آخر (سورة المائدة) فانك ترى ما فى الأناجيل منقول عن دين بوذا وعن الدين الذى قبله بالحرف بلا تصرف ولا تعقل

انتشر الاسلام فى الأنظار ولا يزال ينتشر الى الآن كما تقدم فى (سورة العنكبوت) منقول عن علماء أوروبا وهناك للسلطين ملوك عند خط الاستواء ولهم سياسات ونظم وجيوش وحفاظ للقرآن وعلماء وقضاة . لم يفعل فعل العرب أحد من الأمم فى الأرض لذلك اختارهم لنشر العلم فى الأرض . هؤلاء نظروا . فانا نجدون ؟ يعبدون الأمم ساكنة خاملة . يحشون عن العلم لأنهم وجدوا الله يقول لنبىه ﷺ آمرا له - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ثم أكد ذلك بقوله - إنما يذكر أولوا الألباب - هناك قالوا لنبحث عن العلم أما الذين قدس نشرناه ولم يبق إلا العلوم والمعارف . والعلوم والمعارف إنما تكون

بالمقول والقول كلها متضامنة . وإذا كنا نجد الله يقول لنا إن الغراب جاء معلما لأبناء آدم كيف يوارون الأموات في قبورهم وسمعناه يقول : سمعت الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سواء أخيه قال يوليتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأولرى سواء أخى فأصبح من التلاميذ .

سمعنا الله يقول : إن ابن آدم نادى بالويل والثبور على نفسه لأنه لم يتعظن لعلم عرفه هذا الغراب . هذا الغراب الذى هو أقل من درجات ، هذا الغراب الذى هو حيوان خلق مقمته وذخيرة لهذا الانسان ، فكيف يعرف المفضل ويجهل الفاضل ؟ هذا علم ، تلك فصل ابن آدم فعل الغراب ووارى سواء أخيه ، عرف ذلك كله أبائنا العرب منذ ١٣ قرنا فقالوا : لنبحث علوم الاول وأى أمة أقرب لنا من اليونان ، هذه الأمة التى حفظت علومها في خزائن ملوك النصرانية وحرموا قرامتها ، فلنبعث تلك السلام من خزائنها ، هنالك أرسل أبو جعفر المنصور ملك الروم فأرسل له بعض الكتب الرياضية وغيرها ، وهنالك أرسل للمأمون ملك الروم أن يبعث له الكتب فأبى بخاربه وبهذا انتشرت العلوم في الاسلام

ثم ذهبت دولة العرب وحلت محلها أم وأمم وتغيرت الأحوال وجاء قوم جهلاء فهاذا صنعوا ؟ حاربوا العلم وقالوا كففنا الوضوء والصلاة والاجارة والسلام والبيع وعقود الأنكحة والتضاي والمعاوى والطلاق وهكذا مما دونه الفقهاء في كتب الفقه وناموا نوما عميقا ، فهاذا تم بعد ذلك ؟ أذن الله للعلم الذى نشره أولئك العرب أن ينتقل بعذابه من بلاد الاسلام الى أوروبا على أيدي تلاميذ ابن رشد في الأندلس وقال الله : أبها العرب الأندلسيون . أبأؤكم كانوا صالحين لجل أماني ، أما أتم فانكم شعراء غزليون شهوانيون فهاأنذا أخرجكم من الأندلس بعد أن أديتم وظيفتكم وهي نشر العلوم في أوروبا لأن النبي العربى رحمة للعالمين ، فرجى لكم محمد انكم مؤمنون به ورجى لأوروبا أن العلم الذى تسلمه أبأؤكم من اليونان ينتشر على أيديكم في أوروبا وكفى فخرجوا من أوروبا فقد انتهى عملكم . كل ذلك تم في القرن السادس الهجرى وبعد ذلك الانتقال تجزأت وحدة المسلمين في الأندلس وصاروا عشرين دولة فالتجتم الأمم المسيحية ورجعوا بخفى حنين ومات كثير منهم ورجع الى بلاد الغرب منهم ألف وألف . هذا هو تاريخ العلم والدين انتشر العلم في ربيع أوروبا وقد قلنا ان الذى أوصله لهم أبأؤنا أولئك الذين صاروا في آخر أمرهم شعراء بدل أن يكونوا علماء وكان الله قال لهم :

أيتها الأمم العربية : أنا أرسلت لكم رسولا منكم لم يكن شاهرا بل كان نبيا وأوتيت عليه - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وأتم تركتم العلم واكتفتم بالشعر ونبذتم الحكمة التى رقاها أسلافكم فانهم هذوا علم اليونان ونشروه ، فهاأنذا سأرفع هذا العلم منكم وأعطيهم لقوم آخرين ، فلما أتم فان ضياع أوقاسكم في مدح الملوك والفتل وللتناظرة بين اللورد والمورد وما أشبه ذلك من كل ما هو خيالى فليس يعلم بل هو شعر - والشعراء يتبعهم الفاضلون * ألم ترأنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون - وأنا أرسلت النبي العربى للعلم لا للشعر ، ولم أسويين العالم والجاهل ، هذا هو تاريخ أسلافنا وتاريخ ديانات الأمم اجلا مع العوام

يقول مؤلف هذا التفسير : فهاأنذا أحد أبناء حلة هذا الدين وهم العرب وقد جثت في زمن بين زمانين زمن الجلول وزمن النهوض ، هاهى ذه روى قد جاءت في هذه الأرض غريبة عنها كبقية الأرواح الأرضية وانما قلت غريبة لأنى أرى لهما طمع عالية وأرى هذه المطامع كلها بدل عليها العلم ويؤيدها الدين لأنى أراها لا تقف عند حد فهي روح أرقى من أرواح هذه الحيوانات ولكنى أراها روح مسكية تتلمس العلم والمعرفة هنا وهناك وقد جاءت بين زمانين كما قلنا زمان النهوض وزمان الجلول . لقد نظرت فرأت علوما تنتشر وعلماء في مصر وفى الشرق وفى الغرب . هنالك أخذت قرا تاريخ الأسلاف وتاريخ الاسلام ونظرت فهداها الله الى

هذا التفسير ، فعلى إذن أن أنظر في علوم الأمم التي جاءت بعد ذهاب عباد آياتنا العرب . هل زادوا في العلم شيئاً بعد ما تسلموه من آياتنا ؟ فإذا رأيتم زادوا شيئاً وجب على أن أقول تقوى من العرب وغير العرب لأن النسب ليس له دخل في الاسلام بل الاسلام دين علم . فإذا أنا أخطب كل عاقل لأن ديني هكذا شأنه فليس كدين اليهود الذي جعلوه خاصهم ولا ككليات الأخرى بل هو دين علم لجميع الأمم ، وعلى ذلك أخطب كل الأمم فأقول : هاهذا العلم وقف حيث تسلمه الأوروبيون من تلاميذ ابن رشد ونام المسلمون نحو (٧) قرون فهل زاد شيئاً ؟ نظرنوا فرأيته زاد كثيراً ، فوجب على إذن أن أدل الأمم الاسلامية على هذه الزيادة وأقول لهم : أيها المسلمون : - هذه بضاعتنا ردت إلينا - بل إن الذين تسلموها من آياتنا قد زادوها والله يقول - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ فهاهذا سبحانه عبر بالفعل المضارع والفعل المضارع يقتضي التجدد بالقرآن كقوله تعالى - يحيى ويميت - فالأحياء والاماتة تتجدد كل وقت هكذا العلم يتجدد كتجدد طالع الشمس وغروبها في كل يوم ، إذن علينا أن نجد في العلوم دائماً لأن وقف عند حد إطاعة لشارة القرآن والله الذي له الملك وله السموات والأرض لما قل العلم عن آياتنا الى أوروبا سخرهم له فزادوا فيه وجندوا إذن فلنقرأ علومهم والا كان غربنا أحسن منا في تلك العلوم لأنهم علماء ونحن جهلاء بها وهذه العلوم بأمر بها ديننا ويقدم من يجهلها ، وفي هذا التفسير زهرات وثمرات من بساتين العلوم وحض على استكمالها

أوليس من العجب العجيب أن نرى القوم داووا البحث في الراديوم حتى استخلصوه من البتشلند وأن مقدار ملقح من أقماغ الخيطاطة (كستبان) يحتاج في تحليصه الى فاطرة من البتشلند والى خمسة آلاف عملية ، فانظر الى هذا الاجتهاد من أهل الغرب الذين أخذوا العلم عن آياتنا وزادوه وتعاونوا جميعاً على التنبؤ والارتقاء . وههنا أقول : أليس من العجب أن المقدار من الراديوم الذي لا يزيد عن مقدار ما يغطي رأس البوس يخلط بمقدار من سلفات الزنك فيغطي أوجه مئات آلاف من الساعات ، ويزي في أوجه هذه الساعات فرقات صغيرات بين الفترات مسرعات في جويها (٢٠٠٠٠٠٠) مرة في الثانية فتجعل الزنك كأنه ينير ، إذن هذا الراديوم أشبه بدين الاسلام لأنه جاء فلا الكرة الأرضية ، فإذا كانت البيانات الأخرى قد دخلها التعريف من جهة ومن جهة أخرى أكثرها مصورة في أماكن خاصة ، فههنا هذا الدين انتشر في الكرة الأرضية وأصبح كل راديوم بيرا لأم أينما حلّ ويحمل معه العلم فالاسلام دين العلم وإن كان الحاملون له الآن أكثرهم جهلاء ، الاسلام كل راديوم مجهول نوره وسيستخرج العلوم التي أمر بها أناس من قراء هذا التفسير وأمثاله كما استخرج (باكوريل) خواص الراديوم ، وإذا كان دين الاسلام كل راديوم من حيث انه انتشر في الفرات كلها وليس ديننا مقولاً عن غيره ومن أكبر خروامه نشر العلم . والبيانات الأخرى التقدمة المبذولة منزلتها كمنزلة المعادن الأخرى التي صار الراديوم أرقى منها وله السلطان الأعظم عليها وعلى غيرها ، فهكذا منزلة علماء الأمم في سائر العلوم كمنزلة المعادن ومنزلة العلماء الذين لهم السلطان على العالم كلها بحيث يفكرون في الظلم العلم ويقرؤون العلوم الرياضية والطبيعية والإلهية وينظرون في هذا الوجود نظرة عامة منزلتهم من علماء العالم الخاصة بمنزلة الراديوم من المعادن كلها ، إذن العلماء الناظرون في هذا الوجود كله نظراً تفصيلياً هم القوامون على الشعوب في الأرض وهم الذين يجتهدون البحث والتنقيب في هذه الأرض والله يقول - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - بالفعل المقتضى للتجدد وقتاً بعد وقت كما يقوله علماء علم المعاني

نبت إذن أن العلماء الباحثين في هذا الوجود قليل وندر ، وإذا حكم الله عز وجل بأن لا نبي بعد خاتم النبيين ، فهاهذا سبحانه يأمر بالبحث وأشرف الباحثين هم الناظرون في هذا الوجود كله نظرة عامة ، فهنا إذا الآن أيها المسلمون في الفصل الثاني الآتي بعد هذا سأقول ما ذكره أكبر عالم في ألمانيا وهو (كنت) في علم التربة قياماً بحق أمانة العلم التي سلمها الله لآياتنا بالوحي أولاً وبالقل عن العلماء ثانياً . فإذا قلنا علم الأمم

الأوروبية ثانياً إلى لغتنا العربية ففى هذا اتنا أخذنا نعلم العلم من القوم كما تعلموه من آبائنا
هنا إذاً أيها المسلمون نظرت بعد مئات من السنين في العلوم التي نقلها القرطبي عن آبائنا وهما إذاً نقلت
وأقل بعضها وهما هودا القرآن يحضكم على العلم والتعليم ، فهنا إذاً أقول لكم انكم ستقرون علم القوم ولا بد
من أن تستوعبوا هودا نقلوا فيها . ثم لتقوموا برقى الأمم مرة أخرى . أنتم يا أمة الاسلام عليكم النهضة الحديثة
التي ستكون بعد مفارقتنا هذه الدار ستكثرون أنتم - خير أمة أخرجت للناس - . ذلك أنكم بعد أن
تستوعبوا علوم أم أوروبا وأمريكا ستقولون إن القوم لم يفعلوا شيئاً ، ثم حصل بعض الارتقاء المذموم الضعيف
ولكننا لا تزال نرى الإنسانية في حال طفوليتها ، هواسواتها : نبينا رجة للعالمين ، فلنكن نحن رجة للعالمين
والا فكيف نكون أتباعه ، نحن رأينا الأم اليوم أشبه بالنساء الناذلات ، يموت الميت فيشقن الجيوب
ويطمئن الخدود ، هكذا هذه الإنسانية الجاهلة لم نجد لها رقياً ، وهل هذه العلوم هي الرقى ؟ كلا . هانحن
أولاد نرى الحضرات قنك بالزعم فيقل الحصول ويهلك من الأمة المصرية وحدها في السنة نحو (٧) مليون
جنين بسبب الحشرات فابالنا بالأمم الأخرى ! وهكذا نرى الفاتات في خط الاستواء لو استولى عليها النوع
الإنسانى وأخضعها له لأصبح الإنسان غير الإنسان اليوم والأرض لا تزال مستعصية على الناس فترك الناس
هذا كله ورجعوا يتحاربون ويتقاتلون جهالة وبذلة وخسة ، فهم لا يبعدون في التشبيه عن النساء الناذلات فإن
الناس أشبه بجسم واحد تصرب الإنسانية بعضها ببعضها ، ولو كان فيهم حكماء وعلماء أحسن من هؤلاء لعلموهم
أن الإنسانية كلها إذا ولت وجهها وجهة الطبيعة لحازت قصب السبق في السعادة ولكن الإنسان أرقى من
الحيوان الذي جعل مقمته له وغداً ، فهو الآن لم يرتق عن الفحل الذي يحارب بسنه بضاعة علومه ومعارفه
ثم يقول المسلمون بعدنا : نحن أتباع نبينا ﷺ وهو رجة للعالمين ، فلنقرأ علوم أوروبا وأمريكا ثم
يأتى جيل آخر ويكون قد قرأ أمثال هذا التفسير فيقولون : أيها الإنسانية تعال انظرى معنا - تعالوا إلى
كلية سواء بيننا وبينكم - لننظر في الطبيعة ، أليست مشتركة بين الأمم ، قوموا فلنحاربها معاً ولنخضعها ،
وهناك تكون لنا سعادة لم يحلم بها أبائنا ، هناك يأتى اليوم الذى أخبر به القرآن وهو اليوم الذى تم فيه
العلوم والمعارف سائر الأمم ويذهب الحرب ويحصل السلم ويذهب من الأرض ذلك الوصف القبيح وهو
الدجل وإذاعة المسيحية وليس في الأرض الآن مسيحية لأن المسيحية الحققة هي التي تمنع الحرب والقتل قولا
إنا سارى اليوم يحاربون ، إذن هم ليسوا أتباع المسيح . إذن هؤلاء الذين وردوا في الحديث انهم أتباع
المسيح الدجال المكاذب . والاسلام في المستقبل هو الذى يعلم الأمم هيئة السلام العام بالعلم والحكمة وانتشار
الفضيلة . فالمسيحية الآن دجل وكذب لأنها مصحوبة بالحرب ولا حرب في المسيحية فأين هي اليوم إذن ؟
والاسلام سيعلم الحقيقة ويقول : أيها المسيحيون . ارموا السلاح واقرؤا العلم معنا فلتخضع الطبيعة لنا لأن
أنه جعل لنا السلطان عليها ففدوا أيديكم لتعاون على السلام العام وستتحد الأمم بعدنا على ذلك
وليس بعمم ذلك إلا رجال مصلحون هم خيرة الأمم ونسبهم إلى العلماء بالعلوم الخاصة كنسبة الراديو
إلى بقية المعادن

إذا عرفت ذلك أيها القارىء فلا سمعك ما وعدت بنشره من آراء (كانت) الألمانى فأمول :

(الفصل الثانى من المقام الأول)

(فيما له الفيلسوف « كانت » الألمانى في كتاب القربة)

اعلم أن هذا الكتاب المسمى « كانت » في التعليم ، قد ترجم من الألمانية إلى الإنجليزية بواسطة
(أيتشرتون) وقد وضعت له المقدمة السيدة (وايزدانس) والكتاب مشتمل على مقدمة وأربعة فصول
المقدمة في النظام العام في التعليم وموارنة تعليم الإنسان فتراث الحيران وكيف كان للحيوان خريزة مستعنى

بها عن التعليم والانسان محتاج اليه وكيف يرى الأطفال والتلاميذ وهكذا ﴿ الفصل الاول ﴾ في التعليم الجسمي الطبيعي ونظام الاطفال في الرضاة والنظافة والملابس وما أشبه ذلك ﴿ الفصل الثاني ﴾ في تعليم العلوم ﴿ الفصل الثالث ﴾ في اخضاع هذه العقول الانسانية بالعلوم وتحليلها بالبحث والتنقيب واعطاء الشبان حرية البحث واستخراج المجهولات بمعارفوه في الفصل الاول بالتلقين ﴿ الفصل الثالث ﴾ في الاخلاق العامة لنوع الانسان والتهذيب ﴿ الفصل الرابع ﴾ في مزاولة الانسان أعماله ومعاملته للناس في الحياة وذلك يشمل رحته للانسانية العامة وأعماله الخاصة في نفسه واستنتاجه هونفسه بصيرته ، وبالجملة كل ما يدخل في دائرة أخلاقه في نفسه ومع غيره ، فلنقتصر في هذا المقام على ترجمة المقدمة لأنها جامعة لمقاصد المؤلف لإضاه بعض معنى قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ولقوله تعالى - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم - علم الانسان ما لم يعلم - . ابتداء المؤلف مقصدته قائلا :

(١) الانسان هو الذي يحتاج للتربية دون غيره ، إن التربية تشمل :

(أ) تربية الأطفال في المهود بالعناية الخاصة والتغذية

(ب) والتهذيب بمنح الطفل عما يضره

(ج) وتلقية العلوم

فهو طفلا يحتاج الى الحضانة ، وعلما يحتاج الى مراقبة أخلاقه وتهذيبه ، وتلميذا يحتاج الى التعليم (٢) إن الحيوان قد أعطى غريزة أغنته عن التعليم فقد سنت سنن لاعوج فيها . أغلبس من الهجب العجائب مثلا أن أفراخ الخطاطيف عند خروجها من البيضة وهي لا تزال مغمضة العين لم تر النور تراهن يخرسن غاية الاحتراس من أن يدنسن أعشاشهن . إذن الحيوان ليس في حاجة الى حضانة تقوم بأمره وغاية الأمر أنه يعطى الغذاء والدفء وبعض العناية بالمحافظة عليه . إن أكثر الحيوانات في حاجة الى الغذاء أما الحضانة فلا . إن الحضانة تشمل شدة العناية بلطف والحيطة الشديدة التي يقوم بها الوالدان بمحافظه على الأبناء كأن يحميها من مزاولة أعمال تضر بهن فهذا كله لاجابة لصغار الحيوان به . الأتري أن صغار الحيوانات المولودة حديثا لو أنها رفعت أصولها بالبكاء كما يفعل صغار الانسان لاسرعت اليها الحيوانات المفترسة المحيطة بها وافترستها ساعة ولادتها

(٣ و ٤ و ٥) إن التهذيب يقب ما فينا من أخلاق حيوانية الى أخلاق انسانية . والحيوان بمأمن من الغرائز لا يميزه التمييز والاختيار . فهناك قوة أخرى دبرت له ما يحتاجه . أما الانسان فهو الذي لا تقوم له قائمة إلا بتدبيره هو وعنايته . ولما كانت العناية لم تمنحه غريزة وجب عليه أن يبحث في كل ما يزاوله ويفكر فيه بعقله . ولما كان الانسان في أول نشأته لاعلم له بما يحتاج اليه هناك فيض له أمثاله من الناس فسلموه ما يحتاجه . وليست خصائص الانسان تأتي له فجأة بالترتيب والتعقيب بل تظهره تدريجا شيئا فشيئا ولكن ذلك أولا بأدراك بصيرته وثانيا بجده واجتهاده هو لا بالغرائز كالحيوان . وبعد التهذيب وتحسين الخلق يكون تعليم العلم . ولو أننا عكسنا القضية فبادرنا بالتعليم ثم أخرنا التهذيب لرجح الانسان في آخر أمره الى الحال الوحشية التي منها نقر كل حين . إلا ان التهذيب هو الذي يمنح المرء من رجوعه من حالة الانسانية التي هي نهايته الى الأخلاق البهيمية التي فر منها . بالتهذيب يحفظ للمرء من الاندفاع في سبل التمر ومواقف الخطر والوحشية والتهذيب أمر سلبي لا إيجابى لأنه يهتدي الانسان الى أن تصكون أعماله نظامية قانونية فأما القسم الإيجابى في التربية فهو تلقين العلوم ودرسها وفهمها . إذن التهذيب منع فهو سلبي

والتعليم تلقين فهو إيجابي لاسي . أولهما نهى وثانيهما أمر . وأولها تخلي وثانيها تحلية .
 بالتهذيب يكون ضبط العواطف وسمو الأخلاق . وذلك يجب أن يكون من مبدأ الحياة . يرسل
 الصبي للمدرسة فليكن أول ما يفاجأ به من الأعمال تنظيم جلوسه ومشي . يؤمر فيأتمر لاغير
 ولاتئين له الأسباب لأنه لايفهمها بل يكون ذلك أمراً عملياً . ههنا قيدنا حرته وأحاطه بقوانين
 فإذا لم تفعل معه ذلك وشب وشاب وهو لم يعتد بقييد تلك الحرية قوانين فانه بعدفوات زمن
 الصبا لايسدل بها شيئاً ولايمثل لما ينصح به وترسخ في الناس عوائدها فلاتهذيب ولاتأديب ،
 وهل يهذب الهيب ! لذلك نجب المسارعة الى التهذيب من أول الحياة حتى لايستعصى أمرها
 اذا كبرالانسان ، فتصل تلك الخشونة التي في الطباع بصقال التهذيب والتأديب ، الأطفال يعوزهم
 حالان : حال التربية الجسمية ، وحال التربية العقلية . فحال التربية الجسمية بالخصاصة في حال
 الطفولة ، وحال التربية العقلية بسيلين اثنين : تهذيب النفوس وهذا سلبى ، واصلاح العقول
 وتكميلها بالعلوم والمعارف وهذا ايجابى

(٦) إن صغار الحيوان لاتعلم شيئاً كما يتعلم صغار الانسان ، اللهم إلا ان الطيور تعلم مسفارها كيف
 تقلد أمهاتها في أصواتها الخاصة بها إذ تنقب الصغار حول أمهن مصطفات اصطفاك التلاميذ في
 المدرسة وتسمعن نغماتها الخاصة بأبناء نوعها وهن يقلدن بها بحناجرهن الصغيرة حذو القطة بالقطة
 فالتعليم لم يكن عند حيوان غير الانسان إلا الطيور فانها هي التي تعلم مسفارها أصواتها بل لو اننا
 رفضنا نصف بيض عصافير الكنارى المعروف ووضنا بدل ما رفعناه منه بيض لعصفور دورى فم
 فقس البيض كله وأخذ الكنارى ينفى بصوته الخاص فانتا نسمع مما خرج من بيض العصفور
 الدورى صوت الكنارى الغنى لاصوت العصفور الدورى فدل ذلك على أن الطيور تتلقى الصوت
 بالتعليم فهى كالانسان يكمله التعليم ، ومن المعروف أن الانسان إنما يعلمه انسان مثله والذى
 يعلمه قد استكمل التعليم من قبل فلذلك استحق أن يعلمه ، وكمن المعلمين من هم في حاجة
 الى تهذيب نفوسهم واكال تعليمهم حتى يصلحوا أن يعلموا تلاميذهم ، لو أن علماً آخر ألقى
 من هذا الانسان علمه لعرفنا اليوم من هذا الانسان ، نحن الآن لايسنا تقدير هذه الانسانية
 ولا معرفة قواها ، وكيف ينسئ لنا معرفة ذلك ونحن لانزال نرى صفات كانت بارزة فيه واضحة
 أزالتها التهذيب وصفات أخرى مخفية أبرزتها التربية والتعليم

(٧) لو أن ذوى المنازل الرفيعة من الأمراء والملوك ومن يحاكيهم تعاونوا مع ذوى المواهب العالية
 من الشعوب وأخذوا في ترقية الانسانية مما لأمكننا بهذه الطريقة القويحة أن نخبر عن مواهب
 هذا الانسان والى أى حد يصل في ارتقاء مواهبه ، ولكن بما لايسع العقول العادى أن يجهله
 ويحجر بالحكيم المرمم برقى الانسانية أن يعرفه أن أقول : إن ذوى القلمات الرفيعة من الملوك
 والأمراء لايهتمون بأمر الشعوب ولا الانسانية العاتكة إلا بمقدار مايسمو به سلطانهم وترفع به في
 الناس أقدارهم ، فأما سعيهم لارتقاء الانسانية درجة أو درجات فتقرب من الكمال فذلك ليس
 بعينهم ولا يهتمون به

(٨) ليس من الناس أحد بلغ درجة التعقل والتبصر والتحيز بعد أن أهمل دوره تعليمه في الصغر إلا
 وأخذ يسأل نفسه قائلاً : « أهذا الخلل جاء من نقص التهذيب أم من نقص التعليم ؟ » (وهذان
 تشملهما التربية العاتكة) . إن الرجل الذى لم يعلم بعد رجلاً غير ناضج ففنيء وغير متقن ، وأما
 الرجل الذى لانهذيب عنده فهو رجل غير منظم للحياة ولا موزون

(٩) إن النقص الحاصل من إهمال التهذيب أشد وطأة وأضرّ بالإنسان من نقص التعليم فإن العلم يمكن تداركه في الكبر . أما التهذيب وتحسين الخلق فهيات هيات أن يصلح شأنه بعد فوات فرصة في الصغر . إن الخطأ في تهذيب الطفل لن يصلح أمد الحياة

(١٠) وعلى كل جيل أن يخطو في التهذيب والتعليم خطوة الى الأمام ويسلمها للجيل الذي بعده وهناك رتبي الانسانية شيئاً فشيئاً جيلاً جيلاً وقرب من كمالها خطوة خطوة إذ لا سبيل لبوغ الانسانية غايتها إلا بوسائل التربية والتعليم ، ولا جرم أن هنا أمراً جديراً بالذكر وهو هذا السؤال : ما الذي نستفيد الانسانية من دوام التعليم وارتقاء الانسانية فيه جيلاً جيلاً ؟ وجوابه بين واضح وهو أن ارتقاء التعليم يوجب ظهور المواهب الكامنة في الانسان واستكمالها وهذا يجعل الانسان أسعد حالاً وأنعم بالاً عما هو الآن ، إن ما ننتظره من رقى القوى الانسانية بكمال التعليم أمر جليل القدر عظيم المنزلة

(١١) لنجعل نصب أعيننا هذه الفكرة ونعترف أنفسنا أن الانسانية لابد من ارتقيتها ، فإذا فعلنا ذلك أمكننا السير في هذه السبيل ، أما اذا يشنا من هذه الفكرة متعدين اتنا لن نأثما لأننا لم نزاوها فذلك يبعدنا عنها مراحل ، كما اذا فكرنا في أمر الحكومة وبحسنا من هيئة الحكومة العادلة التي لاخطأ في أحكامها فقلنا لا سبيل اليها لأننا لم نزاوها

(١٢) فلنجعل نصب أعيننا فكرة رقى الانسانية ونحققها في أنفسنا ضلر بين صفحا هما أماننا من العقبات الصادة من إتمام غاياتنا في ذلك ، واذن يكون تحقيقها عسكنا ولا نحقق لعمل إلا بعد انضاج الفكرة فيه والافتتاح بها

إن التعليم في أيامنا الحاضرة لا يؤدي الى رقى الانسانية ، وكيف يؤدي اليها والأمم مختلفون في الطرق التي يسلكونها . فما الذي يجمعهم إذن ؟ فليكن اتحاد عام للتعليم . فهذا الاتحاد هو الذي يحدث في الانسانية طبيعة جديدة فلنعمل لتحقيق تلك الفكرة بالتعليم ويسلمها الجيل المتعلم الى الجيل الذي بعده ليقرب كل جيل من الغاية العالية شيئاً فشيئاً حتى تتحقق الآمال بالتسريع وهناك تكون سعادة الانسانية . ولأضرب لك مثلاً نباتاً يسمى (اريكيولا) اذا نبت بطريق بذره وحرته وسقيه خربت أزهاره ذات ألوان بديعات جيلات فأما اذا بقيت جنوده للعام المقبل ونبتت شجيرات عليه فان أزهارها لا تكون إلا ذات لون واحد ونذهب منها تلك المحاسن والبهجة والزخرف والنضارة والرقش والتزوي التي كانت في زهرات العام الماضي . لماذا هذا ؟ لأن النضارة والبهجة الكامنتين في النبات خبئت في البذرة فبرزت . أما الجنود الباقية فيها بعد فقد خلت من أكثر المحاسن . هكذا الانسان فان لم يكن التعليم مستمر الرقى والابتداع فيه فان ثمراته تكون ضئيلة ضعيفة لاتسنى من علة ولاتروى من غلة ولا تدفع عارا ولا تفتني تارا

كم في الانسان من مزايا مخبوءة في جبلته لم تبرز للوجود . فعلياً نحن أن نجعل هذه الاصول الصالحة تظهر وتمسح حتى تصل بالانسان الى غايته المنتظرة . أما الحيوان فقد وصل الى غايته واستكمل قوته التي لا قوة وراءها بلاروية ولا فكير . والانسان عليه أن يجدد ليعمل لغايته ولن يصل الى ذلك اذا لم يضع الفكرة نصب عينيه لأن أول الفكر آخر العمل . وبدون الجهاد الفردي لن تتم للانسان غايته . فلنصوّر والدين كلت أخلاقهما واستكملوا مواهبهما وجعلنا أحدهما مثلاً لأبنائهما . فاتباع الأبناء الوالدين اتباعاً تقليدياً بلاروية ولا تعقل ولا بصيرة فان هذه القرية تظهر بعض مواهبها لاجيئها وذلك بمجرّد التقليد . إن الناس في الأزمنة الخالية والقرون الماضية لم تكن لهم فكرة ثابتة لترقية الانسانية العامة . بل حتى الآن في أيامنا هذه لا نجد رأياً ثابتاً لهذا الغرض العام . إن الحق الصراح يقضي أن الجهاد الفردي لبوغ الغاية الانسانية هو السبيل

الموصل لها وبدون الجهاد الفردى لانتجاح في الوصول اليها بل لتاتى في أفراد قليلة . فليعمل كل فرد في الناس هذه الغاية . إن الإنسانية العاتية لاسعادة لها لإلبسى جميع أفرادها في استكمال مواهبها هذه هي الحقيقة التي لامراء فيها . إن التعليم صناعة ولا يتم كلها إلا بجهاد أم كثيرة فيها . وكل جيل يهب تجاربه ومعارفه للجيل الذى بعده ليقرب من الكمال واستتبات بذوره السمكة حتى يقرب من الغاية المنشودة . بهذه الوسيلة يتقدم النوع الانسان نحو نصيبه من الكمال

إن العناية المدبرة للانسان قد أرادت منه أن يستخرج بنفسه من قسمة المزايا الشريفة التي مكنت في جبلته وخطبته تلك العناية فثقة له : « أيها الانسان : أنت على نفسك بصيرة ولوالقيت اليها معاذيرك ، نحن منحناك كل موهبة وأعطيناك أصول الرقي الموصلة الى غاية السعادة ، فأما استكمال تلك المواهب واستخراج تلك النضائل واستتبات تلك البذور فذلك عليك أنت ، هكذا عليك قضينا أن سعادتك وشقاءك متوقفان عليك أنت وحدك »

إن العناية بذلت للانسان بذور السعادة لاقترس السعادة على الانسان أن ينجي تلك البذور السمكة فيه فهي لم تضع فيه نفس السعادة بل مقدماتها ولم تعطها بفرصة تستكمل نموها بخواص الفرصة ، فالواجب على الانسان أن ينجي تلك البذور ويغني صفاته العقلية ، وإذا أحسن بالفضل في سيره فليتهدى الى طريق الصواب بقوانين الآداب العاتية ، وههنا تترسكة يصعب حلها ويشكل فهمها ، ذلك أننا قلنا ان الانسان لا يصل الى الكمال إلا بالتعليم ولكن التعليم انما يكون بالنظنة والبصيرة . والنظنة والبصيرة يتوقفان على التعليم . إذن صارت المسألة فيها الدور والدور محال فالتعليم متوقف على البصيرة والبصيرة متوقفة على التعليم . فالشئ متوقف على نفسه وهو محال . ولكن هذا الاشكال يزول متى عرفنا أن كل جيل من الأجيال يعمل على الجيل الذى قبله ويزيده شأ سيرا من جهاده الخاص ويوصله للجيل الذى بعده وبهذا زال الاشكال لأن ارتقاء الدرجات ارتقاء يعطى تدريجى لا فائى حتى يرد هذا الاشكال . فكل جيل يزدهل ما ربه مما قبله قليلا قبل أن يسلمه لمن بعده . فلعمري ما أوسع التعليم وما أكثر التجارب التي تضمنتها هذه السبل التي شرحناها والطريق التي أبنائها . وهل هي شئ غير تبيان الامكان فقط أما الوصول اليها وتحقيقها فانا لم فصل اليه بعد وههنا تثار مشككة أخرى فيسأل هذا السؤال : هل نحن في جهادنا الفردى نسلك السبل التي يسلكها النوع الانسانى جميعه في أجياله المتتابعة ولا جواب على هذا الاشكال إلا بالخبرة بأن قول نم هنا مشككتان كل منهما أصعب من الأخرى حلا وهما : صناعة الحكومة . وصناعة التعليم . والناس متنازعون في تحقيق معامها . ولكن المدنية الحالية التي وصل اليها الانسان هي التي تمكنه من أن يتصور مكان الوصول الى الغاية المنشودة التي نحث عليها وليس في الامكان أن نخطر هذه الفكرة العالية في عقول الأمم أثناء وحيثيتها وعلى ذلك يصير علينا أن نفهم كيف كان الانسان الأول . إن السجلات القديمة والكتب الموروثة تدلنا على أن أرقى الأمم المتقدمة الآن كان آباؤهم ذوى صفات وحيثية بربرية . فكم من أنواع الجهاد ابتدعوا . وكم من سبل سنوها حتى وصلوا بجدهم الى مجرد القراءة . فهكذا قول مع هذه الأمم اراقية بالنسبة للكمال المنشود الذي كلامنا فيه

إن الانسان حينما ابتدع صناعة الكتابة قديما استعنى أن يقال له انه « ابتدا يعيش في الدنيا » إن الانسان وهو يجاهد لاستخراج مواهبه الخبوءة فيه بالعناية المطلوبة وجهده بنفسه يكون التعليم صناعة فاذا استكمل الانسان مواهبه في المستقبل فان التعليم يكون أشبه بطبيعة ثانية لاصناعة والعناية التأسيسية لم تضع فيه غريزة لهذا الغرض المطلوب

ليس يمكن الانسان أن ينال غاية ما ربه واستكمال قواه بالتعليم التقليدى بلا بصيرة ولا فكرة ولا تفعل

وتعجز . فبذور الكمال المحبوبة في الانسان ومحاولة استخراجها بصناعة التعليم يكونان إذن امرين متشابهين متعدين في انهما لا بصيرة فيهما ولا كتاب منبر . إن كل تعليم تقليدى بلا بصيرة ولا فكرة تستقر في ثنائه أنواع من الخطأ لأنها تعاليم أساس لها ولا قانون تسير على مقتضاه . فلنرى لنوع الانسان إلا بالتعليم المبني على البصيرة والتعقل لأن يكون الأستاذ كالألة المتحركة على مثال غيره . بهذا وحده يمكن ارتقاء نوع الانسان واستخراج جميع مزاياه ، تعليم الآباء للأبناء يكون بالقوة والتقليد فيما يفعلون ، فإذا نجح الأطفال في تقليد الآباء فانه لابد من الدراسة والتعليم ليعزوا الخبيث من الطيب بالتعقل والبصيرة . والذي يتعلم بلا بصيرة تعالماً آلياً ليس بفعل شيئاً إلا انه يحل الخطأ الذي استحوذ عليه وأنواع الفطرت لتلاميذه ويكررها له كما وعاءها

إن الأصول التي يجب أن يكون عليها التعليم في المستقبل هي أن يضع المعلمون أمام أعينهم هذه الغاية وهي أن التعليم لا يقصد منه الوقت الحاضر فقط بل يقصد منه أيضاً ارتقاء الانسانية العامة في المستقبل واستخراج قوى كل فرد . تلك هي الطريقة التي تتخذ في فكرة الانسانية العامة ووصولها الى نهاية مستواها الرفيع وهذه القاعدة تستحق العناية والاهتمام . إن الآباء يتحدثون في تعليم أبنائهم المثال الذي يخطونه هم لا تقسم ولا يبالغون بالخير في المستقبل للعالم أياً يكون صالحاً أم يكون فاسداً ولكنهم أجدر أن يذكروا الأبناء بالخير العلم لنوع الانسان في المستقبل ولكن هنا تقابل مسألتين عويصتين : الآباء يريدون الأبناء على ما يريدان من الحياة المعتادة . والأمراء والملوك يريدونهم لأجل ممالكهم وبقاء سلطانهم . فهنا عاملان يتعاونان على حصر عقول الأبناء في خطة محدودة . أما الرقي الانساني فلانظر فيه لا للآباء ولا للأمراء . فالآباء غالباً يتعلمونهم من المألوك غايتهم ممالكهم . فلهؤلاء ولا هؤلاء موجهوهم الى غاية الانسانية العامة النافعة والى استكمال قوى الفرد الكامنة فيه التي يسمى اليها ويستعد لها بغيرته . فليكن التعليم مؤسسا على فكرة استكمال قوى الانسان . وهنا يرد سؤال فيقال : إن التعليم يقصد ارتقاء الانسانية ضار بالأفراد لأن العناية بالعموم تلهم عن العناية بأمر الانسان ومنزله وهذا القول مردود على صاحبه فانه (وان ظهر في بادئ الرأي أن قصد الفرد المنفعة العامة ضار بمصلحه الخاصة فهو يضحى بعضها لأجل المصلحة العامة بسبب هذه الفكرة) فان الرقي النفسى إذ ذاك حسن في ذاته ونافع أيضاً في أعماله الحالية الفردية فضلاً عن العامة . وكما من الفوائد العوائد على المرء بهذه السبيل . إنه بالتعليم العام تظهر المواهب الفاضلة الكامنة في الانسان . وبذور الرقي يوزعها أن تظهر شيئاً فشيئاً لأن الشرور وأخلاق السوء لم تخلق في طبيعة الانسان ، وهل الشر إلا نتيجة لإهمال الطباع الانسانية وعدم قيادتها وحكمها حكماً لاهواة فيه . ليس في الانسان إلا قوى الخير . من هو الذي يعلم نوع الانسان أحسن سبل هذه الحياة لاتمام سعادته . أهم الملوك أم هم الشعوب ؟ إن الذي يعلمهم نفس اشعوب . هم الذين يقتضون الى الكمال عن رغبة منهم واجتهاد فيصالون الى نصف طريق الكمال والملوك ينشئون بعد ذلك تعليمهم على ذلك ويثبته ويوطئونه . أما الأمراء فليس يحسن الاعتماد عليهم في تعليم الأمم . ذلك لأنهم يوزعون التهذيب في تعليمهم الأول . فكيف يقاسون من مصاعب ومشاق في أعمالهم وذلك نتيجة ما كان من خطأ في إبان تعليمهم إذ هم لا يجدون في صباهم من ينهاهم عن شر أو يبعدهم عن ذنب فكبروا وهم مغرورون فلذلك يقاسون شدائد ويحزنوا لا يستطيعون الصبر عليها فكيف يوكل لهم أمر تعليم الأمم . إن الشجرة التي تكون في حقل منفردة تنمو وهي معوجة ناشرة أفرعها باتساع ذات البين وذات الثمار بينما الشجرة التي في وسط أشجار أخرى في غابة تنمو مضطمة ماحولها عابها طولاً لاعراضاً مستقيمة لامعوجة تبثت عن الهواء وضوء الشمس من أعلى . هكذا تكون حال هؤلاء الأمراء . وعلى كل حال يجدر هؤلاء أن يتعلموا مع أبناء شعوبهم فذلك خيرهم من أن يتعلموا وحدهم ذلك ليباؤوا حالو العيش ومره . نعم نحن ننظرنا الخير في التعليم العام من هؤلاء الأمراء فقط اذا كان تعليمهم أعلى من تعليم شعوبهم . إذن التعليم

العام سياحه نفس الشعوب في جهادهم الخاص . فلا يصلح الأمراء أن يتكلم الناس على مساعدتهم كثيرا كما يزعمه (باسيدو) وآخرون غيره لأنا وجدنا بالتجربة أن هؤلاء لا ينظرون للإصلاح العام في التعليم كما ينظرون إلى إصلاح عمالكم وهم لا يريدون إلا الغاية التي يقصدونها في تلك المداك . نعم هؤلاء ينفقون إذا كانت غاية اتفاقهم جزئية المنفعة إلى خزان حكومتهم بل للمجامع العلمية العالية (رجال الأكاديمية) لا يعيرون خبر الإنسانية العام لإتقانها وربما يفعلون ذلك في المستقبل ، أما الآن فإنه قليل

إن لإدارة المدارس يجب أن يكون اعتناؤها إذن على حكم ذوي الاختبار البارعين الماهرين من الحكماء إذ يقولون : « التعليم يجب أن يقوم بالجهاد الفردي أولا وكامل التعليم يفيض على غيره بالتدريج » وبعبارة أصرح : « ليقم التعليم على جهاد أبطال العالم في العلم الذين لهم نظر نائب واسع ويمجدون لئمة في التقيف العام للأثم وهم متصفون بمسرة ولئمة لاحد لها بالرأى المؤدى إلى أحسن الأمور في المستقبل وهو أن النجاح المستمر للطبيعة الإنسانية نحو غرضها السامى أمر ممكن حوله »

فهل بعد هذا نعتمد على الأمراء الذين ينظرون إلى رجال أنهم كأنهم قطعان من الأنعام في ضمن عمالكم . وجل قصدهم إذا فعلوا خيرا علما أن يملأوا الدنيا لأنفسهم انهم يريدون خيرا للإنسانية وهم إذا أرادوا تقف شعوبهم فلن يكون ذلك إلا الحاجة في نفس يعقوب قضاها ، فهم لا يملأون الشعوب إلا على نموذج ما يقصدونه هم أنفسهم لغاية يريدونها . إذن فليكن التعليم أولا بجهاد أفراد الأمم أنفسهم وليجتدوا فيه على مقدار استعدادهم لا لإرادات ملوكهم ، ولكن عليهم مع هذا أن يجعلوا نصب أعينهم الخير العام وارقاء الأمم فلا تجتزئ بأن تجعل الأمم ذات نشاط في أعمالها بل يجب أن نحصل الناس على الكمال الأدبي وليجتدوا حتى يكون النسل المقبل خيرا من الجيل الحاضر في علومه ومعارفه وآدبه . وهنا أخذ بين في الفصل الثامن عشر ملخص ما تقدم . أولا أن التربية تشمل :

(١) تهذيب النفوس بمنعها من الشرور

(٢) وتقفيف العقول بالمعارف

(٣) وازدياد البصيرة والتفكير بما اكتسبه الناس من العلوم ومعاملة كل امرئ بما يناسب هوائه

(٤) وأعمال البصيرة في الغاية المطلوبة لكل امرئ بحسبه

وأخذ في الفصل التاسع عشر بين أن القسم الرابع وهو التعليم الأدبي العام متروك لا ينظر إليه الناس كثيرا ، فعلى الأساتذة أن يبينوا للأطفال في إبان صباهم أن الرذيلة في نفسها ممقوتة مكروهة مبنوذة ولا يكتفون بقولهم إن الله حرّمها . كلا . بل هي في نفسها ممقوتة لذلك حرّمها الله

وأخذ في الفصل العشرين بين أن التحريم العملي في المدارس لا بد منه لأن ذلك مقبلة للتمرين في أمور الحياة العامة في المنزل وفي السياسة

وأخذ في الفصل الحادى والعشرين بين أن التربية تشمل كما تقدم على هناية الوالدين أولا وعناية المدرسين

ثانيا وعلى الهداية في أعمال الحياة ثالثا في تهذيب الناس ونظام الأسرة ونظام السياسة العامة

وفي الفصل الثانى والعشرين يقول : « إن التعليم إما عام وإما خاص » وأطال في ذلك

وفي الفصل الثالث والعشرين يقول : « إن التعليم العام مكمل للتعليم الخاص في المنازل »

وفي الفصل الرابع والعشرين أبان صعوبة التعليم المنزلى ، ثم حكم أن التعليم يستمر إلى الستة السادسة عشرة من الحياة وبعد ذلك يعلم كيف يتعلم هو بنفسه ، وعلى المدرّس أن يهتدى السبيل في تعليمه حتى يكتمل بنفسه تحت إرشاده ، وأبان أنه في أول أمره يكون تآديبه عمليا ، فإعطاء وكبر أعطى الحربة في الاختيار بنفسه مع تعليمه احترام غيره بحيث لا تضر حريته حرة غيره ، ويعلم كيف يضبط عواطفه ، لا بالخوف

حتى يكون ذلك نبراسا له في مستقبل حياته

ثم أبان أن الترية من نتائجها ما يأتي : تهذيب النفس وصلاحياتها لرعاية المنزل وتدبير الأمة وموافقة والحياة العامة والنظر بخير الانسان العام ، فالأول شخصي والثاني منزلي ومدني والثالث للانسانية العامة اه هذا ما أردت قلّه من الكتاب المسمى « كنت في التعليم » إذ ترجبت أكثر الفلحة وعسى أن أترجم بقية الكتاب في مقام آخر

هذه أيها المسلمون آراء الاستاذ (كنت الألماني) الذي نحترمه الأهم حولنا . ولم أقل هذا إلا لأربكم أيها المسلمون الآراء الشائعة في أوروبا الآن . وأفضل ما ذكرت الآن فيه النفع العام فهو يحرم على أن يكون الانسان الواحد مريدا للخير للأمة الانسانية جميعا وهذا عجب جدا وكيف يقول (كنت) « إن الانسانية كانت وحشية ولما تعلموا الكتابة ابتدأت حياتهم الدينية . وهاهي هذه المدينة ارتقت ولم تبلغ النهاية . فإذا كان أولئك المتوحشون قد حاولوا الكتابة حتى نالوها أفلا نحاول نحن الرقي حتى يستخرج الانسان كل قواه الكامنة بجهته كما استخرجت قوى الحيوان بغيرته وهناك يصل الانسان الى مقام عال وسعادة شريفة

فيجب : أليس هذا تفصيلا لقوله تعالى - وقل رب زدني علما - . ألم يزل في أول { سورة العلق } - اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم - فذكر أولا القلم وثانيا تعليم الانسان ما لم يعلم . وهل هاتان الجملتان إلا ملخص ما ذكره (كنت) . أليس القرآن - آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - . إذن كل ما وجدناه قولنا حقا في صدور العلماء فهو تفسير للقرآن . وهاهي هذه آية - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ففصل بعض معناها في كتاب العلامة (كنت) فهذه الآية لانهاية لمعانيها وهذه بعضها . ها هوذا كنت الألماني يقول هنا ما كتبه في سور كثيرة : ان المسلمين يجب عليهم أن يرتقوا أولا ثم هم الذين يقومون بالخير للعالم للأمة لأننا جعلنا - خير أمة أخرجت للناس - (انظر في سورة ابراهيم في آية - وذكركم بآيات الله - وفي آية - وقل رب زدني علما - في { سورة طه }) فهناك نجد تفصيلا لهذا المقام) ولعلم المسلمون أن (كنت) وأمثال (كنت) يكتبون ذلك بعقولهم وفطرتهم الانسانية ونحن نكتب بعقولنا وفطرتنا مع ديننا . فإذا كان هؤلاء يقولهم أدركوا أن الانسانية كلها اخوان وانهم يجب عليهم أن يرقوها فكيف بنا نحن ؟ فلنا عقول كما لهم . ولكننا زيد بأن ديننا يأمر بجد الانسانية جميعا . فهذه ميزتنا وهذه هي التي ستصل قراء هذا التفسير وغيره أن يكونوا - خير أمة أخرجت للناس - لأن المدينة الأوروبية ناقصة فليكن الكمال في مدينتنا المستقبلية . أليس ما يقوله العلامة (كنت) بعض تفسير قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - . ألم يؤذن بلال الحبشي في الكعبة بمحضر من أهل مكة الذين لا يرون في الأرض من يساويهم . إن الاسلام سوى بين الأمم ونحن أتباعه فلنكن نحن حواسا على كل أمة متى ارتقينا ونحن الآن في مبدأ الحياة

ههنا اطلع صديقي العالم الذي اعتاد أن يحدّثني في هذا التفسير فقل لي : حسن ما كتبت عن الاستاذ (كنت) الألماني وجدير بك أن تذكره هنا لأن مشربه مشرب الاسلام . الاسلام جاء لرقى الانسانية كلها والتعارف مع الأمم كلها والمسلمون كانوا - خير أمة أخرجت للناس - كما قلت ذلك . فقلت نعم فقال ولكني رأيت في كلامه ما يدل على الطعن في الأمراء فما الداعي لذلك ؟ وهل أمراء المسلمين على هذا النمط الذي ذكره . انا اذا لم تطبق العلم على أحوالنا فلامادة منه ومتى عرفنا ذلك فهمنا أيكون العلم تابعا لأمرائنا أم ندرس عن فلان نكتسل عليهم كما يقول هو . وقصدي من هذا السؤال أن يكون عندنا ذكر من التلويح حتى نستزبره . فقلت : ليكن الكلام في { زبرجدين : الزبرجدة الأولى } في ملخص أمراء ألمانيا الذين ذكرهم (كنت) في { الزبرجدة الثانية } في إجمال أحوال أمم العرب قديما وحديثا وكيف سطا الترك

عليهم وسلبهم ملكهم وكيف كان الحكم في مصر لهم وكيف تزقت البلاد المصرية في أيام المغفولة (محمد علي باشا) وكيف كان رقيها تبعاً للحكومة وكيف دخل الانجليز بلادنا وكيف كان ذلك تابعا لنقص التعليم وكيف تعلم المصريون بعد الاحتلال تعليما شعبيا لاتعلما حكوميا وكيف ظهرت ثمرة هذا ولم تظهر ثمرة التعليم الأول وكيف كان ذلك كله موافقا لكلام (الاستاذ كانت) الألماني . ثم كيف كان القرآن والحديث ينصان على هذه الطريقة وهي ان التعليم لابد أن يكون علما والشعب هو الذي يقوم به ويان ملجاء في الأحاديث من الخش على العلم وفضله ثم أتبع ذلك كله بما جاء في الفصل الثالث من المقام الأول وهو أن بعض الملوك أجبروا العلم وتركوا زينة الحياة الدنيا والذي علمهم علماء تعلموا بطريق الشعب لا بطريق الحكومات لأن تعليمها ناقص فلا بدأ بالكلام على الزرجة الأولى فأقول :

﴿ الزرجة الأولى في فلسفة . الكلام على أمراء ألمانيا بمناسبة كلام « كنت » عنهم ﴾
 إن أهل ألمانيا فرع من العائلة (الآرية) وكانوا قديما ليس لهم منازل بل يسكنون قرى كلها أشخاص (جمع خص) وهذه الأمة لم تتوطن أوروبا إلا عند سقوط المملكة الرومانية ولم تكن هذه البلاد الألمانية إذ ذاك إلا مواطن للحيوانات المفترسة ولا تصلح إلا للصيد والقتل ومناخها رطب كثير الغمام وأرضها كثيرة السباح ولكن هم أصلحوها فيما بعد ، وهؤلاء القوم كانوا قبائل لم تجتمع إلا في الزمن الذي ذكرناه فهاك اتحدوا وكان لكل قبيلة ملك يعتقدون فيه انه من نسل الإله (اودين) ماعدا الكسوتيين ، وكان جل اعتناهم على الصيد والحرب ، ثم أخذت ترتقي رويدا رويدا الى أن حصل لها القتل من فرنسا نحو سنة ١٨١٠ فظهر الحاس في البلاد وارتقى التعليم ثم انتصرت وطرزت ، والنفس في رقيها إذ ذاك إنما هولمملكة بروسيا فان القوم أدركوا أن (بونابرتو) وضع الأمة الألمانية في أدنى الهزجات وأذلها ذلا شديدا فبمساعدة الوزير (سطين) لملك إذ ذاك حصل إصلاح عظيم ، فإلى أبطل الحقوق الوطنية أعطيت للجميع فانتعش الشعب انتعاشا لم يعمده من قبل . ولما شاع ذلك أدرك نابوليون بونابرتو أن ذلك الإصلاح موجه للاستعداد لمحاربة فرنسا فغضب على الملك (فريدريك) فزول وزيره الأعظم المذكور وهو (سطين) لأنه عدو لفرنسا فجاء بنفسه الى روسيا ومع ذلك لم يقف الإصلاح بعد ذلك وصار للتعليم قواعد وقوانين لم تكن من قبل وحصل هناك اتحاد يسمى « اتحاد الحقيقة » ودخل فيه ألوف وألوف وأخصهم للدراسة والطلبة وكلها موجهة لتحرير الوطن من نابليون وفرنسا التي حذت الجيش بما مقداره (٤٢) ألفا . فسارت بروسيا على هذا التحديد ولكنها كانت تعلم قوما وثاني وآخرين بدلمهم حتى عم التعليم الحربى روسيا وانصرفت وطرزت ألمانيا . وهي وان انتصرت كان التحاسد لا يزال كثيرا بين الأمراء والولاة إذ هي (٣٩) إله وأمراء الايالات كانوا ظلمة وقد وعدوا رعايهم بأنهم اذا قهروا بابليون أعطوهم الحرية والاستقلال . فلما قهروه وانكسرت الفرنسيون وحس نابليون في جزيرة القديسة (هيلانة) نسي أمراء ألمانيا عهدهم ووعدهم واستمروا في الاستبداد والظلم ولكن الأمير الذي مال لتحرير رعيته من الظلم وحده موافيا بعهد هو (فردريك غليوم) صاحب بروسيا التي هي أكبر إله في ألمانيا ولكنه لم يفعل شيئا إلا انه اكتفى بترتيب المجالس في كل مديرية

هناك قامت قيمة الأساتذة في المدارس والطلبة ونادوا بطلب الحرية ودموا على الحكومة فنكلت بهم الحكومات ومنعواهم من الخطب والكلام فزاد الطين بلة وداموا يهدمون صروح أمراءهم حتى أن أمير إله (برونسويك) وهو المرق المضروب عليه من الشعب هربا إلى سجو بسعه وهكذا في سنة ١٨٤٨ انفجرت الثورة الفرنسية الثالثة في باريس وانتشرت بسرعة في داخل ألمانيا فطالب الناس تشكيل حكومات حرة وأن يتم الاتحاد الجرمانى وقام أهل رلين بثورة بالسلاح . وفي ١٣ مارس سنة ١٨٤٨ وقعت حرب بين الأهالي

والعسكر في برلين قتردد الملك في أمره طويلا . وفي ١٧ منه وعد بالحكومة للمنظمة فطلب الأهالي اخراج
المساكر من برلين . وفي ١٨ منه ازدحم الناس أمام السراي غما ألحقت رصاصتان من جهة مجهولة حتى
قامت الحرب على ساق وقدم بين الجنود والأمة واستمرت أكثر مدة الليل فهلك فيها كثير من الأتقى .
هناك في اليوم الثاني سلم الملك بمطالب الأمة وأخرجت الجنود من برلين . فسلم الملك الأمر لأخته وبعد أخذ
وردة التأم مجلس علم من ٥٠٠ جرمانى في مدينة فرنسكوت في ٢١ مارس من تلك السنة بصفة برلمان
وقضى وهكذا استمرت ترتقى الى الآن

هذا أيها القارىء اقول المجلد في أمراء ألمانيا ذكرته لتعلم لماذا نرى (كنت الألماني) يظهر قصص
الأمراء في تعليمهم شعورهم وعدم اخلاصهم وانهم قوم مراؤون ، وأنا موقن أن هذه النظرة السطحية في
أمراء الألمان تعرفنا (أمرين : الأول) لماذا نحامل عليهم العلامة (كنت) (الثاني) أن سيرتهم
تعرفنا لماذا نأخذ المسلمين وكيف كان تصور أمراءهم في تعليمهم هو أصل الغيب والنقص في تعليمنا وتأخرنا
وذلك هو الذى أذكره في الزرجدة الثانية

(الزرجدة الثانية في أحوال أم العرب قديما وحديثا الى آخر ما تقدم)

اعلم أيديك الله أن الأمم الاسلامية جعلها الله في الأرض لتسكون تبارسا للأمم وقد تم ذلك في العصور
الأولى وبلغوا المشرقين والمغربين ، ولكنهم لما جهلوا مركزهم في الأمم وانهم لم يعجلوا كذلك لأجل قضاء
شهواتهم لم هم نافعون للأمم وجعلوا الأموال تجرد الزينة والتفاخر وظلموا عباد الله غاراسه عز وجل على
عباده وطرد أبناء الفاتحين من بلادهم وسلط الترك على أكثر بلاد العرب التي هي منبع العلم في العالم قديما
فكسروا شوكة العراق والشام ومصر وشمال أفريقيا وهكذا توغل الترك في ظلم الأمم العربية وحكموهم باسم
الدين جزاء وفاقا لما فعل أسلاف آبائنا العرب المتأخرين بعد القرون الثلاثة الأولى (كما تراء موصفا في آية
- إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة - الخ) في (سورة الفحل) إذ ترى هناك أنهم
ظلموا الأمم بعد القرون الثلاثة الأولى فأزال الله ملكهم لأنه رجم وعدل وحكيم ، فهو لا الترك لما سلطهم
الله على بلادنا نحو ثلاثة قرون حكمها بعد ذلك المغفولة (محمد طي ياشا) وأخذ يرقبها هو ونسله نحو (٥٠)
سنة ، ففتح المدارس وقاد الجيوش وفتح الممالك ، ولكن ماذا حصل بعد ذلك ؟ ظهر فيهم كلام العلامة
(كنت) المتقنم فالتعبد يتعلم لمتصد الحاكم لا لمتصد العلم نفسه ولا لترقية نفس الشعب بل للشعب كان يتعلم
باسم الأمير ولعاليات مقاصده (وبعبارة أخرى) يتعلم خال من الحرية والتعليم اذا خلا من الحرية كان
ضليلا ولنالك لم يكن في البلاد مدارس حرة مطلقا . فلما كانت سنة ١٨٨١ قام رجل جندي وهو (أحد
عراقي ياشا . وهل تعلم هذا في المدارس ؟ كلا . بل هو جندي فلاح تعلم قليلا من الدين وارتقى بنشاطه وخنق
له الضباط المتعلمون في المدارس الحرة في مصر وألمانيا وفرنسا والأمة مقهورة والمتعلمون فيها أذلاء لاسرية
لهم . فلو كان لهم حرية لقام بالثورة الضباط المتعلمون في المدارس الحرة ولكن التأثير جندى فلاح رأى
الظلم فقام لحرية . قام يطالب بحرية أمته ولكن أمته لاتزال جاهلة والجاهل جبان ذليل ، فإذا حصل
قام أكثر المتعلمين واتبعوا الخديوي الذي اتحد مع الانجليز ، وهناك انقسمت الأمة وحصلت الخيانة ودخل
الانجليز ، فإذا يستمعون ضيقوا دائرة العلم ، فإذا فعل الأمة ؟ هنا انقضت بصائرنا فأخذت تعلم أولادها
لأنه أيقظها (أمران) التعليم الحكومي السابق . والثورة العراقية فأخذت ترسل أبناءها للخارج وفتحت
المدارس الأهلية وانتشرت الجرائد فيها فاستيقظت في (٤٠) سنة فقامت ثورة ضد الانجليز فأعطوها الاستقلال
الداخلي . فهذا انما جاء بسبب تعليم الشعب نفسه بنفسه والمتعلمون أنفسهم هم الذين قالوا بالثورة . فلما
تعليم الحكومة الذي سبق الاحتلال فان التأثير جندى لم يدرس في المدارس فاصدق على الأمة الألمانية

صدق على الأمة المصرية من حيث أن تعلم الحكومة تبع أهواء الملوك والأمراء لا يكتفي لرقى الأمة . إذن يجب أن الشعب هو نفسه الذى يضطلع بأمر التعليم وهذا هو الدين الاسلامى
أبها المسلمون : ها هي هذه ألمانيا منذ قرن كانت مهضومة الحقوق أنظما ملائكا ومنعوا الحرية لجاهلوا وارقتوا . والذى أسرع في رقيهم إذلال فرنسا لهم فكان ذلك من أسباب تحريكهم والأمة الاسلامية لم تكن العقبة في سبيل حريتهم واحدة بل ثلاث عقبات : عقبة الملوك ، وعقبة أكثر شيوخ الطرق وقد أومضت هذا المقام في ﴿سورة الكهف﴾ عند آية - وما كنت متخذ المضلين عضدا - وفي ﴿سورة سبأ﴾ عند آية - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ وفي ﴿سورة الشعراء﴾ عند الكلام على السحر . وعقبة الدول المستعمرة ، ها هم أولاء الباطنية الذين علمهم (حسن بن الصباح) في أواخر القرن الخامس الهجرى كانوا يحرمون على أتباعهم النظر في العلم وعقود ذنبا ، وها هم أولاء شيوخ الصوفية في كل زمان ومكان يحضون على ترك العلم ولا يرون طريقا للناس إلا لنسأخهم وهذه أكبر العقبات في نهوض المسلمين ، وها هم أولاء ملوك بني عثمان كانوا هم أهم السبب في قص التعليم في ديار الاسلام ، وها هي ذه أم أوروبا ما دخلت بلادا إلا جعلت أهلها جهلاء خيفة أن يطالبوا بحقوقهم
اللهم إن هذه العقبات الثلاث هي المانع من رقى المسلمين ، وأنا أقول بانشار مثل هذه الآراء في هذا التفسير وغيره في بلاد الاسلام تول هذه العقبات ، وسيكون استعمار الاوروبيين من أهم أسباب ظهور الجحاسة في قلوب الشعوب الاسلامية
وها أنا ذا أومض الأمر للأمة الاسلامية ، وأنا موقن أن هذا سيتم فيها ، وهذا هو الذى حثت عليه الأحاديث النبوية الشريفة والحمد لله رب العالمين

﴿ نغمات الحكمة ﴾

لما ترجمت هذا الموضوع وكتبته هو وما بعده انشرح صدرى انشراحا تاما وأحسست بمسرة عظيمة ، وبينما أنا سائر بعد ذلك في شارع السيدة زينب التى أمام الباب الغربى للمسجد الذى بنى بمصر في يوم من أيام شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ أثناء طبع هذه السورة وكان ذلك نحي إذ سمعت نغمات موسيقى تصلح في ذلك جلب المشتريين غليل لى في أقل من لمح البصر أن هذه حفلة أنس في أم اسلامية بعد عشرات السنين قد انتظم التعليم عندهم وقرأوا أمثال هذا التفسير وأصبحوا أرقى من الأمة الاسلامية الحالية فهم لذلك مبهتجون بنعمة العلم والحرية لا أنهم مستمعدون للرنجة مثل كثير من المسلمين الحاليين لجهلهم ، وهذا الحال المفاجئ لى أوقفنى ثوانى وأنا بهيج طرب فرح وأفروقت عيناى بالنسوع ، ومن عادنى أن لا أظهر ما يبش بخافى مثل هذا لأن هذه خواطر لا تتعدى صاحبها ، ولما أفقت من غشقى السارة أتممت المسير
هذا ومن هب أن الأمم الاسلامية الحاضرين لوعلموا أن هولندا والدانمارك والسويد والنرويج قد قطعوا أشواطا بعيدة في التعليم وعمموه لأفراد الشعب وبعض ولايتهم قد أقفلت عما كم جبايتها كجمر قريبا فهم إذن أرقى من المسلمين الحاليين أخلاقا وآدابا ، أقول لوعلموا ذلك ليهشوا أشد الهش وهالوا كيف يكون ديننا أول ما نادى بالتعليم العام وأجاب دعوته أم أخرى وانسلمون نيام ، اللهم إني أبرأ اليك من الكتان وأسألك أن توفق المسلمين للتعليم العام اه

➤ زبرجدة فيما جاء من الحث على العلم في الأحاديث الشريفة ➤

نذكر هذا الفصل حتى يعلم المسلمون أن ما يسمونه من الأحاديث في الحث على العلم الموجه للناس عامة

(لا انهم يتكلمون على ماؤهم) هو آخر ما وصل اليه نوع الانسان الآن بعد حروب دامت سنين وسنين وأن
لنانيا التي يضرب بها المثل في العلم لم تهتد الى النتائج التي جاءت بها الآيات وهذه الأحاديث التي سأذكرها
إلا بعد قرون وحروب طاحنة سالت فيها السماء ، وهذه الأحاديث بين أيدي المسلمين ولكنهم يقرؤنها بجرّد
التبرك ومجرد العلم ، أما العمل فلا خلق على المسلمين قول أبي البرداء : يزيد بن ليث الأنصاري فيما سألني
لما سألت الثاني الأول قائلا : كيف يتخلّص العلم منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأه ولنقرته أولادنا ونساءنا .
فقال شككتك أمك يزيد ان كنت لأعذك من فقهاء المدينة . هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى
فما فتنى عنهم الخ فهاك الأحاديث التي وعدتك بها من كتاب « تبسّر الوصول لجامع الأصول » تحت
العنوان التالي وهذا نصه :

﴿ كتاب العلم وفيه سبعة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول في فضل العلماء ﴾

عن أبي أمامة رضي الله عنه . قال : ذكر رسول الله ﷺ رجلان عابد وعالم . فقال : فضل العالم
على العابد كفضلي على أدناكم . أخرجه الترمذي ومصححه * وفي رواية له ثم قال : ان الله تعالى وملائكته
عليهم السلام وأهل السموات وأهل الأرض حتى الخلق في جوارحها والحياتان في البحر يسألون على معلم الناس الخير
وعن ابن عباس رضي الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ : فيه واحد أشد على الشيطان من ألف
عابد . أخرجه الترمذي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : سئل النبي ﷺ أي الناس أكرم عند الله تعالى ؟ قال :
أكرمهم عند الله أتقاهم . فتواليس عن هذا نسألك ، قال فيوسف بن عطاء بن أبي عروبة : قالوا
ليس من هذا نسألك ، قال : فمن معادن العرب نسألوكم قالوا نعم . قال فخيرهم في الجاهلية خيرهم في الاسلام
إذا فقهوا . أخرجه الشيخان

وعن علي رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : نعم الرجل الفقيه في الدين ان احتجج اليه نفع
وان استغنى عنه أغنى نفسه . أخرجه رزين
وعنه رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ من أحيا سنة من سنتي أميتت بعدى فقد أحبنى ! ومن
أحبنى كان معي ، أخرجه رزين

وعن أبي البرداء رضي الله عنه . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سلك طريقا يطلب به علما
سلك الله به طريقا من طرق الجنة . وان الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وان العالم ليستغفره
من في السموات ومن في الأرض والحياتان في جوف الماء . وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على
سائر الكواكب وان العلماء ورثة الأنبياء وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذه
أخذ بحظ وافر . أخرجه أبو داود وهذا لفظه والترمذي

﴿ الفصل الثاني في الحث عليه ﴾

عن حماد . قال سمعت معاوية رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين . أخرجه الشيخان وأخرجه الترمذي عن ابن عباس
وعن أنس رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى
يرجع . أخرجه الترمذي * وفي أخرى له عن سحيرة مرقوعا . من طلب العلم كان كفارة لما مضى
وعن عتبة بن عامر رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : تعلموا قبل الظانين يعني قبل الذين

يشكمون بالظن ، أخرجه رزين وعلقه البخارى

وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فانى مقبوض ، أخرجه الترمذى وعن ابن مسعود بمناه . وزاد رزين . وان مثل العالم الذى لا يعلم الفرائض كمثل البرنس الذى لا رأس له

وعن أبى سعيد رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ ان يشبع مؤمن من خير يسمعه حتى يكون متناه الجنة . أخرجه الترمذى

وعن أبى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ الكلمة الحكيمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها . أخرجه الترمذى

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة . أخرجه أبوداود « الآية المحكمة » هي التى لا اشتباه فيها ولا اختلاف ومابليس ينسوخ « والسنة القائمة » هي المأتمنة المستمرة التى العمل بها متصل لا يترك « والفريضة العادلة » هي التى لا جور فيها ولا حيف فى قضائها

وعن أبى واقد الليثي . قال بينا رسول الله ﷺ جالس فى المسجد اذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان الى رسول الله ﷺ فوقفاهما على رسول الله ﷺ فرأى أحدهما فرجة فى الحلقة جلس وجلس الآخر خلفهم وأما الثالث فذهب مدبرا فصار فرج رسول الله ﷺ قال ألا أخبركم من النفر الثلاثة . أما أحدهم فـ « وى » الى الله فآواه الله . وأما الآخر فاستسجى فاستسجى الله تعالى منه . وأما الآخر فأعرض فأعرض الله تعالى عنه . أخرجه الثلاثة والترمذى

﴿ الفصل الثالث فى آداب العلم ﴾

عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار . أخرجه أبوداود والترمذى وهذا لفظه ، والمراد بذلك النجم الذى يلزم تعليمه ويتعين فرضه ككافر يسأل عن الاسلام والدين وكحديث عهد بالاسلام يسأل عن الصلاة وكمن جاء مستفتيا فى حلال وحرام فيأمره تعليمه وجوابه ومن منه استحق العويد وليس الأمر كذلك فى نوافل العلم التى لا يلزم تعليمها

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ والله لأن يهدى بهداك رجل واحد خير لك من حمر النعم . أخرجه أبوداود

وعن أبى هريرة العبدى . قال . كنا نأتى أباسعيد الخطرى رضى الله عنه فيقول مرحبا بوصية رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لنا ان الناس لكم تبع وان رجلا يأتونكم من أقطار الأرض يتفتقون فى الدين . فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا . أخرجه الترمذى ووضعه

وعن يزيد بن سلمة . قال قلت ليرسول الله ﷺ أتى سمعت منك حديثا كثيرا أخاف أن ينسئى أوله آخره فحدثنى بكلمة تكون جاعا . فقال أتى الله فيما تعلم . أخرجه الترمذى . وزاد رزين وأعمل به « وقال كنه جاع » اذا جعت كلمات

وعن عمر رضى الله عنه . قال لا ينبغي لمن عنده شيء من العلم أن يضع نفسه . أخرجه البخارى تعليقا

﴿ الفصل الرابع فى آداب العلم والتعلم ﴾

عن عكرمة . ان ابن عباس رضى الله عنهما . قال حدثت الناس مرة فى الجمعة فن أيت فرتين وان كثرت فثلاثا . ولأعمل الناس هذا القرآن . ولا ألفينك ندى النوم وهم فى الحديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتعلمهم ، ولكن أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يستهونون . وانظر السجج من الدعاء

فاجتنبه فأتى عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك . أخرجه البخارى
وعن علي بن رضى الله عنه . قال حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله . أخرجه
البخارى . وعن ابن مسعود رضى الله عنه . قال ما أتت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم
فتنة . أخرجه مسلم

﴿ الفصل الخامس في رواية الحديث وقوله ﴾

عن ابن مسعود رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ نضرا الله امرأ سمع مناشيا فبلغه كاسمه .
فرب مبلغ أوعى من سامع . أخرجه الترمذى ومعه « نضرا الله امرأ » بتخفيف الصاد وتشديد المعاء
حسنه ووجهه

وعن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ بلغوا عني ولو آية . وحدثوا عن
بنى اسرائيل ولا حرج . ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . أخرجه البخارى والترمذى قوله
« حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج » ليس فيه إباحة الكذب في الأخبار عنهم ورفع الامم عن نقل عنهم كذبا
ولكن معناه الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ وإن لم يتحقق ذلك بنقل الاسناد لأنه أمر تعذر لبعد
المسافة وطول المدة

وعن محمود بن الربيع رضى الله عنه . قال عقلت من رسول الله ﷺ حجة مجها في وجهي من دلو من
بركانت في دارنا وأنا ابن خمس سنين . أخرجه الشيخان . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال حفظت من
رسول الله ﷺ وعائين . فلما أحدهما فبنته فيكم وأما الآخر فلو حدثتكم به لتقطعن هذا البلعوم . أخرجه
البخارى وقال « البلعوم » مجرى الطعام
وعن أبي ذر رضى الله عنه . انه قال لو وضعتم الصمصامة على هذه وأشار الى ففاهم ظننت اني أنفذ
كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن يميزوا على أنفذتها . أخرجه البخارى تعليقاً « الصمصامة »
والصمصام السيف

﴿ الفصل السادس في كتابة الحديث ﴾

عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما . قال : كنت اكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ
فبهت قريش . وقالوا : تكتب كل شيء ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الرضا والغضب . فأمسكت عن
الكتابة حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ . فأومأ بأصبعه الى فيه وقال اكتب : فوالذي نفسي بيده
ما يخرج منه الا حق . أخرجه أبو داود

وعن أبي هريرة رضى الله عنه . قال : شك رجل من الأنصار الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول
الله اني لأسمع منك الحديث فيجئني ولا أحفظه . فقال رسول الله ﷺ استن بيديك وأومأ بيده الى
الخط . أخرجه الترمذى . وعن أبي هريرة رضى الله عنه . قال خطب رسول الله ﷺ فذكر قصة في
الحديث فقال أبو شاة . أكتبوا لي يا رسول الله ؟ فقال : اكتبوا لأني شاة . أخرجه الترمذى ومعه

وعنه رضى الله عنه . قال ما كان في أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثا مني الا ما كان من ابن
عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب . أخرجه البخارى والترمذى . وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه . قال
أمرني رسول الله ﷺ فعملت له كتاب يهود بالسرانية . وقال اني والله ما آمن يهود على كتابي قال فوالله
ما سرني نصف شهر حتى علمت وجدت فيه فكنت أكتب له اليهم وأقرأهم كتبهم اليه . أخرجه البخارى وأبو
داود والترمذى

وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب رضى الله عنه . قال دخل زيد بن ثابت الى معاوية رضى الله عنهما .

فسأله معاوية عن حديث فآخبره به فأمر معاوية إنسانا يكتبه . فقال زيد . أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نكتب شيئا من حديثه ففعل . أخرجه أبو داود . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . قال فل رسول الله ﷺ لا نكتبوا عن شيئا غير القرآن . ومن كتب شيئا غير القرآن فليمحاه . أخرجه مسلم والاذن في الكتابة ناسخ لفتح منه باجتماع الأمة على جوازها ولا يجتمعون الا على امر صحيح وقد قيل انما نهى أن يكتب الحديث مع القرآن في صفحة واحدة فيختلط به فينتبه

(الفصل السابع في رفع العلم)

عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ ان الله لا يقبض العلم اثرا عافيتزعه من الناس . ولكن يقبض العلم قبض العلماء حتى اذا لم يبق علما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا . أخرجه الشيخان والترمذي

وعن أبي البرداء رضي الله عنه . قال : كنا مع رسول الله ﷺ فنشخص بيصره الى السماء . ثم قال هذا أو ان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء . فقال زيد بن لبيد الانصاري : كيف يختلس العلم منا وقد قرأنا القرآن . فوالله لقرأته ولتقرته أولادنا ونساءنا . فقال لكنتك أمك يا زيد ان كنت لاعدك من فقهاء المدينة . هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فاذا قضى عنهم . قال جبر فقلت عبادة بن الصامت رضي الله عنه فقلت : ألا تسمع ما يقول أخوك أبو البرداء رضي الله عنه . فأخبرته النسي قال : فقال صدق فان شئت أخبرتك ما أول علم يرفع . أول علم يرفع من الناس الخشوع بوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلا خاشعا أخرجه الترمذي « شخص بيصره » اذا نظر الى شيء دائما فلم يرد عنه نظره كنظر المبهوتين والمغشى عليه « والاختلاس » الاستلاب وأخذ الشيء بسرعة « والشكل » قعد الأم ولها

وعن عمر بن عبد العزيز . انه كتب الى أبي بكر بن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فاقى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولانقبل الاحديث رسول الله ﷺ وليفتوا العلم وليجاسوا له حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا . أخرجه البخاري ترجمة « بفسوا » يظهروا . اتسى من كتاب تيسير الوصول لجامع الأصول وبهذا تم الكلام على الفصل الثاني من المقام الأول والحمد لله رب العالمين

(الفصل الثالث من المقام الأول)

(في الكلام على الملك والوزير اللذين أحبا العلم والحكمة وزهدا في الملك)

جاء في كتاب اخوان الصفا ما نصه :

حكى ان ملكا من ملوك الفرس كانت له نعمة ظاهرة وهيبة قاهرة وسلطان عظيم وملك كبير وكان له وزير له رأى وعزيمة قد رأى السعادة في تديره والكفاية في توزيره قد كفاه أمر التدبير مما يحتاج اليه فهو مشغول ببلذته وتناول نهمته في لذة من عيشه وأمان من مصائب الزمان وحوادث الأيام والوزير يورود ويصدر بمحمد رأيه وجبل نيته وحسن طويته فاقم الملك على ذلك مدة من دهره وبره من عمره فلما كان في بعض الأوقات عرض للملك علة كدرت عليه عيشه ونقصت حياته فتغير لونه وهزل جسمه وضعفت قوته واشتغل من تلك العلة واستدعى وزيره وقال له قد ترى ما نزل بي من هذه العلة التي قد حالت بيني وبين اللذات حتى قد تدمى : الموت ومثلت الحياة فرقله الوزير وبكى عليه ثم خرج فجمع الأطباء والتمس الدواء ولم يدرع مستطاعا ولا معزوا . ولما أحب نجامة وكهانة الأحضره واهلهم علة تلك وما يجده من الألم والوجع وانه يشكو ضربان - حده والتهاب حوارة في قلبه وكبد فكل قال وما أهاب وعمل وما ألتجى فما ألتجى راء : تلك العلة بالملك يشكو من لوزير بذلك عن تدبير الملكة وسياسة الخاصة والعامة من خدم الملكة . ربيتها واضاءت الاعمال . رعتت العمال وكثرت الخواارج في اطراف المملكة وأقاصى الدولة فظلم ذلك على الوزير وساء وخلف بما في الاملاك

فهاود الى جمع الحكماء واحضار العلماء ومن قدر عليهم من الشيوخ القديما وأعاد عليهم القول واستدعى منهم الجواب وكان فيهم شيخ كبير قد عرف وجوب قتال أيها الوزير ان العلة التي بالملك معروفة بظاهرها خفية بباطنها ومثل هذه العلة لا تكون الا عن حاليين احدهما في النفس والأخرى في الجسد فالذي في النفس ينقسم قسمين فاحدهما يختص بالنفس الناطقة والقوة العاقلة والآخر يختص بالنفس الحيوانية والقوة الشهوانية والذي يختص بالجسم أيضا ينقسم قسمين بالحر واليبس والآخر بضده وهو البرد والرطوبة . وأما ما يختص بالنفس الناطقة فهو الفكر في المبدع جل جلاله وما أبدع والحيرة فيما خلق ورأى وأنشأ وإعمال الروية وإجالة الفكر في كيفية الابتداء والانتها وما شأ كل ذلك من الأمور الالهية فان النفس اذا غرقت في هذا الأمر وانطلقت عليها أبوابه وتضررت أسبابه ضاقت وحزنت فأحرقت طبيعة الجسد فضغفت القوى الطبيعية عن تناول الغذاء وحدث بالجسم ما ترى من الضعف والتغير والازوال والضي والآن لا يزال ذلك كذلك يتراد ما دامت تلك العلة مستدامة والخطر مشغولا بها والأبواب عليه منغلقة والأسباب متعذرة ولا يجد من يفتح عليه ما انطلق من أبوابه ويسهل ما صعب من أسبابه . وأما القسم المختص بالنفس الحيوانية والقوة الشهوانية فكالعشق للصورة البهيمية من النساء والصبيان والاحداث والمرد ان مثل ما يعرض للعاشق اذا غاب عنه معشوقه وحيل بينه وبين محبوبه فيظهر به من الضعف والتغير ما يكون به تلك الجسد وانحراف المزاج وفساد البنية وربما دخل عليه زيادة أدته الى المالبسوخوليا واحترق ووصل المرض الى شغاف قلبه فهلك وبلاؤا ما يكون في الجسد من العلل العارضة من جهة الطبايع الأربع فان لكل علة تحدث من فساد المزاج غلبة الطبايع بعضها على بعض فله علامات يستدل بها على تلك العلة ومواقع يقصد بالأدوية اليها ولا يجب للطبيب الحاذق أن يبدأ بدواء العلل الا بعد السؤال له عن السبب في تلك العلة ماهو وكيف كان ومما كان وما أصله أهوئ من الماء كولات أسرف في أكله أم مشروب ارتف في شره أو غم عرض له أو هم دخل عليه أحوال اشتغل به قلبه وفكره أو صورة حسنة رآها فوشت في قلبه ثم حيل بينه وبينها ومنع من تناول لذاته منها وأي موضع يجد الوجع من جسمه ومما اذا يختص من أعضائه وأي شئ يشتهي وأي حديث ياهيه ويرضيه وأي سماع يطر به فاذا أخبر العليل طبيبه بشئ مما ذكرناه اذا سأله . وكان العليل صحيح العقل ازداد الطيب الماهر علمه واستشهد على ما أخبره لفظا بما يدل من البرهان عليه بالحس وماتين فمن حجة النبض مما يستدل به على حجة ما أورده المريض ويسترشد الطبيب على قول المريض وشهادة النبض يشاهد آخر وهو الماء فاذا اتفق النبض والماء مع شكوى المريض فقد عرف حينئذ الطيب العلة وما يختص بها من الأعضاء فان يغلبه إحدى الطبايع وضعفت الأخرى أرسل الى ذلك العضو ما يوافق طبيعته ويلأثم قوته ليتقمع به ضده التي مضايقه في مكانه بالملاطفة والتدريج ولا يحمل عليه بالدواء الحاد في أول دفعة قاله ربما أحدثه ذلك فسادا لا يرجى صلاحه والمثال في ذلك النار المشتعلة في الحطب أول ما وصلت اليه فاتها اذا قويت وألتي عليها الماء ازدادت حرارتها وقوت بخاراتها فانلفت ما وصلت اليه واحتوت عليه فاستل أيها الوزير عن بدء هذه العلة كيف كانت وما السبب فيها واحال للموجب لها فقلنا اذا عرفنا ذلك تدور كما بالملاطفة وحسن التدبير ان شاء الله . قال الوزير أيها الحكيم ان في أدب وزراء الملوك ومن الواجب على من يحب الملوك أن لا يبدؤهم بالسؤال لهم مما لا يجب له السؤال عنه ولا يهجم عليهم بذلك الا أن يبدؤوه به ولا يطلب الدليل على ما يقولونه بل يستمع ويصدق ويسلم اليهم في جميع أمورهم ولا يعترض عليهم في أفعالهم وأعمالهم وأنا أهاب الملك وأخاف منه أن أسأله عن شئ لم يبدعه وحال بخفيها ولم يطلعني عليها لاسيما في أمر نفسه وجسمه . قال الحكيم أيها الوزير انه لا سبيل الى شفائه ومعرفة دوائه الا بعد الإبانة عما ذكرته لك وأنا أرى ان سؤالك له عن أمره وما أخفاه من سره يكون سببا لحياته ونجاته ان شاء الله فاذا أعلمك ذلك فاعلمني به واحفظه عنه لئلا تنسى مما يحكيه شيئا ثم انصرف ذلك الشيخ ومن حضر المجلس من الأطباء ونهض

الوزير فدخل على الملك فلما رآه انس به وأدناه بقربه وسأله هل وجد له دواء واتجه له عنده شفاء فأكثر
الوزير من الدعاء له ثم أقبل عليه فسأله عن يده العلة كيف كان وما أتى كان السبب في حدوثها به فلما سمع
الملك من وزيره هذه المسئلة التي لم يكن سألها عنها قبل ذلك أمر من كان بين يديه من خدمه أن يصدروه
ويستدوه ففعلوا ذلك ثم أمرهم بالبعد عنه فلما رأى الوزير ذلك خاف على نفسه وفزع واستوى الملك جالسا
على فراشه وقال له ادن مني وأعد هذه المسئلة علي وأصدقني فاني أرجو الشفاء بصدقك إياي وإنك قدرت على
السواء في إزالة الداء إن شاء الله فاني لم أسمع منك هذا السؤال قبل هذا والواجب على الملوك في أدب المملكة
أن لا يبدؤوا من يلهم من عييدهم وخواصهم بكشف أسرارهم وبما يحدث منهم في خلواتهم وما يجاوزونه في
أفكارهم لاسيما إذا لم يجدوا له أهلا يكشفونه لهم ويودعونه عندهم ويرجون بهم فتح ما انقلب عليهم بابهم وتمذرت
أسبابه وقد كنت في طول هذه المدة التي حدثتني فيها هذه العلة أريد من يسألني عن ذلك فأبديه له فلم أجد
سائلا يسألني عن ذلك وكلمت من أتى اليه الشكوى وأخرج اليه بما أجد من البايء صعبت العلة علي
وترايعت الخنة لئلا يسمع الوزير ذلك من الملك تحققي قول الشيخ الحكيم المخرب وعلم انه صدق وأصاب
قال له الوزير أرجو أن أكون موضعا لهذا الأمر وكشف هذا السر فقال الملك ان شاء الله ثم ابتدأ الملك فقال
اني كنت في بعض الأيام قد أظهرت نعمة الله تعالى علي وأحضرت أجلها لئلا وأمرت بإخراج ماني خزائني
من الجواهر النفيسة والآلات الثمينة مما جمعت أنا في أيامي وما ورثته عن آبائي فأحضرين يدي في خلوة من
حشبي وعبيدي وخزائي الذين كانوا يتلوه الي بين يدي فرأيت منظرًا أمر بي غاية الطرب وفرحت بها
وطربت لها وأخذت منها بالنصيب الأوفر والخط الأجزل من القبلة والسرور والجنل والخبور فكبرت نفسي
وعظم قدري وظننت أنني قد وصلت إلى ما لم يصل اليه أحد غيري واتي من أسعد السعداء ثم اتى تحت فرأيت
في منامي كأنني في تلك الحال على أحسن ما يكون وأتته وأكله وكان رجال دولتي وعبيد مملكتي كلهم قيام بين
يدي خاضعون لى ساجدون سامعون لقولي مطيعون لأمرى وأنا على سريري مملكتي في عمل كرامتي فينبأ أنا
كذلك أن رأيت رجلا شابا مليح الصورة حسن الأتواب لم أره قبل ذلك الوقت ولا عرفته وكأنه بالقرب مني ينظر
الي نظر المستهزئ غير هائب لي ولا خاضع بين يدي ولا مسلم علي مستقل بجميع ما أنا فيه وكأنه ملك ملا أملاكه
ويقدر على ما لا أقدر عليه ويصل الي ما لا أصل اليه فضاغني ذلك منه وكأني قد همت بالإيقاع به وأمرت بهمن
كان بين يدي من خدمي وأصحابي من جميع أهل مملكتي ورجال دولتي أن يقفوا به وهو قائم في مكانه يصيحك في
وكانهم لم يصلوا اليه ولا قدروا عليه وكأنه قد زاد استهزأؤني واستزأؤه ولم يبهل شئ عماره فلما رأيت منه هالتي
ذلك وأفزعتني ففقت من مكاني وتنجيت عن سريري ودنوت منه وقلت له من أنت ومن أين أنت وكيف وصلت
الي ومن أين دخلت علي فقال لي يامسكين يامغروب سلطان الأرض والملك الجزئي أي ملك أنت إنما أنت مملوك
ولست بمالك فلم تدعني الحال وترضى لنفسك بالكذب وجميع ما أنت فيه زائل مضمحل فان وعما قبلت بفارقك
وفارقة وإنما الملك الملك السباوي والساطان الاطلي فان بادر وتعلمت ما يقرب الي ربك وصات اليه وكنت
ملكًا بالحقيقة ونات ملكًا لا بيلي ولانة لا تنفي فتكون ملكًا بالحقيقة فتصل نفسك اذا زكت وروحك اذا صفت
ما أنا فاعل وتصل الي مثل ما أنا اليه واصل مما تدرت من الأرض وأقبل يمشي في الهواء ويجول في الفضاء الي أن
رأيت وصل الي السماء وغاب عني فلم ير وسمعت هاتفا يقول مثل هذا فلجعل الله ابون فلما رأيت ذلك منه أبقت
أنني لست بمالك واتي مملوك كما قال واتي لست بعالم واتي جاهل واتي لست بإنسان واتي حيوان ثم أقبلت وأجلت
الفكر وأعملت الروية وكثرت تخيلي لتلك الشخص وما قل لي ورأيت من مملكتي وسعة قدرته والمكان
التي رقي اليه واشتهت المعرفة بالعمل الذي هو مملوكه هاتفت بهذا الشأن عن جميع ما كنت يسيله من
تلك اللذات وانقطعت عن جميع التهور وزهدت في المأكول والمشروب وأقبلت أجيال بكسرى وأقبل نظري

في أهل المملكة ورجال الدولة فلم أرفيهم من صلح أن أكشفه هذا السر ورأيتهم كلهم مشاغل بالحال التي أرى بها على ذلك الشخص والى وإيهم مما ليك وأن الأسماء التي استعرتها لأصلح لنا ولا تليق بنا وانها ذاهبة زائلة عنا وخشيت أن أبدي أمرى الى من ليس هومن أهله فأنسب الى الجنون وقلة العقل فصمت عن الكلام وزادنى الفكر والنم والحلم والأسف فغبتنى من ذلك ما ترى من التحول والتغير في الصفات فهذا هو سبب وجي ومبدأ علمي وأظن اني خارج من هذه الدنيا بهذه الحسرة ان لم أصل الى العمل الذي يوصلني الى ما أوصى اليه ذلك الشخص الذي رأيته وقد خرجت اليك بأمرى وكشفت لك ما أخفيت من سرى فان كان لي عندك فرج فرج به علمي وان علمت ذلك فآتم سرى ولا تخرج الى أحد بشئ منه كما خرجت به اليك من أمرى ثلثا أنسب الى الجنون وزوال العقل فيذهب الملك مني ومنك ويطمع فينا الأعداء لأن علة زوال العقل أصعب العلل متعذر دواؤها معدوم شفاؤها ولكن قد طمعت أن لي عندك فرجا لما رأيته قد سألتني عن هذا السؤال ولم يكن هذا من عادتك معي ولم ترفني أن فيك من الأدب الذي يصلح للوك ما لا يصلح على مثل ما أقصيت به علمي من ابتدائك لي بالسؤال من سرى الذي لم أبده فاصدقني كما صدقتك . قال الوزير فأعادت عليه ما كان وما جرى من الشيخ الذي أشار على بذلك وأمرني به فقال علمي بالشيخ قد قوضت يده على الله وأرجو أن يكون عنده الدواء فخرجت من عنده وأحضرت ذلك الشيخ وقصصت عليه الحال من أولها الى آخرها فبكى وقال قد انكشفت العلة وعرفنا دواها وقدرنا شفاؤها ان شاء الله ثم نهض معي حتى دخلنا على الملك فلما رأى الشيخ فرجه به ورفع وأقبل عليه وأنس به وأقبل يمد الحديث عليه من أوله الى آخره فأقبل الشيخ على الملك وقال له ان العمل الذي يوصل الى مثل ما رأيته لا يكون الا بعد العلم بتوحيد الخالق جل جلاله ومعرفته حق معرفته فاذا صح لك ذلك وعلمت ابتدأت تشرع في تعليم العلم المؤدى بك الى عبادته الموصلة لك الى جنته ودار كرامته فاذا أحكمت العمل بتلك العبادة وصلت الى مرادك ونلت غرضك ولا يكون ذلك الا بعد ترك جميع ممالكه وقنوت عليه من أمور الدنيا . قال الملك قد رويت بذلك وطابت نفسي به وقد تهملت بترك جميع ما كنت فيه وتميت الموت والراحة من هذا العالم فقال الشيخ ان هذا العلم غير موجود عند أحد في بلدنا هذا وانما هو موجود بحقيقته عند رجل من الحكماء مقامه في اقليم الهند بجبال سرديب تحت خط الاستواء فان عنده مفاتيح ما انطلق من هذا الأمر وصعب من هذا السر . قال الملك فأني لي بالوصول اليه والقنوت عليه وانا على ما ترى من تحول الجسم وضعف القوة وكثرة الاعداء وماتراه من اضطراب الحال وفساد الأعمال والعمال وكثرة الخوارج علينا والاعداء لنا وتعميم الوصول بالأذية اليه وانتزاع ما في يدي من هذه المملكة القافية والقنية المضمحلة وان كنت غير متأسف على فقدتها ولا حزين على زوالها بعد ما سمعت ورأيت وانما أخشى ان أفرك اذا خرجت منها وبسدت عنها فاقتل وأموت بالطريق ولأصل الى ما يكون به السعادة بعد الموت وأكون قد تهملت القتل والهوان في الدنيا وسرعة القنوت عليه في الآخرة . قال الشيخ صدق الملك فيما ذكر ولنا في ذلك تدبير آخر قال ما هو قال أنا أكتب الى الحكيم أعلمه بالحال ونظير ما يكون من جوابه فنعمل به ان شاء الله . قال الملك أفضل ذلك ونخف على الملك ما كان يجده وسكنت نفسه الى قول الشيخ . وقال للوزير أعلم اني قد وجدت القافية والقنية المضمحلة تلك الحركة الفكرية وبردت الحرارة التي كنت أجدها في قلبي واستدعي من الطعام والشراب ما أسكس به القوة ودعت اليه الحاجة وفنا في أهل المملكة من أعمال الدولة أن الملك قد أعاق من علمه وزال عنه ما كان يجده فخرج الناس بذلك وسكنت الفتنة قسارعت الخوارج الى الطاعة وعمت البركة وشملت النعمة وعاد الأمر الى أحسن ما كان في سنة يسيرة وقويت نفس الملك ووثق بما وعده الشيخ الموقف الرشيد فكسب الشيخ الى رب بيت الحكمة في ذلك الزمان يعلمه بما جرى ويسأل أن ينفذ اليه من يراه ليقنع عليه من العلم ما يصلح له ويعلمه ما ينبغي له في جسده فلما وصل الكتاب الى الحكيم وقف عليه استدعي تلامذته وكان له اثنا عشر تلميذا

حاضرين معه فاعلمهم بما وصل اليه وقرأ عليهم الكتب فقالوا مرنا بما تريد ففتته وثأني فيه ما قوله فافرد رجلين منهم وقال لهما اذهبا الى الملك فاذا دخلتا عليه فليدأ به أحدكما فيأمره حتى يبلغ في العلم الرياضي الى حد يحبه له اذا وصل اليه ووقف عليه الارتقاء الى العلم الالهي ثم ينصل عنه ويأمره الآخر حتى يوقفه منه عند الحد الذي ينبغي له فاذا أتيته قد حسنت أفعاله وزكت أعماله فانصرفا عنه ولا تطلبا عليه جزاء ولا شكورا . ثم ابتدأ بوصفهما وبتعريفهما من الوقوع في حبال الدنيا وشبكة ابليس وقال لهما انكما في مكان بعيد عن محاسن الدنيا وزخارفها وفشارتها وبهجتها وما يجده أهلها من فتنة واستردان على الملك وعلى ملكه واستغرة وفتنة ظاهرة ولذات متواترة وإياكما الليل الى شيء منها والمجبة لها فانكما ان فعلتا ذلك وملتا الى شيء مما رآته أفسدتما وأفسدتما وخربتما من الصورة الانسانية الى الصورة الحيوانية والرتبة الشيطانية بالقتل وخربتما من فسحة الجنان وروضة الروح والريحان وجاورتما الشيطان في دار الهوان وخربتما من سعة الكل الى سجن الجزء فلا سمعنا وأطعنا وتوجعنا من حيث هما الى أقليم الملك وكتب الحكيم الى الشيخ يعلمه بذلك وجهه هينا عليهما ينقل اليه أخبارهما وما يملانه ويصاملان به الملك ثم قسما على الشيخ بالشيء مما عليه من النعت وقلة الجلال وما يليق بالنسك من الفقر وسوء الحال فأخبر الملك بقدم الرجلين من عند الحكيم فخرج بهما الملك واستبشر ثم أمر بإيصالهما اليه فدخل عليهما فقام لهما قائما على قدميه وأمرهما بالجلوس جلوسا على العلاء المقيدتين وجلس الملك والوزير بحال السعدين المستبدين ثم تقدم للبتدي بالعلم الرياضي فعمل الملك والوزير حتى أحكاه وتعلماه الملك ووزيره وقاما بموجباته وأحكامه ثم انصل الأول وتقدم الثاني فتلا عليهما الحكمة الالهية الى أن بلغا من ذلك غاية ما كان عنده واستفادا ما كان في وسعه فصارغا ما أمراه وأرادا الانصراف أقبل الملك عليهما وقال اني لا أجد لكما مكافأة على ما فعلتاه في توليتاه من أمرى الا أن أسلم اليكما ملكي فتدبراه وتحمكان فيه بما أردتما وقد أبحثكما جميعه وهو عندي قليل لكما فلما سمعا ذلك منه ردا عليه ردا جليا وانصرفا الى مكان كان الملك قد أعد لهما فتشاورا فيما عرضه الملك عليهما وأهداه اليهما من ملكه وقد مالت أقسهما الى ما رآياه من حسن الدنيا وبهجتها وما عايناه من حسن قنيتها وطيب لغتها فقالا لا بأس أن يجتمع لنا المثلتان وتنال السعادتان الملك في الدنيا والآخرة وهزما على قول ما أهدى الملك اليهما من ملكه والجلوس فيه والقيام بهم ثم خال الملك بوزيره فقال له اعلم يا أخى أن هذه الدنيا قانية ولسانا فيها متخدين وقد تلنا من لغتها ونعيمها ما قد تلناه وصلنا منها الى ما وصلنا اليه وقد نالنا عليه فعمل بنا تتخل عنها ونلزم مداومة النظر في هذا العلم الشريف والعمل اللطيف الذي فصل به الى الفوز والنجاة من بعد الموت فاننا لانشك في وصول الموت الينا ونزوله علينا فعملنا وإياك تجتمع في الملك المجلوس كاجنائه وإياك في الملك الأرضي فقال افضل وقويت نيتهما ومطابت أقسهما بذلك فلما دخل الرجلان في وقت دخولهما على الملك أعاد القول عليهما وما يرده من تسليم الملك اليهما ورجا بذلك سعادة المملكة وأهلها بتدبيرهما وحكمتهما ورجا لأهل بلده ومن يكرم عليه من أهلها ان يصلوا الى مثل ما وصل اليه من ملك العلم والعمل وفتح البركة وتشمل النعمة وتكمل السعادة قبلا ما أهداه اليهما وتقلدا ما اعتمد فيه عليهما وجعل أحدهما وهو المعلم له العلم الالهي في مقام المملكة وصاحبه في مقام الوزارة . اشتغل هو ووزيره في مداومة النظر في العلم والقيام بالعمل والاجتهاد في العبادة والزهادة في الدنيا والتهاون بها وتزجج شهواتها وترك لغتها فكتب الشيخ الى الحكيم بذلك فأيس من عودتهما اليه وهما انهما قد افقتنا بما رآياه ومالت أقسهما اليه وتمنيا الخلود فيه وأقاما على ذلك في تدبير الملك وسياسة المملكة الى أن مات الملك ولحق به وزيره بعد مدة يسيرة وصارا الى رحمة الله سبحانه ودار كرامته ونالا الملك المجلوس وصلوا اليه وافتتح الرجلان بالدنيا وتخليا عن العلم والعمل وانهم كما في اللذات الدنياوية واستخرج الحكيم ما كان أودعها ما يراه من حكمته نفسيا ما كان له ذاكرين وغاب عنهما ما كان له حاضرين ومارق ملك السماء وخلدا الى ملك الأرض فذهب من الجنة وبدا

من الرحمة وانقلبوا على عقبيهما خسران فاهلرا وامارا من حضرهما بما فعلا واقتل الناس بهما وتعلموا منهما ما يضرهم ولا ينفعهم وبدت سوءاتهما وقالوا هذان العالمان اللذان كانا يأمران بترك الدنيا والزهد فيها قد عادا الى ما كانا ينيان عنه ويحذران منه ولولم يعلمنا ان العاجلة هي النعمة الحاصلة لما اختاراهما ولا رجعا اليها بعد ما علمنا وزاد بهما جوج الطغيان واستعوز عليهما الشيطان فأنساهما ذكر الرحمن فصارا أعداء للحكام واضدادا للعلماء وكتب الحكيم الى الشيخ يأمره بالتعني عنهما والبعد منهما خوفا عليه من شرهما ففعل ذلك واقبلا على تناول أمور الدنيا وشهواتها وظرفا السحر الحلال الذي أنزل عليهما وأمرأ بفعله وهمله وكان به نجاة من نجا ورجعا الى السحر الحرام فضلا وأضلا . وهذا حديث يدل على حالة المسكين هاروت وماروت وما كان من أمرهما وهبوطهما من السماء الى الأرض ومفارقتهما جوار ريحهما والملائكة الذين كانوا معهم كفارقة ابليس للملائكة باستكباره وعصيانه ومفارقة آدم للجنة التي كان فيها بما كان من خطئه ونسيانه فهذا بيان معرفة ماهية السحر والسحرة والعمل به وكيفية أقسامه وما لحق منه وما الباطل بحسب ما احتمله البيان واتسع له الامكان انتهى ما أردته من اخوان الصفاء . ويهنا تم الكلام على المقام الأول وفصوله الثلاثة والحمد لله رب العالمين

﴿ المقام الثاني في شذرات ﴾

(في هذا المقام خمس شذرات)

- (١) في إصلاح التعليم
- (٢) وفي الجاهات السلوية وما يوصل اليها
- (٣) وفي غرائز الحيوان
- (٤) وفي القوائد الطيبة
- (٥) وفي القوائد الأدبية العلمية

﴿ الشذرة الأولى في إصلاح التعليم ﴾

اعلم أيها النكي أن الأمم الاسلامية الآن أشبه بالقيم التي ترك وشأنه فلا مربى له وانما هو متروك للصادقات ولما كانت الأمم الاسلامية قد سارت في طريقة عتيقة مثل أن تحفظ المتون بلا عقل ويحفظ القرآن بلا فكر وجب أن آيين هنا ما ساقه الله إلينا من نعمة العلم والحكمة إذ حضر أثناء طبع هذا الكتاب عالم سويسري ليعبث في نظام التعليم عندنا بمصر فأظهر انه ناقص قصا عجزنا . ولما كان تقريره مطولا جدا بل هو كتاب كبير . وقد جعلت ملخص هذا الكتاب منشورا في جريدة الاهرام يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٩ رأيت أن أثبت هذا الملخص هنا ليطلع المسلمون على نظام التعليم في الأمم الراقية التي بينه وبين عصر الصعابة شبه من جهة الحرية الفكرية وعدم الوقوف عند الحفظ والتمتع بالخلاوات ونقاوة الهواء والاجتهاد الفردي وما أشبه ذلك فهناك ما جاء في الجريدة المذكورة تحت العنوان التالي وهذا نصه :

﴿ مشكلة التعليم ﴾

نواجه اليوم مشكلة لا تقل خطورة عن مشكلتنا السياسية . هي مشكلة التعليم التي لا بد أن تتضافر الجهود على إيجاد حل لها حرصا على مستقبل الشباب أو يلحى البلاد . فيصحات الشكوى التي تملأ أعمدة الجرائد وشعور الخوف والحيرة التي يملكها الآلاف من الطلبة والوالدين ما هو في الواقع الا خوف مصر على مستقبلها عملا في شعور أبنائها . ولهذا أرى لزاما على كل متخصص وخبير بشؤون التعليم أن يدلي برأيه

مينا خير ما يراه كفيلا بحل مشكلة التعليم كما يتحتم على كل وطني يقار على مصلحة بلاده أن يعاون على تنفيذ ما يقترحه الخبراء بعد السرس والمعيص . فالمسألة أهم من أن تهمل . وأعتقد من أن نحل بزيادة النصول وإيجاد أما كن لطالب الالتحاق وأعظم من أن تقوم بعينها الحكومة وحدها ثلاثة أمور لاندسوخ عنها حل مشكلة التعليم وإزالة أسباب الشكوى فهي (أولا) - تتطلب تغييرا في جو المدارس وأساليب التدريس يتمشى مع روح العصر وتقدم علوم التربية الحديثة

(ثانيا) - تستلزم تعديلا في مناهج التعليم يتفق مع حاجات البلاد وتنوعا يلائم الاستعدادات المختلفة (ثالثا) - اهتماما من الأهالي وتعاوننا على رفع مستوى المدارس الأهلية وزيادة عددها لتساعد على حل الازمة ونشر الثقافة في البلاد . فلما الأمر الأول فقد كفنا مؤونة البحث فيه التقرير الوافي الذي رفعه لوزارة المعارف الأستاذ الفاضل د . كالا بارية الخبير المنتدب قد استوفى فيه الموضوع بحثا من جهة الأساليب وجو المدارس وأظهر مواطن الضعف في نظامها مما أشار بما رآه علجا لتلك العلل ويتلخص ذلك في عشرين اقتراحا وأذكرها ليطلع عليها من القراء من لم يقرأ التقرير ويستفيد منها أصحاب المدارس الأهلية فالله يكاد يكون عاما شاملا وليس قاصرا على مدارس الوزارة أما الاقتراحات فهي :

- (١) اقتصا عدد التلاميذ في الفرق التي تتجاوز عددهم فيها الحد المناسب
- (٢) الزيادة في تجنيس الفرق من حيث سن التلاميذ ومستواهم العقلي
- (٣) اختبار كل طفل على حدة اختبارا فرديا
- (٤) تعيين معلمي فرق بالمدارس الأولية والابتدائية والفرق الأخيرة من المدارس الثانوية وجعل تعليم صفرا الأطفال الى سن التاسعة على أيدي معلمات فرق ان أمكن
- (٥) تضيق نطاق المناهج
- (٦) تعديل نظام الامتحانات الحالي تعديلا شاملا لأنه السبب في اعتماد التلاميذ على الاستظهار لاعلى التفكير والتروى
- (٧) زيادة مالا امتحان من قيمة وأثر في اختبار التلاميذ . ولا ينبغي أن تكون الحافظة في الأطفال الذين يتمتعون الغرض الذي يقرطس الامتحان بل القدرة على أداء عمل شخصي مبنى على التفكير والتأمل
- (٨) حذف دروس الاملاء والاستظهار ومنع استظهار المتن ومنع التلاميذ من نسخ مالا يفهمونه من النصوص واستظهارها
- (٩) توسيع نطاق العمل الفردي وإنشاء مكتبة في شكل مدرسة وقاعات يمارس التلاميذ فيها الأعمال بمفردهم
- (١٠) الاستفادة بالالامب التي تعزز التربية في جميع درجات التعليم وتأليف جاعات من التلاميذ للعمل معا في أشغال معينة استغزلوا لغيرتهم وتحمية لروح التعاون والتضامن في نفوسهم
- (١١) جعل التعليم أكثر مطابقة على العمل ولا سيما في المدارس الابتدائية والأولية والاستنادة بالأعمال اليدوية في أغراض التعليم وصراميه
- (١٢) الترخيص للمعلمين بالقاء دروسهم على الفرق في الهواء الطلق وبالسنزه والتريض مع التلاميذ
- (١٣) إنشاء عدد أكثر من المدارس الابتدائية والثانوية للبنات
- (١٤) الالتاد فيما يتعلق بنشر التعليم (مشروع التعليم الإلزامي) في إنشاء المدارس وريثا يتخرج المعلمون

القادرين على القيام بأعباء هذا التعليم

(١٥) إنشاء فرق متخصصة أوجهالة لنشر الثقافة العقلية في الأرياف وإنشاء مكاتب في القرى وإقامة سينما للترفيه والتعليم

(١٦) تعديل اساليب اعداد المعلمين تعديلا شاملا

(١٧) إقامة محاضرات أسبوعية بيداغوجية ودروس اتيان ونجويد للمعلمين

(١٨) تعيين مفتشين ببيكولوجيين لمواصلة البحث والتحقيق في المدارس ولارشاد المعلمين بنصائحهم وخاصة منهم معلمى الأرياف على أن يكون تقدمهم إليهم في مواعيد دورية منظمة

(١٩) تنفيذ دائرة التركيز للمدرسى وارشاد العنان لحرية المعلمين ونظام المدارس والإلانة من شدة البرامج وصرامتها وتقديم الجانب التقني من العمل للمدرسى على الجانب الإداري

(٢٠) الاستمرار في البحوث والتحقيقات البيكولوجية والبيداغوجية التي بدأت بها في سنة ١٩٢٨ م ١٩٢٩ م

أما الأمر الثاني أى تعديل المنهج فلم يتناولها التقرير بأكثر من اقتراحه تنفيذي فطابقا وتحسين نوعها واليك ما قاله :

« اتضح لنا أن المناهج في جميع المدارس على اختلاف درجاتها عامة بمواد التدريس فمن الواجب المبادرة بالاستعاضة عن وفرة الكمية بجودة الصنف ، وعن التوسع بالتعمق ، وعن المحافظة بالتفكير » ثم قال : « وليس في طاقنا أن نشرح بالتفصيل ما ينبغي إدخاله على المناهج من التعديلات والتحويلات فإن هذا الشرح يتطلب بحثا لم تتيأ لنا الفرصة للقيام به ، كما ينبغي أن يبنى هذا البحث على عمادة التلاميذ ولخص مفكراتهم ومطالعة منشاتهم في الامتحان الخ لتعرف الأجزاء التي يفهمها الأطفال وتمثلها أذهانهم من منهج كل فرع والأجزاء التي تستلزمها المحافظة دون أن يتركها العقل »

وظاهر من هذا القول أن الاستاذ كلابريه نظر لتعديل المناهج من جهة الأساليب وملاءمتها لقوى الطالب ، أما من الجهة الاتجاهية العتقة ومانتطلبه حاجة البلاد من التعديل فلم يعالجها وعنه كما قال ان هذا الشرح يتطلب بحثا لم تتيأ له الفرصة للقيام به ، أضف الى ذلك انه غريب عن البلاد لا يعرف كل ما يحتاجه وتشكونه ، لهذا قلت يجب على كل وطني خبير بشؤون التعليم أن يدلي برأيه ، ولهذا رأيت أن أعالج الموضوع بقدر امكاني فان أصبت فقدت بواجب على لبلادى وإن أخطأت شفع لى إخلاصى وسررتى معرفة خطئى واصلاحه من رد ناقد خبير . انتهى مجابهة في الجريدة المذكورة

انما قلت هذا المقال برمتي لأنه استوفى التقرير الذى كتبت أود تلخيصه وقد كتبه العالم السويسرى المتقدم ذكره ، فهو الآن أشبه بتطبيق على أحوال المسلمين العملية بعد الشرح العلمى ، فهنا أشبه بالعمل وفيما هتم أشبه بالعلم ، وهذا هو التوفيق أن يجمع كلام ألماني وسويسرى ويوجهان لرق المسلمين ، وأنا الآن أريد أن أبين للأمة الإسلامية فوائد التعليم الثانوى مما اطلمت عليه وقرأته في كتب مختلفة وفي كلام الكتاب المتقدم أيضا اعلم أيها القارئ كما هتم فيها قلته عن (كتبت) الألمانى أن الانسان هو المتفوق الوحيد الذى يعوزه التعليم والترفيه ، وإذا نحن نظرنا الى الأمة كلها وجدناها كالفردي الواحد والانسان الواحد ، نجد له مطالب كثيرة :

(١) من طعام وشراب وهكذا نجد له أعضاء كثيرة لتناول هذه المطالب

(٢) وهذه الأعضاء تختلف باختلاف تلك المطالب

(٣) وهذا الاختلاف يشتد تبانيه كلما اشتد تباني المطالب ، فالاختلاف بين حاسة النوق واللس أقل

من الاختلاف بين حاسة البصر لأن الأولين خصا بما هو قريب للامس والآخرا لامتلاسه
ففي المدارس الثانوية :

- (١) أولا تهي القوي في التلاميذ بحيث تصلح للسير في المجتمع أولا وتستفيد من الأحوال الطارئة في الحياة فلا تلبط على حال واحدة بحال جهود
- (٢) ثم يجب أن يفرق بين المواهب المختلفة فتوزع على مطالب الحياة كما ورعت الأعضاء والحواس على مطالب الانسان
- (٣) وكما أننا نجد حاسة اللمس تبعده عن حاسة البصر من حيث متعلقها وتقترب من حاسة السمع إذ هاتان متعلقتان بما هو ملاصق ، وحاسة البصر لا تقدر على مشاهدة الملامق هكذا أفراد الأمة فلها كلها ارتقت اشتد تباين الأفراد فيكون أحدهم كالعين والآخرا كاللسان أو كالنفوس ولكن لابد من نظرة هنا ، ذلك ان الأعضاء للتناظر في بدن واحد لا يجتمع بل تتفرق ، ألا ترى أن الحيوان اذا مات فترقت أجزاؤه ، إن البنى جميعها الحال العامة في الجسم من التغذية والشراب والأعصاب والعروق والدم والشحم والعمم وما أشبه ذلك ، فهذه الأعضاء وإن اشتد الخلاف بينها فبها اتفاق واتحاد ، وعلى مقدار التباين بينها اشتد اتحادها ، فبواضع الاتحاد كثرت على مقدار بواضع الاختلاف هكذا في الأمة ، فإذا رأينا الأمة ارتقت وظهرت فيها أفراد نابضون كل وصل الى متبى الكمال بحسب زمانه بحيث صار القاضي والمهندس وعالم الزراعة كل واحد من هؤلاء قد برع في فنه ، فهذه البراعة تقطعه عن أمته ويصبح كانه ليس منها لأنه لاصلة بينه وبين المتعلمين إلا صلة ضعيفة فهناك يجدر أن يكون التعليم الثانوي كثير المواد غزيرها حتى يجعل بين النابضين اتحادا أتم على مقدار الاختلاف الشديد في المهن المختلفة
- (٤) ومن جهة المطالب التي تقتضيها المدارس الثانوية الاستعداد للدارس العالية والخاصة ، وقد كان هذا هو الطلب الذي لا يطلب سواء قديما بالمدارس الثانوية ، أما الآن فإن الأمر أعظم كما قورناه بل لها وظائف أخرى قد تمت ويأتي باقيها
- (٥) الانتخاب المدرسي ، ومعنى هذا أن في الناس من ليس لهم استعداد ولا ميل للتعليم العالي فهو لا يجب أن يتعلموا ما يليق لهم ، ومن لا يستعد للتعليم الثانوي يجب أن يتعلم صناعة تليق له
- (٦) وكما أن كل ما احتاج اليه الفرد في حياته من مطعم ومشرب وملبس موجود في هذه الأرض يراه ويحس به فيطلبه . هكذا يجب أن يحصل لتعلمين في المدارس نماذج لكل ما يحتاج اليه الأمة فتكون في المدارس أنواع الصناعات وأنواع الفنون ليتخذ كل ما يليق له . وكما أن الانسان لولم ير النمر أو الموز أو التفاح فانه لا يطلبه هكذا لا يتسنى لامرئ أن يطلب علم الجبر أو صناعة الحدادة أو صناعة الكهرباء إلا بالاطلاع عليها ومعرفة شيء يختص بها

﴿ قاتلة ﴾

لقد كان قديما اليونانيون يضعون في هياكلهم صوراً مختلفة للصناعات المختلفة ويمر عليهم الصبيان فإذا رأوها الصبي وأحب إحداها عرفوا أن هذا هو استعدادده ، وهذا المقام قد بينته في كتابي « أين الانسان » تبيناً أتم وكشفاً أظهر فأقرأه إن شئت
وهنا يجدر أن أثبت هنا مقلات كتب في جريدة الاهرام في يوم الخميس ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٩ في الرد على من ذم التعليم الاجباري العام وهذا نصه :

(معنى التعليم الاجبارى)

(حول مقال كاتبة)

جاءت الكاتبة النافذة الآنسة في عدد الاحرام الصادر في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٩ مجلة شعواء على التعليم الاجبارى بحجة انه مؤد للبطالة واقتار الرىف وازدحام المدن وغيرها ، وبحجة أن كل اى فى مصر يشغل وأما طاقة العاطلين فهى من المتعلمين . وبحجة انه لو كانت الغاية من التعليم جعل كل متعلم اقدنيا معسكه العام فى القهاوى والبارات فى انتظار وظيفة تمهبط عليه من السماء على أجنحة ملائكة الرحمن . إذن لكان الجهل خيرا . وبحجة انه لو كانت الغاية من التعليم قذف المتعلمين الى العواصم ... لكان الجهل خيرا . وبحجة انه لو كانت الغاية إيجاد الشبان ذوى المناذيل المشربة من الجيوب وذوى ربطة الرقية الموصعة بالديوس إذن فالجهل خير من العلم

ثم ختمت الآنسة مقالها بقولها انها واثقة من أن الشبان المصريين لا يحقون عند قراءة ما كتبت الخ كلا . ثم كلا (على رأى زكى باشا) لقد أخطأت الكاتبة النافذة فى الخاتمة كما أخطأت فى المقدمة . كما أخطأت فى جوهر موضوعها . والويل ثم الويل لمن يضطئ ثلاثا
إن الشبان المصريين يحقون ثم يحقون لمناصرتها الأتية . اللهم إلا اذا كانت تعنى بالشبان الشيوخ المتصبين أو الشبان المتسككين من أنصار التقدم

يبدأ اثنى أجل الكاتبة عن هذا الخطأ التث والتبس لها العذر ثلاثا لأننى لا أخاطب إلا جاهلة معنى التعليم الاجبارى فظننت تعليما راقيا يخرج شبانا متقنين وفتيات مثقفات ملعين وملعات بالغات الحديثة وآدابها ومبادئ العلوم السياسية والاقتصادية والمواد الطبيعية والاجتماعية والرياضية
هذا ما فهمته الكاتبة النافذة بنتيجة التعليم الاجبارى . فإذا كان هذا ما تريد فعنى فائى وأوقها وأشد ازرها فيا زعمت لأن انتشار الثقافة فى طول البلاد وعرضها فوق الحاجة بما يدعو الى كثرة الباقات البيضاء كما يعبر عن ذلك علماء الترية اليوم . ومعنى الباقات البيضاء هو عين ما قصصت السيدة بالمناذيل المشربة من الجيوب الخ فان الأمم للمدينة جميعها خصوصا التى يكثر بينها العاطلون كالجيتا وألمانيا على الأخص قد ظنت الى ازدياد عدد الشبان المتأقنين ذوى الباقات البيضاء والأردية الثينة الذين لا يزولون الى حلبة الأعمال اليدوية فى المصانع والمناجم مهما ارتفعت أجورها بل يفضلون الانتظار شهورا بلا عمل ريثما يجدون لهم عملا كتابيا فى مكتب أو مصرف أو مصلحة حفظا على ما يزعمونه فى تلك الوظائف من الكرامة والمعرفة . وجبا فى جعل أقصتهم وياقتهم ناصحة البياض

وهذه الحال يمسك ماهى عليه فى ولايات أميركا المتحدة تماما فهناك يهاون بالأعمال اليدوية فينزلون الى ميادينها بشغور باسمه مهما بلغوا من الثقافة لأن مدرسمهم على اختلاف درجاتها تعودهم احترام العمل لأن الحصص الدراسية هناك تتخللها الصناعات والأعمال اليدوية ، ولا يجد الشاب من خورجى السكليت عارا فى غسل الأطباق وحمل الأثقال والعمل فى المنجم لأن الأقدار التى خلق بالشاب من جواء هذه الأعمال يطلق عليها اسم الأقدار الشريفة والتنظيفة كذلك الفتاة المثقفة وإن كان والدها من أصحاب الملايين قد يجدها عاملة فى مطعم أو متجرا أو منزل حبا بظلمة العمل وشغفا بما تسميه الفتاة الأميركية الاستقلال الاقتصادى
وليسمح لى القارى أن أضرب مثلين واقعيين حدثا معى فضلا ، كنت يوما أنناول العشاء مع فريق من الطلبة فى دار أحد أساتذتنا فى ضاحية من ضواحي نيويورك وفى نهاية العشاء أخذنا نطلى من الترفة الكبيرة على حديقة المنزل ، فلاحظ أحدها أن سيلة حكمة مقفلة أوقفت أمام اللزول وخرجت فتاة أنيقة من باب المنزل

ودخلت السيارة وغابت عن الأنظار ، فسأل أحدنا الأستاذ ، أليست هذه الفتاة التي كانت تخدمنا على المائدة أجاب نعم هي بيننا وهذه سيارتها كما رأيتم نعمة ، وهذه سيارتي في الحديقة من طراز فورد المتواضع ، ثم أردف ذلك بقوله : إنها من طلبات الكلية وتقوم بخدمتنا فقط عند الحاجة القصوى بأجرة ريال عن كل ساعة . وأذكر مرة أنني دخلت مطعما ذات ليلة في منطقات نيويورك وما كنت أجلس الى مائدة من الموائد حتى أقبل علي أحد طلبة الجامعة التي كنت بها وكان من طلبة الدكتوراه يقدم اليه قُمة الطعام ، وقد تأثرت كثيرا من هذا المنظر وزاد تأثري أن شاهدت زوجه تقوم بخدمة معه في ذات المطعم في أوقات فراغهما ، وقد قام رجال التعليم في إنجلترا وألمانيا وروسيا وهنغاريا وشيكوسلوفاكيا وألمانيا وخصوصا في الأخيرة بمحملات شعواء ضد التعليم الثانوي الذي يكثر من العاطلين ذوي الياقات البيضاء ويقفل من الأبدى العاملة وكانت النتيجة أن التعليم الثانوي هناك قد اتقبت نظمه رأسا على عقب وأدخل فيه التعليم العملي الذي يتفق مع حاجة البلاد وتفضي على البطالة والتزعة عن الأعمال اليدوية وينقل من الثقافة الأدبية التي لاتوافق روح العصر الحديث ، روح العلم والعمل . وقد احتسكت رجال التعليم في ألمانيا صيف هذا العام في مؤتمر التعليم في جنيف وقد شاقني مرايت فيهم من التغير وما سمعت من خطبهم من الانقلاب وقد زادني دهشة زيارتي لألمانيا وما شاهدته في حياتها الاجتماعية والاقتصادية من التغير وقد كنت زرتها قبل هذا العام منذ أربع سنوات فقط ولا يصح الزائر إلا الاعتراف بأن ألمانيا اليوم تقتفي أثر أمريكا أولا في نظم التعليم وثانيا في الديمقراطية واحترام الأعمال اليدوية

يفهم عما سبق أن الأخطار الاجتماعية والقتال الاقتصادي تنجم عن تعميم الثقافة الأدبية والاكتراث من المواد العلمية البحتة . لذلك أشرتكم مع النابغة الأتنة هي في الاقتراح على وزارة المعارف أن تقلب نظام التعليم الثانوي في بلادنا لأنه من النوعين المتطرفين والبلاد في حاجة الى قليل من هذين النوعين من الثقافة (الأدبية والعلمية البحتة) وكثير جدا من التعليم العلمي العملي من صناعاتهم ورجالهم وتجارتهم بقي علي الآن أن أقول للأتنة السكينة أن معنى التعليم الإجباري بسيط جدا وهو أنه يري الى تعليم الأمة بأسرها ، بنها وبنتها ، معرفة المبادئ الأولية من قراءة وكتابة وحساب وكما كانوا يسدونه في أمريكا وأوروبا ، أو ما يسميه العامة في بلادنا « فلك الخط »

فهل تخشين أيها النابغة عاقبة هذا النوع من التعليم الساذج البسيط ؟ إذن فكيف يستطيع أبناء الأمة في الأرياف والمدن أيضا أن يقرأوا منشورات مصلحة الصحة عن الأمراض المعدية والجذبة وعزل المريض والتدخين والبلهارسيا والانكسوتوما والماء الراكد وماء القنوات والمجارى

وكيف يتفهمون منشورات وزارة الداخلية عن الأمن العام ومطرردة الجراد واستئصال دودة القطن وعدم قتل الطيور النافسة ؟ هل تردين العمدة أن يبعث برجله يندون في الشوارع كما يفعلون الآن وكما كانوا يفعلون منذ القرون الخالية ؟

وكيف يقرؤون التعاليم المكتوبة على عجلات السكك الحديدية بخصوص مواعيد القطارات وصرف التذاكر ، وعلى لوحات الاعلانات في المحاكم وقطومها كز البوليس ، وعلى راجها دور الحكومة ودور الحوائت التجارية والمدارس وأماكن العبادة والمنشآت والمنافع والملاهي الخ وكيف تريدنيهم يحترسون من القتالين اذا كانوا لا يستطيعون قراءة اللفظة البسيطة امكتوب عليهم . « احترس من النشالين » في الأماكن المزدجة من أسواق ومحكم والمبته الخدماء والموسكى وشارع فؤاد الأول وعماد الدين وتيارات وأماكن عبادة ؟

وكيف تريدنيهم يتبعون عن مخالطة السقوى في عزاء ، السلام ، البصق في الأماكن العامة الخ

إذا كانوا لا يستطيعون قراءة الاعلانات الدالة على ذلك ؟

وكيف يستطيع العامل البسيط أن يدون في مذكرة جيبه ماله وماعليه ، وكيف يكتب خطابه الخصوصية لزوج و أولاده ولم تردينه أن ينشر أسرار على الملأ ويلجأ لكتاب (تشديد لثاءه) العراف فيسجلون ماله ويفشون أسرار ؟

لم تردينه أن يحرم من هذه النعمة الأولية البسيطة ، نعمة القراءة والكتابة ؟ لم تردينه أن يبقى كل حياته بهيما وأن يظل حيوانا أعجم ؟

كان معلم الانشاء في السنوات القليلة الماضية يعلم تلاميذه هذه الجملة المحبوبة التي اذا أغفلها تلميذ كان جزاؤه صفرا ، وهذه الجملة هي « خلق الله الانسان وميزه عن سائر الحيوان بالنطق والعقل والبيان » وترجمة هذه الجملة بلغة القرن العشرين : « الحيوان بالنطق والعقل والبيان والقراءة والكتابة على الأقل » إن التعليم الاجباري إذن ليس من الكاليات بل من الضروريات لأن القراءة والكتابة كالكلاد واسطة التعارف . وقد كان الانسان في عصور الفطرة يكتفي بالكلاد ولا يحتاج للقراءة والكتابة حاجتنا اليها اليوم لأسباب لاتحصى . أما اليوم وقد سهلت المواصلات وكثرت حاجات الانسان وتعددت وسائل الحياة ومرافقها فقد أصبحت القراءة والكتابة لازمة لبني الانسان لزوم النطق والكلاد

واسمحي لي أيها الآنسة النافعة أن أذكر أن التعليم الاجباري المقصود في بلادنا هو هذا التعليم البسيط الذي لا يتجاوز علاوة على القراءة والكتابة ومبادئ الحساب شيأ من علم تخطيط البلدان والقوانين الصحية وهذه لاندفع صاحبها الى ارتداء الملابس الأنيقة والطروع الى المدن . وإذا فرض أن تناول التعليمين الابتدائي والثانوي كما يحدث في معظم ولايات أمريكا اليوم فانه لا يأتي بقلقل اجتماعية ولا يكثّر من الباقات البيضاء اذا كان المنهاج متوعا شاملا للأعمال والصناعات اليدوية كما هي عليه مدارس أمريكا وألمانيا والنمسا وروسيا اليوم واسمحي لي أن أقول أيضا : إن التعليم الاجباري علاوة على ما ذكرت لازم لكل أمة لأنه يظهر الذكاء الكامن في عقول صبيانها وبناتها . ومتى استكشف هذا الذكاء في فرد من أبناء الأمة أشار القائمون بتربيته على الحكومة حتى تساعده على مواصلة الدرس على نفقتها لأن النبوغ والعقوبة جذبران بالاهتمام والعناية . ومن المتفق عليه الآن أن الحكومة مسؤولة عن تعليم أبناء الأمة ليس حبا في سواد عيونهم بل تخليدا لكيان الأمة ومحافظة على حياتها . كما ان الحكومة مكافئة بالبحث عن النبوغ والعقوبة والانتفاع بهما . والعقول الراجحة الذكية كالمرور واللاكي لا يظهر لمعانها وقيمتها حتى تعمل فيها يد الصانع الماهر الذي يخرجها من أصدانها ويصقلها بعد تنظيفها من الأقدار اللاصقة بها

وأخيرا اطمئنك أيها الآنسة النافعة أن مشروع التعليم الاجباري يتطلب عشرات السنوات قبل اكتماله لأنه يحتاج الى المال والمعلمين والأماكن والوسائل لتنفيذه . والبلاد التي عمّ فيها التعليم الاجباري منذ مدة عام لم تصل فيه الى درجة الكمال لأنه ليس من السهل القبض على جميع من بمنعون عن إرسال بنينهم وبناتهم الى المدارس ومحاكمتهم ، وليس من السهل عدّ الأسابيع التي يمكثها التلميذ سنويا في المدرسة وتحديد نهاية صفري لهذه الأسابيع بشرط أن يزجّ في أعمال السجون والى التلاميذ الذين لا يمكث أولادهم في المدارس هذه النهاية الصفري على الأقل ، وستخط البلاد المصرية خطب عشواء في خلال ثلث قرن على أقل تقدير حتى يتابع لها تنفيذ هذا المشروع الخيطر على الوجه الذي يوجب الارتياح

ولتأكد الآنسة أن تحرير المرأة لن تقوم له في مصر قائمة ما لم يعمم التعليم الاجباري ، وسيكون شأن المرأة منه أكبر مما للرجل لأن الأمية بين النساء أكثر انتشارا بكثير منها بين الرجال ، ولعل هذه العبارة الأخيرة (إن لم يكن غيرها) تحمل الآنسة على تغيير رأيها اه

أمبر بطر

وهذا عمّ الكلاد على الشفرة الأولى في اصلاح التعليم العام والحمد لله رب العالمين

﴿ الشذرة الثانية ﴾

(في المجانب السماوية وما يوصل إليها)

جاء في جريدة الاهرام تحت العنوان التالي مانسه :

(عجائب فلكية)

يقال إن أقرب نجم من الأرض هو (الalfa) من نجوم برج العقوق ويبعد عنا نحو (٤٠) ترليون كيلومترا ويقضى نوره أربع سنين وسبعة أشهر وستة أيام حتى يصل إلينا ، وهناك نجم معروف باسم (عظمة مجلان الصغيرة) وهي بعيدة عنا بعدا شاسعا حتى إن نورها لا يصل لنا في مدة أقل من ألف قرن ، فنحن نبصر نجم (الalfa) كما كان عليه منذ أربع سنين و٧ أشهر و٦ أيام وعظمة مجلان الصغيرة في المكان الذي كانت فيه منذ ألف قرن ، وإذا فرضنا أنها انطلقت منذ ٩٩٩ قرنا فإن النور الذي صدر منها في ذلك العهد يظل على سيره إلينا في الفضاء ويبقى منظورا في أثناء مائة سنة أخرى اه

وما يلحق بالمجانب السماوية ما يوصل إليها من الصناعات ، فانظر ما جاء في جريدة الاهرام أيضا في يوم (٥) أكتوبر سنة ١٩٢٩ تحت العنوان التالي وهذا نصه :

﴿ رصد الجوّ بالسهم النارية ﴾

منذ أكثر من اثني عشر عاما أخذ الأستاذ جودارد العالم الأمريكي يهتم بأمر استعمال المواد المنفجرة لأرسال سهام نارية (سواريج) إلى طبقات الجو العليا وهو الذي خطر له أن يصنع صاروخا كبيرا جدا ليطلقه من أرضنا إلى القمر على أن هذه الفكرة أخذت تتطور في أثناء التجارب الكثيرة التي قام بها من إطلاق سهام صغيرة على سبيل الاختبار وقد توصل أخيرا إلى فكرة استطلاع طبقات الجوّ العليا بهذه السهام فصنع « صاروخا » كبيرا كلفه نحو ١٢٠٠٠ ريال وحشاه بمادة قوية الانفجار من ابتكاره وأطلقه من فوق برج مرتفع من الحديد في مدينة ورسترد وقد دهش أهل المدينة إذ رأوا ذلك السهم الناري العظيم يشق عنان الجوّ في ليلة ظلماء وخيل إليهم أنه نيزك هائل مرتجى مدينتهم وزعم البعض بأنه طائرة ملتهبة انفجر حوض وقودها

ويعتقد الأستاذ جودارد أنه يستطيع بهذه المادة المنفجرة الجديدة أن يرسل مثل هذه المقذوفات إلى ارتفاع عظيم في الجوّ وأنه إذا تمكن من توصيلها إلى هلو مئى ميل تسنى له الحصول على معلومات عن أحوال الجوّ في ذلك العلو تكون ذات أهمية كبيرة لدى أهل العلم . وسيجهز الأستاذ هذه المقذوفات بعدة أجهزة لتسجيل الارصاد الجوّية متى بلغت آخر حد وعند ما تنقلب هابطة إلى الأرض تفتح فيها المظلة المعروفة « بالبراشوت » فنصل إلى الأرض سالمة بما فيها من المعلومات وقد كانت التجربة الأخيرة باعثا على التشجيع فان الاسطوانة الفولاذية التي أطلقتها في الجوّ بعد ما فرغت منها المادة المنفجرة هبطت بالمظلة هبوطا طبيعيا ووصلت إلى الأرض سالمة من الطبع

أما الصاروخ التالي الذى سيكون أكبر من هذا كثيرا فستوضع فيه أربعة أجهزة أحدها للحصول على نموذج من الهواء لتحليله كيميائيا وآلة تصوير شمسي لاختبار أشعة الشمس في ذلك العلو إذ يظن أن الأشعة فوق البنفسجية قوية جدا وجهاز لقياس الحرارة وتسجيلها وجهاز لقياس الضغط الجوّي . انتهت الشذرة الثانية

﴿ الشذرة الثالثة في غرائز الحيوان ﴾

جاء في مجلة « السياسة الأسبوعية » ما يأتي :

﴿ غريزة النظام عند الحيوان ﴾

قد تصوّر أن الحيوانات المتوحشة التي لا تدخل في دائرة الإرادة البشرية فوضوية أي لا قانون لها ولكن جميع المخلوقات الحية ليست إلا نتيجة قوانين كيميائية وأخرى طبيعية . فالولاد الكيميائية التي تتكوّن فيها خاضعة لقوانين ونظريات الكيمياء وليست نتيجة فعل إجباري للإنسان بل هي عمليات فيسيولوجية محضة مما يجعلنا نحزم بأن أفضل وطباع الكائنات الحية مقيدة بقوانين ثابتة لا يمكن الاستغناء عنها ، ولاشك أن علما بدون قوانين طوعا لم « فوضى » يقطنه مجانين

إن حجرا تقتف به من أعلى في الهواء يسقط دائما تجاه الأرض وداعا يسقط بحالة منتظمة ثابتة . وإذا أكل الإنسان شيئا كثير العسارة فإن هناك غنذا تفرز مادة بالقف تعرف باللعب . وهذه المادة دائما تفرز تبعاً لقوانين فيسيولوجية وكيميائية ولها دائماً تركيب مخصوص حيث تفرز من خلايا معينة وبسبب ثابتة تحت شروط معينة ولا يمكن ذلك إلا إذا كان هناك قانون تخضع له كل هذه الأشياء . فخلا الإنسان لديه قوة يبر عنها بالتفكير والإرادة ، وأما الحيوان فلهذه قوة يبر عنها بالغريزة ، والاميبا والبكتريا التي هي حيوانات طفيلية يمتشي نحوها وحياتها تبعاً لقانون ، وليست حركاتها تأتي جزأاً أو هي متغيرة الأطوار وإنما هي على السوام تأتي بنتائج مؤدبة على الأقل لما فيه راحتها ، ومن ذلك نعرف أن الحيوان مهما صغر فاته خاضع لقوانين لا يمكن له البقاء بدونها ، ولتأخذ الآن مثلاً العنكبوت فانه ينسج بيته بغاية الدقة للقرونه بكل صبر حيث يعمل عقده وحشيه من الخيوط ويكون عمله هذا كأعظم مهندس فني يعمل تبعاً لنظريات وقوانين هندسية محضة ، فيبتدئ بوضع خيوط دائرية ثم يحدد بها المساحة التي يريد النسيج عليها ثم يصنع خيوطاً مشطرية تقاطع في الوسط وتعمل خيوطاً حلزونية أخرى هي عماد ما ينسجه

ولنتقل الى شمع العسل الذي يصنع بواسطة النحل العادي نجد انه لا يصنع جزأاً بل تبعاً لقانون إذ أن كل نحلة تعمل ما يخصها من العمل للقليل ليس إلا ، وكل هذه التحيلات تعمل وتنفذ قوانين الهندسة بعملها خلايا سداسية هي غاية في الدقة والجمال بل وتصل قاع الخلية من ثلاث مستويات تتقابل في زاوية أثبت الرياضيون انها زاوية اقتصادية أي غاية ما يمكن عمله لتوفير المادة والوقت

زد على ذلك أن العمل يوزع بينها توزيعاً منتظماً ينفذ بكل دقة كأنه صادر بمشور ، فبينما يوجد عدد كبير يقوم بملاحظة النحل الصغير نجد عدداً يلبه تغيير أهوية الخلايا وتغيير الماء من العسل بمروحة الأجنحة وعدداً آخر عمله معماري محض يقتصر على عمل قرص العسل ، كما أنه يوجد رعاة بينها لاحضار الحبوب والملح والماء ، هذا خلاف عدد كبير عمله كيميائي يتلخص في تجهيز حامض الفورميك ، وهذا ولم يفت النحل أمر حراسة الخلية حيث يوكل أمر الحراسة الى فريق آخر يحافظ عليها من أي خطر عدائي كأن هناك الملكة التي تلد ، فإذا نظرنا الى ما يحدث بين طائفة النحل نجد انه لا يمكن حدوث ذلك إلا بقانون ينفذ بكل دقة دون أي خلل كعمل الساعة حتى ولو كان في ذلك ضرر بالأفراد

هذا ويوجد خلايا رئيسية هي بمثابة الادارة الحكومية حيث يستمد منها الأوامر ، وهذه بعيدة عن مقر الملكة ، ولقد تتكوّن الخلية من عشرة آلاف غرفة مضرة لوضع البيض

والآن اذا نظرنا الى الطيور نجد انها تتهاجر من مكان الى آخر تبعاً لقانون في أوقات وقصود معينة الى جهات مقصودة ، فأبوجديح طير من ألمانيا الى جنوب افريقيا ويقطع آلاف الأميال ولا يمكن ذلك إلا اذا

كانت حججه هذه طبقا لقانون . والحيوانات التي تعيش قطعانا نجد أن لها قانونا وقواعد تعيش بواسطتها ، فالسفرار تحت محافظة الأمهات ولا حوب بين أعضاء القطيع الواحد إلا في أوقات الجسد كاجتياز رياسة أو قيادة (التخلف)

هذا وحركات هذه القطعان دائما متمشية مع قوانين غير مكتوبة يعاقب كل مخالف لها . مما تقدم نعرف أن القانون في عالم الحيوان أساسه ليس العقل وإنما أساسه الغريزة وكلها تعمل من أجل الصحة والدوام والحفاظ على الأفراد وإطاعة هذه القوانين حياتها ومخالفتها دمارها هذا ما يختص بالحيوان ، ولتلقى نظرة الى الانسان الذى كان في عصره الأول خاضعا لقوانين الحيوان أى القوانين الغريزية كميله الى الغذاء والانتقام من العدو والقتل والحب . ثم وجد نفسه بمضى الزمن محتاجا الى التعديل والتبديل فأدخل ما ارتآه يناسب حالته وعصره فوضع قوانين مدنية وأصبحت القوانين الخاضع لها مزيجاً من الغريزة والوضعية التي استمدتها من الكتب السجاية ومن أفكاره مما جعله حاملا لقيادة الفكرية لجميع الحيوانات . انتهى ما أردته من مجلة « السياسة الأسبوعية » والحمد لله رب العالمين

(نظرات في بلدة المروج)

منذ ليال في هذا الشهر وهو أكتوبر سنة ١٩٣٠ كررت راجعا من حقنا وكان ذلك بعد غروب الشمس في نفس المكان الذى كنت أراقب فيه القمر وكنت تلك المراقبة في (سورة قطر) عند آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - وفيه أيضا نظرت مزروعة القطن وأزهارها وقلتها وكنت ذلك في أول (سورة الصافات)

أقول : في نفس هذا المكان نظرت أمرا عجبا ! نظرت مئات من الغربان أنت أفواجا متلاحقة لتبيت في شجر النخل وقد قفرت فوق الألف لأن النخل هناك كثير جدا ، فلم أكد أراها حتى أخذت النفس تفكر في هذا الانسان ، هذا الانسان ذوالعقل وذوالعلم وذوالأنبياء كيف عاش أجيالا ولم يرتق عن الغربان ! غربان قرية من القرى لا تعيش مع غربان قرية أخرى إذ لا سبيل للاتصال والغريزة لم تعطها ذلك ، ولكن الانسان له عقل ، فإذا فعل بعقله ؟ عقله الخيوى ، عقله الجوهر المكنون . الانسان لا يكون انسانا حتى تكون أمه كلها متحدة . فهذه الغربان التي أشاهدها الآن راجعة الى هذا النخل لتبيت فيه . والانسانية بدون هذا غيبة جاهلة . ولما استتممت فكرتي انطلقت راجعا الى القاهرة وعرفت انى أعمت درس الموضوع بقدر الامكان . انتهى الكلام على الشفرة الثالثة

(الشفرة الرابعة في الفوائد الطبية)

(الكلاب وأخطارها)

قليل من الناس عدد الذين يعرفون الأخطار التي تتعرض لها حياة الانسان من مساكنة الحيوانات الأليفة التي اعتادت عليه فأمن لها وأمنت له . والواقع الذى لاشك فيه هو أن ثلاثة أرباع الأمراض الخبيثة التي يصاب بها الانسان تنشأ في جسمه من المكروبات ائتمالة التي تنس في من كلب أو حصان أو غيرها من الحيوانات التي يقرب منها وتقرب منه

وقد أدركت الحكومات الراقية أخطار هذه الحيوانات فخذرت الانسان منها وعلمته كيف يتق أخطارها بقدر الامكان ان لم يستطع الاستغناء عنها تماما . ورأينا مرات كثيرة على جدران السواثر العمومية في أوروبا وأمريكا صور الحيوانات الأليفة وقد كتبت فوقها بخط عريض عبارات التحذير منها والابتعاد عنها ووصفها

بكونها أعداء الانسان

وبلغ جهل أخطار هذه الحيوانات في الناس أنهم يسمعون لها (لاسيا للكلاب والقطط) بالنوم في أسرهم ويحجب أولادهم جاهلين أنهم بهذا العمل يضعون الموت بجانب أولادهم بما تنفثه هذه الحيوانات في وجوههم من المكروبات القتالة ويمارسون الى جسوم الاولاد من جسوم الحيوانات من الأوبئة الجلدية كالجرب وغيره بواسطة الاحتكاك وانتقال جراثيم الأمراض السريعة العدوى . وأشد الحيوانات الأذية خطرا على الانسان هي الكلاب والقطط . وبحسبنا اليوم بنوع خاص في الكلاب وأخطارها . وقد أخذنا هذه المعلومات الصحية عن اختبارات كبار رجال علم الطب في العالم الرأى الاميركي . وإذا استمع الانسان الحياة بدون كلب في بيته مثلا فليعلم أن حياته أهن وأضع له ولغيره من حياة كلب . ومن الجهل الفاضح أن يعرض الانسان حياته وحياة عائلته لخطر الموت من أجل سواه بمعاشرة كلب أو أى حيوان آخر . ومثل الكلب خطرا الطيور البينة التي يدخلها الانسان الى بيته كالجمال والبيفونات والفوس والصفير وغيرها . لكن أشد الحيوانات خطرا آكلات الأوساخ والموام والبيدان التي تحمل جراثيم أوبئة خيفة

للكلاب مرض خاص خبيث اسمه مرض السود فإن السود الصغير سريع النمو وكثير العدد في الكلاب . وينشأ فيهم أن أكل الموام والحشرات كالبراغيث والعت والعضا كيو القلب . وهذه الموام كلها مسموم وجراثيم أوبئة خيفة محمولة من الأقدار والحيث المنتنة التي تنفذي بها أحيانا كثيرة وبرغوث واحديا كله كلب كاف لاملأ جسمه كله بمكروبات هذا المرض الخبيث ولجعل أمعائه وكل أعضائه الداخلية تعج بالسود الصغير الذي قلما يزول إلا بموت الكلب ودفعه في مكان لاتصل اليه بقية الحيوانات . والكلب المصاب بمرض الجراثيم السودية يعدى سواء حتى بأنفاسه والناس عادة يقابون الكلب في وجهه وفيه ويسمعون له بتقبلهم ولحسن وجوههم ووجوه صفارهم ومنهم من يلعمه بيده ويدخل أصابعه الى فمه ويسمع له بالنوم في فراشه فيعلم بأنه يعرض نفسه للموت السريع بهذا العمل القطيع والقتل

ولو أن الحكومات تأمر الناس بالابتعاد عن الكلاب وتنعى تربيتها وتقتلها كما تفعل في أحيان اشتباها بمرض الكلب (فتح الادم) فيها لأحسن صمتا وتوفر عليها وعلى شعبها أهم أسباب الموت الذي يجعل الناس أسبابه وزادت في رفاهيته وسعادته لأن السعادة تفتح أو يفتح أهم أسبابها من حسن الصحة العمومية وبعد الناس عن الأمراض (١)

﴿ أعراض المرض في الكلاب ﴾

إن للأمراض الخفية في الكلاب أعراضا لاتنفى على الناظر ولكن من الأمراض الخفية مالا أعراض لها في بدايتها ولا يشبه بها أحد فتعدى أسياها بدون أن يشعروا وقبل ظهور الأعراض عليها ، ولهذا سواء ظهرت أعراض المرض في الكلب أولم تظهر فخير لنا إصابه عنا إذلا فائدة لنا منه والرجل الذي لا يستطيع أن يحرس مواشيه أو بيته بنفسه فإذا تقيده الكلاب . والصيادون ينفى عنها أيضا وإذا استغنى الانسان عن الكلب يتحول قسم كبير من عناية الكلب وانقباه اليه بدلا من أن يشكل في كل شأن وعمل على كلبه . وأعراض المرض في الكلب انه يصاب باسهال دائم وضف عزيمة وخوار وفقد شهية الأكل وسوء هضم وفقد النوم في الشتر ، وأجورية الكلاب التي تصاب بهذه الأمراض تصاب باضطرابات وضيق نفس وحك جلدها وتركض من مكان الى آخر باضطراب وتصرخ بدون داع من الألم

(١) يقول المؤلف : وهذه مهجرة اسلامية فقد ورد « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها » وورد وجوب غسل الاناء الذي ولغ فيه الكلب سبعا لإحداق بالترايب

وأهم أسباب قتل هذه الأمراض الى الانسان أكل اللحوم غير الناضجة على النار لاسيما لحوم الخنازير التي تعيش على الأبقار والأوساخ والحشرات . وجراثيم البود تنتقل من الكلب الى الخنزير والانسان بسهولة وسرعة غريبتين وتدخل الى الانسان من فمه ومن حينه بواسطة انفاس الكلب ومنى تكاثره تتجمع في الامعاء . وقد صورت هذه الجراثيم في امعاء كلب فوجئوها نبيض بيوضاً صغيرة لا تكاد ترى بالعين المجردة ويبلغ مجموعها أكثر من ٤ مليون بيضة كلها تنفق وتتوالد وتكبر وتمحو حتى تقتل الجسم كله . والكلاب أيضاً مرض اسمه مرض الجرب وهو مشهور ينتج من وفرة الأبقار والمكروبات على جسمه وتغلغل البراغيث والبق الجر في فيه . وهذا ما يشاهد كثيراً في الكلاب . فإذا أصيب الكلب بمرض الجرب قتلته بقى العائلة كلها من عدوى هذا المرض وجراثيم المنقولة عنه بواسطة البراغيث والبق والبرغش والقمل . وللجرب جراثيم تتولد على سطح الجسم فتأكله وتسقط عنه الشعر وتفسده وتدخل الى داخله تنفقه . أما الأدوية المستعملة لشفاء الكلاب من أمراض البود فكثيرة منها المسهلات القاتلة لجراثيم البود . وعندنا أن أفضل دواء لشفاء الكلب من أمراضه ومنع سريان المرض الى سائر أفراد العائلة هو قتله أولاً بعاده عن البيت الى حيث يموت وحده وتموت معه كل جراثيم مرضه . واننا ندهش من الانسان الذي يعرف شدة أخطار الكلاب والقطط والخنازير وسائر المواشي عليه وعلى عائلته كيف يسمح لها أو لنفسه بعد أن يعرف ذلك أن تقترب منه أو يقترب منها وهو المعروف بأنه الحيوان الراقى الذي يمتاز عن أخيه الحيوان المنحط بسعة العقل والادراك والانتباه والحذر وان لم يكن كذلك يفقد كل حق يدعيه للثفوق على الحيوان الذي يلبس على أربع . انتهى من مجلة الشمس

﴿ فائدة طبية في الخرشوف ﴾

جاء في جريدة الاهرام ما فيه

﴿ فائدة الخرشوف الطبية ﴾

نبحث في هذه المقالة عن الخرشوف من جهة فائدته في مداواة أمراض الكبد . وقد كان الأقدمون يعرفون هذا الامر ولكن أعمال استعماله حيناً من الزمان والآل عاودوا اليه في معالجة اليرقان وحصاة الكبد وفي ذلك من الأمراض التي تصاب بها الكبد وطريقة ذلك أن يخلى ورق الخرشوف ويغلى بالسكر وينرب وقد لاحظوا أن منفعة لاتلبث أن تظهر

وفي الخرشوف مادة تقوى الكبد على التخلص من السموم المتسربة اليها وتساعد خلاياها على القيام بمهمتها وهذا الأمر مهم معرفته الكثيرين لأن المصابين بأمراض الكبد كثير عددهم والناس يهودون شيئاً فشيئاً الى التداوى بالعقاقير الطبية التي كان الأقدمون يعولون عليها في معالجة المرضى وكان الأطباء قد انصرفوا عنها وآثروا عليها الأدوية الكيماوية

ومن النظريات الأولية أن الطبيعة أوجبت السواء بآراء اللداء فهي « مبدئية واسعة » ولكن يجب البحث فيها وتعرف ما تحتوي عليه لوجود أدوية فيها تفضل كثيراً الأدوية التي يلقونها في دور التحليل والسيدليات وتكون معقدة التركيب وقد فهم الناس من عهد بعيد أن الطبيعة بنجوة من التعقيد ولذلك رأوا أن التداوى بالأدوية البسيطة أفضل من التداوى بالأدوية المركبة المعقدة

وفي لبنان أسرتان فيهما أطباء لا يزالون يعالجون مرضاهم بعقاقير يجمعونها بأنفسهم من البرية ولهم منزلة عند أبناء وطنهم ولؤلؤة ثقة عظيمة بهم . انتهت الشذرة الرابعة

﴿ الشذرة الخامسة في فوائد أدوية ﴾

(مقالات في كليات)

جاء في مجلة « كل شيء » ما نصه :

- (١) — « للمواهب المعتلة تكسب صاحبها الجدد وكثيرا ما تفوق شهرته شهرة صاحب الذكاء العالي »
- (٢) — « اذا كنا أصحاب كفاية احترمنا الرجال الحقيقيون . واذا كنا أصحاب سعد وبخت احترمنا جمهور الشعب »
- (٣) — « إن حلاوة اللقاء هي ثمن مرارة القراق . والا ما احتمل هذه المرارة انسان »
- (٤) — « القراق يطبخ الشهوات الصغرى ويزيد العظمى كالريح تطفى الشمعة وتزيد النار التهابا »
- (٥) — « كثيرا ما تصادفنا في هذه الحياة مفاجآت لا تتوّل إلا باستعمال شيء من الخلق »
- (٦) — « ليس بين المصائب مصيبة لا يستطيع اللبيب أن يجنى منها فائدة له ولا الفحى أن يجنى منها شرّا عليه »
- (٧) — « اذا كلن المرء لا يصطنع لنفسه أصدقاء جددا كل يوم الى نهاية عمره فسيجد نفسه وحيدا . فالواجب عليه أن يرم صداقته على الملوم »

﴿ الماء والصحة ﴾

الماء أهم مواد الطعام طرا والرجل البالغ الصحيح الجسم يحتاج كل يوم الى (٧٠) أوقية ماء حتى (١٠٠) أوقية . وثلاث هذا القدر من الماء في الطعام الذى نأكله فان الأعمار والبقول تحتوى على مقدار عال من الماء بالنسبة الى قيمتها الغذائية . أما الثلثان الباقيان فنشربهما ماء أو سوائل أخرى ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان جسم الصحيح البالغ يحتاج الى نحو ستة أرطال ماء يوميا
 ووظيفة الماء بناء أنسجة الجسم وتحليل الطعام وبذلك يساعد على حله الى الدم وتنظيف الامعاء ومنع تجمع الفضول فيها مما يقضى بجمعه الى تسم الجسم كذلك ينه غدد اللعاب في الفم على الإفراز واللعب يساعد على هضم المواد النشوية في الطعام ويحل المواد الملحية والسكرية . انتهى من مجلة « كل شيء »

﴿ لطيفة ﴾

(في قوله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله)

وأولئك هم أولوا الالباب -)

هذه الآية أصل عظيم في الاسلام توجب أن تنقب الأمم الاسلامية عن العلوم والصناعات والاخترعات وتصفى أحسن ما أنتجت عقول الأمم وأبداع ما أبرزته مباحث العلماء وخبر ما أظهره الجندوا برزه الاجتهاد وأدى اليه القياس وأوضحه الدليل واضرب لهذا مثلا واحدا من آلاف . ذلك اختزال الكتابة فاسمع ما جاء في جريدة الاهرام يوم الجمعة ٤ يولييه سنة ١٩٣٠ وهذا نصه :

﴿ طريقة الاختزال في الكتابة ﴾

(اختراع شرقى لا غربى)

حضرة صاحب العزة المفضل ورئيس تحرير الاهرام الفراء . يظن الناس أن طريقة الاختزال في الكتابة هي حديثة العهد وإن الذين اخترعوها هم الغربيون أسوة بغيرها من المخرعات التي اخترعوها

ولكن الحقيقة ان هذه الطريقة هي قديمة العهد جدا والذين اخترعوها هم الصينيون منذ نيف وأربع مئة .
والدليل على ذلك ما جاء بكتاب الفهرست لابن النديم المتوفى في أواخر القرن الرابع الهجرى صفحة ٢٥٢٤
طبع مصر قال : والصين كتابة يقال لها كتابة المجموع وهو ان لكل كلمة تكتب بثلاثة أحرف وأكثر صورة
واحدة ولكل كلام بطول شكل من الحروف يأتي على المعاني الكثيرة فإذا أرادوا أن يكتبوا ما يكتب في مائة
ورقة كتبوه في صنف واحد بهذا القلم . قال محمد بن زكريا الرازي قصدي رجل من الصين فقام بحضرتي نحو
سنة تعلم فيها العربية كلاما وخطا في مدة خمسة أشهر حتى صار فصيحاً حاذقاً سريع اليد فلما أراد الانصراف
الى بلده قال لي قبل ذلك بشهر اني عزمتم على الخروج فأحب أن تعلمي على كتب جالينوس الستة عشر لأكتبها فقلت
لقد ضاق عليك الوقت ولا يبقى زمان مقامك لنسمع قليل منها فلهذا لفتني أسألك أن تنهني نفسك مدة مقامي وتعلمي
على بأسرع ما يمكنك ففي أسبغك بالكتابة فتقسمت الى بعض تلاميذي بالاجتماع معا على ذلك فكتنا على عليه
بأسرع ما يمكننا فكان يسبقنا فلم نصدق الا في وقت المعارضة فانه عارض بجميع ما كتبه وسأته عن ذلك فقل
ان لنا كتابة تعرف بالمجموع وهو الذي رأيتم اذا أردنا أن نكتب الشيء الكثير في المدة اليسيرة كتبناه بهذا
الخط ثم ان شغلا نقلناه الى القلم المتعارف والمبسوط . انتهى

واذا كان هذا الكتاب قد طبع لأول مرة في أوروبا سنة ١٨٧٢ ميلادية فلا يبعد أن يكون الغربيون لما
اطلموا على هذه الطريقة أخذوا في الاسباب التي توصلهم اليها كما توصلوا الى غيرها من المخترعات الأخرى
وفق الله الشريكين الى اقتفاء أثر الغربيين الى ما فيه نفع المجتمع الانساني

وهذا هم الكلام على سورة الزمر والحمد لله رب العالمين

(ثم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثامن عشر من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم
وبليه الجزء التاسع عشر وأوله سورة غافر)

(الخطأ والصواب)

غلينا التصحيح ففاننا سقط وأغياہ أخرى يدركها القارئ بلا تنبيه . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وما هو ذا :

صواب	خطأ	صحيفة	سطر	صواب	خطأ	صحيفة	سطر
التجارة انتهى أقول	التجارة	١٢٠	٩	العلم	لعلم	٣٣	١٠
مرضاء	مرضاء	١٢٥	٥	ألفا و	ألفا و	١١	١٦
يتوهم	يتوهم	١٢٦	١٢	محوطة	محاطة	٣١	١٦
لاتؤدى	تؤدى	١٢٨	٤	قطر	قدر	٥	١٧
النبات	النبات	١٣٢	٩	اليقطينه	اليقطينه	١١	٢٣
منجى	منجا	١٥٠	٩	بانت	بانت	٣	٢٩
يثاب	يجب	١٥٣	٣٣	ابتداء	ابتداء	٦	٢٩
انكارا	انكار	١٦٢	١٩	والربى	والربى	١٠	٣٠
البروستاتى	البرنستاتى	١٧١	٢١	عليها	عليه	١٥	٣١
الأحوال	الأحوال	١٧٢	٢١	صريع	ربع	١٦	٣٩
وتتقف	وتتقف	١٧٢	٢١	من لم يتعمق	من يتعمق	١٩	٣٩
ونشوء	ونشوة	١٧٢	٢٧	هذا	والتور هذا	٢٣	٤٩
الحاله	الحاله	١٧٣	٧	منظرفغيره	ينظرفغيره	٢٤	٤٩
القرية	القرية	١٧٣	١٠	والثالث أوالرابع	والثالث والرابع	٢٣	٨٨
من	من	١٧٣	٢٠	ينى	ينى وين	١٩	٩٠
١٣٥٠	١٣٥	١٨٢	١٣	لم يحز	لم يحز	٥	٩١
البن	البن	١٨٨	٧	ظبيان	ظبيان	٢١	٩٢
تحت العنوان	تحت	١٨٩	٣	واصبر	واصل	٦	٩٣
س من	س من	١٨٩	٢٩	خلفاءها	خلفاؤها	٣٤	٩٩
ول	ول	١٩٠	٨	زن	ازن	١٠	١٠٤
تكون كنافه غبار	يقل ضوء الشمس	١٩٠	٩	فأنى	فأنى	٢٥	١٠٤
أكثر من كثافة	١٩١	٢٢	٩	إياك	إياك	٢٧	١٠٤
ما هو أعلى				ليقعد	ليقعد	١١	١٠٧
يكونان	يكونا	١٩٢	٥	فساررته	فساررته	٢٩	١٠٧
التاسع	لتاسع	١٩٣	٢١	والاقتون	والاقتون	٢٨	١١٥
السريان	السريانى	١٩٥	٢٦	والقنيط	والقنيط	٢٢	١١٧
وفى الرابع	وفى الرابع	٢٠٢	١	والقنيط	والقنيط	٢٣	١١٨
				الجنح	الجزع	٣٥	١١٩

صواب	خطأ	سطر	صفحة
إذا	وإذا	١	٢٠٥
عليها	عليهما	١٨	٢٠٥
روحاً مسكينة	روح مسكينة	٣٣	٢٠٧
علوم	علم	٢	٢٠٩
أحصل	أخضاب	٣	٢١٠
لهم	له	٧	٢١٤
وموافقة الحياة	وموافقة والحياة	٣ و ٢	٢١٦
وغلبة	غلبه	١٥	٢٢٤
تجتمع	تجتمع	٢٥	٢٢٧

(تم)



فهرست

(الجزء الثامن عشر)

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صفحة

- ١ ﴿سورة الصافات أربعة فصول : الفصل الأول﴾ في تفسير البسملة
فكرت قبيل ج ٢٤ مايو سنة ١٩٣٠ في تفسير البسملة في سورة الصافات
لما تجلت لي أنواع الجبال في هذه الدنيا حين جبت النسيات وتميلت الأغصان رأيت أن الدنيا عجوز
شوهاء عند الجهلاء وهي عروس ليست الخلى وزينت عند الحكماء . فهنا زينت : زينة براها البصر
بالأنوار والجبال وزينة تدركها البصيرة بسبب الرحمة ، ذلك كله في البسملة التي يقرؤها الجهلاء ولا يعرفونها
إن الرحمة في هذه السورة تذكرنا بجبال السموات والأرض والمشارق والغارب وزينة الدنيا المذكورات
في أولها ، ومن الرحمة محاورات القراء إذ يلوم كل منهم الآخر تذكيرا للفكرين وتقريرا للعاقبين ،
ومنها تساؤل أهل الجنة وقول بعضهم انه لم يعبأ باغواء قرينه له في الحياة الدنيا ، إذن الانسان له ﴿ثلاث
حالات : أولاً﴾ تكون له حياة ومن أسبابها هذه الأنوار ﴿ثانيا﴾ تعرض له الشبهات ﴿ثالثاً﴾
إذا خلس منها فقد كملت حاله ، وهذا كله في الآيات بالترتيب ، وبلى هذا تطبيق وهو نجاة نوح ومن
معه إبراهيم واليس ووطوبونس . ومن عجب أن ﴿سورة الصافات﴾ خلست في آخرها كما خلست
﴿سورة يس﴾ كذلك في هس الآيات
٧ ﴿الفصل الثاني﴾ كتابة الآيات من أول السورة الى قوله تعالى - لإعباد الله المخلصين - مشكلا
بالحرف الكبير
٩ التفسير اللفظي لهذا الفصل من أول السورة الى قوله تعالى - فأتبعه شهاب ثاقب -
١٠ إيضاح قوله تعالى - لإمن خطف الخطفة - الخ ويبان أن هذه العوالم ملكة بدعية ولن يكون أهل
الملكة سعداء إلا اذا حفظت من الأشرار والأشرار هنا هي النفوس الضعيفة من الآدميين ومن الجن
وكلاهما مطرود عن الحكمة ، فأكثر أهل الأرض اليوم يعيشون وهم لا يدرون ماهذا الوجود بل
حياتهم كلها وقف على الشهوات والأحوال الجوفية فهم يقدفون من كل جانب دحورا بشهواتهم والشياطين
يقدفون بالشبه والطاقنتان لم ينالا الحكمة المحيطة بهم
١١ مثال يوضح أن الخطفة تكون حسرة تقوم وهدى لآخرين كأن يسمع رجلا آية - المال والبنون
زينة الحياة الدنيا - فأحدهما يتحسر على ذلك والآخر يهتدى
﴿لطيفة﴾ في أن مسألة الشهب كانت عند القدماء في الاسلام مشككة في الفاسقة القديمة ولكنها في
الحديثة مواظبة للقرآن . أسرار القرآن في علم الأرواح والنصوف وأن الأرواح العالية لا تخاطب إلا نفوسا
تقية والأرواح الناقصة تسر بمعاذرة الجهلاء
١٢ يبان أن كشف حجاب الحس ليس مقصودا لا كابر وماهو إلا لنة من لئات النفوس يقصدها قوم في
الحياة وهذا جهل والصوفي للغمر بمجرة ماوراء الحس مخدوع وذلك استدراج له ، ولا فرق بين الصوفي
الذي قصد بالعبادة معرفة زمن موت زيد وحياة عمرو وبين محضر الأرواح الذي يقصد أمثال ذلك

والفرقان اذا قصدا رقى الانسانية بالعلوم العاتية فهما عمسوحان
تفسير الآيات من قوله تعالى - فاستفتحهم أهم أشد خلقا - الى قوله - إلا عباد الله المخلصين -

١٤ ﴿ وصف أهل الجنة ﴾ ما كلمهم ومجالسهم وشرابهم ونسأولهم ، وحديث أهل الجنة
١٥ جوهره في قوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا - الخ والكلام على المجرة ومركز الكائنات ، وبيان
رأى الدكتور (شابل) الأمريكى وهو أن الكون لا فراغ فيه وأن الشمس لانهاية لمددها وأن بعض
المجرات يصل ما بين طرفيها الى ما يزيد على ألف الملايين من السنين النورية . وأن نظامنا الشمسى مع
مجرتنا كرة واحدة تدور بسرعة (٢٠٠) ميل فى الثانية كما تدور الأرض حول نفسها ولا يتم دورته فى
أقل من (٣٠٠) مليون سنة والمسافة التى يجتازها المجرة تبلغ نحو ١٦٠ مليون مليون ميل ٨٩٢
ألف ميل ، وكرتنا الأرضية كطفل حديث الولادة فى الأجرام الفلكية ، ومركز الكائنات نقطة بين
العقرب والحية والراعى ، وهذه النقطة تبعد عن أرضنا بنحو (٥٠) ألف سنة نورية وعدد نجوم مجرتنا
يبلغ عشرة آلاف مليون نجم والمركز المتقدم حوله (١٠٠) مليون نجم من هذه الملايين وتخانة المجرة
تبلغ نحو (٥٥) ألف سنة نورية

١٧ ولكل كوكب حد لا يتعداه والتجمع المسمى (منكب الجوزاء) شمس تسارى (٢٥) مليون شمس
كشمسنا ، وقد عرف الناس مجرات كثيرة بواسطة التلسكوب ، ومتى أنشئ تلسكوب مرصد (مونت
ويلسون) الجديد الذى يبلغ قطره مئته (٢٠٠) بوصة فسرى الناس بمجائب كثيرة ولوأصيبت مجرتنا
بكوأكبها البالغة (١٠) آلاف مليون كوكب أصبح أقرب المجرات اليها لا يعرف هذه الاصابة إلا بعد مئات
الآلاف من السنين لأن الضوء يظل متصلا تلك المدة لشدة البعد ، وإذا كانت المجرة يومها (٣٠٠)
مليون سنة ، فمألة خلق العوالم فى ستة أيام أصبحت سهلة جدا ، وأذن اليوم عند ربك يكون ألف
سنة و ٥٠٠ سنة و ٣٠ مليون سنة وأكثر من ذلك وأقل إذن أسرار القرآن ظهرت فى هذا الزمان
١٩ ﴿ الفصل الثالث ﴾ فى قصص الأنبياء من قوله تعالى - وقد نادانا نوح - الى قوله - فغتنمهم الى
حين - كتب مشكلا

٢٠ التفسير اللفظى لقصة نوح وإبراهيم وموسى وهرون والياس ولوط ويونس
٢٣ أحوال التوراة فى مسألة يونس ، وبيان الكلام على يونس وإبراهيم وأن الأول نجل والثانى صبر
﴿ الفصل الرابع ﴾ من قوله تعالى - فاستفتحهم - الى آخر السورة
التفسير اللفظى لهذا الفصل

٢٥ ﴿ لطيفة ﴾ فى آية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ وخواطر المؤلف فى ذلك . وبيان أن الانسان حين
يرى الكواكب تكون له حال من أربع (١) إما أن يرى بصره فقط (٢) أو يحس مع ذلك بالجمال
(٣) أو يفكر فى بدائع الحساب والنظام (٤) أو يفكر فى صفات الذى أبدعها ويستغرق فى حبه ، وكل
مرتبة تتوقف على ما قبلها ، فالأولون همج ، والآخرون هم الأعلاون ، والثالث والرابع متوسطون

٢٧ وكما أن الناس اذا نظروا الكواكب لهم هذه العرجات الأربع هكذا الذين يقرؤن القرآن لهم هذه الدرجات
(١) فمنهم من يكتفى بالألفاظ (٢) ومنهم من يكتفى بالبلاغة (٣) ومنهم من يزيد فيعرف العلوم السكونية
(٤) ومنهم من يفكر فى صفات خالق العالم ، وفطرات العلاقة على هذا النمط ، فطاليس الماثلنى
وديموقراطيس (١) كالفرقى الأول وقفوا عند المادة وقولوا : « أصل العالم الهواء أو الماء الخ » ثم

جاء السوفسطائية (٢) فتعبروا (٣) ثم جاء فيثاغورس وأنبذ قلس . فقال الأول : « أصل العالم الحساب » وقال الثاني : « أصل العالم المحبة والنفور » (٤) وجاء آخرون وهم أنكساغورس وسقراط وأفلاطون فقالوا : « للحساب حاسب ، فالعالم له إله أبدعه » وهذه التبرجات الأربع لا يثبت عنها عالم في عصرنا الحاضر . فكل المتعلمين في المدارس المتعبرين هم من الفريق الثاني ، وكل من يقولون « إن الإله موجود ولكنه ترك العالم » فهذا مثل أنكساغورس لأنه أثبت الإله ولكنه يقول إنه ترك المادة أما سقراط ومن بعده قائمهم يقولون : « إن الله يعلم كل جزئي وكل »

٢٨ وهذه النظرات الأربع لها نظائر في نظرات التحليل الأربع : للكوكب والقمر والنمس ثم وجه وجهه لله . فهذه أربع كرات مابقتها . وهنا بيان أن هذه النظرات الأربع عند كل الأمم تتأخبا أن تكون جزءا للحسنيين ، وهل جزءا للمحسنين إلا الفرح بحرفة الحقائق الكلية ومحجوب المصنوعات تفصيلا فلا يقف الإنسان عند الاجال ، ولا يصعل عقله . وقفا على الامور الجزئية فهي باب الضلال والحيرة كأن يرى التفكير فقيرا والغبى غنيا وهكذا ، وكأن يدهش إذ يرى القيل وهو كبير له أربع قوائم ، والبقي وهو صغير له ستة أرجل وجناحان فتكون هناك الحيرة ، فهذه الامور من لم يكن مرناضا بالعلوم حيرة فأصلته ، ولكن السعيد من يزداد بصيرة بحرفة الجباب تفصيلا

٣٠ وهنا حكايات قصص العلماء فتفهمهم إذ همجروا عن ادراك الحقائق الحكيمة ، فيذكر لهم قصة ذلك الفارس الذي شرب من ماء العين ونسى صرّة فيها دراهم وجاء بعده راى غنم فأخذ الصرّة وجاء بعده رجل حطاب مقوس الظهر يحمل حزمة حطب خطها واستلقى لجاء الفارس فسأله عن الكيس وهو لا علم له به فقال لا أعلم فقتله ، ثم ظهر بعد ذلك أن أبا الشيخ الخطب قتل أبا الفارس وكان على أبي الفارس دين لأبي الراى بمقدار مائ الكيس ، وهكذا حكاية الى الذي رأى غلاما مكفوقا والصبيان يقصونه في الماء فدعا الله فردّ بصره فلما أبصر أفرق حالا أحد الصبيان وطلب غيره فهرب الباقون عرف الحكمة وطلب من الله أن يرجعه كما كان ، ومن ذلك حديث الخضر وموسى في القرآن وبالأختصار :

(١) إن النظر في العوالم يقربنا من الله

(٢) وأن النظر في الامور الجزئية يجعلنا في شكوك

(٣) وأن العلماء تفكرون يحصل لهم يقين وهو نفس السعادة أما العامة فكفاهم حكايات كما تقدم

٣١ (٤) المصلحة الثانية في آية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ . اذا كنا نسمع سقراط وأفلاطون ومن نحا نحوهما يقولون : « إن المادة لاتصلح مناطا للعلم لسرعة تغيرها ولا يصح أن تسمى موجودة إذ لا معنى لما هو متغير » وترى أرسطاطاليس يقول لهما : « نعم المادة لاتصلح مناطا للعلم » ولكن المثل الأفلاطونية التي جعلها أفلاطون مناطا للعلم لاتصلح لذلك لأنها لا دبل على وجودها ، فهكذا هنا نحن نقول : إن ما هو متغير لا يصلح مناطا للسرور والفرح ، وجميع الزينة على الأرض قسبان : طبيعة كالأزهار والأشجار ، وصناعة كالزينات المنصوبت في الولايم وما أشبهها ، والعامة أكثر فرحا بالصناعة منهم بالطبيعة لأن الصناعة فعل مخلوق مثلهم والطبيعة فعل الله ، أما زينة السماء فأكثر الناس عنها غافلون ٣٣ ذلك لأن أكثر الناس مغمورون في الشهوات من النساء والبين الخ فليس عندهم وقت للتفكير في مثل هذه العوالم العجيبة ، وأما زينة بعض الملوك والأشراف ومحوهم فهي على قدر عقولهم فتعبرهم . فهوؤلاء كالشياطين الذين جاء فيهم - وحفظناها من كل شيطان رجيم - الخ وانما حرموا لضعف بصائرهم - فلجلال كالفه في آية - ولا تقوتوا السفهاء أموالكم -

٣٤ بهجة العلم في آية - إنا زينا السماء الدنيا - الخ . في ليلة ١٩ يوليو سنة ١٩٣٠ بت مع الفلاحين في القرية وقد شاهدت الجمرّة . ولما طلع الفجر خيل لي أن هنا ستارا أسدل على الزيجوم وعلى الزرقة السماوية . وهذا الستار لاهومن قطن ولاصوف الخ بل هونسيج أدمجت فيه الصغرة والخضرة والحرة الى آخر الألوان السبعة . وما هذا النسيج في مادة بل هوسوكلت في الأثير . فهذه الحركات بانتظامها صارت ستارا مكوتا من سبعة ألوان فصار أبيض وسحب تلك الجبابب الليلية . وهما فصول متعاقبة من الليل والنهار تشابه الفصول الله قبة في النفوس الانسانية التي تنام فترى مورا في الأحلام عجيبة . فإذا أغضض الانسان عينيه رأى مورا عجيبة في الأحلام هكذا اذا جئنا الظلام رأى في السماء مورا عجيبة . واذا استيقظ ذهب تلك الصور الخلبية . هكذا اذا طلع الفجر غابت تلك الصور السماوية . ولقد قلد الناس في دور التمثيل صنع ربهم . فهم اذا أرادوا اظهار صور عجيبة تسر الناس أنفقوا المصاييح وأظهروا تلك الصور التمثيلية . فاذا أعوا علمهم أمثالا المصاييح فرأى الناس بعضهم بعضا كما يحصل نظيره اذا طلع النهار . هذا تقليد الناس لفضل ربهم في صنعه الليل والنهار . ولقد قلدوا حيوانات كثيرة . قلدوا الجرذان في الحياة تحت الأرض والقطا في الحياة في الأدواح واتخذوا يوتكا كما اتخذت الفل وهكذا . ولقد كان نسيج الصباح جيلا مصنوعا من الحركات البديعة لأنه نسيج اللطيف الخبير الذي جعل نسيجه فيما هو لطيف . فأما الانسان فنسيجه في المادّة وهي غليظة

٣٥ نظر المؤلف في المزرعة إذ تبنت الزهرات المختلفة وهن ذوات ألوان بهجات وقال كأنهن ينظرن الى كما كنت أنخيل النجوم تفل ذلك ليلا وآنت القطن قد بدا من أكامه وخيل لي الدنيا كأنها عروس بهجة جميلة قد ارتبت لتناظرين والزهرات ومامها بلسن على وهن باسنت عليات بأقراط من الماس من الندى فلم أعمالك نفسى أن قلت : « يا الله . أفعم هذا الجلال كله يكون خوفا منك ؟ فن جهل هذا فهو أحق بالخوف منك . أما الحكيم فن حقه أن يرح بك »

الجاهل زين الله له شهوراته والحكيم زين له السماء والطبيعة . إحساس المؤلف بأن قراء هذا التفسير لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة بالمسررات بجمال هذه الدنيا وأكثر الناس بموتون ولا يفهمون هذا الجلال . إذن الدنيا أزيّفت لهذه الطبقة وأمنالها وسواهم جميع المجمع

٣٦ ماحقيقة السموات ؟ وهل للنور وزن ؟ وإذا كان لور يبقى طويلا ؟ فليست الأرواح أولى بذلك السوام . أدلة القمءاء والمحدثين على أن السماء وجودا . فلا يؤتون استدلو بالنور والظلمة فهما عرضان دما بجوهر أوجوه ران . إذن هما موجودان . والمحدثون قالوا انها موجودة لأن الأثير الذي تخيلناه بحمل انتقال هذه الكواك التي لاحد لها . ان كثافة للمليحتر الواحد من هذا الأثير الذي تخيلناه لا تنقص عن (٢٢) ألف قطار وهذه لانظر لثقله في المدة . إذن ظهر سر آية - وبيننا فوقكم سبع شدادا - وهما بيان الأوصاف انفسه للأثير من كونه شفافا كشيء مرنا لحوارة له ولادوت وفيه الجاذبية بقسميها وهما ذكر آراء (نيوتن) فيه انه أشبه بالجبر وهو يصن القائل انه ذرات الخ وفرل القرنى وكوتنى وجورج توكس وماكسول وامقايين وايشتين . وبيان أن النور الخارج من الشمس في الثانية ٤ ملايين طونولات . ذلك انهم وجدوا أن الأشعة المكشنة المنبعثة من جبار قوه (٥٠) هاتا في مدة (١٠٠) سنة لاتبلغ أكثر من جزء من عشرين - الأوقية . ولو كان هذا المقدار من تراب الأرض لأقيم به عمود قاعدته (١٠) بردات مربعة وارتفاعه ربع ميل . وهذا اقدار أيضا يحتاج في حله الى ١٠٠٠٠٠٠ قطار في كل ثانية وكل واحد منها يحمل (٤٠٠) طونولات . هذا ولا جرم أن الضوء نراه بعد مئات

الملايين من ابتداء خروجه من كوكبه . فإذا كانت هذه حال الضوء فالأرواح بقاؤها من باب أولى فهو دليل على الحياة الأخرى بطريقى قياس القليل

٤١ وذكر أن المؤلف نام ليلا في الحقل في أواخر يوليو سنة ١٩٣٠ واستيقظ قبل الفجر ورأى الكواكب بهيئة لم يهدها في المدن ولا في القرية التي ولد فيها لأن هيئة النجوم في جهات الجبال والصحارى غيرها في المدن وبلاد الريف وهبت النسيم واضطربت بحسب منظر العين تلك المصاييح وهن راقصات مستبشرات ، ورأى البيران والقرى والحقعة والحلقة ونجوم الجبار

٤٣ امتحان عقول الناظرين من الأمم في الأرض :

(١) فالبديوى تخيل القمر رجلا واقترأ امرأة وقد طلبها للزواج فأبت فأرسل إليها اله بران ليقتم لها مهرا وهو الكواكب السبعة اللائى تشبه شكل الدال فهو أبدا يسوق الغنم لها وهي أبدا لا تقف ولا ترضى

(٢) والعاشق العربى تخيل الليل خيمة جعت ومضوقته سلمى

(٣) والعاشق الاسلامى مخاطب الليل متخيلا انه كافر وانه هو يجاهد ذلك الكافر ويوازن بين محبته وبين البدر ويفضل محبته على البدر

(٤) والشاعر الهنئى وقف يباب الأمير يستجديه لتأخر الأم الاسلامية في القرون المتأخرة بتخيل الجوزاء المتقمة واقفة أمام الملك أو الأمير وهي ذات نطق ، وبيان ما قاله (سديو الفرنسى) من أن شعراء الاسلام يساويون في العند شعراء الأمم والأندلسيون لما أغرموا بالشعر نسوا عقولهم ودينهم ووطنهم فطردوا من البلاد وهذا قوله تعالى - والشعراء يقيمهم الغاويون - الخ وبيان أن الشاعر العربى كان يتخزل في محبته فلا يذكر اسمها غالبا وشعراء الجاهلية يمدون على الأصابع وفي العصر الأموى كانوا أضعافهم ، وهنا كثر القول والتشبيب لاسيا في المدينة التى غمر معاوية أبناء الصحابة القاطنين بها المال فكثر التصف والفناء لوفرة المال وكثرة السبايا والمخيطات من الجوارى المسييات في الحروب فهو لاء أصبحوا مفرمين بزينة الشهوات لابزينة السماء المذكورة في هذه الآيات فقد زينا الله لناظرين وأكثر هؤلاء ينظرون الشهوات ، وقد منع الخلفاء الراشدون التشبيب وانغمس المسلمون بعدهم في الشهوات ، وكتب الأغاى أكبر مفسدة اسلامية

■ نداء للمؤلف لأم الاسلام يذكرهم بأن أبناءهم أمانة في أيديهم فليرقعوا عنهم الشعر الموج للشهوات في شبابهم وليقتصروا على شعر الحاسة والأدب والنخوة والشرف كقول عمرو بن كلثوم :

إذا ما للام سام الناس خسفا * أينما أن قهر القتل فينا

وليعرفهم الزينة السجاية والأرضية وهما يشملان جميع العالوم فان الله ابلى أهل الأرض بالزينة . فالغافلون من المسلمين وغيرهم زينتهم الشهوات كالبهايم والشعراء ونحوهم والنحواس زينتهم الطبيعة من سموات وأرضين والفرجة عرفوا قيمة هذه الزينة فأذلوا المسلمين لأنهم لم يفهموا في هذه القرون - وزيناها لناظرين -

٤٦ بيان أن العلم جنة العارفين وأن الاقتصاد على الجنة الحسية انما يكون عند الجاهلين . ولانهم أن لذات العقول أرقى من لذات الأجسام . وبيان مراتب الناس في اللذات . وبيان أن الشهادة والحب صفتان بهما سعادة الانسان في هذه الحياة ومن لم يعرف الجهاب لا يدخل الحب قلبه . ولغة معرفة الجهاب فوق اللغة الضمنية والشهوية بمالحة له وكلما ازداد العارف علما ازداد لفة . وذكر كلام الامام الغزالى

في سبب تفاوت الناس في الحب . وبيان أن الجدل في هذه العجائب السالوية والأرضية لاحد له والانسان يدركه وهو صغير فيعناذه فلا يفهم له معنى وهكذا يدوم على ذلك حتى يموت وهو لا يفقه ، فأما المتفكر فإنه يقول في نفسه : « إن أعضاء جسمي ملهشة بديعة التركيب وهكذا روسي وكل موجود في الأرض وفي السماء ولكن هذه الدلائل لاحد لها فصارت كالشمس والشمس تبهر العيون فكذلك هذه العجائب بهرت بصيرتي فجهزت عن الادراك ولولا أن النور يغتنى بغياب الشمس ما أحركتنا أن ههنا نورا ولكن السر الإلهي لم يغب عن الوجود لحظة . فالنور عرف بظنه وهذه الشواهد لم تفقدها لحظة فكيف نعرفها كما عرفنا النور بالظلام أي بظنه

٥٠ ﴿ زبرجدة ﴾ في قوله تعالى - فأتبعه شهاب ثاقب - والكلام على حوادث كوكب الأثير من الشهب الساقطة واقطاف الكواكب وذوات الأذئاب . وبيان آراء القدماء الذين وصفوا هذه الشهب بأنها أممعة مغروطة فاعدتها تلى كوكب النار (التي كانوا يعتقدونها تابين علماء اليونان) ومغروطها على وجه الأرض وهي في رعيمهم دخان يابس خارج من الأرض اشتعل هناك ثم انطفأ كالسراج المشتعل بالنفط مستدلين على أنه دخان بأنه يظهر أيام الجلب أكثر ومثالوا لها بالكوكب التي يلعب بها أصحاب الغيالات المبهونة من سندروس وعقابر أخرى ويضعونها في أفواههم ويرقصون بها . ويقول علماء العصر الحاضر . كلا . ثم كلا . إنما الشهب أجسام صغيرة لاتزيد الواحدة منها عن حجم البلاطة وهي تدور مع كراتها حول الشمس في كل (٣٣) سنة مرة واحدة ولا تحصر لمدتها وقطر المسيمات منها بالأسديات (١٠٠٠٠٠) ميل أو أكثر والتي يخترق جونا ونعروفه منها في كل سنة (١٥٠) مليوناً وآلاف آلاف منها تصيب أرضنا وتبقى فيها . هذه هي الشهب . أما الكرات النارية فهي تظهر وتختفي بسرعة ولكنها أبداً من الشهب وهي تتزق بالقرب من الأرض وفي تركيبها الحديد والسليس والميزيا والنيكل وغيرها وأعلى ارتفاعها (٢٠٠) كيلو وهي قطع صغيرة إذا قربت من الأرض جذبتها وهي السماء بالجملة الجوية . وههنا أوضح المؤلف الفرق بين ما زعمه القدماء وبين ما حققه المحدثون . هذا ما جاء من جهة العلم . أما من جهة الدين فإن الأرواح الشيطانية تعيش في هذا الجو ونحوه وهذه الكرات والنيازك تنفص عليها حينها فلا تنكسر في الحقائق والمعارف وتصرف عنها وتحفظ السماء منها كما تصرف العلم عن النفوس الانسانية الجسمة الشيطانية سواء بسواء وهذا بعض عذاب البرزخ وناره

٥٤ ﴿ المائدة الثانية ﴾ في قوله تعالى - أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم - وبيان أن الناس قسبان : عالم وجاهل . فجاهل كالنود والحكام على قبيضهم . وكل فريق لا يعيش إلا مع مثله . والمسيح مسيحان مسيح صادق وهو معروف . ومسيح كاذب . ويرمز بهذا لكل الأمم والأفراد المضلين الذين يظهرن الصلاح ويضمرون الفس كمن عمل دولة أوروية ببلاد المغرب وكما قاله هفري الفرنسي . إن الخير جلبتها أوروبا للجزر لربها لك المسلمين بها فغهم الدين . فأمثال هذه الأمم المقصودون على طرق الرمن بالمسيح البهال وهم الذين سهوا دخول المختبرات بلادنا . والذي كشف هذا رجل انجليزى وهو الحكمدار بمصر فكشف أن الكوكابين والهروين يسمان الأجسام . وقد جمع الشرطة (٢٥٠) رجلاً من هؤلاء المدمنين . وههنا قصص البحار التي ابتلى بهذه المختبرات وطلب من امرأته أن تباع عرصها وأجر ابنته في المنازل للخدمة

٥٧ صور هؤلاء المدمنين (شكل ١) وههنا أظهر الحكمدار (رسل باشا) أن هذا الداء أشر من الفلاحين وعاب أوروبا على أنها أهلكت مصر بهذا ومن تلك النول المهلكة لمصر سويسرا وألمانيا وفرنسا

وايطاليا واليونان ونحوها . هذا كله من تفسير قوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم - فهؤلاء حشروا معا في السجون وصوّروا بالتصوير الشمسي ، فكل طاقة لاحتسار أفرادها إلا مع أستاذهم والذي حشرهم هم الدجالون الأوروبيون المستعمرون أولا والصانعون لهذه المختبرات

٥٩ بيان السبب في انتشار المختبرات بمصر وهو الجهل الذي فتنا بين أهل الأندلس المسلمين قديما فشقت شملهم حين اتفق الصليبيون على محاربة العرب بانخر واحتقار الدين وبث حب الشهوات والاستدانة بالربا وفرح الملوكة بها وخالفهم رجل منهم فلم يعبأ به ، فانقضت المواقف وطرد المسلمون من هناك ، وهامهم أولا يطاردون المسلمون في الشرق ، فهم أتباع المسيح الدجال فضلا ، ألم يقر رهاب اسبابي فيسقى أبناء المسلمين تلاميذه الخمر بعد أن صصر عن قربطه كلها لجعله خرا

٦١ ذكر اعترض على المؤلف بأن هذا خارج عن الآلة لأنها في الآخرة وجوابه بأن الآلة تشمل هذا كما كان يفهم الصعابة ، ألم يشهد عمر بن الخطاب بن زياد لما قال له : أريد لك طعاما ألين من هذا بآلة - أذهبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - فلم يقصرها على الكفار وإن كانت واردة فيهم الكلام على آلة - وقفوه انهم مسؤولون - الخ وخطب من المؤلف للآثم الاسلامية ومنها بلاده المصرية

٦٢ يقول لهم : وكفوا عن الجلاوس في محال الفريجة المصنّات للشرب حتى القهوة وورقوا تجارة الأوطان واستغفوا بها عن تجارة الأجانب ، ثم ذكرهم بمخاضه البابا برومه وبارونات أوروبا من إشاعة الفسوق وإذاعة الخوف في المسلمين ليدفونهم وانهم بغير هذا لا يذنبون ، فلما أخضعوا الأندلس أخذوا يخصمون شمال إفريقيا كصروتونس والجزائر ومراكش ، وبيان أن أجسام الشرقيين قوية وهكذا عقولهم ولكنها متروكة ، الأطباء في أوروبا درسوا الماء والهواء والنبات وكل شيء ولأطباء في الاسلام إلا قليلا . سؤاس أوروبا بأخذوا يفرقون بين أسرار الجزيرة ، فهؤلاء أتباع المسيح الدجال لأنهم يظهرون الخير ويظنون القدر ، يطلب المؤلف استخراج كل قوة من قوى الشعب وكل قوة من قوى المدد في بلاد الاسلام

٦٥ (الطيف الرابعة) في قوله تعالى - إني كان لي قرين - وذكر مسألة من المسائل التي جددت عليها العقول ثم ظهر خطأها بالخروج عن التقاليد ، فهذه الصغور المعدنية لما قال بعض العلماء انها أجرام سماوية ردة عليه كثير منهم (لافوازيه) المشهور مدعي أن هذا يناقض الجاذبية ولكن كروا الأعوام كذبت هكذا كتاب أصل الأنواع لماركوين قاموه العلماء ثم خلت عزائمهم ، وباستور كاشف المكروبات لما طعن عليه العلماء أولا ثم خضعوا له آخر . ونظرة دوران الأرض حول الشمس أزالت النظرية العكسية التي شاعت قبلها

٦٨ (تفسير سورة ص) وهي (ثلاثة فصول الفصل الأول) في تفسير البسملة والكلام على أن لفظ الجلالة تلخص فيه الذات الواجب الوجود . فأما الرحمن والرحيم فالمعطوف بهما الكثرة في المخالقات ونحن نرى الوحدة في جسم الانسان وروحه . والكثرة قد تجلت في الأعضاء والحواس . فالأعضاء منها ما هو للبطش وما هو للحس . وما للحس قد قسمت العوالم عليه من المفوسات والشمومات والمزوقات والألوان والأصوات . ولتلى للعركة مقسم على الأعمال لأنها إما أعمال انتقالية وإما أعمال صناعية فالرجلان للانتقال واليدان للصناعات . ثم ان الحواس ابتدعت لاجتلاب صور الموجودات التي في الخارج الى الفهن فلا يزال يستحضرها وقتا بعد وقت حتى يعرف العوالم اجالا ويصل في العلم الى أقصاه ثم يستعين بالمنظير المظلمة والمقرّبة لثريه بقية العلم وهكذا يستعمل البراهين العقلية . إذن العقل يستخدم الحواس واستخدم الآلات لأجل المعرفة والعلم . وكما استخدم الآلات البصرية لمساعدة البصر وعلم المنطق لمساعدة البصيرة

استخدم القطرات والسفن البرية والبحرية لمساعدة الرجلين في الانتقال من مكان الى مكان واستخدم أيضا الآلات المختلفة في الصناعات لمساعدة اليمين ، ثم انه رأى له رأسا وعينين وثلاث مفاصل في اليد الواحدة وأربعة أعضاء بلشنة وخمس حواس ، وأصابع اليدين خمس أيضا ، فهناك استعمل الأعداد لضبط العلوم لأن المادة لا يضبطها إلا العدد والعدد قد استنتجه من أعضاء جسمه ، فليدان لها عشرة أصابع واستمر في الزيادة (٢٠) و (٣٠) الى الآلاف وآلاف الآلاف ، ذلك كله لكيح جالح المادة ٧٠ وما الهندسة إلا نظام للتقدير المتصلة كما ان الحساب نظام التقدير المتصلة . الانسان ابتدع نوعين من الصور نوع له صور في الخارج وهي العلوم الطبيعية . ونوع لا وجود له في الخارج وهي العلوم الرياضية . الانسان عالم يدعي . فهو باليدين والرجلين تنقل في الأرض وصورتها صوراً مادية وأثرها بأنواع الحرف والحواس أصدر صوراً معنوية للذة . فآلات البطش خدمت الجسم بصور المادة نفسها وآلات الحس خدمت العقل بصور مخترعة على مثال صور المادة الملموسة وهو من جهة واحد ومن جهة كثير . هنالك بحث فيها وراء المادة هذا الانسان الذي تصرف في المادة بالصناعة العمالية وتصرف فيها بعد ذلك بالعدد والهندسة فضبطها بصور ذهنية قل أما واحد وقد سكت على المادة ظاهرها وباطنها وررسي على التي حافظت على كثرتي فجعلت لها رجدة ، إذن هذا العالم كثرة لا بد لها من وحدة تجمعها حكم الأكبر حكم الأصغر على قياس التمثيل ولكنه لم يقل ذلك إلا بعد أن تصور لئله . وراء شتى اخترعها بلاه نون يضبط تصورهم من قبل رحية وبقرة وهكذا والعوام يصدقون والخواص يرمزون

٧٢ سياسة الأمم تتبع عقائدها ، فكما ضبط الانسان المادة بالعلوم الرياضية لحفظت كثرتها هكذا يضبط كثرته أمته بوحدة العقيدة كحصول أيام النبوة إذ جعلت العقيدة أشكث العرب لمفرقين عقيدة وليست وحدة الدين معجدة اذا بقيت في القلب ولم تكن لها آثار في الخارج واجتماع الصلوات والأعياد وعباده المرضى وانحداد في الصيام والحج وغاية التفراه بالزكاة . فلعب اجتماعوا بالدين لما فعلوا ذلك وفتروا لما أصبحت العقيدة خالية من العمل . واجتماع الأمة يتوقف على هذه الأحوال وجامعة المدينة النفسية والوطنية واللغة والمالك الجاهل والادته باء والمعاهدة كلها تؤذى المقصود اذا قويت بالأعمال فذا أهملت الأعمال تفرقت الأمم . واليابان عابدة الأصنام اجتمعت باللغة والوطن وهكذا . والعرب في مصر والعراق والحجاز وشمال افريقيا لم يذوا الدين بالاجتماع ولا اللغة ولا النسب ولا المجاورة فهم متفرقون حتى يفعلوا ذلك . الأمم عمياء اذا لم تجتمع لآبدين ولا ينسب الخ . عوراء اذا اجتمعت بواحدة من هذه الحاصل وكربت بقية الامم . بصيرة اذا اجتمع الناس كلهم . فثم الأرض أكبرهم عوروكشي من أمم الشرق همي لأنهم لم يصلوا هور

٧٥ سورة ص فيها وحدة باعتبار ان أمثال مصائب أيوب ونعم داود وسليمان ترجع كلها الى الابتلاء فلناس يتناولون بالنعم والنعيم فهما وحدة في نفس السورة

٧٦ (سورة ص) مكتوبة مشكلة كلها

٧٨ تفسيرها اللفظي

٨١ تفسير قصة سليمان . فتنة سليمان عليه السلام

٨٢ تفسير قصة أيوب . رصف الجنة

٨٣ تفسير وصف جهنم وقصة آدم عليه السلام

٨٤ (الفصل الثالث) في مقصود السورة . السورة مبدوءة بعرف ص ولم يخص ما فيها يرجع للبصر الذي

أول حروفه ص :

- (١) صبر الكفار على آلامهم
- (٢) فليصبر النبي ﷺ على ما يصيبه - واصبر على ما يقولون -
- (٣) - إنا وجدناه صابرا -
- (٤) لم يصبر داود في مسألة الخصم حتى يسمع كلام الخصم الآخر
- (٥) وهكذا سليمان تجهل ولم يقل إن شاء الله
- (٦) يظن الكافران السموات والأرض خلقت باطلا وذلك لعدم صبره على البحث في هذا الوجود

(٧) والصبر حتم على من منح النعماء كما انه حتم على من أصابه البلاء كسليمان وأيوب

٨٦ - ولتعلن نبأه بعد حين - . من أنباء القرآن اليوم أن أتباعه (٣٥٠) مليون ، ومنها أن العالم الحديثة طابقت مثل كون الأرواح أحياء بعد الموت ، فمن كانت أرضية الأخلاق كانت أقرب إلى الأرض ، ومن كانت أغزر علما وأصفي أخلاقا كانت في عوالم أعلى ، ومن عجب أن المؤلف رأى رؤيا كانت هي سبب قراءته علوم الفلسفة ، ذلك انه رأى وهو في شبابه في المنام أن قائلا يقول له وهو في مقبرة قرينه في الفلاحين : « انظر هذه هي الروح ، فرأها أشبه بكرة بيضاء قليلا ، ولما أصبح وقع في يده كتاب ابن مسكويه فرأى أول عبارة فيه الاستدلال على بقاء النفس » ثم وجد أن آراء الفلاسفة كلها على نخطا ما رآه ، فالنفس التي تميل للذات تنجذب للأرض وضدها تميل للعالم الأعلى ، عواطف المحبة والبنضاء لها سواكل روحانية تميزها الأرواح ، الأخلاق القيمة تنأذى بها الروح عقابا لها ، للمؤمنون بلذل يأملون لفراقه ، السفاكون والقتلي تطاردهم أشباح من قتلوه في البرزخ ، هناك للأرواح الحان وأماشيد ، فهذه كلها أشبه بتفصيل لرؤيا المؤلف وموافقة للقرآن لأن القبرا إما روضة أو حفرة الخ

٨٨ لاجل يتم خيرا أو شرا إلا بالصبر ، فلكفار صبروا على الكفر والمؤمنون صبروا على الايمان ، الألم روحى وجسمى فالأول لموسى وداود وسليمان والثاني لإبراهيم واسحق وأسماعيل ، الندم مظهر من مظاهر ارتقاء النفس

٨٩ تطبيق ذلك على نبينا ﷺ . معنى - وليتذكروا أولوا الأبواب - وأن هناك رابطة وثيقة بين أنواع الصبر المتقدمة وبين صبر القضاة العشرة الآتي ذكرهم ، ألا ترى الى محمد بن هجران كيف صبر على أن يستعدي على أمير المؤمنين المنصور ويقضى عليه للجمالين ، وهكذا عاقبة بن يزيد القاضى الذى قدم استنائه للمهدى قائلا : « إن أحد الخصمين أحضر لي رطبا فزأقيه قال قلبي له وقت الحكم فعلت أتى لا أملك للقضاء » وشريك بن عبد الله قاضى الكوفة إذ ظلم الأمير موسى ابن عيسى ابن عم أمير المؤمنين المهدى امرأة إذ خلط نخل يستأجره بنخل به تائه فاستغاث بالقاضى فأمره بحضوره فأبى وأرسل الضماد للقاضى واحدا بعد الآخر يفهمه أن حضوره لا يلقى فحبسهم واحدا بعد الآخر ، وأخيرا حضر الأمير وأطلقهم من السجن فهم شريك أن يرحل الى بغداد ويقابل للمهدى فغضب الأمير موسى وسلم للمرأة ما طلبت وانتهى الأمر

٩١ ولقد أرسلت الخيزران نصرانيا من أتباعها الى الكوفة فأخذ رجلا وكفته وأهانته فاستغاث بالقاضى فاقصص شريك من النصراني ولم يبال بأن الخيزران هي التي أرسلته

٩٢ وعبد بن ظبيان قاضى الرشيد بالرقه جاءه رجل فاستعدي على الأمير عيسى بن جعفر وكان له عليه (٥٠٠) ألف درهم فأرسل اليه ثلاث مرات فلم يحضر فأبلغ القاضى الخبر الى أمير المؤمنين هرون الرشيد

فأرسل الجند وحاصروا دار ابن عمه فسلم الأمر للقاضي وأعطى الرجل حقه . وعمر بن حبيب القاضي إذ حضر في مجلس الرشيد ومال الخليفة الى أن أيا حريرة منهم في الحديث فردّ عليه القاضي ، فلما انصرف القوم بحث في طلبه مأمورا أن يحضر الكفن معه لأنه لا محالة ميت ، فلما أبان للخليفة أن اتهم أبي حريرة بجرّ الى ضيلع التريفة أنعم عليه . وحقق القاضي الذي حضر لديه رجل من أهل خراسان قد كان باع جبالا لمزبان وكيل أم جعفر بثلاثين ألف درهم فحضر عند حصص وأقرّ بالمبلغ فقال الرجل يعطيني مالي والا الحبس فقال الرجل الدين على السيدة أم جعفر فقال له القاضي يا جعوسى قرّ ثم ندعى انه لأم جعفر فبعت أم جعفر فأطاعته فتوجه الجعوسى الى أم جعفر ورجاها أن ترجعه الى السجن وتسلم الخليفة الرشيد ففعلت فأرسل الرشيد خطابا فلم يقرأه حتى أخذ الحكم فسلم الرشيد فأعطاه (٣٠) ألف درهم

٩٤ القاضي أبو حازم أرسل له المعتضد يطلب منه أن يعطيه نصيبا من مال رجل فطلب منه البيعة فذكر رجلا فقال ابحت عنهم تخاف الشهود أن يردّ شهادتهم . أبو حازم عبد الحيد القاضي كان متوليا وقب الحسن بن سهل وقد كان المعتضد أخذ من هذا الوقف شيئا أدخله في قصره ، فلما أراد قسمته على مستحقه قال له القاضي خذ ما على أمير المؤمنين وأرسله اليه ليأخذ المال منه ففكر ساعة ثم أعطاه ودمه . واسماعيل القاضي أرسل المعتضد له أن يرفع الحجر عن يديم وهذا اليتيم ثم كانت في دار الخليفة ، فلما سأل عنه وجده لا يصلح للتصرف فأرسل الى الأمير كتابا فيه ما نصه : « - يادادو إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق - »

٩٥ فهؤلاء عشرة قضاة وهذه أوصافهم فأخذت أفكر في مناسبة آية - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا - لآية - يادادو إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق - فأريت عما في الأرض عالم النبات ويدخل في أغذيته هذه الثمانية الكبرى والحديد وهكذا ، وإذا قص البوتاسيوم من غذاء النبات كان قصيرا جدا كالقلى في (شكل ٢) وهكذا كل عنصر قص من غذاء النبات نجد النبات قص نموه بمقداره بحيث لا نجد هناك اختلافا ، إذن أبو حازم واسماعيل وعبيد بن نسيان وشريك ونحوهم لم يفعلوا إلا تقليد ما فعله الله في النبات من العدل إذ ينقص نمو النبات على مقدار ما نقص من الغذاء بالعدل . هذا هو سرّ ذكر آيت خلق السموات والأرض بعد ذكر خلافة داود وأمره أن يحكم بين الناس بالحق

٩٧ ومن هذا القليل ما تراءى في (شكل ٣ و ٤) من جذور النباتات المختلفة في البقعة الواحدة فمن تمتد الى الطبقات التي تناسبها لأجل أن لا تتراحم غيرها ، فهذا عدل في داخل الأرض إذ قسمت المناطق الأرضية على الجنور المختلفة ، وهكذا أعطيت الجنور التي وجدت في غربيها بمسلات تنجبها الى أسفل وإلى أعلى . أليس هذا هو قوله تعالى - لهذا الصراط المستقيم - أليس هذا هو صراط الله -

٩٨ (تذكرة) ازدياد هذه العلوم يعطى ملكة التكبير وبها حصلت الأمم العظيمة ملكات التفكير ، وذكر ما كتبه المؤلف لوزارة المعارف يبين لها أن التعليم في زمن الاحتلال ضعيف لم يدخل فيه الملك ولا العلوم الطبيعية وهو خائف أن يكون الوزر والمهندس غافلا في المستقبل ، وقد دخلت تلك الدول وحصل التأليف وبعض التأليف آثرت ، ويبان أن المسلمين لهم عدوان : عدو خارجي هم المستعمرون وعدو داخلي هم الكتابيون من شيوخ الصوفية وجهلة رجال الدين ، والمؤلف يوصي أذكيا القرّء أن يذيعوا هذه الآراء في الأمم الإسلامية

٩٩ ﴿الطيفة الثانية﴾ كيف تربى قضاة الأمم الاسلامية وحكامها وخلفاءها

١٠٠ أذكر هنا ما جاء في « جمهورية أفلاطون » مما أثنى على آثاره بما جاء في الكتاب والسنة . لقد ذم أفلاطون الأمة التي يكثر فيها القضاة والأطباء . إنما يقضى القضاء بين الأشرار من الناس الذين كثر بينهم الخلاعة والفسوق ، ومن أسباب ذلك شيوع الثمن في الموسيقى ، أما الموسيقى المعتدلة فانها تهذب الأخلاق ، والطبيب لا يداوى إلا أولئك الذين يكثر أنواع الطعام ، فعلى الأمم أن يكون طعامها بسيطاً وموسيقاها كذلك والا كانت جاهلة . ومن عجب أن الامام الغزالي كان يعيب على أم الاسلام نثرة فقهاء الذين يتولون القضاء إذ جعلهم جيشاً عطلاً والأمة أحوج الى نظام كامل بكل علم وصناعة لا بالقضاء وحده ، ولما نظرت أمتنا عصر الآن وجدت ﴿ ثلاثة جيوش ﴾ : أطباء وقضاة ومحامين ، وضم القاضي الذي أنف الرذيلة في صباه مدعيًا انه بهذا قد أحرز قصب السبق في الهداه فيعرف أسرار الضحايا مع انه هو قد أصبح هزواً وسخرية لافضية له في نفسه . ومنع الطبيب الذي جرب الأمراض وأدويتها في نفسه لأن القاضي يقضى بقله وعقله قد ناله ما أخل بضافته بخلاف القاضي فطبه بقله لا برسمه وليس يمنعه مرض الجسم . ثم ذكر أن مصر اليوم ترقى في القضاء وفي الطب واتسع نطاقهما وذكراً ما ختم في ﴿ سورة يس ﴾ من أن الرياضة البدنية والعفة في المأكل والمشرب وانضبط في العلوم الرياضية وفي منظم الكون من الواجبات في تعليم الملوكة والأمراء ورجال الجيش والقرآن فعلى ذلك قال تعالى - إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم - وذكر مسألة الهر وأن الذين لم يشربوا منه قليل وهم الذين غلبوا . أما الشاربون كثيراً فانهم لم يحاربوا وهذه هي العفة بعينها . وأمر الله بعدم الاسراف في المأكل والمشرب . وجاء السبق والرمي في الاسلام لتقوية العضلات . وجاءت الصلاة بدل الموسيقى وتأيجها عظيمة بل كثرة الصلاة لا تؤدى الى رذيلة . أما كثرة الموسيقى فانها تؤدى الى الضلال ولعلك كانت تتأجج مدينة الاسلام أعلى من مدينة هؤلاء الفلاسفة بل نحن لم نر لهم دولة اللهم إلا في الخيال

١٠٤ ومن قرأ الأحاديث الشريفة وجد تفليلاً الطعام في حديث عائشة أن آل محمد ﷺ ما أكلوا من خبز شعير يرمين ولأمن البر ثلاث ليال وتمضى ثلاثة أهلة فلا يوقنون نارا ويا يكون العنبر يشربون الماء لا غير . ولم يأكل النبي ﷺ على خوان ولا مرقا ولا رأى شاة سميطا بينه ولم يلا بطنه من ردى العنبر ولا رأى منخلا وكانوا يأكلون الشعير بلانخل ولم يأكل النقي ولما أكلوا من شاة عند الأنصاري قال لصاحبه لتسأني عن هذا العجم

١٠٥ وفي خطبة عتبة بن غزوان انه كان سابع سبعة أكلوا الورق . وكان لرسول الله ﷺ إزار غليظ وكساء وكانوا يأكلون ورق السمروكلن أبوهريرة يعتمد على الأرض من الجوع . وهنا قصة قنقح اللبن الذي شرب منه القوم وآخروهم أبوهريرة . وقد يضع الرجل قدمه على عنق أبي هريرة طانا انه مجنون وما هو كذلك ولكنه به جوع . وفرأشه ﷺ من ادم حشوه ليف

١٠٦ ﴿ نصيحة عامة ﴾ مثل أن تبذل الفضل من المال وتمسك الفضل من القول . ومثل أن المدار على أن يصبح الإنسان أماناً في نفسه عنده قوت يومه . فهذه تكني . وههنا مدح لمن آمن وعنده كفاف . وهنا مدح للصبر على الفاقة ومنع للاقتصار في الأكل على ثلث البطن واللبادة وقصة أبي عبيدة إذ أخذ معه جوا من تمر وكان يعطي الرجل تمر فيمصها بالماء ثم يأكلون ورق الشعير

١٠٧ وهم كانوا ثلثائة فرأى دابة النبر فأكلوا منها وسجلوا معهم الى رسول الله ﷺ وهي كبرة وعنها

كانت تسع (١٣) رجلا منهم والبغير برحله يمرّ من تحت ضلع من أضلاعها . وهنا قصة يوم الخندق إذ جاء جابر إلى امرأته فذبحت عنقا وعندنا صاع شعير فأكل منها سبعون أو ثمانون وبقي منه سور . هذا وهكذا أبطلحة وعند امرأته أقراص من شعير فأكل منها سبعون ولا يشبعون ولا ينخلون الخ . وهذا كله محبة للبدن وهذا موافق لما كشفه الأطباء حديثا ، فهم أمرؤا بقاء الطعام و بعدم نخل المقيق كما سيأتي ، وبقي الكلام على السبق والرعى

١٠٩ في الحديث أن السبق يكون بالإيل والغيل والسهم ، وفي حديث « من قلع الرى فتركه فليس منا » وحضّ النبي ﷺ الرماة على الرى

١١٠ يجب على الأمم الإسلامية أن تذيب الصنائع اليدوية والسبق والرعى وتعليم الجندية . وأن يكون القضاء والأمراء أعلمهم

« الطيفة الثالثة » في قوله تعالى - قال رب اغفرلى وهب لى ملكا - الخ وأن الملك هنا لا يقصد به نفس المملكة السلطانية من حيث ظواهرها كالعظمة على الناس ولا من حيث انها منفعة للناس لحسب كلام بل من حيث انها صادرة من الله تعالى فالملحوظ هنا مصدر النعمة لا نفس النعمة ، أما نبينا ﷺ فقد أعطى الكوثر وهى العلم الكثيرة والمقام المحمود وهكذا

١١١ « الطيفة الرابعة » في قوله تعالى - قل فيعزّك لأغوينهم أجمعين - ويان أن بنى آدم مثاولا قصة أيهم ، فهاهم أولاد الذين يكسون ورق الموزى فى بلاد السودان فى الرسم المتقن فى آخر «سورة يس» وأولئك المرأة هناك ، ويشبه الأولون آدم بعد الأكل من الشجرة والآخرين يشبهونه قبل الأكل منها ، وهاهم أولاد أهل المدينة الحاضرة كلهم يشابهونه لما طرد من الجنة ، وسرّ تكرار هذه القصة فى القرآن أن نحترس عما دفعنا اليه جهلنا بفوائد الخبز الذى لم ينخل دقيقه والمخضر الذى لم تطبخ وفوائده ضوء الشمس وبضرا لا كثيرا من الطعام والتوابل وهكذا ، وبيان أن الطب الحديث وكشف الفيتامين قد أضافا الى معجزات الاسلام معجزات جديدة ، فهاهوذا الخبز الذى لا ينخل دقيقه وعدم طبخ الطعام هذان وردا فى الأحاديث السابقة ، ولعلم الحديث يقول : « إن الفيتامين أى قوة الحياة فى النخالة وفى الدعام الذى لم يطبخ » إذن دين الاسلام ابتدأت تظهر أسرارها لأن ، وإذا كان الأمر كذلك فلذلك جاء فى كتاب « دستور التقية » المترجم عن علماء أوروبا وكيف يقولون « إن الانسان يمكنه أن يعيش ما يمت سنة بحسب ظنهم ، وأن التداوى بالعقاقير مهلكة . وخير التداوى ما كان بالشمس . ولحمة وتدير الأغذية والمركبات الطبية مهلكة للناس . والطبيب قد يكون شرّا من المرض »

١١٢ وهاك أساليب الدكتور هيج وكاتانى وسور وسكى وكونه إذ يقول الأول « حضّ الوليك هو أصل الشفاء . وهذا الحض سببه ما ينخل من الأعنية فهو يست اسام . وأمر باقلال اللحم والقول والعسل والبازلة والفاصوليا واللوبياء الجافة والكرف والقنيط والثى والقهوة والكافور . وبني ترك الانسان هذه الأشياء وأكل الخبز والسكر والاسفناج والكربن وانما كاه واللبان والجبن والتقطيع مع جسمه » وكاتانى يجمع اللهنيات والسكر والنشا والنخل والخللات والبن والخبث بخلاف هيج فى هذين والأمراض والجذبات والارز والبطاطس والخلوى والتوابل ويكتفى بالبیس والتبانات المخفراء والمواكه مع الحركة فى الهواء الطلق

١١٨ دوسبر ويسكي أمر بالقوا كه أيضا واليودون والنباتات كالشكوريا والكماوى والحماض والمنسوبا والنخس والكرفس والجرجير والفجل

١١٩ ومثل هؤلاء كوهن فانه يجمع التوابل واللحم والأشربة المخدرة كالتيذ والعرق والقهوة والشاي والشوق والتبغ وهكنا الأشربة الصاعدة من أماكتها والفبار ، وهو يقول باستعمال الحمامات الجلوسية مع ذلك الجسم بقوطة خشنة مبتلة والحمامات البخارية ، ثم ذكر ملخص لذلك

﴿ الفصل الثانى ﴾ فى ضرب مثل لأجسامنا ودمها وغذاؤها وأمراضها بالأرض المصرية ونيلها والغرين الذى فيها . فالجسم كالأرض والدم كالماء . والغرين فى الماء كالمواد الغذائية فى الدم . والسود فى النيل كسودود العروق وإزالتها بالحمامات أو بالقول والقوا كه الخ كزالة السدود من النيل وكثرة الأورام والأمراض بسبب انسداد العروق كهلاك الزرع بقلة الماء أو كثرته فى البلاد المصرية . والإنسان بعد حفظ صحته أشبه بالأمة المصرية التى بلغت الآن (١٤) مليوناً والإنسان إذا لم يحافظ على صحته يكون أشبه بالأمة المصرية قبل أيام (محمد على باشا) إذ لم يكن للنيل قناطر تحفظ الماء فكان السكان نحو مليونين أو ثلاثة . فأتى بها الفكى إما أن تكون كآدم قبل الأكل من الشجرة فتنبع نفايح الأطباء وأما أن تكون كآدم بعد الأكل من الشجرة فتنبع العادة ، إن سر هذه القصة ظهر الآن

١٢٢ ﴿ نفايح علة ﴾ نصيحة الاستاذ (هنديد) انه قال : « إن الناس يدفعون الأثمان غالية ولا يشترىون إلا الموت باللحم والبيض . وقال : يكفى من المادة المغذية من (٢٠) الى (٢٥) غراماً بدل (٨١) فى الرأى القديم وهذه تحصل من ثلاثة أربال من البطاطس وقد أعطى هذا المقدار لرجلين مع أشياء أخرى فضلاً فى الجرى من أكلوا اللحم ، إن الوفيات فى المدن أربعة أضعافها فى القرى لكثرة اللحوم فى المدن ، والتجرب والقر يجعلان فى البدو صلابة وقوة تدهش الأوروبيين »

﴿ نصيحة دورفيل ﴾ يقول : « إن دولة قوة المصارعين الذين يأكلون اللحم قصيرة الأمد ، والذين يتناولون شعماً بالأغذية الغنية إما أن يمرضوا بالبشور ونحوها ، ولما انهم تظهر عليهم علامات الصحة والجمال . فالمرض هو القوى لأن جسمه صرف مافيه من الفضلات والذى لا يمرض هو الضعيف لأن جسمه هجر عن استخراج الفضلات وهذا يموت فجأة فى عشية أو نهارها »

١٢٥ ﴿ ضرر الأغذية المركزة ﴾ لسورفيل أيضاً . يقول : « إن مستخرجات اللحم والأنبذة والبرشامات وما أشبه ذلك أشبه بضربة سوط للحصان يجرى ثم يقع »

١٣٦ ﴿ ضرر السكر الصناعى وفوائد الطبيعى ﴾ السكر المعلام . ذلك فيجب الاقلال منه . نعم الصغار تظهر عليهم ملاح الصحة ولكن ذلك لا يدوم فيجب أن يستغنى الناس بالقوا كه عن السكر ولا فرق فى الضرر بين السكر والخمر واللحم وهذه هى الأغذية الثلاث للميتة

١٣٧ نفايح الاستاذ باز : متى تأكل وكيف تأكل ؟ يجب إطالة المضغ ونظافة الأسنان وعدم شرب ما هو حار . والأحسن أن يضطجع بعد الأكل من نصف ساعة الى ثلاثة أرباع ساعة . القوا كه والحبوب هى أجود الأغذية وأفضل الحبوب الفصح ومثل الحبوب النباتات

١٤٠ نفايح دورفورت :

(١) لاتأكل بين أكلتين ولوتراحة

(٢) لاتأكل بسرعة بل امضغ جيداً كل الطعام وأجد المضغ

(٣) لاتأكل غذاء حاراً ولا يبرد برداً مغرطاً

(٥) الأغذية السامة المقلوبة مضرة

(٦) احذر الفلفل والغرادل والقرقه والقرنفل وجميع التوابل لأنها تحدث التلات والأمراض
 (٧) الحنين وكل غزلل والحم وما يستعمل تقلا من الأجسام السامة المركبة ، كل هذا يجب منه
 الكلام على القيتامين أى سر الحياة ، القيتامين هو (ا . ب . ج . د) وهذه قد كشفوها في الغذاء
 الطازج النقي على حاله الطبيعية ، وقد حبسوا بعض الحيوانات في مكان مظلم وأعطوها أغذية مطبوخة
 فصارت ضعيفة جدا ، فلما رأوا نور الشمس وأكلت الماء كل النيتة صحت أجسامها ، ووجدوا ركاب
 البجار الذين يأكلون طعاما محفوظا في اللب مرضى لأن الطعام لاهية فيه فأطعموهم أغذية نيئة
 وعرضوهم للشمس فشفاوا ، ووجدوا أن مرض الأسفر يوطشني بالليمون المسالط والمبرقتل والخضر
 النيتة ولم يشف بشرىات البرقتل ولا بالخضر المخل على النار ، وثبت ثبوتا لاشك فيه أن الأغذية النيئة
 هي المشبعة بالحياة والزيت النيتة كذلك ، أما التي مر عليها زمن أو اتى غليت بالنار فاتها لم تفتد
 الحبوب كالقمح والفلول والقررة اذا استعملت نيئة كما تأكل الحيوانات أعطت قوة جيدة جدا .
 طبيب روسي جوب في مكتبه (٢٠) سنة تجارب فأعلن أن الانسان يعيش (١٦٠) سنة اذا أكل
 النبات الذي لم يطبخ ، وهنا ذكر أن العالم التي قلها الناس عن قبلهم وقلدوهم فيها أشبه بالمطبوخ
 من الطعام أو المحفوظ في اللب فان هذا فقد قوته ، فلا بد من التفكير في تلك العالم ليستجد البحث
 وكما أن نار الفحم من آثار حرارة الشمس ولكنها لاتقوم مقامها في إعطاء الطعام قوة الحياة ، هكذا
 آراء كبار العلماء في الاجتهاد لاتقوم مقام الرجوع للعقل والسير بلافكر عليه يؤخر الأمم فليجمع الناس
 للكتاب والسنة حتى يفهموا كيف استنبط الأوائل علومهم . للسومع اذا خلا من المنظور كان قاصرا
 على التقليد

١٣٤ بهجة العلم في قوله تعالى - قال فعرّضتك لأغوينهم أجمعين - أيضا مع قوله - فخلقنا وإلحقنا أقول -
 الانسان له شهوات آكلات النبات وله غضب آكلات اللحوم وقصة إبليس وأدم جمعتهما ، فإذا سمعنا
 أن إبليس تكبر وأغوى الانسان فان ذلك ظاهر في كبرياء الناس وحسددهم وحقددهم وهكذا فهم
 كالسباع والآساد ، وإذا سمعنا أن آدم أكل من الشجرة فهذا هو الذي نشاهده في الثمره والطبع والبخل
 والحرص والادّخار ، ومن هذا القبيل العادات القطرية التي نسميها عن أهل السودان فكيفها تدلنا
 على حياة الناس قديما مشبهين بعض الشبه آدم وحواء في الزمان الأول حين خرجا من الجنة ،
 يكرمون الضيف ولهم شجاعة عظيمة بها يقاتلون الغور والامود ويأكلون الحيات العظيمة والقبيلة
 ولهم في الزواج عادات خاصة ، بخور معروف ، ويمتدون الزوجات ولكن لاغرة هناك ولا حسد وهم
 لا يسرق بعضهم بعضا . ولا جرم أن هذه الأخلاق أكثرها شريفة قد حرما المتعلمون في الأمم لتحضرة
 وهذا المعنى فهمه المتقدمون قبل ألف سنة . فقد جاء في كتاب « اخوان الصفاء » في المفاخرة بين
 الحيوان والانسان أن زعيم الطيور سخمر من الانسان وحقر شأنه من جمعه وكده وادّخاره وجمعه
 الحطل وإيقاد النار وأن الطيور والحيوانات البرية تأكل من ثم الله بلا طبع ولا حنين ولا تعب ولكن
 الانسان مسكين متمسك بجناحه هلاكه فهو في هم بالليل والنهار في جاب قوته ولا نتيجة له إلا
 التبعة والجشاع وعسر البول والجرب والجدرى الخ . فالانسان في الصحراء يقل مرضه لقله إفراطه
 في الاذات وهكذا حيوانات البر والطيور وكل حيوان عاش مع الناس حرموه غريزته فأكل وشرب
 بلا نظام فرض كما يمرض هذا الانسان الجاهل . يقول المؤلف : وبالجملة هذه الحكاية مـ عرفنا أن

القدماء أدركوا سر الطعام والشراب والكشف الحديث أيد ذلك . وجميع هذا وذلك تشير له قصة آدم إذن الانسان في المستقبل سيقصر على البت الذي لا يطبخ ويكون أسعد صحة وأخلاقاً وجالاً وعالمياً ونهذياً ويقل طمعه . ومن عجب أن الانسان له بدل الفرح السكاه وبدل الأعراس المآتم وبدل الاسورة والخلخال الأغلال والقبود والطبور وغيرها سعيدات بالرياض والأنهار والأشجار والأزهار والحرية والصحة والسعادة

١٣٩ اعترت المؤلف ثلاثة أمراض مرة واحدة في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٠ عند طبع هذه السورة فل يستعمل دواء كما في الطب بهذا التفسير واكتفى بالجوع وشرب الماء الباقى مع الليمون والاستحمام بالماء الحار ثم البارد عقبه مع مقابلة الهواء والشمس في الغلاء ، فهذه المدواة الطبيعية قتلت الأمراض الثلاثة حالاً بل لم يحصل لها أثر ما . ومصادق قصة آدم أن طبيبا ذهب امرأة وعاش اليوم معها في جزيرة (شاولز داروين) بالقرب من أمريكا الجنوبية وقد تجردت من الملابس كآدم ولا يتعاطى إلا الأطعمة النبتة على مقتضى النظرة الأولى . وهنا نجى المؤلف من هذا الانسان الذى أصححت جميع حياته خاطئة كاذبة ، ولأتم المستمرة اليوم أشبه بوصف المسيح لرجال يظهرون العيرة على الأمم وهم يعلمونهم الطمة والاسراف وكل شهوانا وملاذنا تفعلنا عن السعادة هى أشبه بالمسيح الرجال أيضا تعرضا ظاهرا وتقلنا باطا ، اللهم إن الانسانية اليوم جاهلة خاطئة في كل شئ ولا يصلحها إلا حكماء تحلقهم أنت من مواطن الأنبياء بالشرق فيصلحون الشرق مع العرب

١٤١ (نور النبوة في هذا الزمان) ورد في الحديث أن المؤمنين كالجسد الواحد ، وورد اننا لن ندخل الجنة حتى نتعاب . إن انتشار الطائرات سمح للبين المسلمين مودة وخير المواصلات لا يمكن التفاهم بل هناك اطلاع وهذا الحديث تظهر ثمرة النامة في المسلمين في مسقط الزمان إذ تصل الطائرات بين بلادهم ويعرف بعضهم بعضا . وسيكون الناس أشبه بالطيور الواردة في حديث «لنؤتكم على الله حق توكه لرزقكم كما رزق الطير» من حيث أكل طعام بلا طبخ ومن حيث الطيران في الجو ومن حيث أن كل امرئ له عمل كالطائر فأينما حل وجد رزقه ميسورا سهلا وهذا سر العيتامين وسر إيقاف الحبيب في المستقبل الوارد في آية - حتى تصع الحرب أوزارها - وسر أن الناس سيأتى عليهم يوم لا يأخذون المال ممن يعطيهم إياه وهذا يوجب على المسلمين أولا :

١٤٢ (١) تميم الطرمان

(٢) وأن يكونوا كأعضاء الجسد الواحد

(٣) وأن يعمروا أرض الله

هذا سر حديث الوكيل المقيم . متى ارتقى الناس بهذه الأعمال قل إغواء إليس في بحث في عينة - فجزئك لأغويهم - الخ

١٤٤ تفسير سورة الزمر . هى ثلاثة أقسام : القسم الأول في تفسير البسطة . بارحة قلت السموات والأرض اذا ثبت ثبوتا تاميا أن الارزليس كالبرقال من حيث أن الأول يقل فيه القوة الحبوية التى استمدتها من الشمس والذى تكثر فيه تلك القوة التى استمدتها منها . إذن معنى هذا أن المواد على الأرض ونفس الأرض . عجزا عن استحكال قوة الحياة من طبيعتها . إذن الأرض وما عليها لاحياة فيهما إلا بما يستفيد من ضوء الشمس . فإذا ثبت هذا في الامور المادية فبالأحرى تكون الرجات التى تصبها الطير وسائر الخلية ان والانسان ليست من المادة لأنها عجزت عما هو أسفل وهى قوة الحياة

فاستمدتها من الشمس ، إذن الرحمة المخبوءة في الرجال والنساء وغيرهما من عالم أعلى كره رحمة ونمبر عنه بهام الملائكة أو الأرواح ، فلتنظر في الطفل : إن رحمة خاصة بجسمه هو ، فكل ما حوله يعتبره ١٤٥ مسخر له ، وكلما كبر ازداد رحمة حتى يصير أباً وزوجاً وثناً وملكاً وسكناً ، ونعم إذ ذاك رافته ، فمن أين أنت ؟ من عالم غير هذه الأرض ، فكل ذي رحمة اقتبس رحمة من الرحمة العامة كما اقتبس الارز والبرتقال قوتهما الحيوي من ضوء الشمس وهذا برهان قاطع . وغير الرحات وأعلاها ما كان أشبه برجة الأم فترضع ولها بلاطب جزاء في الآخرة ولا في الدنيا . ومنى ظم في الأمم أفراد على هذا النوال فيشرها بالسيادة وهذا يؤخذ من قوله تعالى - إما أخلصناهم - الخ وآية - إلا عبادك منهم المخلصين - فاعبد الله مخلصاً - الخ - أذ لله الدين الخالص - قل الله أعبد مخلصاً له ديني - وأخيراً قوله تعالى - قر ما أسألكم عليه من أجروا أنا من المتكلمين - . فمن تنك أبها الفكي بهذا القانون تعرف مقدارك في الحياة ، فليكن تعليم المسلمين لهذه الأحوال : إعداك العقل للفكر . والعواطف للحب . والبدن للعمل :

(١) عندكم أبها الخواص من المسلمين لohan : السماء والأرض فيهما عرو وثابت . إذ هو ١٤٧ كالأروح الـبيان . إن كل محبوب على الأرض لم يكن إلا لوحده من خمسة أساب : الجمال العلم . الشجاعة . الاحسان . المناسبة المجهولة . ولاجرم أن هذه كلها مستمدة من عالم أعلى كما انه ثبت أن مادة الحياة من ضوء الشمس لا من نفس المادة الأرضية . إذن فليكن الحب لمسدى هذه الم لأه أكل في هذه الأوصاف

- (٢) لكم درسان : خلق الحيوان وخلق الإنسان
(٣) ليكن ليكم قياماً وصلاة وعلم مع رب الله - آمن هو قانت - الخ
(٤) لتكونوا صابرين وستكون لكم حسنات - قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم - الخ
(٥) ليكن من أوصافكم التعقل والحكمة - الذين يستمعون القول - الخ
(٦) لتكونوا خداء الله تشارون عباده - قل يا عبادي الذين أسرفوا - الخ
(٧) ستنالون العلم - قل هل يستوي الذين يعلمون - الخ
(٨) ستكونون في غرف وتشرق لكم الأرض : ورد بكم وتسل عليكم الملائكة وترون ربكم والملائكة حافين من حول العرش

١٤٨ الكلام على الاستغفار والتسبيح والتهلل والتكبير والتحميد والحوقة ، جاء في الحديث : التسبيح والتحميد والتكبير عند النوم مجموعها مائة مرة ثوابها عظيم والشيطان قد يلوى منها ، وكان عليه السلام يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار قبل موته لقوله تعالى - إذا جاء نصر الله والفتح - الخ ، التسبيح وأعواد خير مما طلعت عليه الشمس

١٥٠ (القسم الثاني) السورة مكتوبة بالخط المشكل من أولها الى قوله - تقوم يومنون -

١٥٢ التفسير اللفظي لهذا القسم

١٥٦ الكلام على أعظم أسباب دخول الجنات ، ذلك هو النظر في نبات الأرض ومائها وحدائقها ، ذلك لأنه ذكر بعد ذكر الجنات . الكلام على المواد الثرية التي لا بد منها لمصاحبة الماء للشرب وهي خمسة ويجب أن تكون له خمس صفات كالبرودة وأن يكون خفيفاً الخ

١٥٨ الكلام على المياه المعدنية والمياه الحارة مثل ماء فيثي والمياه العازية والمياه الحضية التي تنور تمضها

للسنس والمياه الحديدية وهكذا

١٥٩ حكمة ألمانيا جاء فيها أن المؤلف يجب أن يصنع في تأليفه ما صنعه الله في خلقه ، ومعنى هذا أن يكون كل ما في كتابه هو الحق صنفه وتصرف فيه . ذكر عذاب الظالمين في الدنيا والآخرة

ضرب . كل لحال المشركين

١٦٠ ذكر السادقين والكاذبين

١٦١ ذكر النوم والموت . لطيفة في معجزات القرآن في هذا الزمان بمناسبة هذه الآية

١٦٣ ههنا خمس لطائف : اللطيفة الأولى في قوله تعالى - يكثر الليل على النهار - الخ

١٦٤ « اللطيفة الثانية » في قوله تعالى - خلقكم من نفس واحدة - الخ وههنا (٥٠) حكمة في جسم الإنسان مثل أن أعضائه قطع يسهل العمل بها ، ومثل للمفاصل ، ومثل أن الرأس مركب من عظام ستة في القحف وههناك (٣٣) سنا ، ومثل الأشجار والشجيرات التي هما كالألباب يفتح ويغلق حسب الأحوال وهما ستر لثمة يغيث الجبال وهكذا وآخرها أن هذا الإنسان لو وكل عقله عند الولادة ذلك جزأ لأنه يرى نفسه محمولا فقرأ الخ

١٦٦ « اللطيفة الثالثة » في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون - الخ وقد طلب المؤلف من المسلمين تكوين لجان للمعالم والفنون الخ وذكر عدد المؤلفين في ألمانيا وأن هناك في كل (٢٥٠٠) نسا رجلا واحدا مؤلفا ، أما المسلمون فانهم نائمون

١٦٨ « نبذة في الطب » وذكر ٣٩ مصابا بكل الكسكسي وعليه القرب والأوساخ وهكذا البسوسه

١٦٩ ومن الجهل الفاضح في البلاد التي تدمر الآية أيضا الحواشي التي تضر الأطفال فكلمها مضرّة للصحة فلا يجوز إعطائها للأطفال فضلا عن غيرهم

١٦٩ « دعة الأكل في المستقبل » يقول الدكتور برنر الانكليزي : « سيكون الفطور محضرا من شعاع الشمس ، والغداء من الهواء ، والعشاء من ماء البحر ، وهذا كله بصنع الحكيماء ، ولكن هذا بعد أجيال كثيرة لأن أفريقيا فيها أراض تكفي لملايين كثيرة غير سكان الأرض »

١٧٠ الاقتصاد وجمع الثروة وذكر مسألة البحر الميت وأن الجاهل يحقره والعالم يراه ذهابا كاتقدم في التفسير

« الفصل الثالث » في الجامعات الأوروبية ، ويان أن أكثر طلبة مصر محذون وقليل يلعبون بل يفسقون لاهالهم . والمهم أننا نعرف أن جامعات سويسرا كانت جامعات دينية فاقبلت علمية مع المحافظة على الدين . فهذه جامعة لوزان في مدينة لوزان بسويسرا نشأت سنة ١٥٣٧ م وفيها علوم الحساب والطبيعة والصييلة ومدرسة المهندسين والأسانذة فيها (١٢٩) وذكرت هذا للتفسير في هذا الطريق لأن الدين الاسلامي أولى بهذا من دين المسيح

١٧٢ « فوائد التعليم الاجباري » يفضل توماس جفرسون رئيس جمهورية الممالك المتحدة بقاء التعليم الأولى وتسميه على بقاء التعليم العالي لوخير بينهما . إن وجود طبقة متعلمة وبقية الأمة جاهلة معناه أن هؤلاء يستعبدون البقية . ومن جهة أخرى العالم وسط الجهل لاقيمة له . إن هولندا والدانمارك والسويد والنرويج لما عدت الأتمية منهم أصبحت بعض الولايات لاجنابيات فيها فأولى بهذا المسلمون المدرسة القروية هي محل استشارة القرية كلها

« اللطيفة الرابعة » في آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - والكلام على جوف الأرض وجبال البراكين والجبال التي تنبعلها الأرض والآبار الارتوازية . الماء معلق فوق رؤوسنا . الآثار الجوية المائية

- ذوبان الجليد . وشرح المياه . فعل القنوت الشعرية الأرضية . جرى المياه الى الجهة المنحطة
- ١٧٥ ﴿الطيفة الخامسة﴾ في قوله تعالى - ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وأن الآية ليست قاصرة على اختصام الكفار والمسلمين بل تشمل المتحاربين بعد زمن النبوة
- ١٧٦ ﴿القسم الثالث﴾ كتب مشکلا من آية - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم - الى آخر السورة
- ١٧٧ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١٧٨ هذا القسم أربع لطائف الثلاثة منها - وأشرقت الأرض بنور ربها - وذلك في الآخرة . والحكام يشاهدون مبادئه في الدنيا . ألا ترى كيف رأينا العدل في عالم النبات والحيوان من حيث التغذية ورأيناه في البر والبحر . ففي كليهما حدائق مثل مائي المحيط الهادئ من شجر المرجان وهناك جزائر مرجانية يثبت فيها الشكولاته . وهناك ١٠٠.٠٠٠ جزيرة وألف جزيرة مرجانية . ومن ذلك عدل الله في خلق العيون وعدمها . فليس لك الذي يعيش على بعد (٢٧٥٠) قامة لآعين له لأنه لاضوء للشمس هناك . وهناك سمك له مصباح يضيء في قرار البحار
- ١٨٢ ﴿الطيفة الرابعة﴾ - ونرى للملائكة حافين من حول العرش - وقد ذكر العرش في السورة بعدها الخ
- ١٨٣ انكشاف الحقائق من أسرار القرآن في آخر سورة ص وأول سورة الزمر من قوله تعالى - ما كان لي من علم بالأشياء الأعلى - الى قوله - فأني تصرفون - . وههنا ورد سؤال على المؤلف وهو أن الله عظم الانسان إذ أسجد له الملائكة الأرضيين وخلق له السموات والأرض وأزل له الأنعام ولكنه أذله أيضا بتسليط إبليس عليه وعلى ذريته وجعلهم في ظلمات ثلاث . فأجاب المؤلف بأن الاجابة على هذا السؤال لا تتم إلا بعلم الهواء والضوء وانكساره وانشاره ولا يتم ذلك إلا بعلم الطبيعة والفلك . إن الهواء مركب من الأكسجين والاوزوت وتنقص حرارته كلما ارتفع فإذا زاد عن (٧٠٠) متر صارت الحرارة (٩٠) لانتقص وهذا خلق القوم وله تقل يعادل (٥٨٥) مكعبا من النحاس وكل مكعب ضلعه كيلومتر وارتفاعه (٤٨) كيلومترا أى جزء من جهه من نصف قطر الأرض وهذا الهواء أمره هب ايرينا الشمس صباحا بضوء أقل من الضوء وقت العبارة بمقدار (١٣٥٠) مرة . وسبب هذا النقص أمر وهو أن الغبار الذي يتخلل جونا فوق رؤسنا أقل من الغبار الذي يتخلل الجو بالقرب من الأرض (١٩) مرة . فهذه (١٩) طبقة من الغبار تعجب عنا ككرة ضوء الشمس صباحا فترجمها الى واحد من (١٣٥٠) وبهذا الحجاب يسهل لنا أن ننظر شعاع الشمس . أما في وقت الظهر فلا . وبهذه يأتي ضوء الشمس للأرض بالتبريج . وهذا الغبار يظهر لنا أن الشمس صباحا أبعد منها ظهر والكواكب القريبة من الأفق أبعد في الظاهر من الكواكب التي في وسط السماء وتظهر قبة السماء كأنها منحطة . فحجب الشمس وقت السم وقرب الكواكب هناك وقرب القبة السهوية لسبب واحد وهو قلة الحجب الغبارية في الهواء وبعد الكواكب الأفقية للحجب الستة عشر
- ١٨٧ لولا الهواء لم يضيء نور الشمس إلا ما قابله وتكون الدنيا كلها ظلاما ماعدا المقابل للشمس ويكون الجو حالك السواد وتظهر النجوم نهرا وقت الظهر ولا يكون هناك ضوء صبيح ولا مساء بعد الغروب لأن ذلك لم يحصل إلا بانشار النور بواسطة الهواء وانكساره والانتشار ينتج لمن يضع عودا في الماء فانه يرى كل كسور وما هو بمكسور وانما ضوؤه انكسر . وهذا ظاهر في (شكل ٦) في صحيفة ١٨٨ والبيان في حرف (ا) وحرف (ب) وهذه التجربة السهلة من علم الطبيعة هي الواضحة في علم الملك (شكل ٧)

١٨٩ إن الضوء بأشكاله من الحق الجلى من الهواء الى الحق الذى فيه الهواء يتكسر بحيث خاصة لأنه انتقل من لطيف الى كثيف ، وهذا الانكسار يوجب الانتشار ، ومن هذا الانتشار يكون الفجر والصبح والشفق ، ولولا ذلك لطلعت الشمس بفتة فأهلكت كثيرا . إذن هنا غبار فى الهواء لطف الضوء . إذن هذا نظير الظلمات الثلاث المحيطات بالجنين . فإذا كان الجنين لا يحتمل انكشاف جسمه للشمس مع انها نعمة هكذا الانسان والحيوان جعل القبار الضار بأجسامهم نعمة عليهم لأنه يطفئ الضوء ويحجب سيران نور وصوله لهم تدريجيا . فتقليل الغبار الجوى والحجب نعمة لانه كما ان ظلمات الجنين نعمة عليه . وهكذا إغواء الشياطين لنبى آدم لامعنى لها إلا تأخير رقيهم . ذلك لأهمهم لو أعطوا العلم دفعة واحدة ظلمت أرواحهم . فلا بد من معوقات جسمية بالأمراض والحروب ومعوقات روحية بتدبيرهم من العلم فيقتبونه بالتدريج والشوق كما يتقبلون ضوء الشمس بالتدريج . والنفوس فى الثرى للغبار الذى هو مكروه ضار والفضل فى الأول لاغواء الشياطين . هذا هو الجواب على هذه الأسئلة

١٩٣ اللطائف العاتية لأقسام السورة كلها : الطيفة الأولى فى قوله تعالى - خلق السموات والأرض بالحق - يقر الليل على النهار ويقر النهار على الليل - مع آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - وههنا ذكر حركتى الشمس السريعة والبطيئة والفرجات (٣٩٠) والبروج (١٢) وكيف اخترعها العقل الانسانى قديما . ذلك انه رأى نجوما تخيلوا انها كالحل فسميت (٣٨) وهكذا البقية . ولكل برج (٣٠) درجة وبضربها فى (١٢) يكون ذلك (٣٩٠) ولكل برج (٣٠) يوما . وهناك (٥) أيام وربع يوم توزع عليها . وبيان أول فصل الربع اذا حلت فى رأس الحمل وقد أخذت فى الارتفاع الى الشمال فى يوم ١٧ من برمات . فإذا قطعت الشمس الحمل والثور والحوزاء وحلت بالسرطان فى أول الصيف كرت رابعة الى جهة الجنوب . يأخذ النهار فى القصر والليل فى الزيادة . وهذا على عكس حاله حين تسلك الى آخر القوس فى الجنوب . إذن يكون ذلك أقصر يوم وأطول ليلة فى السنة . وهناك تنتقل الى الجدى فى ١٧ من كيهك وتكرر رابعة فتأخذ فى الارتفاع . فهذان هما الاقلابان الاقلاب الصيفى والاقبال الشتوى . وهذان غير الاعتدالين إذ فهما يكونان النهار والليل متساويين أما فى الاقلابين فالنهار يكون أطول ١٤ ساعة ويكون الليل ١٠ ساعات . وإذا بلغ الليل ١٤ ساعة كان النهار ١٠ ساعات وذلك فى مصر وما مثلها وبقيّة الأقطار الأخرى منتظمة بحسب ما فيها

أقل أو أكثر

١٩٥ بيان شهور القبط وموارثها بشهور السريان وشهور الروم وهذان الأخيران متوافقان . وبيان الأشهر التى هى (٣٠) يوما وهى (٤) وواحد يتقص يومين والباقي (٣١) وذكر نظم القسما شهور السريان وشهور الروم

١٩٦ الكلام على المنازل وانها (٢٨) منزلة أولها السرطان وآخرها بطن الحوت وأن لكل منزلة (١٣) يوما . وفى يوم وربع فيضاف ذلك لمنزلة الجبهة آخر السنة . وفى كل (٤) سنين يكون للجبهة (١٥) يوما وههنا بيان طلوع المنزل وقت الفجر مثل ان الشرطين فى ٢٣ برمودة وفى ١٨ نيسان الذى هو شهر ابريل وهكذا فنعرف المنزلة بمعرفة الشهر القبطى أو السرى أو الرومى

١٩٨ الكلام على القمر والمنازل بالنسبة له وانها قسبان : جنوبية وشمالية . والمنزلة مقدار ربع سح السور . وما كواكب المنزلة إلا حدود فوارق بينها . وههنا تطبيق لمعرفة القمر فى أى منزلة

١٩٩ الكلام على أحوال الأهل التى عليها مدار الشهور . ذلك ان القمر يتأخر كل ليلة ستة أسباع ساعة

- ولا يزال يتأخر حتى يكون في الليلة السابعة مغييه نصف الليل وفي الرابعة عشرة طلوع الشمس وطلوعه ليلة ٢١ نصف الليل وليلة ٢٨ مع اقْداء . وهناترطق حساية لاستخراج أول الشهر العربي ٢٠٠ . ههنا أن أن نذكر نتائج انتظام الأجرام السماوية في الأعمال الزراعية في الأرض . فكما انتظم سير الكواكب انتظم الزرع في الأرض . فالزراع ونحوها مقسمات على الشهور . مثال ذلك :
- « شهر توت » فيه البروز ويلقط الزيتون وتفتح أكثر الترع « باب » فيه يطيب الزمان الخ « هاتور » فيه يزرع القمح وأكثر البقول الخ « كيهك » فيه تزرع الحلبة الخ « طوبه » فيه يكمل الفرجس والقرط الخ « أمشير » فيه نفوس الأشجار الخ « برمهات » فيه تزهرا الأشجار الخ « برمودة » فيه تقطف أوائل عسل النحل الخ « بشنس » فيه يكثر الفلاح الخ « بؤنه » فيه يكثر الحصرم الخ « أيب » فيه يكثر العنب الخ « مسرى » فيه يصنع الخلل
- ٢٠٢ { اللطمة الثالثة } في قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ويبان أن المراد أشرف شيء والعلماء قليل فهو كلاد يوم
- ٢٠٤ { الراديم وحواصه } هو دائما يلعب كوهج نار يتقدد ولا ينطق الخ . هذا المحدث له نظير في الناس وهم الحكماء الذين يؤثرون في عقول الأمم . لما ظهر الاسلام استخرج أهله الحكمة من بلاد اليونان أيام الصائين ثم ذهب ملك الملوك وانتقل العلم الى بلاد الأندلس ثم الى أوروبا لأن أبناء العرب اكتشفوا ما نضر
- ٢٠٨ { قول الله سبحانه وتعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - جاء العلم فيه بالفعل المصارح إشارة للتجدد وقتا بعد وقت الخ
- ٢٠٩ يخاطب المؤلف المسلمين : « أنتم خير أمة أخرجت للناس قديما فكيف لا تستوعبون علوم الأمم لتكونوا خير أمة أخرجت للناس في المستقبل »
- ٢١٠ { الفصل الثاني } فيباه له لياصوف « كت » الألمان في كتاب القرية . للكتاب مقمقة وأربعة فصول ، وفي المقدمة اخصاص الانسان بالترية - ثم تربية الطفل في المود ، ثم تهذيبه بطريق سليم . ثم تلقيه العلوم الخ والتهذيب بمعها لأخلاق الحيوانية - لم تمنح غيرة لذلك . وتجب المبادرة له . ! . والاعتصر في الكبير . ومن ههنا الذي صغيرا تصر عليه كثيرا بخلاف العلم ههنا لا يغوث بالكبر
- ٢١١ إن صغار . وان لا يحتاج الى تعليم اللهم إلا الطيور ههنا تعلم صغارها هبة أصواتها . والجه . أن كل صر في الأرض . وغر به صوت واحد يحافظ عليه (ههنا الصارة في الأصل الاجليزي وسقطت من الترجمة سهوا) . لوه وان الأصراء مع ذوى المواهب على تعليم الانسان أو علم الانسان على أعلى منه لأصبح الناس اليوم في حال شرف من ههنا . ومتى بلغ الانسان درجة التبصر وأحسن بتخلل أخذ يفكر : أهذا من قص الهديب أم التعليم ؟
- ٢١٢ ضرر نقص الهديب أشد من ضرر قص التعليم . على كل ج . أن بخطو خطوة الى الأمام . نهاية ذلك السعادة الانسانية . ليكون لنا يقين بذلك . التعليم التقليدي ينهي بالقص للانسان كالبسات التي بدت من الجدر في العام الثاني فزهرة يكون أقصر من جهة
- ٢١٣ الكمال عضو في الانسان . التعليم اليوم صاهه فاذا ارتقى الانسان صر رأسه بالهريزة . ليس في الأرض حكومة صاهه ولا تعليم حقيق . لابد من تضاعف الأفراد على النفع العام وذلك لا يضر بصلحة الفرد لأن الله امر بتأخير بذلك القصد . انظر : يأتي من أعمال الطبائير

٢١٦ آراء الاستاذ «كنت» كلها ترجع لما في القرآن - اقرأ باسم ربك - الخ - قل هل يستوى - الخ وهما (زبرجدة الثانية: الأولى) في أصل أهل ألمانيا بمناسبة ذم العلامة «كنت» للأمرء من حيث أنهم لا يصلحون لتعليم الشعوب، أصل أهل ألمانيا من العائلة الآرية وبلادهم كانت مواطن للحيوانات المفترسة الخ

٢١٧ (الزبرجدة الثانية) إن الأمة المصرية عليها المقهور محمد علي باشا وذريته عشرات السنين، ولكن الحرية ليست ناقة ولم يقيم بالثورة إلا أحمد عرابي وهو لم يتعلم في مدارس الحكومة، والأمة المصرية انقسمت قسمين فدخل الانجليز مصر، ولكن لما قللوا التعليم فيها تعلم الشعب بنفسه، فطالب نفس المتعلمين بالحرية

٢١٩ (نعمات الحكمة) وهي أن المؤلف سمع موسيقى تصلىح بعد كتابة هذا الموضوع فغلب له أن هناك مسرات لاحد لها عند الأمم الآتية بعدنا في الشرق بسبب هذه التعاليم وأمثالها

٢٢٠ الأحاديث النبوية من الكتب الستة السحاح في آداب العلم والتعليم. ويبان أن يكون التعليم لمن يطلبون العلم برغبة

٢٢٣ (الفصل الثالث) من المقام الأول في الكلام على الملك والوزير اللذين أحبا العلم والحكمة وزهدا في الملك

٢٢٨ (المقام الثاني في شئرات) وهي خمس: الأولى في إصلاح التعليم. وذلك أن علما سويسريا جاء الى مصر أثناء طبع هذا التفسير وقال ان تعليمها ناقص وترك للحكومة كتابا ملخصه نحو ٢٠ مسألة الخ

٢٣٢ معنى التعليم الاجباري وانه ليس القصد منه تعليم العالم العالمة بل القراءة والكتابة والحساب الخ

٢٣٥ (الشذرة الثانية. في الجباب السجوية) وذكر أقرب نجم من الأرض وهو الالف. وأن هناك كوكبا يبعد عن الأرض ألف قرن بسمير النور

الكلام على رصد الجوق بالسهم النارية. وأن (جادارو) صنع صاروخا منى وصل الى (٢٠٠) ميل أعطى ماعرفة بالهواء هناك وبأشعة الشمس كذلك وبالحرارة وبالضغط الجوي فهذه الأربع مجهولة الآن (الشذرة الثالثة) في غرائب الحيوان. غريزة الحيوان منتظمة كاتظام حركات الأججار ونحوها في سقوطها الخ

٢٣٨ (الشذرة الرابعة) في الفوائد الطبية. الكلاب وأخطارها

٢٤٠ مقالات في كلمات مثل: ان حلاوة اللقاء فمن مرارة الفراق. ومثل: المصائب تعطى اللبيب حكمة ولجلاها شر

الكلام على الماء والصحة

الكلام على الاختزال بمناسبة آية - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيصنعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب -

